بشارة خليل الخوري

حقائق لبنانية

من اول كانون الثاني سنة ١٩٤٧ الى ١٨ من ايلول سنة ١٩٥٢

«... ولكن ليكن كلامكم نعم نعم، ولا لا، وما زاد على ذلك فهو من الشرير»
(انجيل متى ٥، ٣٧

الجزء الثالث

طبع من هذا الكتاب :

ثلاث نسخ مرقمة بحرف ا

وست وتسعون نسخة مرقمة من ٤ الى ٩٩

منشورات « أوراق لبنانية »

قال الفيلسوف سينك :

« اذا اكرهك القدر على ان تتخلى عن مركزك المتقدم في الدولة فعليك ان تثبت وان تساعد بلادك بالقول . واذا منعت عنه فعليك ايضاً ان تصمد وان تساعد بالصمت . فالخدمات التي بمقدور المواطن الصالح ان يقدمها لوطنه لا تذهب عبثاً : اذ انه بالسماع له او النظر اليه ، او تأمل هيأته وحركاته، وبشباته، وحتى بطريقة مشيه، يساعد وطنه . »

من كتاب « راحة الفكر »

١٩٤٧

اهم الحوادث حتى حلّ المجلس

تعديل الدستور تعديلاً شكلياً :

دَشنت الحكومة اعمال السنة الـ ١٩٤٧ الجديدة بفتح دورة استثنائية للمجلس النيابي تبدأ في السادس من كانون الثاني ، مما دلّ على ان النشاط متواصل دون انقطاع . وانطوى جدول الاعمال على مشاريع متعددة ، في مقدمتها مشروع بالموازنة للعام الحالي، ومشروع قانون بتعديلٍ دستوري شكلي أعدّته الحكومة لتمحو من بنود الدستور كل ما اصبح غير ذي موضوع ، كذكر النواب المعيّنين ، وكبعض كلمات وتعابير تشير الى سلطة الانتداب وقد زالت والحمد لله .

واتخذ عبد الحميد كرامي من طرح المشروع حجّةً للدلالة على انه طالب غير مرة بتعديل الدستور ، وبتعيين لجنة من الاخصائيين تقترح تعديله تعديلاً اساسياً ، كما انه طالب بتعديل قانون الانتخاب ، ورجا ان تلقى كلمته هذه اذناً مصغية عند الحكومة . وما كان رياض الصلح لينام على التحدّي ، وأجابه انه كله آذان مصغية غير انها هي المرة الاولى التي

يطالب بها عبد الحميد بتعديل الدستور وقانون الانتخاب، وان عليه ان يتقدم هو بالتعديلات المطلوبة ما دامت الحكومة قد تقاعست عن التقدم بها، ورجا رئيس الوزارة ان تلقى كلمته اذناً مصغية لدى عبد الحميد، «ما دمنا جميعاً نرجو خدمة هذا الوطن العزيز(١)».

ولم يشارك عبد الحميد كرامي في طلبه الا النائب ألفرد نقاش وكلاهما ينتسب الى الكتلة الاصلاحية التي وقّعت على المذكرة المشار اليها قبلاً(٢). فلم تصادف ملاحظاتهما قبولاً لدى زملائهما النواب. وتولى عبدالله اليافي وزير العدل شرح الوجهة القانونية التي توجب حصر البحث في البنود التعديلية المطروحة من لدن الحكومة دون سواها، وعدم إمكان البحث بتعديل قانون الانتخاب لانه غير وارد في جدول الاعمال، واضاف: «اما التعديل الاساسي الوحيد الذي ورد في المشروع الحاضر، والذي يخوّل الحكومة إصدار مراسيم اشتراعية في فترة الثلاثة الاشهر التي تنقضي بين حل المجلس وانتخاب مجلس آخر، فليس من صنع الحكومة الحاضرة بل من صنع الحكومة السابقة. ونحن لا نتشبث به بحيث يقتصر التعديل على الشكليات».

وقد أقر المجلس مشروع الحكومة بالاكثرية الدستورية المقتضاة وهي الثلثان.

ويجب القول: ان احداً من النواب، طوال مدة رئاستي، لم يتقدم باقتراح تعديل الدستور بشكل من الاشكال. فلا يحق لاحد ان يدّعي، والحالة هذه، انه طالب به بغية منع تشابك الصلاحيات بين الرئيس والحكومة، وبغية الحد من سلطة رئيس الجمهورية «حتى يملك هذا دون ان يحكم»، او ان يحكم على مسؤوليته ويكون الوزراء لديه امناء سر مسؤولين امامه وحده، كما هي الحالة في الولايات المتحدة التي تعيش في

---

(١) — محضر جلسة ١٠ من كانون الثاني سنة ١٩٤٧.
(٢) — «حقائق لبنانية»: ج ٢، ص ٢٣٧.

« الشكل الرئاسي » . ومن ادّعى خلافاً لهـــذه الحقيقة دحضت الوقائع ادعاءه ، ووقفت دونه الوثائق التاريخية شواهد عدل .

العلائق مع فرنسا :

لم يتّسم الاستقلال الكامل الذي ناله لبنان وما تبعه من تدابير، بأية كراهية للاجانب عامة وللفرنسيين خاصة ، وكل ما هدفنا اليه هو زوال الانتداب حتى نتولّى شؤوننا بأنفسنا . وكان من الطبيعي ان تبقى لدى الموظفين الفرنسيين غصّة من جرّاء انسحابهم من اراضينا دون ان يبقى لهم فيها مركز ممتاز او قاعدة عسكرية . وأردتُ أن أثبت لهم ان لبنان المستقل ورئيسه وحكومته لا يضمرون لهم شراً بـــل يقدرون صداقة دولة حرة لها تاريخ حافل كفرنسا ، فسهرت على ان ينعم ممثلوها وموفدوها بالاستقبال الحسن ووسع الضيافة ، وان تنال مؤسساتها للبر والاحسان مزيد الرعاية، وأهديتُ موظفيها الذين غادروا البلاد اوسمة التقدير .

ومن الظروف السانحة لهـــذه المظاهر الطيبة زيارة المسيو جورج دوهاميل الكاتب الذائع الصيت وعضو المجمع العلمي ومندوب جمعية الاتحاد الفرنسي للثقافة، فاستقبلته في القصر واستمعت الى محاضرته القيّمة عن « المدنية »، ثم اقمت على شرفه حفلة عشاء ضمّت وزير فرنسا المفوض واعضاء الاتحاد الثقافي اللبناني الفرنسي وكبار القوم وعلّقتُ على صدر الضيف وسام الارز من رتبـــة « كومندور » ، وألقيتُ خطاباً تناقلته الصحف والالسن بالتقدير . ولم يكن المسيو دوهاميل ينتظر هذه المفاجأة لا هو ولا المدعوّون فنزل الخطاب بلسماً على قلوبهم . وكان ذلك في اليوم الثامن من تاريخ الجلاء التام . وتعدّى اثر الخطاب حدود لبنان ونشر في الصحف الفرنسية . ومن جملة ما ورد فيه عن علائقنا بفرنسا :

« . . . أليس الاتحاد في الغالب مترادفاً للصداقة ، وهذه حالكم انتم وحالنا نحن ، وهي صداقة غالية ، وأيّة صداقـــة واخلصها لم تكدّرها سحابة لم تلبث ان هبّت عليها الرياح لتبدّدها الى الابد ؟ ».

وقلتُ عن مقوّمات حضارتنا اللبنانية :

« ان اهل هـــذا البلد ملكوا وما زالوا يملكون اسباب المدنية المادية والادبية من نار تبعث الحرارة وتلهب القلوب، ومن نور يضيء العيون ويغمر النفس، ومن وعاء كأس متموّج الالوان، او هو كأس الخلاص ، ومن خبز وخمر هما طعامٌ ارضي وغذاء سماوي ، ومن الشجرة سبب هلاكنا وعود فدائنا ، ومن الرباط يشدّ خِناق الكيس والمجرم وأواصر الصداقات المتينة ، ومـــن عجلة تقرب القارات ، ومجذاف يصل الشواطىء » .

وفاة الدكتور ايوب ثابت :

اشتدت وطأة المرض على الدكتور ايوب ثابت في اوائل سنة ١٩٤٧ ، ولازم الفراش مدة طويلة فعدتُه وألفيته شاحب اللون متضايقاً ، ولكنه ظل محافظاً على جميع حواسه . وقد شكرني بلسانه وعيناه تلمعان من التأثر البالغ . وتوفاه الله في ١٤ من شباط . ومـــع ان رئاسته للدولة أتت عن طريق التعيين من قبل المندوب العام الفرنسي ، فقد قررنا ان نقيم له مأتماً وطنياً وقوبلت عاطفتنا بمزيد التقدير من اكثر اللبنانيين وخيّبت امل الذين يصطادون في الماء العكر . والفقيد معروف بنزعته اللبنانية المصطبغة بمسيحية متطرفة ، فظنوا ان بامكانهم استثمار هذه النعرة وإثارة النقمة على الحكومة فقطعنا عليهم السبيل . وكان اول مأتم وطني اقيم في عهد الاستقلال، ووضع له برنامج دقيق . ومشيتُ في تشييع النعش من بيت الفقيد حتى الكنيسة الانجيلية وأبّنته من على منبرها تأبيناً لائقاً به ، ورافقته الى مقره الاخير بالسيارة كسائر المشيعين ، وتقبّلتُ التعازي مع افراد اسرته . وبهذا كله وفيناه حقه بتجرد كبير ، في حين انه رحمه الله لم يكن ليناً ، ولم ينسجم مـــع العهد تمام الانسجام ، ولم نكن على وفاق معه في شؤون عديدة . غيـــر ان لشخصية ايوب ثابت

ميزاتٍ لا تنكر ، وكان لزاماً عليّ ان أفيَه حقه من حيث اخلاصه للفكرة اللبنانية .

ومعلوم ان الدستور يقضي بانتخاب فرعي في مهلة شهرين بعد وفاة النائب لملء المركز الشاغر ، فرُئي من المناسب ان لا تشغل بيروت بمثل هذا الانتخاب والبلاد كلها ستنهمك بانتخابات عامة ستأتي بعد فترة قصيرة ، وقرّ الرأي بين المسؤولين على ان يُحلّ المجلس قبل مرور الشهرين ملافاةً لذلك . وهكذا تحتّم ان يقع الحل قبل ١٤ من نيسان . ووجب القول ان وفاة الدكتور ايوب ثابت عجّلت في حل المجلس النيابي وإجراء الانتخابات العامة قبل موعدها .

شؤون شتى :

كان من اهم اعمال الحكومة ان تنهي الموازنة قبل الحل . وقد أُقرّت فعلاً بعد مناقشتها في جلسات شهر شباط ، فصلاً فصلاً وبنداً بنداً ، ولم يكن في الموازنة من تضخم في الاعتمادات يسترعي النظر ، ولكن موضوع الانتقاد كان ان الحكومة تعود بعد إقرار الموازنة الى طلب اعتمادات إضافية . وقد سبق لجميع الوزارات ان وعدت بتحاشي هذا النهج ، ولكنها رجعت وطلبت الاعتمادات الاضافية مما سبّب لها النقد اللاذع . وقد ظلّ هذا دأب مختلف الوزارات منذ ان وضع الدستور في سنة ١٩٢٦ .

إن الفترة التي سبقت حل المجلس النيابي امتازت ببحث الشؤون الخارجية ، وقد ارادت الحكومة ان تُطلع النواب على نشاطها في صددها فتلا وزير الخارجية في ١٢ من شباط بياناً تناول فيه قضايا الساعة . وهذا ملخصها :

١ — إنشاء وزارة للبنانيين المغتربين وإلحاقها بوزارة الخارجية ، تتناول اعمالها كل ما من شأنه ان يوثق العلائق بين شطرَي لبنان المقيم والمهاجر .

٢ – إحداث علائق دبلوماسية مع حكومتي الڤاتيكان وايطالية ، ولم يبق سوى تقديم اوراق الاعتماد . ولا يخفى ما لتوسع علائق لبنان السياسية مع الدول من شأن عظيم واهمية كبرى ، خصوصاً مع الكرسي الرسولي .

٣ – موقف لبنان الجازم من تصريحات المسؤولين في شرقي الاردن ومن مشروع سورية الكبرى ، ومعارضتنا لكل مشروع من شأنه ان يبدل الوضع الراهن في البلاد العربية .

وقد دعَم رئيس الوزارة هذه المعارضة بكل شدة واشترك نواب عديدون في دعمها .

وكان أن أقر المجلس بالاجماع اقتراحاً من النائب يوسف سالم بتأييد الحكومة وايلائها الثقة التامة .

ومن باكورة العمل بشؤون المغتربين أن وافق المجلس النيابي بالاجماع ايضاً وفي الجلسة عينها على الاتفاق المعقود بين تركية ولبنان في ٧ من كانون الاول ١٩٤٦ بتمديد مهلة اختيار الجنسية اللبنانية مدة سنتين لمغتربينا ، مما أفسح لهم المجال في الرجوع الى جنسيتهم الاصلية بعد ان اهملوا اختيارها وظلوا « اتراكاً ! » بموجب معاهدة لوزان ووفقاً للقانون الدولي .

وكذلك وافق المجلس على اتفاق النقل الجوي اللبناني الاميركي المعقود في ١١ من آب ١٩٤٦ ، وهو اتفاق نموذجي يُكرّس الحرية الخامسة التي أقرّها مؤتمر الطيران الدولي المعقود في ٨ من كانون الاول ١٩٤٤ في مدينة شيكاغو والذي تمثّل لبنان فيه . اما تنفيذ هذا الاتفاق فكان معلقاً على قيام اتفاق مماثل بين الولايات المتحدة الاميركية والحكومة العراقية .

وكانت الحكومة قـــد عقدت اتفاقاً مع الشركة الاميركية البترولية لخط الانابيب عبر البلاد العربية (١) فأقرّه المجلس بالاجماع ايضاً نظراً لما

(١) – في ١٠ من آب سنة ١٩٤٦ .

فيه من الفوائد المعنوية والمادية .

ويتضح من ذلك كله ما كان لتلك الجلسة من اهمية من الوجهة الخارجية التي تؤثر حتماً في عمران البلاد ورفع شأنها .

ومما هو جدير بالذكر ان الحكومة احالت الى المجلس النيابي في تلك الفترة مشروع قانون يجيز لها استلاف ماية وخمسين الف ليرة لبنانية لشراء الاذاعة ، واستلاف مبلغ يزيد على خمسة ملايين ليرة لشراء مصلحة التلفون ، ويدخل في هذه الصفقة عقارات في بيروت وطرابلس تزيد قيمتها على مليون ونصف مليون ليرة ، فأقرّ المجلس ذلك المشروع الذي استكمل تسلّم المصالح المشتركة من الحكومة الفرنسية .

وكان تسلم المصفاة قد تمّ من قبل ، وثبت للحكومة اللبنانية بوثائق لا ردّ لها ان هذه المصفاة ملك لشركة اي . بي . سي . وان المفوضية الفرنسية استثمرتها موقتاً ايام الحرب ، فكان تسلم الحكومة اللبنانية للمصفاة ، والحالة هذه ، تسلماً شكلياً اذ انها سلمتها للشركة في الوقت عينه ولم يبق من المصالح لدى الفرنسيين سوى حراسة اموال العدو ، وقد ظلت موضوع خلاف بيننا وبينهم وارادوا الاحتفاظ بها حتى الدقيقة الاخيرة باعتبار انها مصلحة تتعلق بالحلفاء ، مما اضطرنا لان نضع يدنا عليها عنوةً بمحاضر قانونية دون التوقيع على اتفاق ثنائي بشأنها !

الرئيس القوتلي يردّ الزيارة

زيارة الرئيس السوري لعاصمة لبنان :

زرتُ دمشق في حزيران سنة ١٩٤٦ ودعوت رسمياً صديقي شكري بك القوتلي رئيس الجمهورية السورية لزيارة لبنان ، فقبل الدعوة شاكراً وتعيّن ٢٢ من شباط موعداً لها على ان تدوم الزيارة يومين . وبدأ الاستعداد على قدم وساق ووضع برنامج لائق . وكنا نخشى ان تحول رداءة الطقس دون أبهة الاستقبال المرتقب غير ان الله مَنّ علينا بطقس ربيعي سطعت فيه الشمس وامتلأت الارض دفءاً كأن الطبيعة ارادت ان تشاطرنا الحفاوة بالضيف العزيز والجار الكريم .

وأُعدّ جانح في القصر الجمهوري لنزول الرئيس فيه ، واستقبلته ومعه حاشيته في حدود بيروت حيث نُصب سُرداق كبير ارتاح فيه قليلاً مع مرافقيه . وقُدّمت له الازهار . وركبنا في سيارة واحدة الى ساحة الشهداء وكانت فرق الجيش مصطفّة فيها للعرض . وواكبتنا الخيّالة اللبنانية بعددها الكامل (مائة فارس) ، والهتافات تتصاعد يرافقها التصفيق من جوانب الطرقات وعلى شُرف المنازل وعلى السطوح . والناس يحيّون

الرئيسين بحب واحترام وحماسة . وبعد ان مررنا امام الجيش ، والساحة على وسعها تغصّ بالجماهير المتحمسة ، وضع الرئيس السوري إكليلاً على نُصب الشهداء . ثم ذهبنا الى السراية الكبيرة حيث جرت حفلة استقبال فخمة للسلك السياسي والهيئات الرسمية والرؤساء الروحيين والاعيان ، وبدت علامات الحبور على كل وجه ، والرئيس السوري متناهي اللطف والايناس . ثم انتقلنا بالموكب نفسه الى القصر الجمهوري والشمس قد غربت ، وتوافدت الجماهير تسجّل اسمها في دفتر تشريفات خاص بتلك الزيارة الكريمة .

دخل الرئيس شكري بك الجناح الخاص المعدّ له وأخذ قسطاً من الراحة، وخلونا بعدها نتبادل احاديث الساعة فأعرب لي عن امتنانه من الاستقبال الحافل الذي استقبلناه به ، وأظهرتُ له سرورنا العميق بتشريفه، مما يوثق علائق البلدين بوثاق الوئام . ثم ارتدى كلٌّ منا ملابسه الرسمية وعليها الاوسمة ودخلنا مع المدعوين قاعة الطعام . وتبادلنا خطابين موضوعهما الزيارة وأواصر الود والمحبة بين سورية ولبنان . وبعد العشاء قلّدتُ الرئيس السوري الوشاح الاكبر لوسام الاستحقاق اللبناني وقلّدني الوشاح الاكبر لوسام أميّة بحضور أركان الحكومتين . وما ان انتهينا من تلك المراسم حتى ابتدأ المدعوّون يتوافدون الى السهرة الرسمية « البالّو » التي اقمناها إكراماً للضيف ولمرافقيه المحترمين وقد حفلت بالحاضرين من علية القوم ، فقدّمتهم جميعاً لفخامته في الردهة الكبيرة وتوزّع المدعوّون في الدار والصالات التي ضاقت على رحبها باستيعاب ما زاد على الالف . وبعد ان افتتحنا المقصف خرجنا الى رتاج السلم نشاهد الزينات والالعاب النارية البالغة غاية الاتقان، وقد امتازت باللافتات النارية واجملها معانقة العلَمين السوري واللبناني في لافتة واحدة . وما رجعنا الى غرفنا الا في ساعة متأخرة من الليل .

اما اليوم الثاني فكان مثقلاً بالحفلات ، ونهضت من النوم باكراً على رغم من التعب وخرجت من الباب الخاص لاستمع قداس الاحد قبل

ان تبتدىء الزيارات ، وشكرت الله على نعمه المتعددة وطلبت اليه ان تنقضي هـذه الزيارة على سلامة ، وان تكون خيِّرة الثمر على سورية ولبنان . وعدت الى البيت وارتديت الملابس الرسمية . وكان الرئيس السوري قد استقبل عدداً وافراً من الزائرين اذ ابتدأت الزيارات باكراً جداً حسب العادات الشرقية . وخلوت به مرة ثانية في مكتبي فجدّد الشكر وتباحثنا بشؤون سياسية وفي مواضيع عامة ، ثم ركبنا السيارات في موكب رسمي لنزور صخرة الجلاء في نهر الكلب . وكان السير قد قطع على طول الطريق ، والجنود تحرسها يميناً وشمالاً ، ووصلنا الى الاثر التاريخي فوقفنا خاشعين ذاكرين نعمة الله في البلدين . واستعدنا ذكريات الماضي ، وما مرَّ بنا من تجارب متشابهة، وما أصاب القطرين من توفيق في توطيد الاستقلال التـام الناجز ، بفعل ايمان الرئيسين والحكومتين والمجلسين ، ووطنية الشعبين، حتى وصلنا الى الغاية المنشودة بعد التضحيات التي بُذلت .

وعدنا الى المجلس النيابي فتناولنا الغداء بدعوة من رئيسه وكان الجو ودياً جـداً ، وتحدثنا في مواضيع وذكريات شتى ، وحبيب ابو شهلا رئيس مجلسنا في احسن ايامه ظرفاً ودعابة . وقد بلغت الساعة الثالثة لما وصلنا الى ميدان سباق الخيل لحضور حفلة خاصة اقيمت تكريماً للزائر الجليل ، وحدّثْ ولا حرج عن الاستقبال الشعبي المنقطع النظير الذي لقيناه ، وقد زاد عدد الجمهور على عشرين الفاً ، وكانت الهتافات تصعد من كل صدر، والايدي تصفّق بدون انقطاع، والناس تمر أمام المقصورة الرسمية وعلى وجوهها علامات البشر والحبور ، والرئيس السوري يحيّيها، وكأن دمعة ارتسمت في مقلتيه امام تلك الحماسة المتفجرة من اعماق الصدور .

وبعد حفلة السباق تنزّهنا قليلاً قبل ميعاد حفلة الشاي التي دعا اليها هنري فرعون وزير خارجيتنا إجلالاً للرئيس السوري ، فذهبنا في جولة

مختصرة في بولفار النهر وفي بولفار الحدَث ، ورجعنا بطريق حرج بيروت والبسطة ولقينا الجماهير محتشدة على الارصفة والشرفات والسطوح ، وسمعنا الهتافات تتعالى في كل مكان ، فسرنا على مهل حتى تمكّن الاهلون من ان يقتربوا من السيارة الرسمية ليحيّوا عن كثب ضيفنا، وكان الرئيس يحيّيهم بكلتا يديه وأنا ارفع يدي لاستثارة حماستها حتى بلغت ذروة لم نشاهدها الا القليل . ووصلنا الى بيت وزير الخارجية حوالي الساعة السادسة مساء والليل قد خيم ، فظهرت نقوش قصره الشرقي بمظهر عجيب ، وجمعت الحفلة الهيئات الرسمية وأعيان البلاد والرؤساء الروحيين ، وبدت آية في الاناقة ، وقامت سيدة البيت المرحومة نويلي فرعون بمراسم الضيافة على اوسع مدى مما استوجب شكرنا .

وختمت الحفلات بعشاء في وزارة الخارجية وقد اختلف المدعوّون الى موائد متفرقة جلسوا حولها يتناولون شهيّ الطعام ويتبادلون لذيذ الاحاديث ، ولم ينتهوا قبل الساعة الحادية عشرة ليلاً .

وعدنا الى القصر الجمهوري وسألتُ شكري بك عما اذا كان تعِباً بعد ذلك النهار المضني ، فأجابني بكل بساطة :

ـ لا حساب لتعب الجسم عندما يكون القلب في حبور .

وفي اليوم الثاني شُيّع الرئيس السوري تشييعاً حافلاً ، كما استقبل بالمراسم عينها ، ولما ودّعته في فرن الشباك اغرورقت عينا كل منا بالدموع وتعانقنا طويلاً . واذا ظهر عناق الاستقبال عناقَ صديقين فقد كان عناق الوداع عناقَ اخوين .

حوادث أليمة في طرابلس

بعض مشاكلنا الداخلية :

كانت زيارة الرئيس السوري مثل واحة في قفر، صرفتنا قليلاً عن مشاكلنا الداخلية . ثم ما لبثت تلك المشاكل ان عادت تتطلب المعالجة، ولم تكن « وزارة الجبابرة » لتقوى على ازالتها جميعها .

ومن تلك المصاعب ما يثير الابتسام، ومنها ما هو موضوع عجب ، ومنها ما هو موضوع اسف شديد .

مما اثار الابتسام: تهمة وُجّهتْ الى (النائب اميل لحود وزير المال السابق بانه اختلس تسعة ملايين ليرة من ضريبة المحروقات)! تهمة وجّهتها اليه احدى الصحف وزعمت انها « تصريح ! » من وزير الاقتصاد كمال جنبلاط . فكذّبت الحكومة ذلك التصريح المزعوم، وكذّبه كمال جنبلاط . وطلب اميل لحود الى المجلس ان يحاكمه دستورياً فرفض المجلس طلبه ، فأقام النائب دعوى على الذي افترى عليه وحكمت المحكمة على الصحافي المفتري بالسجن استناداً الى شهادة كمال جنبلاط .

مما اثار العجب : مواقف كال جنبلاط غير المنسجمة . فبعد ان صعد الى الجو في طائرة اميركية ليلقي من علٍ بذور أشجار حرجية على جبل الكنيسة وغيره من الجبال ، واظهر ارتياحه لهذا العمل ، ما لبث ان اظهر تبرّماً بأعمال الحكومة التي تضمّه بين اعضائها ، وبأعمال الرئاسة التي عيّنته وزيراً ووضعت ثقتها به ، فجاء تبرّمه في غير موضعه ، وراح يمطر تصريحات صحفية جارحة في بعض الاحيان . والانكى من ذلك انه كان يكتب تلك التصريحات اثناء انعقاد مجلس الوزراء وعلى مقربة من الرئيس ! وكثيراً ما انتقد قرارات ذلك المجلس بعد ان اشترك في وضعها !

عودة انطون سعاده الى لبنان :

اما موضوع الاسف : فعودة انطون سعاده من الارجنتين .

لكل لبناني حق في ان يعود الى وطنه متى شاء . وبيد الحزب القومي السوري « علم وخبر » من وزارة الداخلية ووزيرها كميل شمعون بالاعتراف به منذ سنة ١٩٤٤ ، ومنذ ذلك التاريخ لم تنشب بين الحكومة وهذا الحزب مشكلة ما الى ان خطر لانطون سعاده ان يعود من الارجنتين قبيل الانتخابات العامة .

كتبت مفوضيتنا في بوانس ايرس الى وزارة الخارجية تستشيرها باعطاء سعاده التأشيرة للعودة ام عدم اعطائها ، وما ان تسلّم هنري فرعون وزير الخارجية ذلك الكتاب حتى قابله عضوان بارزان في الحزب القومي السوري [١] واستعجلاه الجواب بالايجاب ، فوعدهما دون مراجعة رئيس الوزارة او مراجعتي . وكانت مفاجأة لنا يوم طرح الوزير سوآله على مجلس الوزراء دون اي تمهيد او تهيئة ، فآثرنا التريّث وأصرّ على الموافقة ،

(١) — نعمه ثابت ومأمون اياس

وقال انه سبق له ان وعد بالجواب . وأرجئت المسألة بضعة ايام ثم اعاد الكرة . وامام ذلك الاصرار من جهة ، وحق اللبناني بالعودة الى بلاده من جهة اخرى ، لم يسعنا الا الموافقة على الطلب . ولم يكن في نيتنا تكريس مخالفة قانونية بالرفض ، وجل ما كنا نسعى اليه هو مفاوضة الرجل في مغتربه علّه يتريّث بالرجوع الى ما بعد الانتخابات او انه يُقلع عنه بملء ارادته امام الظروف التي مرّت بها البلاد والتي كانت تنتظرها .

وعاد انطون سعاده فاستقبله حزبه ، مضخّماً بمن يروق لهم الانضمام الى كل جديد رغبة او رهبة ، او تطفّلاً وحشرية .

ولَظلّ الامر محمولاً والمصيبة هينة لو لم يلفظ انطون سعادة يوم عودته خطاباً نارياً قاسياً حشاه تهجماً على الكيان اللبناني ، فدعاه الامن العام للاستفسار منه عمـا عناه ، لعله يتراجع عنه او يوضحه بتفاسير مقبولة ويُسدل الستار ، وأُثيرت المسألة في المجلس النيابي ، فتوارى سعاده عن العيان وبرز الى الميدان الوسطاء و « المصلحون » ، كأن مثل هذه الامور الخطيرة التي تُهدّد الكيان تعالَج بمصافحة الايدي وتقبيل الوجنات ! وكان قصد الوسطاء ان يمثل سعاده امام المستنطق صورةً ، وان يُستجوب صورةً ، ويخرج من لدنه كما دخل ! فوقفتُ ورئيس الوزارة في وجه هذه المحاولة بالرغم من إلحاح الوزير جبرائيل المر الذي كان يبني آمالاً كباراً على مساندة القوميين السوريين له في انتخابات منطقة ضهور الشوير — بتغرين ، واقترحنا بياناً خطياً من انطون سعاده يعبّر فيه عن اسفه الصريح لما تفوّه به بشأن كيان لبنان . وأخذت الايدي تكتب نصوصاً لا تفي بالمرام ، ووُضع نصّ غير كافٍ إلاّ ان الالحاح والملل فعلا فعلهما في اكثر الوزراء فاعتبروه كافياً . وانتهى الامر عند هذا الحد ...

ولو سارت الامور في مجراها القانوني وأخذت العدالة طريقها لخدمنا البلاد وخدمنا انطون سعاده في وقت معاً . اما البلاد فبغضبة واقية

لكيانها ، واما سعادة فبحكم عادل رادع ينبّهه الى واجب وطني ويثنيه عن الانزلاق والتمادي القتّالين .

حوادث طرابلس الاليمة :

ومما استوجب الاسف بل الالم الشديد الحوادث التي وقعت في طرابلس بالظروف الآتي بيانها :

في اواخر شهر شباط عاد الى بيروت السيد فوزي القاوقجي بعد غياب طال حوالي خمس وعشرين سنة ، فخفّ لاستقباله عدد عديد من ابناء بلدته طرابلس ومن اصدقائه القدماء يتقدمهم عبد الحميد كرامي . وجاء فوزي وعبد الحميد معاً من المطار الى القصر الجمهوري فاستقبلتهما بالترحاب . وأذكر تماماً ان عبد الحميد اظهر في هذه المقابلة لطفاً فائق الحد ، وممّا قاله لي : كان لك في طرابلس والشمال رجل تعتمد عليه ، وها اننا اصبحنا رجلين يمكنك الاعتماد عليهما . فقابلت اللطف بمثله وتمنيت للقادم الجديد التوفيق، وأعربت لعبد الحميد عن امتناني من عاطفته .

وبلغني انهما ينويان السفر بعد ايام الى طرابلس وانه سيقام للقاوقجي استقبال حافل فسعيت كثيراً ، بالاقناع، للحيلولة دون ذلك خشية ان يقع ما لا تحمد عقباه ، خصوصاً وأن الانتخابات العامة « على لياليها » ، والاعصاب متوترة ، وكل من الحزبين المتنافسين سيبغي إظهار قوته بهذه المناسبة ، ومن هذا يُخشى الاصطدام بينهما .

وباءت محاولتي بالفشل . وذهب فوزي القاوقجي بموكب فخم الى طرابلس، وكانت وفود سورية قد وصلت اليها منذ الصباح وهي تحمل الاسلحة الحربية . وأوعز كل من الحزبين الطرابلسيين الى رجاله بالنزول الى الساحات بالسلاح الحربي، وراح كلٌّ « يغني على ليلاه » ويهتف لزعمائه .

وابتدأ التحدّي من الجانبين ، وما وصل الموكب الى ساحة المدينة حتى اهمل الفريقان الرجل الذي اجتمعا لتكريمه وتشابكا يتبادلان العيارات النارية القاتلة ، فسقط عدد من المتظاهرين ، ومنهم نافذ المقدّم عميد عائلته واخو النائب مايز المقدم ، وسقط ايضاً مَظهر العمري وآخرون من انصاره . واختلط الحابل بالنابل ، واضطرّ المحتفى به وهو جندي قديم لان يلجأ الى مكان يحميه خشية ان يصاب في مقتل خطأ . وتدخّلت قوة الدرك فأطلقت النار تخويفاً في الفضاء ، ثم اضطرت لاطلاقه على المتظاهرين لتفريقهم وحجب الدماء . وصدرت الاوامر بان ينزل الجيش الى المدينة فنزل وعاد السكون بعد جهد جهيد . وعلى الاثر اتصلت وزارة الداخلية بفوزي القاوقجي وطلبت منه ان يغادر طرابلس برضاه تفادياً لما هو اعظم، فاقتنع الرجل وامتثل، كما يفعل كل عاقل محنّك محبٍ لوطنه، وسافر حالاً الى قرنايل بعيداً عن الجو المضطرب الذي ما كان مخلص ليريده .

ذيول الحادث :

وجرَّت تلك الحادثة المفجعة ذيولاً محلية وإدارية وفي مجلس النواب ، ذلك ان الرأي العام الطرابلسي عَدّ أن الاستفزاز الذي أشعل النار يوم الاستقبال سبّبه مظهر العمري، ومظهر ينتسب الى هنري فرعون وعبد الحميد كرامي، فاستغلّ الحزب المعاكس نقمة الناس عليهما وبالاخص على اوّلهما لكونه غريباً عن المدينة . وبلغ الحكومة ان خصوم هنري فرعون يهددون ويتوعدون على الرغم من كونه وزيراً، فاحتاطت للامر احتياطات جمّة وأرفقته برجال الامن، وأثار هو الوضع في مجلس الوزراء مُلحّاً بنقل المحافظ عبد العزيز شهاب ناسباً اليه التحيّز الى حزب آل المقدم .

وكان اخذ وردّ ، وقرّ الرأي ان يستقيل رئيس البلدية مصطفى

كرامي (اخو عبد الحميد) وان يُنقل المحافظ الى مركز آخر . وعُيّن الزعيم نور الدين الرفاعي الذي كان تحت تصرف وزارة الدفاع، محافظاً على طرابلس . وكنا نرجو ان مثل هذا التدبير يحفظ التوازن بين المتخاصمين ويوفّر على الحكومة هزّة في مجلس النواب . ولكن خاب املنا وقاد الحملة على رئيس الحكومة حميد فرنجيه وهو صديق نور الدين الرفاعي ، فقد ساءه ان يُفرَض الرجل فرضاً في هذه الظروف الدقيقة، وانضم الى حميد اكثر نواب الشمال وانعقدت الجلسة في ١٢ من اذار والقى فيها حميد فرنجيه خطاباً عنيفاً وهاجم رئيس الوزارة بصورة غير منتظرة، ومما قاله :

« ... اني اعلن انهم لم يختاروه (المحافظ) للإدارة بل فرض عليهم فرضاً ... نحن استكبرنا عليك (موجهاً الكلام لرئيس الوزارة) بالامس ان تكون قبلت بائتلاف فرض عليك فرضاً ، لانك كبير في اعيننا وفي اعين الامة، اما ان ينقلب هذا القبول بالائتلاف استسلاماً فهذا ما لا نرضاه . انا لا استجوب الحكومة ، واني افضل لك يا صديقي ان لا تكون في هـــذا الكرسي حين يقضي عليك الائتلاف بالاستسلام على هذا الشكل ... واني اعاهدكم ان شمالي لبنان لن نقتطعه لاحد ولن يستثمر لاحد . » (١)

وملك رياض الصلح اعصابه وأجاب صديقه بكل هدوء، فدافع دفاعاً اضعف من الهجوم ، واشترك في المناقشة عدد من النواب وصبري حماده وزير الداخلية وسامي الصلح الذي طلب سحب المحافظ حالاً « لاعادة الهيبة الى الحكم والاطمئنان الى الناس » !

وعلى الرغم من عنف الجدل فقد أمّنت الحكومة لنفسها اكثرية ردّت اقتراحاً من حميد فرنجيه يقضي بتأليف لجنة برلمانية للتحقيق في حوادث الشمال وما تبعها (٢) .

وفدنا الى الجامعة العربية :

اقترب انعقاد مجلس الجامعة العربية في دورة اذار العادية، وكان لزاماً

(١) — محضر جلسة ١٢ من اذار سنة ١٩٤٧، ص ٥٠٣

(٢) — ص ٥٠٩

علينا ان نعيّن وفدنا للاشتراك في جلساتها، فصدر مرسوم بتعيين رياض الصلح رئيساً وكميل شمعون وهنري فرعون وسامي الخوري وزيرنا المفوض في مصر اعضاء، على ان يوافي كميل شمعون الوفد الى القاهرة من لوندرة، فخفّ أصدقاء الرجل الى مصر لملاقاته تعكيراً للجو ، وتوسيعاً للشقّة بين الرئاسة وبينه . وما ان وصل الى القاهرة حتى بلغتنا أخبار موثوق بها عن استعداده لمخاصمة الرئاسة عن عمد ! وعبثاً حاول بعض الاصدقاء المخلصين أن يردّوه الى الصواب ويبيّنوا له خطأه ويعطوه اسطع برهان على تساهل الرئاسة معه بتوليته منصباً مرموقاً في وزارة الانتخابات، فظلّ على غيّه . وقيل انه سعى لان يشرك هنري فرعون في موقفه هذا .

ومن حسن الحظ ان الاختلافات الداخلية لم تمنع وفدنا من اتمام مهمته في دورة الجامعة على خير ما يرام .

المشروع الانشائي الثالث :

أقر المجلس نهائياً موازنة عام ١٩٤٧ واقترب موعد حلّه برضا جميع اعضائه ، فوجب على الحكومة ان تفرغ من إنجاز ما يجب اقراره من القوانين الضرورية قبل الفترة الانتخابية التي تتعطل الاعمال فيها، وتقدمت بمشروع انشائي ثالث يبلغ مجموع اعتماداته اربعة وعشرين مليون ليرة لبنانية لإتمام الاعمال المائية وفتح الطرق وترميم القصور التاريخية ، عدا ما خصص للمستشفيات والمدارس وشراء ارض للمدينة الصحية . ومن المعلوم ان مثل هذه المشاريع تلقى معاكسات جمة قبل إقرارها ، بسبب التحاسد بين المناطق وبسبب نزعـة النواب الى التساوي في توزيع الاعتمادات ، ومع ذلك فقد وافق المجلس على المشروع في وقت اقصر من المعتاد لخوف ممثلي الامة من إرجائه الى آن غير مسمّى فتتأخر الانشاءآت العمرانية التي تحتاج اليها المناطق .

مشروع اتفاق الطيران المدني، والانضمام الى صندوق النقد الدولي والمصرف الدولي :

كان ممثلنا في مؤتمر شيكاغو قد وقّع باسم الحكومة على اتفاقين للطيران المدني الدولي، اولهما موقت والآخر غير موقت، وتنص المادة ٩١ من الاتفاق غير الموقت على ان يُوافق عليه وان تودع وثائق الموافقة في واشنطن قبل الخامس من نيسان سنة ١٩٤٧ وان يعمل بالاتفاقين عند اتمام الموافقة عليهما من ٢٦ دولة. فتقدّمت الحكومة بمشروع قانون مستعجل بهذا الخصوص وأقر المجلس الاتفاقين بالاجماع في جلسة اول نيسان ضمن المدة المعينة.

وكذلك اجاز المجلس للحكومة في الجلسة عينها ان تنضم الى المؤسستين الدوليتين، وهما صندوق النقد الدولي والمصرف الدولي، حسب شروط تأسيسهما، وان تدفع حصة لبنان في صندوق النقد الدولي وقد بلغت اربعة ملايين ونصف مليون دولار (ما يقارب احد عشر مليون ليرة لبنانية) ولا يزال هذا المبلغ ملكنا في الصندوق ولم يمس، مع انه اجيز لنا ان نسحب منه ما لا يقل عن سبعة ملايين ليرة. اما اكتتابنا في المصرف الدولي فيعادل ٤٥ سهماً، ثمن الواحد منها الف دولار، وقد دفعنا القيمة كلها نقداً.

تأييدنا القضايا العربية :

عاد وفدنا من القاهرة ورأت الحكومة من واجبها ان تطلع المجلس على اجتماع الجامعة العربية فأدلى وزير الخارجية ببيان اتضح منه اهتمام الجامعة بقضيتي مصر وفلسطين. وأقر المجلس اقتراحاً من النواب حميد فرنجية وفيليب تقلا وعادل عسيران بتأييد هاتين القضيتين.

والجدير بالذكر ان سوريا ولبنان قد توسطا حبياً في حل قضية مصر وانكلترا، وكان ذلك باتفاق حكومتنا مع حكومة جميل مردم بك على اثر اجتماع حضره هذا الاخير في القصر الجمهوري في بيروت، وأردنا ان نمهّد لمصر ان تصل الى حل قضيتها حلاً عادلاً ولكن حكومة القاهرة آثرت ان لا تكون هناك وساطة، بل ان تعرض قضيتها على مجلس الامن. وقد أيدتها الجامعة تأييداً مطلقاً في دورة آذار.

مشروع قانون الاحوال الشخصية :

كانت الحكومة قد تقدمت للمجلس بمشروع قانون يتعلق بتنظيم الاحوال الشخصية للطوائف المسيحية، وبمشروع قانون آخر يتعلق بتنظيم الاحوال الشخصية للطائفة الدرزية، وأخذ رؤساء الطوائف يُلحّون علينا بطرح المشروعين على المجلس لاقرارهما ففعلنا، غير ان المجلس لم يشأ البحث فيهما وهو في آخر ايامه فأعادهما الى لجنة الادارة والعدل.

قانون الموظفين :

تقدم هذا القانون منذ عام ١٩٤٥ وهو يقع في مئة وخمسين بنداً تقريباً. وكان من الخطوات الهامة نحو اصلاح جهاز الدولة، فلما طرح على المجلس في الثاني من نيسان ارجأ النواب النظر فيه ووقع الحل وبقي المشروع ينتظر ...

الافراج عن الصحف المعطلة :

وآخر عمل قامت به الحكومة قبل حل المجلس إفراجها عن جميع الصحف المعطلة حتى تتمكن من الاشتراك في الحملة الانتخابية. ولم تُعطّل صحيفة واحدة في فترة الانتخابات، ولا بعدها، على الرغم من جميع الحملات والمثالب التي بلغت حدّاً لا يوصف.

حلّ المجلس وإجراء انتخابات جديدة

جلسة ٨ من نيسان :

بني حل المجلس النيابي على تقديم موعد الانتخابات في هذه الدورة وما يليها حتى لا تقع فيما بعد في موسم الاصطياف . وقد كتبتُ الى المجلس أبيّن له السبب المذكور ، وضمّنت كتابي اليه شكري الحميم على ما قام به من اعمال مجيدة في سبيل الاستقلال التام الناجز ، وعلى تغلّبه على الصعاب الجمة التي رافقت هذا العهد .

وتلا حبيب ابي شهلا رئيس المجلس كتابي على النواب وهم وقوف فقابلوه بالتصفيق وإنشاد النشيد الوطني ، مما برهن على الروح الطيبة التي كانت شعاراً لعلائق السلطتين التشريعية والتنفيذية .

ثم عرض الرئيس ابي شهلا جميع الاعمال التي قام به المجلس النيابي في مدة ولايته فكان بيانه بليغاً بانطباقه على الواقع ، وقد ختمه بقوله :

« ... اما اليوم فالحل تدبير استثنائي يقصد منه تقديم موعد الانتخابات، لذلك شاء فخامة الرئيس ان يبلغه اليكم برسالة كريمة وان يتلى المرسوم فى جلسة علنية

يعقدها المجلس . ولقد تفضل فخامته وأعرب في رسالته عن تقديره للخدمات التي اداها هذا المجلس الى القضية الوطنية ، فاسمحوا لي ان ارفع باسمكم الى فخامته اخلص شكرنا على هذه المبادرة وعلى رسالته الكريمة . واسمحوا لي ايضاً ان اوجه باسم هذا المجلس تحية الاكبار الى رئيس البلاد الذي كان انتخابه في الواحد والعشرين من ايلول سنة ١٩٤٣ فاتحة عهد الحرية والاستقلال ، الى قائد الجهاد الوطني، الى الربان الذي قاد سفينة الوطن حتى اوصلها الى شاطىء العزة والكرامة، الى الرئيس الاول الذي وضعت فيه البلاد ثقتها وعلقت عليه آمالها» . (١)

وتلي مرسوم الحل . وافترق النواب ليتدبروا امر انتخابهم ثانيةً . وبرز مرشحون جدد في مختلف المناطق . ودخلت البلاد المعركة الانتخابية .

تأليف القوائم :

بدت طلائع المعركة عنيفة . وكنت اتمنى ان لا اتدخــل في فروع تأليف القوائم ، مكتفياً بالتوجيه والإشراف ، ولكن ما العمل وعقلية بني قومنا تتطلب من الرئيس كل شيء ؟ فاضطررت الى التعاون مع رئيس الحكومة وسائر الوزراء في اتباع الطرق المعقولة وضرورات الحال دون خطة سابقة ، سوى تأمين الائتلاف في جميع المناطق ما امكن ، ضناً بالمحافظة على الكسب الذي احرزه لبنان من استقلال تام ناجز لم يزل طريّ العود .

ونويت مخلصاً زيادة عدد النواب بغية إفساح المجال لوجوه جديدة فاصطدمت رغبتي بعقبات غير منتظرة ، فلم يتقدم مشروع الزيادة الى المجلس قبل حله وجرت انتخابات عام ١٩٤٧ على اساس العدد القديم .

من الخطأ الاعتقاد ان بمقدور الحكومة تأليف القوائم كما تشاء ، وذلك لانها مقيدة بقوة المرشحين الفعلية وبظروف المحيط ، ولكن هذا القول لا يتنافى مع ما للحكومة من تأثير لا يستهان به فيما اذا احسنت

(١) — محضر جلسة ٨ من نيسان ١٩٤٧، ص ٦٠٩ .

التصرف وعرفت ان تستفيد من التيارات الجارية ، ناهيك بأن اللبنانيين اعتادوا ان يكلّفوا الحاكمين فوق طاقتهم وان يسعوا الى زجّهم في صميم المعركة .

ومن عادة اللبناني ان لا يطلب حياد الحكومة الا بعد ان ييأس من مساندتها له . اما اذا آنس منها ميلاً اليه فيطلب منها المدى الاقصى من التأييد . واذا زار المرشح وزيراً او رئيساً اشاع ان الدولة دعته للتفاهم معه ، وطلب ان تعرف الارض والسماء بزيارته تلك ، وعمد الى نشرها في الصحف ... واما اذا منافسه راجع الحكومة في امرٍ جوهري فيا لغيرة الحياد والنزاهة ، ويا ويل التدخّل والتزوير !

ويعتقد اللبنانيون عموماً ان أية حكومة تشرف على أي انتخاب لا تستطيع ان تكون حيادية ! واذا ثبت حيادها استاء اكثر المرشحين وقالوا : « الدولة ما عرفت تقعد على الحياد إلا على دورنا ! » ...

وهم لا يرتاحون إلا اذا صدرت « كلمة السر » لمصلحتهم ...

قائمة بيروت :

للطائفة السنية ثلاثة مقاعد في بيروت برز لهـــا خمسة مرشحين لا يستهان بهم ، وهم : عبدالله اليافي وسامي الصلح وحسين العويني وصائب سلام وامين بيهم ، وترشح آخرون ايضاً من الشبان الراقين ، فقرر عبدالله اليافي وسامي الصلح خوض المعركة معاً . وكان من المرجح ان يكون المرشح الثالث في قائمتهما زميلهما السابق في النيابة ، ولكن صائب سلام اصطدم بخصومة ظاهرة من هنري فرعون بسبب دعاوٍ قائمة بينهما على اراضي الرمول ، وكذلك اصطدم بمعاكسة ضمنية من رئيس الوزارة لان رياض الصلح يفضّل الحاج حسين العويني عليه .

وأعلن أمين بيهم انه لن ينضم الى قائمة ما، وانه سينزل للانتخاب منفرداً كمرشح مستقل ، فاصبحت نواة قائمة بيروت من السنيين : عبدالله

اليافي وسامي الصلح والحاج حسين العويني . امـــا المرشح الارثوذكسي فحبيب ابو شهلا ، وكان حبيب على تمام الاتفاق مع زملائه السنيين .

وبحث في المرشح الماروني فرجحت كفة الدكتور رئيف ابي اللمع على كفة الرئيس ألفرد نقاش لانسجام الدكتور رئيف مع الوضع الحاضر .

وبرز عن الاقليات مرشحان : احدهما موسى فريج يدعمه نسيبه هنري فرعون ، والآخر جوزيف شادر يؤيده حزب الكتائب اللبنانية، وكلاهما جدير بتمثيل ناخبيه . والمتنافسان لا يرغبان في مخاصمة احدهما الآخر ، ولكن ما العمل والمقعد واحد ؟

بقي المرشح الشيعي والمرشحان الارمنيان الارثوذكسيان : وقد حلّ رشيد بيضون محل اخيه الحاج محمد في القائمة . ووقع اختيار المرشحين المذكورين جميعهم على موسيس دركالوسيان عـن حزب التشناك وعلى الدكتور ملكون هيراباديان عن المستقلين .

وهكذا تمّ تشكيل قائمة بيروت . فهل يجوز القول انها كانت وليدة نية مبيّتة ، او افتعال متجنٍّ على حقيقة ، او انه يرمي الى إقصاء الشخصيات القوية لانجاح الضعفاء المستسلمين لارادة الرئيس ؟

قائمة لبنان الشمالي :

كانت قضية عبد الحميد كرامي الشغل الشاغل للحكومة في تلك المنطقة ، فعبد الحميد انفرد عن رفقائه الذين فازوا معه في انتخابات ١٩٤٣ ، وبعد حوادث صيف ١٩٤٦ التي ألمعنا اليها ، عُقد اجتماع في علما تعاهد فيه أربعة من رفقاء عبد الحميد عـلى خوض المعركة المقبلة بمعزل عنه، ثم وقعت حوادث اذار وسقط فيها القتلى والجرحى [١]

(١) — ص ٢٣ وما يليها

العديدون ، وبين القتلى نافذ المقدم ، فتأجّجت نار العداوة بين عائلتي كرامي والمقدم ، وهي قديمة الجذور ترجع الى مقتل عبد المجيد المقدم برصاص عبد الحميد في حزيران ١٩٣٥ [١] . وانضم سليمان العلي نائب عكار الى نواة قائمة علما وصمّم الخمسة جميعهم على خوض المعركة الانتخابية يداً بيد ، مما جعل عبد الحميد يفكر ملياً ويتردد طويلاً قبل ان يعلن موقفه ويؤلف قائمته .

وهـذا الخلاف بين الزعماء السنيين حال دون تأليف قائمة مؤتلفة : فمعظم العائلات الكبرى تعتبر عبد الحميد زعيماً عليها ، اما العامة فانحازت الى مايز المقدم لتدفعه الى النيابة دفعاً مهما كلّف الامر . ولم يبق لعبد الحميد من امكان ليفرض المرشحين الذين يرغب فيهم . وحرصتُ ورياضاً على ان يتفاهم عبد الحميد واركان قائمة الشمال ، وأنفذنا اليه رسلاً عديدين لاقناعه بضرورة الائتلاف ولقوا منه الرفض البات ، وقد صارحهم انه يريـد من الحكومة تأييداً اعمى لا يعرف الى المهادنة سبيلاً . ولأدّى طلبه في حال اجابته الى تجديد حوادث اذار الدامية .

وزاد اعتقادنا هذا رسوخاً تقرير خطي بعث به نور الدين الرفاعي محافظ الشمال الجديد — وميله الى عبد الحميد كرامي وهنري فرعون معروف — اظهر فيه جميع الملابسات التي تحيط بحالة الانتخابات ، وصوّر الخطر الاكيد من تدخل الحكومة فيما اذا فرضت قائمة يترأسها عبد الحميد واندفعت الادارة في تأييدها . وقد أطلع رياض الصلح هنري فرعون على هذا التقرير الضافي وكلّفه ان يبحث مع عبد الحميد بشأن ترشيحه ، وان يؤكد له ان الحكومة امينة من نجاحه الشخصي . ورجع هنري فرعون حاملاً رفض عبد الحميد وزاد قائلاً :

« عملنا كل ما يمكن عمله فلم يعد من لوم علينا . »

---

(١) — راجع : ج ١ ، ص ١٩٣ ، و ج ٢ ، ص ١١٢ .

وراح عبد الحميد يصرّح بعد ذلك ويردّد انه اعتزل الانتخاب، ولكن اشياعه واعوانه أصرّوا عليه بان يغيّر موقفه السلبي فأبى . وانتقلت وفودهم العديدة الى بيروت لهذه الغاية، فأشار عليهم من قبيل « العصوية » بان يتفقوا فيما بينهم على احد عشر مرشحاً وعندئذٍ يكون هو المرشح الثاني عشر . وقد تألفت لجان كثيرة لتنفيذ هذه الرغبة وباءت جميع محاولاتها بالفشل . وأعلن عبد الحميد انه لن يخوض المعركة الانتخابية على اي حال . وعندما قنط هنري فرعون من ترشيح عبد الحميد صرف همّه كله ليدخل صديقه يوسف كرم قائمة الشمال .

هذه هي الحقيقة كلها عن موقفي وموقف الحكومة وموقف الاحزاب من ترشيح عبد الحميد كرامي في انتخابات ١٩٤٧، وهي تثبت ان الخصومات المحلية كانت السبب الاساسي في اعتزال عبد الحميد ، وان الحكومة لم تكن ضده، بل تمنّت ان يرشّح نفسه وان يفوز . وانحصر نطاق القائمة بعد ذلك ضمن اطار ضيق .

وطلب رياض الصلح وساطتي في ان اجمع حميد فرنجيه مع يوسف كرم بعد انسحاب عبد الحميد ، فجمعت المرشحَين واتفقا على ان يكونا في قائمة واحدة . وطلب يوسف كرم ان يَدخل معه احـد المرشحين الموسرين لتأمين النفقات الانتخابية ، وقال انه وقع اختياره على ميشال مفرج ، فأقصى هذا الاختيار الصحافيّ حنا غصن وأغضبه ، وتشكّلت القائمة الائتلافية بعد اجتماعات عدة في بيت محمد العبود . وبفضل ائتلاف المرشحين لم يحدث اي حادث في المنطقة .

قائمة البقاع :

كانت القضية الشائكة في هذه المنطقة خلاف على المقعد الكاثوليكي بين هنري فرعون وجوزيف السكاف ، ودخلها حبيب مطران شخصاً ثالثاً ،

اذ شجّعه فرعون على خوض المعركة فيما اذا زيد عدد النواب . ولم يُزَد .

وكان المفهوم عند الجميع ان صبري حماده وهنري فرعون يؤلفان جَبهة واحدة، ثم نشب خلاف بينهما مردّه الى تنافس مزعوم على وزارة الداخلية . وكانت مفاجأة كبيرة يوم أعلن صبري اتفاقه مع جوزيف السكاف على خوض الانتخابات معاً . ودعم اتفاقهما الاسقفان الكاثوليكيان سيادة مكسيموس صائغ مطران بيروت وسيادة افتيموس واكيم مطران زحله ، وقد قابلاني مقابلة طويلة لاقناعي بمساندة السكاف في زحله وهي منطقته، ولاقناع هنري فرعون بترشيح نفسه في قائمة الجنوب ...

ولكن كلاً من المرشحَين تشبّث برأيه . وتأزّمتِ الحالة وزادها تحرّجاً تحدي هنري فرعون لصبري حماده بتأليف قائمة مستقلة مما جعل صبري يصلب موقفاً مع جوزيف السكاف .

وأصبحت الحالة خطرة فدعوت رياض الصلح وتشاورنا في الامر، ولم يجد رياض سبيلا لاقناع صبري سوى الصداقة المتينة التي تربطه بي والتي من شأنها ان تحسم الخلاف . فدعوت صبري واقنعته بوجوب اعادة الامور الى نصابها ، فلبّاني والالم يحزّ في نفسه لسببين اثنين على الاقل : اولهما موقف هنري منه ، والآخر تعريضه لنفقات كان على جوزيف السكاف أن يؤدّيها لتمويل القائمة . وأعلن صبري أنه إنما فعل ذلك إكراماً لي . وعلم جوزيف السكاف بما جرى فقال انه سينزل الى الترشيح منفرداً في البقاع . وأخذ هنري فرعون يطلب إليّ والى رياض ان نحوّل نظر السكاف الى الجنوب فيحلّ محل يوسف سالم في قائمة رياض . وكان رئيس الوزارة قد سبق له ان ارتبط مع يوسف سالم ، فشقّ عليه الاقتراح .

وبعد اخذ وردّ طويلين ، وحسماً للخصومات ، قبل رياض بذلك الحل ونقل جوزيف السكاف ترشيحه الى قائمة الجنوب .

انحلّت هذه العقدة فهانت الامور الاخرى ، وحلّ يوسف الياس شمعون محل يوسف هراوي، كما حل شبلي العريان محل خاله نسيب الداود ، وبهذا تمت القائمة الائتلافية في البقاع .

قائمة الجنوب :

ترأس رياض الصلح رئيس الوزارة قائمةً من اركانها عادل عسيران وكاظم الخليل ويوسف سالم ومارون كنعان الخ ... وترأس احمد الاسعد القائمة المضادة لها وفيها الامير خالد شهاب وابرهيم عازار ويوسف الزين ومحمد صفي الدين الخ ... وعظم الامر بوجود مرشح سني ضد رئيس الوزارة مما جعل الائتلاف عسيراً ، ولا سيما وقد تواكلت الحكومة في تنظيم الحملة الانتخابية ، وتركت أمرها بلا عناية ! بينما راح احمد الاسعد يجول في القرى حتى عزّز موقفه وأحرج رئيس الوزارة ، فسعيتُ باقناع الامير خالد بالانسحاب ليكون رياض الصلح في القائمتين . وصادفتُ صعوباتٍ كثيرة بادىء ذي بدء ، ثم وصلت الى نتيجة حاسمة مع احمد الاسعد نفسه . ولكن الحالة ظلّت معقدة نوعاً من جراء ترشيح يوسف السكاف للمقعد الكاثوليكي برضا رئيس الوزارة ، ومن جرّاء تمسك رياض بمارون كنعان ورفض ابرهيم عازار ان ينسحب من قائمة احمد الاسعد .

وبقيت قائمتان رُشّح رياض في كلٍ منهما ، وصرنا على ثقةٍ من فوزه . ولكنه نغّص عليه اضطراره للتخلي عن يوسف سالم . وزاد في الطين بلّة ان احمد الاسعد اختار الياس الطرابلسي المرشح الارثوذكسي لمساعدته في تمويل قائمته بالاضافة الى مساعدة جوزيف السكاف، مما اساء الى سعيد فريحه الذي كان رئيس الوزارة يعطف على ترشيحه . وكنت راغباً فيه كما كنت راغباً بزميله حنا غصن، ولكن الضرورة حكمت خلافاً لرغبتي ورغبة رياض . فانصبّ غضبهما علي دون سواي !

قائمة جبل لبنان :

بدا الموقف الانتخابي في محافظة جبل لبنان صريحاً جداً اذ انقسم المتنافسون الى معسكرين، أحدهما دستوري والآخر وطني . وكانت الكتلة الوطنية قد جمعت صفوفها في حزيران ١٩٤٦ وانتخبت عمدتها وعلى رأسها اميل اده بعد ان كان قد غاب عن الميدان السياسي اكثر من سنتين .

وبدأ اميل اده نشاطه بمؤتمر صحفي في بيته في بيروت أعلن فيه عزمه على خوض معركة الانتخابات ، متجاهلاً حوادث تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ ، فسأله بعضهم عما يقوله عن تلك الفترة الدقيقة، فأجاب : ان الوقت لم يحن بعد للبحث فيها لعدم توافر الحرية اللازمة للخوض بهذا الموضوع ...

ويعلم الجميع أن الحرية كانت متوافرة حتى أبعد مدى .

اما الدستوريون فنشطوا يستعدون لكسب الانتخابات بعدما خسروها سنة ١٩٤٣ بتدخل السلطة الفرنسية ضدهم، يوم لم ينجح منهم إلا القليلون ، اذ فازت اغلبية من الكتلة الوطنية التي عمل لها الانتداب . غير ان الموقف المريب الذي وقفه رئيس الكتلة الوطنية من تعديل الدستور ، وقبوله رئاسة الدولة بعد اعتقال رئيس الجمهورية ووزارته الشرعية، زعزعا الكتلة المذكورة من اساسها ، وانفصل عنها علناً كمال جنبلاط والدكتور جميل تلحوق وجبرائيل المر والسيد احمد الحسيني وجورج زوين ووديع الاشقر دون ان ينضموا الى الدستوريين ، فضعفت ضعفاً شديداً في داخل المجلس وخارجه . وصار من الهيّن بعد ذلك كلّه تشكيل ائتلاف في محافظة جبل لبنان يضم العناصر اللبنانية الطيبة والقوية معاً ، وقد سهّل في الامر اشتراك مجيد ارسلان وكمال جنبلاط وكميل شمعون في وزارة الانتخابات .

لو اردتُ معاكسة كميل شمعون لما ادخلته تلك الوزارة ، ولما جعلت

المرشحين في قائمة جبل لبنان ينتظرون عودته من لوندرة قبل ان يبدوا أي نشاط انتخابي او أن يبحثوا حتى في تشكيل قائمتهم . فلم يقابل هو ، استعدادي هذا إلا بالتنكر لي وبالتكبر على رفقائه . ولم يصادف إكرامي له محلاً ، ولا ثقتي به موضعاً . واخذ يتحدّى عناصر انتخابية قوية مــن الدستوريين، وبين هؤلاء اميل لحود وبهيج تقي الدين وسليم الخوري . وكان سليم على استعداد لان يجمع قواه الشعبية كلها في خدمة اصدقائه دون ان يرشح نفسه . وفيما هو في ذلك الاستعداد الكريم بلغه من ثقةٍ أن كميل شمعون «وضع ڤيتو» عليه وعلى بعض اصدقائه الخلّص ، فنفر سليم الخوري مــن ذلك التحدّي الذي لا مبرّر له ونزل بشخصه الى ميدان الترشيح . وهو ، كما يعلم عارفوه، حديدي الطبع، قوي الشكيمة، صعب المراس ... ولو ترك لي شمعون معالجة هذه المشكلة لترفق ساعدي على سليم وأبعدته عن ميدان الترشيح ، إلا أن كميلاً لم يفعل، بل تمادى في التحدّي . فوقع ما كنت أخشاه مــن تصلب عند سليم لم تعد تنجح فيه حكمة او رويةٍ او تقدير عاقبة من العواقب ...

واصبحت مداورات كميل شمعون مضرباً للامثال : فتراه يوماً على اتفاق مع كمال جنبلاط لتشكيل قائمة، ثم لا يلبث ان يبتعد عنه فيقترب من پيار الجميل ، ثم يهمل الاثنين ويعود الى رفقائه الدستوريين ، ولكنه لا يثابر فيسعى الى اقصاء هؤلاء الرفقاء، من فريد الخازن الى فيليب تقلا الى خليل ابو جوده، وهكذا دواليك ، حتى بلغنا أواخر نيسان والامور متأرجحة ، وانا ورياض الصلح نتابع تطور تلك المداورات كلها ونتألم . ولقد كنا بغنى عنها لو استقامت الخطة من الساعة الاولى وحزمنا امرنا على تشكيل القائمة المؤتلفة .

وفي الصباح المبكر من الثلاثين من نيسان اتصل بي رياض وطلب إليّ ان استقبله ومعه كميل شمعون ، فاستقبلتها حالاً . ورآني كميل متجهّماً

بسبب ما جرى ، فتقدّم مني بكل هدوء وانحنى على يدي ، وطلب إليّ ملتمساً ان لا اعاكسه بالقائمة الدستورية الائتلافية التي نظّمها بالاتفاق مع كمال جنبلاط . ثم تلاها علي فرأيت انه قد أقصى عنها اميل لحود وبهيج تقي الدين فاعترضت على اقصائهما ، فألحَّ بمزيد من اللطف والتهذيب ان تبقى القائمة كما وضعها . وتدخّل رياض الصلح وقال : ارجوك يا فخامة الرئيس ، حسماً لكل خلاف ، ان تقبل بالقائمة كما وردت، فوافقت .

وفي ساعة الظهر من ذلك اليوم عينه استقبلت كمال جنبلاط فأكّد لي اتفاقه مع كميل شمعون ، وأطلعني على القائمة عينها ، فوجدت أنه قد وقّع معه عليها وأنها ستصير في نظر الناس قائمة الحكومة، وهذا بيانها : مجيد ارسلان، كمال جنبلاط، نجيب صالحه، كميل شمعون، يوسف حتي، أمين نخله، الياس الخوري، وديع نعيم، فارس نصار (ثم حل محله يوسف السودا)، جورج زوين ، شهيد الخوري ، احمد الحسيني، احمد البرجاوي ، جبرائيل المر ، فيليب تقلا ، فريد الخازن ، خليل ابو جوده .

ولم يُدخلوا اسم سليم الخوري في عداد هؤلاء المختارين .

وتسلّم كميل شمعون قيادة الانتخابات في محافظة جبل لبنان على رأس قائمة أحلّت عناصر غير دستورية محل عناصر دستورية قديمة ، وجرى ذلك خلافاً لرأيي ! وعلى رغم من تساهلي في قبولها ظلَّ كميل شمعون يحفظ في صدره شؤوناً غامضة ، وشجوناً مكبوتة ، فأسمع من وقت الى آخر انه غير راضٍ !

هذا موجز ما جرى في تأليف القوائم التي دعوها قوية او ائتلافية او حكومية . وهو يثبت ما يلي :

انها كانت معقولة بالنسبة للظروف التي تألفت فيها ، إذ انها طبيعية ووليدة الضرورة ، وغير مفتعلة ، ولم تُفرض مني . ولم اقبل ان اباحث احداً من المرشحين او من اعضاء الحكومة في تجديد الرئاسة على ما زعموا ،

وما جرى كان باطلاع الوزراء جميعهم وبمعرفة كبار المرشحين . وقد رافقني رياض الصلح وهنري فرعون اثناء تلك المرحلة ليل نهار فما فاتتهما شاردة ولا واردة ، وعرفا تمام المعرفة امر اختلافي مع اخي سليم ، كما عرفا ان الوزراء الخمسة المرشحين في قائمة جبل لبنان التجأوا إليّ غير مرة ، وفي مقدمتهم كميل شمعون وكمال جنبلاط ، لمساندتهم ضد سليم نفسه ، وضد رفقائه المرشحين معه ، وطلبوا موافقتي على تدابير معقولة، رأوها ضرورية لنجاحهم فوافقتهم عليها ، والشواهد على ذلك كثيرة ، منها تنحية قائم مقام الشوف والعقيد فيليب ابو نادر وقائم مقام كسروان وضابط الدامور وضابط فرن الشباك الخ ... بل وافقت ايضاً على تولية سواهم من اعوان كميل شمعون . ومن التدابير التي أضرّت بأخي سليم وبرفقائه اني نصحتُ للكثيرين من المرشحين الاقوياء بعدم الانضمام الى القائمة التي ألّفها ضد القائمة الحكومية فقبلوا نصحي . وكان رياض الصلح وهنري فرعون يقولان للملأ : « إن الرئيس أعطانا في هذه الفترة اكبر أمثولة في التجرد، وكان مثال التضحية » .

يوم الانتخابات ونتائجها :

تفرّق عنّا المرشحون في ساعة متأخرة من ليل ٢٤/٢٥ من نوار ، فاسترحت قليلا . وفي الساعة الثامنة صباحاً استقبلت رياضاً وفرعون في مكتبي لاستتباع حركة الانتخابات في جميع المناطق . ولم استقبل في الصبيحة الا بعض اعضاء قائمة بيروت غير الحكومية منهم جورج ثابت ورامز سركيس وجوزيف شادر وحسين سجعان وصبحي محمصاني، جاؤوا يشكون إليّ إقفال مكاتب الاقتراع دون ناخبيهم . فاتصلت بصبري حماده وزير الداخلية ولفتُّ نظره الى الامر، فقام حالاً بجولة في مكاتب الاقتراع وعاد إليّ مؤكداً أنّ شيئاً من ذلك لم يكن ، فطمأنتهم وطلبت منهم المثابرة على ترشيحهم ، فقالوا إنهم سيعلنون انسحابهم لعدم إمكانهم جمع ناخبيهم ... ولعلهم ارادوا ان ينتحلوا عذراً يُتيح لهم الاحتجاج فيما بعد .

وما أذنت الساعة الرابعة بعد الظهر حتى كانت اعمال الانتخاب قد تمّت في جميع محافظات الجهورية دون وقوع اي حادث يعكّر الامن . وابتدأت اعمال الفرز .

ولم يكن من كبير عناء في فرز اصوات منطقة لبنان الشمالي وفيها قائمة واحدة .

وفي بيروت فازت القائمة بسهولة . غير ان بعض موظفي أقلام الاقتراع ارادوا « تبييض الوجه » فشطبوا اسماء كثيرة من الناخبين الغائبين ! ووضعوا في صناديق الاقتراع عدداً يزيد على الناخبين الحقيقيين لخدمة المرشحين المؤتلفين ! فأحدث عملهم غير القانوني ضجةً كنا في غنى عنها ، وإنْ هي لا تغيّر شيئاً في نتيجة الاقتراع ... ولا يخفى ان كثيرين من الموظفين تتلمذوا على مستشاري عهد الانتداب ، ولعلهم لم ينسوا اندفاع هؤلاء ضد المعارضة في انتخابات سنة ١٩٤٣ فأخذوا على انفسهم ان يساعدوا القوائم الموالية ، حتى « بتلزيم ما لا يلزم » من الاصوات فصدق فيهم القول : « عِنّت وكَتَّرت ! »

اما في البقاع ففازت القائمة المؤتلفة . وكذلك في الجنوب ، ولكن وقع البالوتاج فيه بين مارون كنعان وابرهيم عازار .

واعلنت تلك النتائج في الليل .

اما الفرز في جبل لبنان فتأخر الى يوم الثلاثاء ، مما أثار ضجة كبيرة . حتى ان جبرائيل المر وفيليب تقلا أيقظاني في الساعة الرابعة بعد نصف الليل وأعطياني بياناً عن جمع الاصوات جمعاً مغرضاً قد يؤثر في نتيجة الاقتراع ويُلحق بهما وبسواهما ضرراً فادحاً . فدعوتُ رياض الصلح وصبري حماده واخبرتهما بالامر واضطُرّا الى تعيين مشرف على الفرز ولجنة من القضاة للتدقيق في عملية جمع الاصوات . ويوم الثلاثاء قدّم كمال جنبلاط وكميل شمعون استقالتيهما من الوزارة وذهبا الى بعبدا ليراقبا

الفرز ، وفي نفسيهما رغبة بان يبشّرا بفشل سليم الخوري . فخابا املاً ، وزادا نقمةً .

وفي ليل الثلاثاء قام كميل شمعون بمحاولة اخيرة لدى رياض الصلح لالغاء بعض محاضر الفرز في اقلام معدودة واستشارني رياض في الامر . فقلت له بأن يُسأل ناظم عكاري ، المكلّف بالاشراف على الفرز في بعبدا ، عما يراه في طلب شمعون ، فأشار عكاري بواحدٍ من امرين : إمّا إلغاء محاضر اقلام الاقتراع في جبل لبنان واعادة الانتخابات، وإمّا اعلان نتائج الفرز كما جُمعت ، على ان تُحوّل الاعتراضات الى لجنة الطعون . وهكذا كان . واعلنت نتائج انتخابات محافظة جبل لبنان يوم الاربعاء في الساعة الرابعة صباحاً .

ورجع كميل شمعون عن استقالته . وأصرّ كمال جنبلاط على ترك الوزارة !

سعي المعارضة لمنع الدورة الثانية للاقتراع :

بعد ان فشل المسعى بإلغاء محاضر جبل لبنان وأعلنت النتائج، سعت المعارضة سعياً جدياً للحيلولة دون الدورة الثانية للاقتراع في الواحد من حزيران، وذلك للبلبلة وإظهار الحكومة الاستقلالية بمظهر العاجز امام الرأي العام اللبناني والاجنبي . وكانت طلائع هذا العمل التخريبي استقالة كمال جنبلاط من الوزارة ليقاتل من الخارج ، ورجوع كميل شمعون عن استقالته ليقاتل من الداخل .

وتنادى المعارضون والفاشلون بالانتخابات وبعض الناجحين فيها (منهم كمال جنبلاط !) ، للاجتماع في مدرسة الحكمة وإلقاء الخطب الشعبية .

ولم يكن اختيار مدرسة الحكمة « اعتباطياً » . فالمطران مبارك نزل بخيله ورجله الى الميدان لمساندة الكتلة الوطنية ، واندفع يظاهرها بشتى انواع الدعوات والمواعظ والمناشير غير اللائقة بمقامه الاسقفي . فأراد المعارضون استغلاله الى النهاية وقرروا ان يجتمعوا في الصرح الذي اخرجه،

وهو وليّه، عن مستوى المعاهد الثقافية ليجعل منه مسرحاً لغايات متقلبة ... وعقد الاجتماع في المدرسة المذكورة وحضره اناس لا يجمعهم جامع إلا النقمة، منهم اميل اده وعبد الحميد كرامي وكمال جنبلاط ومندوبو الكتائب وسواهم. وقرّ رأي الدولة على عدم التعرض للمجتمعين، وعلى السماح لهم بالدخول الى المعهد حيث تُلقى الخطب بكل حرية، فأبعدنا قوى الامن عن مداخل المدرسة ووزّعناها في جميع الطرق التي تؤدّي الى الجميزة وساحة الشهداء. وأعطيت الاوامر لتفريق كل تظاهرة خارج المعهد. فأتى هذا التدبير الحكيم بالنتائج المطلوبة، وبعد ان «فشّ» المجتمعون خلقهم بتحميل السلطة تبعة فشلهم، او فشل مطامعهم، ولذعوها بالخطب النارية، خرجوا الى الشوارع متفرقين، سوى بعض المتجهين الى الجميزة وساحة الشهداء، فطلبت منهم الشرطة ان يتفرقوا فامتثلوا ولم يُكدّر الامن.

وتنادى المعارضون ايضاً لاقفال مدينة بيروت في يوم السبت (٣١ من نوار) اي في اليوم الذي يسبق الدورة الثانية، وأملهم ان تقع حوادث دامية فتتعطل الدورة، فانبرى رياض الصلح لهم في هذا الميدان الذي يعرف مداخله ومخارجه كلها، وساعده حبيب ابو شهلا وهنري فرعون، فلم يفلح المعارضون ولم تقفل المدينة، وإن اقفالاً جزئياً، ولم تنزل قوة الدرك والشرطة الى الشوارع بل بقيت في مرابضها لا تختلط بالناس استعداداً للتدخل عند اول طلب. وانقضى النهار على سلامة، وكان فشل المعارضة ذريعاً.

وفي ذلك النهار عينه ابحر المطران مبارك الى روما وكان وداعه عادياً جداً، ولم يتمكن المعارضون من استثمار سفره.

الدورة الثانية والنتائج العامة:

يوم الاحد في اول حزيران تمت الدورة الثانية للاقتراع على غاية ما

يرام من السكينة واقتصرت على منطقتي جبل لبنان والجنوب.

وهذه هي النتائج العامة في الدورتين: فازت قائمة احمد الاسعد في الجنوب بعد ان دخلها رياض الصلح، ولم ينجح من القائمة المعارضة سوى عادل عسيران. وفازت قائمة كميل شمعون كمال جنبلاط في محافظة جبل لبنان ولم يفز من القائمة المستقلة سوى سليم الخوري وبهيج تقي الدين.

اما في المناطق الاخرى ففازت القوائم التي ذكرناها، وكانت عناصر الفوز مكتوبة لها منذ تأليفها.

ومن المفروض منطقاً وعرفاً ان تنتهي المشاكل جميعها مع نهاية دورتي الاقتراع، ولكن المعارضة استثمرت نقمة بعض الاوساط وضجتها لتواصل حملتها على الحكومة وعلى الرئاسة الى الحد الاقصى.

لا ننكر ان الانتخابات التي اطلقوا عليها اسم «انتخابات ٢٥ نوار» اثارت احتجاجات ومزاعم متعددة، وان المسائل الشكلية التي صار التجاوز عليها كانت عاملاً مهماً في تضخيم تلك الاحتجاجات والمزاعم، وعندي انه كان من الواجب ان تراعى الشكليات، وان يتحاشى الوزراء والموظفون وأغلب المرشحين ايّ عملٍ من شأنه ان يزرع الشك او يثير الريبة في نفوس الناس. والأمر الاكيد ان مراعاة الاصول ما كانت لتغيّر شيئاً من النتائج المرتقبة، ولا من نجاح القوائم الانتخابية، فكان ان الموظفين الذين ارادوا «تبييض وجوههم»، مع السلطة او مع بعض المرشحين، لم يفلحوا الا بتسويد صفحة السلطة وصفحة هؤلاء المرشحين معاً!

اما الائتلاف الذي توخّته الحكومة لمصلحة لبنان في بدء عهد الاستقلال، وفي الانتخابات الاولى التي جرت في هذا العهد، فليس فيه من جهة المبدأ اية شائبة. ناهيك بأن نظام القائمة يقضي به ويجعله مشروعاً بحد ذاته. وللمرشحين ان يندمجوا ما أمكن لتأمين نجاحهم. غير أن التعكير الذي رافق تأليف القوائم وربطها بالمد والجزر، وبالمشادات التي لا طائل تحتها

والتي لم تَخْفَ عن اعين النقاد ، قلب معنى الائتلاف وحوّله في نظر العامة الى الانتقاص من حرية الناخبين ، خصوصاً وأن مرشحين خابت آمالهم ، ومرشحين فازوا ولم تتحقق أغراضهم كلها، ومرشحين آخرين فازوا — «على طول الخط !» — وتدخّلوا في المناطق كلها، ولم يكن لهم من شجاعة كافية لحمل تبعة اعمالهم فأرادوا التهرب منها ! هؤلاء واولئك جميعاً غذّوا الحملة الظالمة ضد الدولة وأسهموا في تسميم الجو المشحون بشتى التيارات .

ونتج عن ذلك ان التهرّب الذي بدا من هؤلاء جميعاً أدّى الى توجيه اللوم والشكوى الى رئاسة الجمهورية على غير إنصاف وهداية ، فادعى البعض انني فرضتُ على رياض الصلح والوزراء والمرشحين ان يحققوا غايات خاصة، وهذا الادعاء تكذّبه الوقائع التي سردتُها في التبسّط في تشكيل القوائم الانتخابية ، والتي تثبت للملأ اجمع انني تجردت عن كل غرض، وما تدخّلت إلاّ لأصلح ذات البين ، ولألبّي رغبة رئيس الوزارة والوزراء في تسهيل الاعمال . وجميع هذا قد « كشف » الرئاسة في اكثر من ظرف . ولم تتم الغاية المنشودة من تأليف « وزارة الجبابرة » لتكون سياجاً للرئيس، وزاد في الطين بِلّةً اختلاف الوزراء فيما بينهم، واهتمامهم بشؤونهم الانتخابية ، والصدمات التي لاقوها قبل الانتخاب ، ثم تنصّلهم — إلاّ رياضاً — من تبعة اعمالهم بعد اعلان النتائج ليلقوها على عاتق الرئاسة، مما جعل الرئيس هدفاً للانتقاد الظالم .

اما الزعم ان المجلس جيء به افتعالاً لتجديد الرئاسة فهو قول مكذّب بكل ما تقدّم من بيانٍ جلي، وليس من اي اثر فيه للصدق . ولا حول ولا قوة الا بالله !

المُعارضة بين مدٍّ وجزر

تغيير الوزارة . تصديق الانتخابات على دفعتين :

صدر مرسوم بفتح دورة استثنائية تبتدىء في ٤ من حزيران ١٩٤٧ واقتصر جدول الاعمال على انتخاب رئيس المجلس الجديد وهيئة مكتبه واعضاء لجنة الطعون واللجان الاخرى . وتعينت الجلسة الاولى في ٩ من حزيران . وقبل تلك الجلسة قدّم رياض الصلح استقالة وزارته وفقاً للتقليد فكلفتُه بتأليفها مجدداً . وكان « انتقامنا » — واي انتقام ! — من كميل شمعون ان ابقيناه في الحكم وأسندنا اليه وزارة الداخلية ووزارة الصحة والاسعاف العام . وكانت الردّة عند سليم الخوري ان قدّم استقالته من النيابة ... وأُسندت وزارة الخارجية الى حميد فرنجيه .

وانعقدت الجلسة الاولى وانتخب النواب صبري حماده رئيساً ثم انتخبوا عمدة المجلس . وقبل مباشرة انتخاب لجنة الطعون اوقفت الجلسة بضع دقائق لتداول الامر ، فقرّ الراي على ان لا يكون في عداد اعضاء تلك اللجنة احد من الوزراء الذين اشرفوا على الانتخابات ، فاعترض هنري فرعون وأصرّ على ان يكون عضواً في لجنة الطعون . ولما

استؤنفت الجلسة وانتخب اعضاء اللجنة المذكورة انتخب بينهم هنري فرعون ثم صار رئيساً للجنة. وقيل انه كان يبغي الاشراف بنفسه على التثبّت من صحة بعض النيابات .

القى رئيس الوزارة بيانه في جلسة ١٣ من حزيران طالباً ثقة المجلس، فانبرى بعض النواب منتقدين الاعمال الانتخابية مبينين التجاوز الذي جرى فيها . فردّ عليهم رياض الصلح وأحسن التخلص من الموقف الحرج اذ نسب التجاوز الى قانون الانتخاب عينه ، ووعد بتقديم تعديل له باقرب وقت ، وزاد ان ارادة الشعب اقصت المتطرفين جميعاً ، من اية فئة انتسبوا اليها ، وان المجلس الجديد بعناصره الوطنية سوف يتابع الرسالة الاستقلالية التي ادّاها المجلس السابق. وبعد جدل بين رئيس الوزارة والنائب الجديد بهيج تقي الدين اقترح بعض النواب إرجاء الاقتراع على الثقة الى ما بعد تصديق الانتخابات ، فلم يؤخذ باقتراحهم وجرى الاقتراع ونالت الوزارة الثقة باجماع الاصوات وامتناع نائبين لا غير .

لجنة الطعون ، ودفاع وشجون :

انصرفت لجنة الطعون الى العمل منذ اليوم الاول من انتخابها . وفي اول تموز وضعت تقريراً مسهباً عن الاعمال الانتخابية في كل منطقة وفنّدت الاعتراضات عليها ، وأرفقته بتقارير لجنة القضاة والمديرين ، وهي التي انتدبت لفحص نتيجة الاقتراع في جميع محافظات الجمهورية .

وخلاصة الخلاصة في تقرير لجنة الطعون ان انتخاب ٥٢ نائباً (من ٥٥) كان صحيحاً لا شائبة فيه ، ويجب الموافقة عليه ، فاجتمع المجلس وأقرّ صحة نيابة الاثنين والخمسين دفعة اولى وأرجأ البحث في صحة انتخاب الثلاثة الآخرين وهم امين نخله (ينقصه ما يقارب خمسة آلاف صوت) ومحمد الفطيمي (ينقصه ما يقارب الف صوت) وفريد الخازن (لا ينقصه الا ١٨٦ صوتاً فيما اذا عُدّ محضر قلم اقتراع حراجل لغوا) .

ولما عرض قرار لجنة الطعون على المجلس انبرى سامي الصلح للدفاع عن المطعون بصحة نيابتهم ، ومما قاله في صدد نيابة امين نخله :

« ... واي رجل احق واجدر بهذا الكرسي من ابن رشيد نخله الذي كرس حياته لخدمة وطنه ، عاملاً (كذا) بكلمته الخالدة التي هي نشيد اللبنانيين (كلنا للوطن) ... (١)

ومما قاله دفاعاً عن نيابة فريد الخازن :

« ... اما الشيخ فريد الخازن فهل يمكن اللبنانيين ان ينسوا ان آل الخازن هم الذين ارضعوا في ظلال بيوتهم فخر الدين المعني باني البلاد ومؤسس الاستقلال » (٢).

وانهى سامي الصلح خطابه بقوله :

« ... كلا يا حضرات النواب المحترمين ، لا انا ارضى ، ولا البلاد ترضى ، ولا انتم ترضون ان يكون احد اخواننا الثلاثة ضحية الضجة المصطنعة، فاطلب اليكم ان تطووا تقرير اللجنة المحترمة مع الشكر لها كيف ما كان الامر على جهدها، وان تدعوا زملاءنا الثلاثة الى العمل النيابي المشترك في خدمة الوطن العزيز . عاش لبنان ! » (٣)

وخرج فريد الخازن من المجلس وهو يقول لسامي الصلح : « عوّرتنا، يا بيك، بهذا الدفاع عنا ! » .

وبعد اسبوع (في ٨ من تموز) وافق المجلس على انتخابات النواب الثلاثة .

حركة المعارضة وحملة الصحف :

لم تتوقف حملة المعارضة قبل جلسة الطعون ولا بعدها ، وعقد بعض الناقمين اجتماعاً في بيت عمر بيهم (حرج بيروت) وضعوا فيه اساس ما اطلقوا عليه اسم « كتلة التحرر الوطني » وكان اركانها عمر بيهم وعبد الحميد

(١) و(٢) و(٣) – محضر جلسة اول تموز ١٩٤٧ ، ص ٢٧

كرامي وحبيب طراد وألفرد نقاش وجواد بولس . ثم اخذ يساندهم اعضاء الكتائب وعدد من الصحافيين وبعض اعضاء الكتلة الوطنية وبعض المنتمين الى المطران مبارك . وكان اجتماع الحرج فاتراً ، ولحق الحكومة كما لحقني رشاش من الانتقادات الصارمة التي تفوّه بها الخطباء . ولم نشأ ان نتعرض للمجتمعين ولكن الحكومة احتاطت للامر في مفارق الطرق منعاً للتظاهر في الشوارع ، وتفرّق المجتمعون بكل هدوء بعد ان افرغ خطباؤهم ما في قلوبهم .

واستمرّت حملة الصحف على الحكومة والرئاسة فدعا كميل شمعون وزير الداخلية اصحاب الجرائد ومحرريها الى مؤتمر صحفي شامل ، وتلا عليهم بيانه الشهير الذي طلب اليهم فيه عدم الطعن في صحة الانتخابات النيابية بعد ان اصدر المجلس النيابي حكمه النهائي بصحتها ، ثم نبّههم الى « ان مبدأ احترام حرية الرأي لا يجب ان **يبنى على اساس تهشيم الكرامات والعبث بالسلطات ، وخصوصاً تلك التي يعصمها القانون** »(١) ... أجل القى الوزير هذا البيان ولكنه ترك الحبل على الغارب مكتفياً بالقول دون العمل ، ولم يقم بواجبه إلا « لرفع العتب » ، واستمرّت الحملة على الرئاسة والحكومة كأن بياناً لم يكن .

وصار المعارضون ينتظرون بفارغ الصبر عودة المطران مبارك من روما حتى يجمعوا بين نشاطه ونشاطهم ويستفيدوا من صوته الجهوري ومن الحصانة الفعلية التي يتمتع بها بحمى ثوبه الديني . وكان بامكاني ان أنزعه من صفوف المعارضة بسهولة لانه اتصل يوم كان في باريس باحد اقربائي وأظهر له استعداداً حسناً للرجوع الى الحظيرة ، فشكره قريبي وزاره في المعهد الماروني تلبية لطلب وكيل البطريرك هناك ، فسلّمه المطران بطاقة إليّ وفيها شبه اعتذار . ثم سافر سيادته الى روما وقابل قداسة الحبر الاعظم ونُشر عن لسانه تصريح فيه مسحة من

(١) — انظر قسم الوثائق

الشكر لرئيس الجمهورية اللبنانية ، وركب الباخرة راجعاً الى بيروت . وأردتُ ان اقف على حقيقة نياته قبل نزوله الى اليابسة فأوفدتُ اليه الى الباخرة مدير الامن العام وأظهر سيادته رغبة في مقابلتي فور وصوله الى الارض . وحمل الي المدير هذه الرغبة فأجبتُ أن لا مانع عندي ، وأنا بشاره الخوري ، من استقبال المطران ، غير انه تهجّم علناً ، خطابةً وكتابةً ، على مقام الرئاسة فلا يسعني في هذه الحالة ان استقبله وأباحثه بأي شأن سياسي قبل ان يظهر أسفه على ما بدر منه . وأبى المطران العمل بهذا الرأي وانقطعت كل صلة به ، وارتمى بأحضان المعارضة بقواه كلها ، وأخذ يتّصل ببعض الشخصيات ويحرّضها جهاراً على مقاومة الحكومة والحكومة صابرة عليه ، ولوحظ انه يكثر الاتصال بلويس زياده والامير نهاد ارسلان ، وقيل إنه يهيء واياهما عملاً ثورياً فلم نصدق لأول وهلة ، ولكن الاخبار اخذت تتواتر علينا حتى أعرناها طابعاً جدياً وبدأنا نراقب تلك الحركات المشتبهة .

المعارضة تحاول الاجتماع في صوفر :

عاد المطران مبارك في اواخر تموز ، وما انقضى شهر على عودته حتى جدّد المعارضون حملتهم وأعلنوا انهم سيعقدون اجتماعاً في ٢٤ من آب في منزل رشيد جنبلاط في صوفر . واجتمع مجلس الوزراء وقرر منع الاجتماع لسببين ، اولهما لان صوفر بلدة اصطياف فيها غرباء كثيرون ، والآخر لانها على مقربة من شارون ومجدل بعنا وما إليها من قرى ، هدّد نهاد ارسلان بتحريكها والاتيان بأهاليها مسلحين للانتقاض على الحكومة . وأصدر قائم مقام عاليه أمراً بمنع التجوّل في صوفر طوال يوم الاجتماع ، واحتلت قوى الامن المنافذ المؤدية اليها لمنع الدخول الا باذن خاص ، ووقف أفراد الدرك في مفارق القرى المشتبه بأمرها للحؤول دون مجيء المتهوّسين منها الى منزل رشيد جنبلاط .

وسعى هنري فرعون لان يقتصر الاجتماع المنوي عقده على عدد من

الوجوه لا يزيد على الخمسين ، فلم ينجح بمسعاه وزاد ذلك في العتب عليّ .

ونفذ منع الاجتماع فعلاً . ورجـــع الناس الى بيوتهم وفي عدادهم عبد الحميد كرامي ورفقاء له كانوا مصطافين في صوفر ، وروى بعض انصاره ان عبد الحميد هاج عندما وقف ضابط الدرك ورجاله في سبيله وهو في طريقه الى بيت رشيد جنبلاط وتفوّه ببعض الالفاظ النابية .

اما المطران مبارك فقد أُرجع من بحمدون الى كرسيه في عين سعاده بكل لطف، وتسلّق الجبل من جهة الشبانية ثلاثة كتائبيين ووصلوا الى بيت رشيد جنبلاط ، ووصل اليه الشيخ كسروان الخازن الذي ترجّل في رويسات صوفر وتابع سيره على خط السكة الحديدية مشياً على الاقدام .

ولم يتم الاجتماع . وعاد كلٌّ من حيث أتى . وكان هذا العمل اوّل شدّة اتتها الحكومة فحافظت على هيبتها ولم تلحق ضرراً بأحد . وإظهار القوة كان كافياً لمنع تنفيذ خطة المعارضة .

وصل المطران مبارك الى كرسيه وأخذ قلمه وغمسه في حبر النقمة ، وأصدر منشوراً دعا فيه الشعب الى العصيان المدني ! فرأى بعض الوزراء وجوب إحالته الى المحاكمة . وأثيرت قضيته في مجلس الوزراء فنصحتُ بالتريّث ليتسنى لي مراجعة المقام البطريركي بادىء ذي بدء ، وأرسلت الى البطريرك في الديمان مَن أطلعه على ما كان ، فكتب غبطته الى المطران كتاباً قاسياً لم ينفذ المطران مضمونه وبقي على موقفه ونحن صابرون !

المعارضة تجتمع في طرابلس :

واغتنمت فرصة راحة نسبية في ذلك الصيف الحافل بالمتاعب وذهبتُ الى بيت الدين لاقضي بضعة اسابيع في القصر التاريخي طلباً للراحة ،

وهل من راحة ؟ فما وصلت الى تلك الربوع التي أصبو اليها حتى عرفت ان المعارضة صمّمت على عقد اجتماع آخر في بيت عبد الحميد كرامي في طرابلس وعيّنت له ١٤ من ايلول موعداً . واتجهت نيّة الحكومة الى منعه أسوة باجتماع صوفر غير ان رسل المعارضة اتصلوا برئيس الوزارة وقدّموا طلباً رسمياً لاجازته . وأخذ عبد الحميد كرامي على عاتقه تلطيف الجو بمراقبة الخطب ومنع التطرف فيها . وأرادت الحكومة ان تثبت وسع صدرها وراجعني رئيس الوزارة بالامر واجيز الاجتماع . ولكن الوعد لم يُبرّ بـــه ، وجاء خطاب عبد الحميد كرامي خفيف اللهجة بالنسبة لما كان يُنتظر . واما الخطباء الآخرون فتجاوزوا كلّ حدٍّ مما اضطرّنا لاقالة الياس زخريا أحد الخطباء لانه موظف تمادى طعناً بالحكومة والرئاسة . ولاحقت النيابة العامة جزائياً الصحفي توفيق وهبه لتعريضه بالسلطات العامة تعريضاً لا يغتفر وأودع السجن . ولما احتفلنا بعد اسبوع بذكرى ارتقائي الى الرئاسة في ٢١ من ايلول أوعزتُ الى وزارة العدل باخلاء سبيله ووقف الملاحقة اظهاراً للعطف والمساهلة . كما ان عبد الحميد كرامي ارسل، وهو في إبّان معارضته ، موفَداً يرجو أن أعيد الياس زخريا الى وظيفته فأعدته ، وعفوت عن اساءة الاثنين اليّ والى الحكومة . ووجدتُ والحق يقال عند رياض الصلح تفهّماً تاماً وميلا يوافق ميلي في ذلك الحِلم فطمعت الناس بنا ! وقد نكون أخطأنا الى نفسينا لان الحِلم لا يُفسّر على حقيقته إلاّ في النادر، وكثيراً ما تُردّ دوافعه الى الضعف ، ويشهد الله اننا لم نكن على شيء منه .

كان كميل شمعون اثناء تلك الاحداث غائباً بمهمة في جنيف تتعلق بقضية فلسطين ولم يعد الى لبنان الا في اواخر ايلول ، بينما حميد فرنجيه يتأهب الى باريس لمفاوضة حكومة فرنسا في اتفاق النقد بين البلدين .

استقبلت كميل شمعون في بيت الدين إثر عودته وأطلعته على مجرى الامور ، ودفعت اليه بيان المطران مبارك عن العصيان المدني وبيّنتُ له

مواقف عبد الحميد كرامي ورفقائه في المعارضة ، فأظهر استياءه مما جرى ، واعلن استعداده للتضامن التام مع زملائه في الوزارة ، وودّعني لزيارة عبد الحميد كرامي في صوفر ولزيارة المطران مبارك في عين سعاده ، فصبرتُ ورياضاً على ما هو أمرّ من الصبر ! وقد بلغ من تساهلنا أننا عدنا فأوفدنا كميل شمعون ليرئس وفدنا في دورة هيئة الامم المتحدة المنوي عقدها في لاك سيكس .

رسالة للمطران مبارك :

جاءتني رسالة من باريس تتضمن نسخة عن تقرير بعث به المطران مبارك الى اللجنة الدولية التي زارت لبنان للتحقيق بقضية فلسطين ، وقد طالب المطران في تقريره بوطن قومي لليهود في فلسطين ، ووطن قومي للمسيحيين في لبنان ، منتقداً موقف المسلمين انتقاداً مراً . وقيل لي ان كميل شمعون قد اطلع في جنيف على هذا التقرير . ولكنه لم يبلغنا شيئاً عنه ولم أتمكن من تثبّت الامر . وما ان تلقّيت تلك الرسالة حتى دعوت رياض الصلح وأطلعته عليها، ونام ليلته تلك في بيت الدين . وفي الصباح وكنا نطالع الصحف قرأنا تقرير المطران بحرفه في جريدة « الديار » . وكان لهذا النشر تأثير بالغ هزّ البلاد ، وأخذ الناس يستعدون للتظاهر في بيروت . فراحت الحكومة تهدىء من روع الهائجين . وكما ان المطران لم ينكر انه اصدر منشور العصيان المدني كذلك لم ينكر انه هو واضع التقرير المذكور . وعُدّ عمله هذا استفزازاً للرأي العام الساخط ، مما اضطر عبد الحميد كرامي لان يتبرأ من ذلك التصرف الشاذ .

ومنذ ذاك الحين تزعزعت المعارضة وفترت حدة اصحابها ، إلاّ انهم اصرّوا على مطلبهم الاساسي بحل المجلس . ولم يكن لهم أثر في منطقة الشوف، فكرسي بيت الدين ودار المختارة حسّنتا علائقهما مع مقام الرئاسة وتبودلت الزيارات الودية بينها ، وزارت القصر وفودٌ عديدة من القرى

الشوفية ، وفي مقدمتها وفود دير القمر وبعقلين وإقليم الخروب . وشاء الاهلون ان يظهروا عاطفتهم في ذكرى انتخابي للرئاسة فبدت القرى كلها بحلل من الزينات لم يسبق لها مثيل ، وازدانت كرسي الاسقفية بأبهى الانوار الكهربائية، ووقع ٢١ من ايلول في يوم احد فتسابقت الجماهير الى القصر للتهنئة دون تعيين استقبال رسمي . وحضرتُ الذبيحة الالهية وتقبّلتُ ادعية الكاهن والاهلين بالتأثر والشكر ، وبدت الصحف في حلل قشيبة وأعداد خاصة مزينة بالصور ، مشيدةً بالعهد وبرئيس العهد لما حققا من اماني البلاد وآمالها، وفي ذلك كله تأييد للاستقلال وللميثاق .

شؤون عربية

لجنة التحقيق الدولية في قضية فلسطين :

وصلت الى بيروت في ١٩ من تموز لجنة اوفدتها هيئة الامم المتحدة لدراسة قضية فلسطين دراسة واسعة ، ولجمع المعلومات اللازمة عنها قبل التئام الجمعية العمومية في شهر ايلول . واجتمع في ٢٠ من تموز اعضاء وفود الدول العربية في بيروت لوضع تقرير مشترك عن وجهة نظرهم . وكان رأي لبنان في قضيـــة فلسطين معروفاً ومشهوراً ، وحالة القطر الفلسطيني محرجة جداً ، فموقف الولايات المتحدة والدول الكبرى إنْ هو إلا موقف العطف على الوطن القومي الصهيوني ، والمقاومة العربية ضعيفة هزيلة ، إلا مقالات وتصريحـــات لا تفي بالغرض . وبدأنا نشعر بضغط الدول الكبرى لاقتطاع قسم من الارض العربية لتأسيس دولة يهودية ما أنزل الله بها من سلطان . اما لجنة التحقيق الدولية فادّعت أنها أتمّت دراستها بسرعة وقفلت راجعة الى جنيف لمتابعة اعمالها هناك . وبدا لنا ان نشاطها كان شكلياً محضاً ، وان رأيها سبق درسها . . . فضعف املنا بها ، ولكننا لم نيأس من بارقة حـــق فأوفدنا كميل شمعون الى جنيف

ليمثّلنا فيها وانتدبت سورية الامير عادل ارسلان للغاية عينها .

المؤتمر الثقافي العربي :

عقد هـــذا المؤتمر في فندق بيت مري ورأست حفلته الافتتاحية ، ووجّهتُ رسالة مسهبة الى اعضائه تدلّ على الاهمية التي كنا نعلّقها عليه . وبعد الافتتاح تألفت لجان متعددة لدرس الشؤون الثقافية العربية كلها .

نشاط الجامعة العربية :

عادت وفود الدول العربية الى بلادها بعد ان اتصلت في شهر تموز باللجنة الدولية الآنفة الذكر ، فدعت الحكومة اللبنانية اللجنة السياسية للجامعة العربية الى عقد اجتماعها في لبنان في شهر ايلول . واستقبلتُ اعضاءها في عاليه ودعوتهم الى تناول الغداء في حدائق قصر بيت الدين وأقمنا سوق عكاظ للزجل اللبناني اثناء تناول الطعام فأجاد المنشدون ، وفلسطين عروس شعرهم ، وأطربوا المدعوين ولا سيما دسوقي اباظه وزير خارجية مصر وهو يتذوق الشعر وينظمه . وبعد احتساء القهوة وتبادل الاحاديث المنوعة في جو القصر التاريخي العابق بالذكريات شكر الحاضرون الضيافة اللبنانية التي لقوها ، وودعتُهم لافسح لهم مجال عقد اجتماعهم في القاعة الكبرى المعروفة باسم « قاعة المحكمة » .

وما ان انتهت اللجنة السياسية من اجتماعها حتى فتحت في بيروت الدورة العادية للجامعة في اوائل تشرين الاول .

وانتهزت الفرصة لاوجّه الى اعضاء الجامعة رسالة ذكرت فيها قضيتي مصر وفلسطين ، وأجابت الجامعة بكتاب شكر وتقدير تسلمته من يد أمينها العام [1] .

(١) — راجع نص الكتابين في قسم الوثائق .

واستقبلت وفود الجامعة وفي مقدمتهم محمود فهمي النقراشي رئيس وزارة مصر وجرت لي معهم احاديث طويلة تناولت المسائل الراهنة . وكان النقراشي يتأهب الى اميركا ليعرض امام مجلس الامن قضية جلاء الجيوش الانكليزية عن الاراضي المصرية . وقد أظهر لي تفاؤله بالموضوع .

ومن الجدير بالذكر وصول الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين الاكبر فجأة الى مطار بيروت اثناء انعقاد الجامعة ، ولم يكن لنا سابق علم بمجيئه ، فخفّ رياض الصلح الى الترحيب به واستقبلته وأحسنتُ وفادته وكان قد انقضى على آخر اجتماع به عشر سنوات ، يوم فرّ من فلسطين ونزل في الزوق سنة ١٩٣٧ ، ثم فرّ من الزوق الى العراق . وقد شكر الحاج امين العاطفة التي لقيها في ضيافة لبنان هو وحاشيته، وتمكّن من الاتصال بوفود الدول العربية ومن اطلاعها على شؤون هامة تتعلق بفلسطين .

ومن الحق ان يقال ان الجامعـــة العربية اتخذت في تلك الدورة مقررات مهمة أُذيعت في حينها واستقبلها الراي العام العربي بمزيد الارتياح .

و « بَرْغَتَ » البريطانيون — ولا غرو — من وصول الحاج امين فجأة الى بيروت فتولى رياض الصلح إفهامهم ان الحاج اميناً يحصر نشاطه بفلسطين دون ان يتعرض لهم علناً اثناء وجوده بين ظهرانينا، فاطمأنوا .

زيارة الرئيس السوري لي في بيت الدين :

ذكرنا فيما سبق ان الحكومة اللبنانية وقّعت على اتفاق مع شركة النفط الاميركية أجازت لها فيه إمرار انابيبها بالاراضي اللبنانية وجعل مصبّها في الشاطىء اللبناني، وسعت الشركة لعقد اتفاق مماثل مع سورية لامرار انابيبها في ارضها . وطالت مدة المباحثات ولم تسفر عن نتيجة ايجابية ، ثم تعسّرت في اواخر شهر آب حتى فقدت الشركة صبرها وكتبت الى الحكومة السورية تنذرها بقطع كل مفاوضة معها فيما اذا لم

يوقّع على الاتفاق خلال مدة محدودة ! لقد اخطأت الشركة باللجوء الى طريقة مثل هذه اساءت الى الحكومة السورية اشد الاساءة فقطع كل امل في اية تسوية .

وراجعني بالامر مديرو الشركة في لبنان بحضور حبيب ابي شهلا مستشارهم القانوني ، فشجبت تصرفهم وافهمتهم خطأهم . وكان من المصلحة اللبنانية ان يتم الاتفاق بين سورية والشركة لان الاتفاق اللبناني لا قيمة له بدونه ، وذلك لان وصول الانابيب الى لبنان مشروط باجازة إمرارها في سوريا .

تبادلنا الرأي ورياض الصلح فاتصل بجميل بك مردم رئيس الوزارة السورية ، واتصلت انا بشكري بك القوتلي ودعوتهما لزيارتي في قصر بيت الدين للمباحثة في جميع الامور التي تهم البلدين ، واخصّها تصريحات الملك عبدالله بتحقيق مشروع سورية الكبرى ، ومن جملة الابحاث اتفاق النفط ايضاً . وقرّ الرأي على ان تكون الزيارة شبه رسمية ، وان يقضي الضيفان الكريمان ليلة في القصر . وعُيِّن موعد الزيارة في ٢٧ من آب مع برنامج بسيط .

وفي اليوم المضروب انتظرت الرئيس السوري في عاليه فاستراح قليلاً مع مرافقيه وتوجهنا توّاً الى بيت الدين ، الرئيس القوتلي عن يميني في سيارة الرئاسة يرفرف عليها العَلَمان السوري واللبناني ، ورئيس الوزارة السورية عن يمين رياض الصلح في سيارته ، وحميد فرنجيه وزير خارجيتنا في سيارة اخرى مع احد كبار المرافقين . ولما وصلنا الى ميدان القصر أدّت التحية فصيلةٌ مــن الجيش مع موسيقاها . وتناولنا الغداء في الحدائق وطفنا والمدعوين في ارجاء القصر وشُرَفه ، والجميع معجبون بموقعه الجميل ، مشرفاً فوق الوادي على الجبل والبحر ، وكانت اعمال الترميم قائمة على قدم وساق في القاعات ذات الطراز الشرقي ، وخصوصاً في قاعة العمود وفي الحمامات العربية . ولم يسبق لضيوفنا الكرام ان

زاروا هذه البقعة الجميلة من لبنان فسرّوا جداً .

وبعد الغداء اخذ كل منا قسطه من الراحة ، واجتمعنا وتناقشنا اولاً بتصريحات الملك عبدالله وأصدرنا بياناً مشتركاً بشجب كل فكرة ترمي الى تغيير الوضع الراهن والشكل الجمهوري في البلدين السوري واللبناني ، وأذعنا البلاغ بسرعة خاطفة فكان له وقع الغيث على الارض العطشى . ثم تناولنا قضية الشركة الاميركية ودرسناها طويلاً وتمّ الاتفاق على ان تستردّ الشركة إنذارها للحكومة السورية فتعاد المفاوضات بغية الوصول الى اتفاق مُرضٍ . ووعدنا الرئيس السوري ورئيس وزارته بان التوقيع على الاتفاق يتمّ في ايام معدودة وقضينا ليلتنا تلك باحاديث الذكريات الطيبة والمودة .

وفي ٢٨ من آب صباحاً غادَرنا ضيوفنا بالمراسم الرسمية ورافقهم وزير خارجيتنا حتى الدامور على الرغم من إصرارهم على العودة دون اية مواكبة، وكأنهم في بلدهم .

وتوقف الرئيس القوتلي في صوفر بضع ساعات في البيت الذي يصطاف به جميل مردم بك حيث تناول طعام الغداء .

وقد تركت هذه الزيارة القصيرة اعمق الاثر في نفوس اللبنانيين للشؤون الخطيرة التي بحثت، وللنتائج السريعة التي وصلت اليها الحكومتان .

استقبـــل رئيس الجمهورية السورية في قصر بيت الدين رئيس بلدية فالوغا ووفداً من اعيانها جاؤوا لدعوته ودعوتي لزيارة بلدهم الذي كان مصيفاً لشكري بك قبل توليه الرئاسة ، فتردّد الرئيس والحثُّ عليه بالقبول فنزل عند رغبتي وقبلنا الدعوة ، وعُيِن موعد الزيارة في ١١ من ايلول . واراد شكري بك ان يتفق يوم زيارته الى فالوغا مع تاريخ التوقيع على اتفاق البترول فطلب من حكومته ان توقّع عليه في صباح

اليوم المضروب للزيارة ليحمل لنا ، هو شخصياً ، البشرى السارة .

وكان استقبال فالوغا والقرى المجاورة حافلا جداً ، وساد جو المحبة والتفاهم بين الرئيسين والحكومتين . مُدّت موائد الطعام في الفندق الحديث في ضهور فالوغا (ومن حسن الصدف ان الفندق في اصله كان معمل حرير لعمّي والدي وهما لويس وملحم الخوري) . وطلبنا من الخطباء اختصاراً للوقت ان يتعاقبوا على الكلام ونحن على المائدة ، وتدفّقت علينا امواج من الفصاحة شعراً ونثراً ، وسمعنا في عداد الخطباء احـــد الكهنة الوقورين فألقى خطبة حماسية فيها الترحيب الجميل بالضيوف وفيها التأييد كله للحكومة اللبنانية ، فصفق له الجمهور طويلاً .

وانحنى رياض على اذني قائلا : « لعل هذا الخطاب مظهر من مظاهر العصيان المدني الذي دعا اليه المطران مبارك ؟ » فأجبته : « لا بل هـــو نوع من العصيان الاكليريكي ! » وسمع النكتتين شكري بك وضحكنا . وقبيل الانصراف اخذت السماء تمطرنا رذاذاً فاستبشرنا خيراً . ورافقتُ شكري بك بسيارتي حتى المديرج واتجه مع صحبه نحو دمشق وقفلت راجعاً الى بيت الدين .

مكثت ثلاثة اسابيع معتكفاً ناشداً الراحة بعد عناء شديد ، أخص المطالعة بواسع من الوقت وأقوم بنزهات في السيارة وسيراً على الاقدام، وكثيراً ما توقفت في طريقي لامتّع النفس بمحادثة قروي يحرث حقله ، او فلاح يحمل الحطب او البلان والعرَق يتصبّب من جبينه . وبقيتُ على استقبال عدد كبير من رجال السياسة والسلك الدبلوماسي والاصدقاء .

وكان رياض يجتنب زيارة بيت الدين إلا للضرورة القصوى لانه يعتريه بعض الدُوار في منعرجات الدامور والصفا ، وهي تكاد لا تصلح للسير عليها والترميم جارٍ فيها ، وكنت اوفـّر عليه التنقل من عاليه الى بيت الدين ، مع شوقي اليه والى احاديثه الطريفة وسرعة خاطره العجيبة .

دورة استثنائية للمجلس :

مضى وقت لم يجتمع فيه المجلس النيابي في حين أن الحملات تتوالى عليه، والحكومة منهمكة بشؤون المعارضة مع ما جرّت من شجون . ورأى بعض النواب ان من الغضاضة عليهم ان لا يجتمعوا في مثل تلك الظروف فتقدموا من رئاسة الجمهورية بطلب دورة استثنائية ، وجاريتُ رغبتهم . وفُتحت الدورة[1] ولها جدول اعمال مثقل بالمشاريع .

وكان يساور النواب هواجس تقلق بالهم بعد هزّة الانتخابات ، فتناولتْ ابحاثهم الاولى نشاط المعارضة وموقف الحكومة منه ، وأجاب رياض الصلح على كلمة ألقاها هنري فرعون : « **ان الحكومة لا تنوي القضاء على المعارضة بل على حملة الشتائم ، اننا نريد لبنان موئلاً للحريات ولا نريده موئلاً للشتم والدس والسب ونهش اعراض الناس... انني على استعداد لفتح هذا الباب** (المناقشة مع المعارضة) **والتكلم به طويلاً قدر ما تشاؤون ، وإني لم اهدف من كلامي الاخير الا اشخاصاً ما راعوا حرمة لاحد ، ولا صانوا كرامة لكريم في تهجمهم ...** »[2] .

وتكلم فيليب تقلا فكان خطابه بليغاً، عرض فيه الاسباب الموجبة لفتح الدورة الاستثنائية وانتقد بعض اعمال الحكومة وناحية التراخي والاهمال فيها ، وشكا من تغاضيها عن الفوضى الفكرية التي اجتاحت البلاد ، وألحّ بتنظيم الادارة على اسس ثابتة ، ثم شرح اصول المعارضة ونعتَ نفسه بالمعارض قائلاً : « **نعم ، إنا معارضون اذا كانت المعارضة معناها محاربة التواكل واللامبالاة ، او كان معناها خلق جو من النشاط والعمل المتواصل يتفق والمبادىء البرلمانية الصحيحة ، لكننا لسنا بمعارضين ، ولن نكون ، اذا كانت المعارضة معناها الضغائن والاحقاد**

---

(١) – ابتداء من ١٥ من ايلول .

(٢) – محاضر المجلس النيابي : جلسة ٢٣ من ايلول، ص ٥٤

والنكاية بالخصوم ، والتوسل الى تحقيق اغراض وغايات لا تمتّ بشيء الى المصلحة العامة ، ودكّ اسس الهيكل ليصدّع ثم ينهدم على من فيه أياً كانوا وأنى كانوا . . . »

وختم النائب كلامه بقوله لرئيس الوزارة : « . . . احترمناك ووثقنا بك ثقة لا تزعزعها رياح ، ومن اجل ذلك نتوجّه اليك اليوم ونطلب منك ان تولي عنايتك داخل البيت فترتّبه ، وأن تجعل من هذا الوطن الكريم دولة صحيحة البنيان قادرة على الصمود امام تقلبات الزمن، وأن تعيد الى كل قلب لبناني الثقة والامل، والى شفاهه بسمة الرضا والايمان »[1] .

وشكر رياض الصلح الخطيب « الذي جمع بعلمه وثقافته العالية وصف جميع امراض هذه البلاد ونسبها كلها مع الاسف الى تواني الحكومة ، مع ان كلها او أكثرها اصيلة في الدوائر والادارات الخ . . . » .

وقرر المجلس طبع خطاب فيليب تقلا وتوزيعه على النواب .

ثم وقف النائب بهيج تقي الدين يبين الاسباب التي اجتمع بعض النواب لاجلها وقد وضعوا مذكرة بالاصلاحات التي يطلبون تحقيقها العاجل من الحكومة ، وزاد : ان المجتمعين لا يهدفون الى قلب الحكومة واحتلال كراسيها .

وفي جلسة ٢٩ من ايلول تناول البحث مذكرة المطران مبارك وهي التي ارسلت الى لجنة التحقيق الدولية بقضية فلسطين . وكان النواب الموارنة اول من اثار الموضوع بعد ان وضعوا بياناً بشجب موقف المطران شجباً صريحاً . ثم اشترك بالمناقشة نواب آخرون طلبوا إلغاء الطائفية السياسية ووضع حد لتدخل المطران مبارك في شؤون الدولة . وتكلم كمال جنبلاط في الموضوع ، وقال لرئيس الوزارة :

---

(١) محضر جلسة ٢٣ من ايلول ، ص ٥٧

« سيدي الرئيس ، قد تم انقلاب تشرين ، وغير تشرين ، وظهر للجميع حماسكم وتضحياتكم في سبيل لبنان . وقلتم بتوحيد القلوب فيجب عليكم ان تكملوا وتساهموا بظل فخامة رئيس الجمهورية الذي كان مثالاً للتضحيات والقيادة الصحيحة يجب ان تقودوا هذه المعركة »[1] (اي الغاء الطائفية السياسية) .

ردّ رياض الصلح على الخطباء وأيّد شجبهم مذكرة المطران مبارك ، وبيّن ان الاضراب الذي حصل في ذلك اليوم كان له غرضان، احدهما استنكار المذكرة والآخر إثبات حقيقة الرأي العام اللبناني بتأييد قضية فلسطين ، ثم قال عن المطران مبارك « ... فقد وجه مناشير وبيانات عديدة قال في بعضها : ايها الجند عليكم ان تعصوا امر الحكومة ، ايها اللبنانيون لا تدفعوا الضريبة . وقد دفعها هو . ولقد اتى اخيراً بهذه المذكرة التي اظهرت حقيقة نواياه فعرف المواطنون اللبنانيون لماذا يدعوهم للعصيان المدني ، وعرف الجند لماذا يدعوهم للعصيان العسكري ، وعرفنا جميعاً لماذا توجه لاكبر مقام في البلاد يطلب منه مطلباً غريباً . ولعله ادرك ان الرجل الاول في هذا الوطن هو المانع الاول لتحقيق برنامجه ...»[2]

وقبل ان تختم الدورة درس المجلس قانون انتخاب البلديات وأقرّه . ثم أقر الاعتماد الحيوي الذي قدّمته الحكومة لجر مياه الشرب الى قرى عديدة محرومة منها في منطقة الجنوب ، والاعتماد قدره مليونان ونصف مليون ليرة لبنانية هو من برنامج الدولة العمراني .

(١) و (٢) – الجريدة الرسمية، محضر جلسة ٢٩ من ايلول ١٩٤٧، ص ٨٩ و ٩٠

عودة الأمير الى قصره

رفات الامير بشير

في ذاكرتي من ايام الطفولة مشهد ضريح الست شمس زوجة الامير بشير ، يقوم بناؤه في حديقة القصر في بيت الدين ، ويحيط به السكون فيبعث بالرهبة الى القلوب . وكنت اقول في نفسي : ترى، هل يرقد رفات الامير يوماً بجانب رفات زوجته ؟ وشتان ما بين الفكر وتحقيقه . ولكن الله قدّر علي ان انتخبتُ رئيساً للجمهورية فصممتُ على ترميم القصر وتعبيد الطرق المؤدية اليه ، وتأكدت في يقيني ان حلمي البعيد بنقل رفات الامير سوف يتحقق ، فيعود باني مجد الدار الى داره بعد طول الغياب . وسعت الحكومة اللبنانية لدى الحكومة التركية بالسماح لها بتسلم الرفات من كنيسة الارمن الكاثوليك في اسطنبول ونقله الى لبنان، فوعدتْ بالنظر في الامر . ثم نلنا الاجازة اللازمة من البطريركية الارمنية . وعلى هذا الامل زرتُ الضريح يوم زرت عاصمة السلطنة القديمة عام ١٩٤٦ .

وفي صيف ١٩٤٧ بلغتنا الحكومة التركية موافقتها عـلى نقل

الرفات ، فألّفت وفداً برئاسة الزعيم فؤاد شهاب ، سافر الى انقره فاسطنبول ، وتسلّم الرفات بحفلة جمعت الوقار الى البساطة ، ونقله بالسكة الحديدية الى بيروت ، فاستقبله لبنان بمجالي الحفاوة والتكريم . وأقامت الحكومة مأتماً وطنياً للامير الكبير سار من المرفأ الى ساحة الشهداء، والرفات محمول على عربة مدفع ، ومشيت ومشى وراءه الجيش اللبناني وقوى الامن والهيئات الرسمية من لبنانية واجنبية ودينية ووجوه البلاد وعامة الشعب . وفي ساحة الشهداء لفظ كلٌّ من رئيس الحكومة ورئيس المجلس النيابي خطبة وطنية، ثم صافحتُ ممثلي السلك الدبلوماسي وأسرعت الى بيت الدين لاستقبال الموكب . ولمّا أطلّ على ميدان القصر أُطلقت المدافع تكريماً وانطلقت اهازيج ابناء القرى إحياء لذكريات الماضي . تولّى الصلاة على نفس الامير المطران عبدالله خوري نيابة عن البطريرك الماروني ، يعاونه المطران اوغسطين بستاني مطران ابرشية صيدا ولفيف الاكليروس .

والقى المطران بستاني خطبة أعـاد فيها ذكريات الماضي وربطها بالحاضر ، وقابل بين وداع الامير للقصر بحضور مستشاره القضائي الخاص الشيخ بشاره الخوري الفقيه الشهير وبين استقبال رفات الامير من قبل رئيس الجمهورية حفيد ذلك القاضي (١) .

وختمتُ الحفلة بخطبةٍ ألقيتها من وحي القصر، فقلت اخاطب بانيه :

« يا ابا سعدى ، ايها الامير الكبير

شيّدتها عالياً وحكمتها السنين الطوال ، هجرتها منفياً وحننت اليها نائياً . تمنيتَ أن تودعها حياً وها أنت تعود اليها لترقد فيها رقادك الاخير . قرن وما يزيـد مضى على بعادك عنها ، وقرن إلا بعضه مضى على وفاتك في دار الغربة ، كم تقتَ ان ترجع اليها وكم رفرفت

(١) — انظر قسم الوثائق .

روحك حواليها ، وها قد تحقّقت احلامك واحلامنا ، والذكريات المجيدة تواكب اميرها وبانيها . . . »

الى ان قلت في النهاية :

« . . . ها هي ذي دارك فادخلها بسلام ، ها هوذا لبنان فانزل به بأمان، ولترعَ عينُك اللبنانيين من مقيم ومغترب ، يا ابا سعدى ، ايها الامير الكبير » (١) .

لفظت الخطبة وكان التأثر بادياً على وجهي وعلى وجوه المستمعين ، ورأيت بعضهم يمسح الدمع .

ثم حمل الجنود النعش يواكبهم الحاضرون وانا في مقدمتهم ، ووضعوا الرفات في حديقة القصر .

وتفرّق الجمع وخلوت الى نفسي وهي مغتبطة لانني قمت بالواجب . وأذيعت الخطبة ونشرت، وتداولتها الالسن والايدي، ففعلت العبارة الموجزة البليغة في النفوس فعل الكهرباء .

الاتصالات بالمعارضة :

نزلت الى بيروت، وتجدّدت الوساطات بيني وبين المعارضين، فاستقبلتُ غير مرة عبد الحميد كرامي وألفرد نقاش وحبيب طراد وسواهم، وانحصرت مطالب الاصلاح بحل المجلس النيابي . وكنت أقارعهم وأردّ الحجة بالحجة ، وأُظهر لهم أن الحلّ واسطة لا غاية ، وأنه اذا حُلّ المجلس قبل إقرار قانون الانتخاب الجديد بقيت علة العلل التي يشكون منها وانتُخب المجلس المقبل على اساس القانون القديم . وتوصلتُ بعد لأيٍ الى إقناع بعضهم ولم أفلح باقناع الآخرين . وصار تردّد المعارضين الى القصر وحديث الحل يشابه سيفاً مصلتاً على رأس النواب ، فما ان شعروا

(١) — مجموعة خطب : ص ١٥٧

بالمداورة حتى « برغتوا » وجاؤوا اليّ يبثون شكواهم ، وانبرى لتلك المداورة رياض الصلح امير المداورات ولا سيما اللبقة منها ، وما هي إلا مدّة قصيرة حتى فاجأ الجميع بتصريحه الشهير في المجلس وطمأن النواب الى بقائهم وأثار حفيظة المعارضين .

وجدير بان يذكر كلامه حرفياً ليظهر للملأ ان رؤساء الحكومات ، ولهم شخصيتهم البارزة ، ماكانوا في ايامي أداةً مسخّرة لرئاسة الجمهورية، على رغم مما يكنّـون لي من احترام فائق ، قال رياض الصلح في جلسة الخامس من تشرين الثاني ١٩٤٧ :

« ... وبما يتعلق بالشق الثاني من سوآله (سؤال النائب بهيج تقي الدين) اقول : **ان لفخامة رئيس الجمهورية الحق ، بل من واجباته ان يستقبل، وان يقابل، وان يستدعي اياً شاء ومتى شاء في هذه البلاد ، فرئيس الجمهورية للجميع على السواء وليس لنا فقط ، ومن الخير كل الخير ان يشعر كل لبناني بالاطمئنان الى هذا المرجع ، وان يعتقد ان في تلك السدة الانصاف والعدل للجميع على السواء .**

« بقيت قضية الاصلاح ، ان الاصلاح كلنا ينشده ويريده ، انما هو مطلوب من الناس جميعاً، ومن هذا المجلس مصدره ومنشأه . تبقى قضية حل المجلس ، **اني اؤكد لكم جميعاً انه لم يدر في خلد احد في هذه الحكومة ، ولا بصورة من الصور ، حل هذا المجلس** ، ولماذا يحل ؟

« . . . للمعارضة يا سادتي ، خصوصاً وبينها رجال أصحاب مقامات ادبية وذوو مراكز مرموقة ، ان تقول ما تريد وان تطلب ما تريد ، فالمعقول منها يجري ، ومـــا لا يريده هذا المجلس لا يجري . . . قلتُ وانتم تقولون إن هذا البلد عُرف بديمقراطيته وحريته المتناهية التي نريد ان نتمتّع بها جميعاً ، وللناس ان يقولوا ما يريدون ، اما حل المجلس فلا ... ولا ... ولا يبحث » (تصفيق)[1] .

---

(١) – الجريدة الرسمية : جلسة ٥ من تشرين الثاني ١٩٤٧، ص ١٩٧

صفق النواب وقطع المعارضون كل مخابرة وانفجروا بالانتقاد، وانفجارهم عليّ طبعاً خلافاً لسُنَّة الانصاف ، وأنا بحكم المنصب صامت لا يسعني الدفاع عن نفسي ولا ولوج باب المشاحنات والاخذ والرد ، فنُسبت هذه العلة والعلل الاخرى الى الرأس « وهو كثير الاوجاع » .

نحو الغاء الطائفية :

انتقل المجلس الى قانون انتخاب البلديات وقانون انتخاب المختارين ، والنقطة البارزة فيهما ان الحكومة ارادت تجربة إلغاء الطائفية فيهما . وهي تجربة فقط ، لان السياسيين اللبنانيين يقولون في هذا الصدد غير ما يضمرون ، وكلٌ منهم يرغب بالغاء الطائفية شرط ان لا تُمس طائفته ، والدليل على هذا ان الحكومة أُرغمت على تعديل قانون المختارين لزيادة اثنين في عددهم حتى لا تُحرم احدى الطوائف من ممثل لها في بعض الاحياء ، ثم أُرغمت على التدخل الفعلي مع الناخبين لاقناعهم باختيار فلان من الطائفة الفلانية بدلاً من فلان ، بصرف النظر عن اكثرية تريده وتؤيده ويتمتع هو بثقتها !

قلت : ان الوقت لم يحن بعد لمثل هذه التجارب الخطرة . واذا كان من امل فلعله يحقق في المستقبل ، يوم يبلغ بنا الاحساس الوطني درجة الكمال ، ولا يعود اللبناني ينظر الى اخيه إلاّ بمنظار الكفاءة والمصلحة الوطنية دون سواهما .

حادثة البمة في زحلة :

صدق المثل : ان لا راحة في هذه الحياة . وكثيراً مـا تأتي المتاعب مفاجأة وتسيء الى قوم لا يستحقون الاساءة .

والشاهد حادثة أليمة في زحلة وقعت في تشرين الثاني ١٩٤٧ ، فقد احتج بعض اهالي زحلة والبقاع على نوع الاعاشة التي توزّع عليهم ،

وتعكرت الحالة . فتدخلت ايدي المشاغبين وأذيع منشور يدعو الاهالي للاضراب والتظاهر . وخشي المحافظ ان يتطوّر التظاهر الى شغب وان تـُغلب الحكومة المحلية على امرها، وأراد ان يتخذ للامر عدّته فاتصل برئيس الوزارة وطلب قوة من الجيش للمحافظة على الامن ، معتقداً أن ظهور الجنود في الاسواق يمنع من الاخلال بالانظمة فينقضي اليوم المعيّن للتظاهرة بدون حوادث . وأصدر رئيس الوزارة امره فذهبت قوة من الجنود واحتلت سراية الحكومة وحرست مستودعات الاعاشة لمنع نهبها . وعسكرت شرذمة اخرى في قلب المدينة .

اتجهت المظاهرة نحو المعلقة وعادت الى زحله، وتحرش بعض المشاغبين بالجيش وتقدّموا من حارسي المستودعات لنزع السلاح من أيديهم، وألقوا قنبلة يدوية لم تنفجر، وأخرى انفجرت وجرحت جنديين جروحاً خطرة ، فأعلن القائد علامة الانذار « بالبرزان » اولاً وثانياً وثالثاً، ثم أمر باطلاق النار فأصيب حانوتي في دكانه خطأ، وأصيب ابن عبدالله ابي خاطر وهو يمرّ في تلك اللحظة من رصيف الى رصيف أثناء إطلاق النار فقتل الاثنان حالاً ، ويا للاسف ، وارتدّ المتظاهرون وتفرّقوا . إلاّ أن إطلاق الرصاص من الجنود والاهالي اتخذ شكل موقعة حربية دامت بضع ساعات، وصدرت الطلقات من جميع الجوانب ، من شُرَف البيوت وسطوحها ، ولو لم يقف الجنود وقفة المدافع عن نفسه لسقطت ضحايا لا تـُحصى . وما هدأت الحالة إلاّ عند غياب الشمس وانحصرت الحادثة بالشكل الذي ذكرناه .

لا شك في ان الحادثة مؤلمة جداً بحد ذاتها ، وقد أسفنا لها وأسف كل عاقل ، وقد يكون من خطأ في ادارة الحركة . أمّا أن يقال ان الحادثة مقصودة ، او انها طائفية ، فهذا لا يصدقه منصف ، خصوصاً وان المسؤولين الذين تولـّوا ارسال الجنـــود (٧٠ جندياً) والذين تولـّوا قيادتها ، وهم توفيق سالم وجوزيف سمعان وجورج نوفل ، ينتمون جميعهم

الى الطائفة ذات الاكثرية في زحله ، وقد شاءت العناية ذلك لدحض حجة من ارادوا ان يستثمروا الموقف فيما بعد .

انحصرت الحادثة في من ذكرنا ولم تنحصر ذيولها بل امتدّت اشهراً تتطلب علاجاً ، والحكومة متذرعة بالحكمة وطول الاناة ، الى ان أعادت المياه الى مجاريها .

وبحث المجلس تلك القضية في جلسة صاخبة في ٢٤ من تشرين الثاني، وتعاقب النواب على المنبر ، فمنهم من حصر البحث بحادث زحلة، ومنهم من تعدّاه الى الاصلاح وعدم تحقيقه ، ومن مراجعة محضري جلستي ٢٤ و ٢٥ من تشرين الثاني تظهر « المرجلة » والمزايدة في اقصى حدودهما...

زيارة العراق

الدعوة والسفر :

اتفق لي وللحكومة ان استقبلنا غير مرة ملك العراق في عودته الى بغداد ، وكذلك اجتمعت في إنشاص بالوصيّ على العرش ودعاني الى زيارة العراق على أن يُعين الموعد فيما بعد . وفي اواخر شهر تشرين الثاني زارني القائم باعمال المفوضية العراقية في بيروت حاملاً اليّ الدعوة الرسمية من سموّه فقبلتها شاكراً . ووضع برنامج دقيق على ان يكون الذهاب والاياب بطريق دمشق بسيارات الصحراء التي تملكها شركة « نرن » .

تركنا بيروت في اواخر كانون الاول وأُعدّ لنا في الحدود السورية استقبال رسمي .

قصدنا دمشق وتناولنا الغداء على مائدة رئيس الجمهورية . وانتهزنا الفرصة لنباحث الرئيس وحكومته بشأن مفاوضات النقد الجارية مع فرنسة ووضعنا خطة مشتركة سيأتي ذكرها فيما بعد . وبعد استراحة وجيزة ركبنا السيارات في موكب رسمي الى محطة القدَم ، لان شكري بك

القوتلي أراد ان يرافقني بسيارته ويودعني هناك وداعاً رسمياً ، ولدى وصولنا الى المحطة حيّتنا فصيلة من الجنود وبعد عرضها ومصافحة الرئيس السوري ركبت السيارة المستطيلة المعدّة لهذه الاسفار ومعي رئيس المجلس ورئيس الوزارة والمرافقون الآخرون والحاشية . وقضينا قسماً من الليل ساهرين حتى بلغنا الحدود السورية – الاردنية ، فاستقبلنا ممثل عن جلالة الملك عبدالله ومعه وزيرنا المفوض في الاردن ووفد من الجالية اللبنانية ووفد من الجالية السورية .

وتابعنا سيرنا نشاهد من وقت الى آخر في ذلك القفر الممتد تحت ضوء القمر فنارات شركة « الآي، پي، سي » تهدي الى الطريق الصحراوية على بعد شاسع . ولم نتم نوماً مريحاً بسبب اهتزاز السيارة على الرغم من ان الطريق معبدة بالزفت . وكانت تواكبنا قوى الصحراء العراقية بسياراتها السريعة .

الوصول الى العراق :

وأشرق النهار وبدا لنا منظر النخيل الباسق دليل العمران في تلك البادية حتى وصلنا الى الرمادي في ساعة مبكرة ، فبدأ الاستقبال الرسمي إذ حيّانا المتصرف ومعاونوه وفصيلة مـــن الجيش وحللنا ضيوفاً على المتصرف في مركزه الحكومي ، واسترحنا قليلاً ولبسنا الثياب الرسمية وتناولنا طعام الصباح . وقد حرصتُ على ان يجلس معنا الى المائدة مع الرجال الرسميين الوفد الصحافي الذي رافقنا ، وحرصت ايضاً على ان يكون الجو مرحاً خصوصاً وان بين الصحفيين كتّاباً شديدي المعارضة كصاحب « الاوريان » مثلاً ، فنسي الجميع خصوماتهم مفتخرين بالحفاوة التي يلقاها اليوم موكب الرئيس اللبناني في بلد عربي صميم كالعراق ، وبما لقيه امس في بلد عربي صميم كسورية ، وفي الحدود الاردنية ايضاً بدت علامات الابتهاج على كل محيا ، والرئيس يلاطف الجميع ويستعلم عن راحة الجميع .

اما الاستقبالات الرسمية التي عقبت وصولنا الى بغداد فقد وصفتها الصحف وصفاً مسهباً ولا أعيد، ولكني اذكر الانطباعات الخاصة ومدى تأثيرها السياسي في ما يتعلق بالبلدين :

تَنظّم الموكب الرسمي في الرمادي ، فركبت السيارة ومعي عقيد من الجيش العراقي خُصص لمرافقتي طَوال الرحلة . ومشينا مسرعين نحو بغداد نشاهد فرسان الامن موزّعة على طول الطريق لحراستها ، وقُبيل بغداد استوقفنا شيخ قبيلة بني تميم ووراءه حشد عظيم من قبيلته يحملون البنادق الحربية هازجين ومطلقين الرصاص ، فذكرونا الاستقبالات اللبنانية مع الملاحظة ان البنادق عندنا اقل كثيراً من المسدسات . وكانت ظاهرة جميلة من ذلك الشيخ الذي يصطاف في لبنان ويتداوى على يد اطبائنا الماهرين ، وهو صديق حميم لرفيقينا النائبين الدكتورين رئيف ابي اللمع ويوسف حتي ، وانطلقت الاهازيج والخطب بمدح لبنان .

وتابعنا سيرنا الى مطار بغداد حيث سمو الوصي ورجـال الدولة والهيئات المدنية والعسكرية بانتظارنا ، فاستُقبلنا استقبالاً حافلاً جداً . وتصافحت والوصي مصافحة حارة وعرضنا الحرس الملكي وركبنا سيارة مكشوفة يواكبنا على الجنبين الحرس الخيالة بلباسهم الرسمي الجميل .

وكانت تلك لقيانا الاولى لسمو الوصي بعد تعارف إنشاص ، فذكرنا ونحن في السيارة ذلك الاجتماع بقدر مـا سمحت لنا هتافات الشعب البغدادي الواقف على جانبي الطريق مسافة ثلاثة اميال، من المطار الى القصر الابيض الذي خصص للضيافة . ولما تَرجّلنا وحيّينا المرافقين تفضّل الوصيّ فأوصلنا الى قاعة الاستقبال ومكث بزيارتنا مدة وهو في احسن ايامه يلفت النظر بقامتـه المديدة ورصانته . ولما انتهت الزيارة رافقته الى الباب ثم رددتُ له الزيارة الرسميـة حالاً في البلاط الملكي وخلوت به، ومكث وزراء البلدين يتحادثون في قاعة مجاورة . ودار بحثنا في العلائق الودية بين القطرين الشقيقين وقضية فلسطين، خصوصاً ونحن على

عتبة قرار مجلس هيئة الامم بخصوص التقسيم وإقامة دولة إسرائيل في تلك الارض العربية ، وأفكارنا قلقة عليها . ثم عدنا الى قصر الضيافة وتناولنا الغداء واسترحنا الى وقت العشاء وقد أقامه الوصي على شرفنا في البلاط الملكي . وقبـل دخول قاعة الطعام علـّقتُ على صدر المضيف الوشاحَ الاكبر من الاستحقاق اللبناني ، وقلـّدني هو اعلى وسام عراقي . ودخلنا القاعة والوسامان على صدرينا ، وكلٌّ من المدعوّين قد اخذ مكانه فيها وظلوا واقفين حتى وصلنا الى مقعدينا في وسط المائدة : الوصي لجهة الشمال وانا لجهة اليمين . وكنتُ أبادله الحديث . ولحظتُ انه قلما يكلم أحداً حتى الوزراء ، وقلما يصافح احداً ، ولا يتقدم احـد منه ما لم يدعُه اليه . مراسم ملكية ما ابعدها عن عاداتنا الديمقراطية، أضف الى هذه الديمقراطية الدالـّة ، و « الاملية » ، وكثيراً من « الدلع » .

وكان يشرف عـلى إتمام المراسم تحسين قادري قنصل العراق وعميد السلك القنصلي في لبنان ايام محنتنا ، وهو الذي وقف مواقف وطنية يحفظها له اللبنانيون بالشكل والتقدير . وكان يعاونه في مهمته أحمد الراوي وعبد الجليل الراوي اللذان خُصصا لمرافقتنا .

وقضينا السهرة في القاعة الكبرى من القصر فانتهزتها فرصة لأزيد التعارف بين سمو الوصي ورجال الدولة اللبنانية فقدّمتهم له مرة اخرى، وأفسح هو لرجال البلاط والدولة العراقيين بأن يحادثوني ، فانحصر سمرنا بجلسات مجلس الامن الملتئم في اميركة وبمصير فلسطين . وكان صالح جبر رئيس الوزارة شديد الحماسة لقضية الاراضي المقدسة ، وأعلن أن قوة من الجيش العراقي على استعداد للهجوم على الصهيونيين فيما اذا جاء قرار هيئة الامم في مصلحتهم . هكذا انقضى اليوم الاول .

القرار بتقسيم فلسطين :

وفي صباح اليوم الثاني فوجئنا بقرار الجمعية العمومية بتقسيم فلسطين،

فهبّت بغداد كأنها شخص واحد تتظاهر صاخبة ، ورفع الاهلون صورة الوصي وصورة الرئيس اللبناني وساروا بهما في المقدّمة ، وتعسّر على الشرطة ردّهم عن الموكب في تنقلاته الرسمية . وصار المتظاهرون يتقدمون منا بملء اللياقة وينادون بحياة الوصيّ والرئيس اللبناني وحياة فلسطين العربية .

وكنا كلما خرجنا ليلاً او نهاراً نلقى أهل بغداد على جانبي الطريق يحيّون الموكب التحية العسكرية وهي بمثابة التصفيق عندهم . وبالرغم من ذلك لم يتغيّر برنامج الحفلات المقررة، وكان من أبسطها وأروعها زيارة ضريح فيصل وغازي . وفي تلك الزيارة عادت الى الذاكرة ايام الملك فيصل وما كتبه لورنس عن اعماله اثناء الثورة الاولى فنعته « بالامير » بكل ما لهذه الكلمة من معانٍ .

كان عشاء رئيس الوزراء في البهو البلدي . وفيه زاد التعارف بين رجالات البلدين ، فدعا الوصي اعضاء الوفد اللبناني الواحد تلو الآخر لمحادثته على انفراد ، وكذلك دعوت رجالات الحكم في العراق فرداً فرداً وحادثتهم ملياً، وزان الحفلة حضور سيدات المجتمع وزوجات الرسميين . وأُذن للشاعر الجواهري ، وهو نائب ، أن يلقي قصيدة في بهو محافظة المدينة ، فكانت عصماء ذات رنة موسيقية ، واستعيدت ابياتها مراراً ، فتناولتُ وسام الاستحقاق اللبناني عن صدر احد اللبنانين الحاضرين وعلّقته على صدر الشاعر بين هتاف المدعوين وتصفيقهم .

وأقام محافظ مدينة بغداد حفلة انيقة على شرف الوفد اللبناني أنشد فيها النائب اديب الفرزلي قصيدة مدح فيها الوصي والعراقيين فعلّق الامير عبد الاله على صدره وساماً عراقياً . وأنشدت فتاة عراقية قصيدةً من عيون الشعر في مدح لبنان ورئيسه فعلقتُ على صدرها وساماً لبنانياً . وتفرّق المدعوّون في القاعة الكبرى حلقات فدعوت رئيس التشريفات وقلت له ان يسأل الوصي عما اذا كان من مانع يمنع من ان اطوف على المدعوين

وأحادثهم في حلقاتهم دون التقيد بمراسم البروتوكول ، فرحّب الوصيّ برغبتي وطفتُ على الجميع وحادثتهم ولاطفتهم ، وقدّر العراقيون تلك الظاهرة الديمقراطية من اللبناني الاول وسُرّوا بها ، وشاع المرح في الجو حتى ان الوصيّ خرج قليلاً من تحفّظه المعتاد وقال كثيرون : ان زيارة لبنان لبغداد فرّجت اسارير القائم على الحكم في العراق .

قداس في بغداد :

كان اليوم الثاني من وصولنا احداً ، فقلت لجورج حيمري ان يدبّر اللازم حتى أستمع الى القداس كالعادة بصورة خاصة، فغاب قليلاً ورجع قائلاً : سيقام القداس في كنيسة الكلدان الكاثوليك في الساعة التاسعة والنصف صباحاً .

وفي الوقت المعيّن دعوتُ مرافقيّ لنذهب « على السكت » ودهشت إذ رأيت في باب قصر الضيافة قوة من الشرطة والجيش على درّاجات نارية لمواكبتي ، وتقدّم مني المرافق العراقي الخاص وطلب الركوب الى جانبي في السيارة . ولم أخبر أحداً من رفقائنا بالامر غير انهم شاهدوا هذا الاستعداد فبهتوا وسألوا عن السبب وعرفوه ، وأسرعوا بارتداء ثيابهم ولحقوا بنا الى الكنيسة .

وهكذا انقلبت الرغبة الخاصة الى حفلة رسمية بموكب حكومي فخم. اما الكنيسة فقديمة في داخل حي مسيحي لا تصل السيارة اليها، فترجّلنا في اول الطريق اليها ، وكان خبرنا قد وصل الى السكان المجاورين فاصطفوا مئاتٍ وألوفاً على الجانبين ، وأخذوا يهتفون لنا وللبنان امام المخازن والبيوت ومن على شُرَفها ، ورأينا الرؤساء الروحيين والرهبان والراهبات ينتظروننا بملابسهم الحبرية قرب الكنيسة يتقدمهم المنسنيور دي شيلا القاصد الرسولي (ابن عم وزير فرنسة المفوض في لبنان) .

ودخلنا الكنيسة فوجدناها تعجّ بالرجال الرسميين العراقيين من مدنيين

وعسكريين ، وفي مقدمتهم محافظ بغداد وكبار معاونيه . وكانت مفاجأة سارة للجميع ، خصوصاً للنصارى من اهل بغداد ، فهم لم يسبق لهم ان رأوا رئيس دولة عربياً يصلي في كنيسة مسيحية . وأقيم قداس حافل دُعينا في نهايته الى قاعة الاستقبال الخارجية مع جميع الرؤساء الروحيين والهيئات الرسمية، وبعد ان ودّعنا الجميع وخرجنا الى الطريق تكررت التظاهرة التي استقبلتنا واشترك فيها كرام الطوائف المحمدية ، المجاورون للحي المسيحي .

وعاتبني رياض الصلح عند رجوعي الى قصر الضيافة كيف لم أنبئه بأمر الحفلة ، وقد عرفها من الناس ونقلوا اليه اخبارها ، وكان بادي التأثر ، فرويت له تفصيل ما جرى فظهرت الغبطة على محيّاه وقال لي هذه العبارة التاريخية : « الم يسبق لي ان قلت لفخامتك إن رئيس لبنان المسيحي سيلعب دور فرنسة في حماية نصارى الشرق اذا وجبت الحماية ؟ » .

وشكرت الله في نفسي .

وكان لزيارة الرئيس اللبناني نتيجة اخرى غير مباشرة هي الاسهام بالمحافظة على ارواح اليهود العراقيين ، فقد صادف وجود زائرين عراقيين كبيرين في قاعة الاستقبال بقصر الضيافة عندما بلغتني أخبار التظاهرات الصاخبة القائمة في بغداد ضد الصهيونية وضد قرار التقسيم فقلت : « لا شك ان الوصي وحكومته سيحافظان أشدّ المحافظة على ارواح اليهود العراقيين وعلى ارزاقهم في مثل هذه الظروف ، وسيكون لعملهما اجمل وقع دولي يُشرّف العرب جميعاً». وأرجّح ان هذه الملاحظة زادت في سهر الحكومة العراقية على حماية رعاياها اليهود .

وقد اتصلنا تلفونياً بوزرائنا في بيروت ونبّهناهم الى الامر عينه، فطلبوا رجوع رياض حالاً خشية قيام تظاهرات لا تُحمد عقباها ، وأجبتهم ان يستنهضوا مروءة الشباب المسلم والمسيحي وحكمته كي لا يقوم بأية حركة

قبل وصولنا الى لبنان ، فاحترم الجميع غيابنا بسبب الدعوة العراقية الكريمة وقرروا انتظارنا . وكذلك اتخذت حكومتنا والحكومات العربية عموماً احتياطات كبيرة لمنع التعدّي على السفارات والمفوضيات والمؤسسات الاجنبية .

حفلة افتتاح البرلمان :

من ذكريات بغداد الجميلة حفلة افتتاح البرلمان العراقي وخطاب العرش على الطريقة البريطانية . وقد دُعينا اليها رسمياً واستقبلنا رئيس المجلس وعمدة المكتب بمزيد الحفاوة ، واسترحنا في غرفة الرئيس الى ان وصل الوصي بموكبه الرسمي فتصافحنا ومكثنا قليلاً ثم صعدنا الى المقصورة الخاصة ، فوقف الجميع وحييناهم . ثم مشى الوصيّ الى منصّة رئاسة المجلس وهمّ بالقاء خطابه فوقفنا ووقف الجمهور ، ووجّه الامير عبد الاله اليّ التحية من على المنبر ورددتُ عليها، ثم استهلّ خطاب العرش مرحباً بزيارتنا بعبارات رقيقة استرعت الاسماع .

ورفعت الجلسة ليُعدّ البرلمان الرد على الخطاب . وكانت الحفلة غاية في الروعة والمهابة .

ودعينا الى الغداء في حديقة قصر الوصي في منتهى البساطة . وقد تحدّث صاحب الدعوة الى الجميع وجلس في الحلقات اللبنانية، وجلستُ انا في الحلقات العراقية ، ثم جمعتنا حلقة واحدة فأخذ الوصي يلاطف اللبنانيين ويداعبهم . واستأذن احدهم بالكلام فقال : زار وندل ولكي العراق واستُقبل بحفاوة ووقف خطيباً وقال : « علمني تاريخ بغداد انه كان فيها حرامي واحد ، والآن اختبرت بنفسي ان جميع اهالي بغداد حراميه ... » وسمعت هذه الرواية من اللبناني فانقطع قلبي والتفتُ اليه واذا هو يُردف قائلاً : « لانكم يا اهل بغداد سرقتم قلبي وعقلي ومشاعري كلها ! » فتنفّستُ الصعداء وقلت له : « إلحقني بْهَيْ ! »

تناولنا الطعام البلدي العراقي وتنزّهنا في الحدائق في جوّ من المرح والحبور عزّ نظيره ، وطفنا نشاهد الخيول العربية الممتازة والحمام الملون . وكانت خاتمة الحفلات دعوتي الوصي وأركان الحكومة والمجلس وكبار الموظفين الى العشاء في القاعة الكبرى من البهو البلدي وجرت الحفلة على أتمّ ما يرام من الترتيب والرونق .

وقبل ان أغادر بغداد استقبلت في قصر الضيافة اعضاء السلك الدبلوماسي وقد قدّمهم إليّ رئيس التشريفات الملكية . ثم زرت الكلية الحربية في ضواحي العاصمة زيارة طويلة استرعت اهتمام الجميع، ولفت النظر حسنُ التنظيم والانضباط والحركات الرياضية التي قام بها التلامذة الضباط، وإصابة الاهداف بنار المدفعية والرشاشات والبنادق، ووضعنا على آذاننا السمّاعات لالتقاط المخابرات اللاسلكية ، وقاد التلامذة آليات الجيش من مدافع ودبّابات ، ثم قدّموا لنا طعام الفطور على موائدهم البسيطة وجلسوا بالقرب مني ومن الوصيّ بدون بروتوكول .

وعرّجنا في طريق العودة على « بغداد الجديدة » وشاهدنا البنايات المعدّة لايجارات بخسة ، والمعامل الكبرى تقوم في ضاحية متسعة المساحة منبسطة السهول مما يجعل العمران فيها قليل التكاليف لا ترهقه بدلات الاستملاك .

وانتهت الزيارة . وقد انتهزنا جميع فرصها للغوص في قضايا العرب وشؤونهم ، وللاهتمام بمسألة فلسطين الشائكة وبالعلائق بين العراق ولبنان بغية توثيقها . وكانت زيارة موفّقة جداً برعاية الله . وتمّت مراسم الوداع على غرار الاستقبال فشكرت ورفقائي سمو الوصيّ واعضاء حكومته ورجالات العراق على حفاوتهم وجميل ضيافتهم . وغادرنا مطار بغداد الى الرمادي في السيارات الرسمية ، ومن الرمادي ركبنا سيارات شركة « نرن » فاستُقبلنا في دمشق بالحفاوة التي استقبلتنا بها في بدء الزيارة ، وعرّجنا على القصر الجمهوري للاستراحة . وعدنا الى بيروت

شاكرين الله على ما لاقيناه من حفاوة وتكريم في العراق ، ومن ولاء رئيس الجمهورية السورية وحكومته ، وذلك كله من شأنه توطيد مكانة لبنان في العالم العربي .

الاستقبال الشعبي والرسمي . التظاهرات لفلسطين :

لبّى شباب لبنان نداءنا وحافظوا على السكينة والامن مدة غيابنا ، وتقاطرت وفودهم الى وادي الحرير لتحيّتنا في الحدود ووقفت على جانبي الطريق ، فما ان وصلنا الى الارض اللبنانية حتى ترجّلنا وعرضنا فرق الجنود والدرك بموسيقاها ، ثم صافحنا رؤساء الوفود ، فعلا الهتاف لفلسطين وضجّ الوادي بالتصفيق . وسرنا نحو بيروت تتبعنا سيارات المستقبلين ، وترجّلنا ثانية في فرن الشباك لتحية الجنود والرسميين . ومررنا في شوارع العاصمة وفي ساحة الشهداء نسمع الهتافات واسم فلسطين على كل لسان .

ولم تشرق شمس اليوم الثاني إلا وبيروت مقفلة الشوارع ، وأهلوها يتظاهرون سلمياً تأييداً لفلسطين ضحية السياسة الظالمة التي قضت على اماني العرب وآمالهم ، وشطرت البلد الواحد الى بلدين ، وخلقت الدولة الصهيونية في صميم الاقطار العربية ، يا لها من غلطة دولية ستكلف الشرق والغرب ثمناً باهظاً جداً !

صدى قرار التقسيم في لبنان :

تناول مجلس النواب قضية فلسطين في جلسة ٥ من كانون الاول ، وانبرى الخطباء ينتقدون قرار التقسيم ويعترضون عليه ويظهرون اسفهم الشديد للاستهتار بحقوق العرب ، ويحيطون قضية فلسطين بعطف فياض وحماسة قلبية وكانوا مصيبين . وأبدى رئيس الوزارة وجهة نظر الحكومة واستعداده للاشتراك باسمها مع الدول العربية كافة ببذل كل تضحية من

مال ورجال في سبيل القطر الشقيق . ومن المفيد ان يقرأ جميع اللبنانيين الخطب التي أُلقيت في تلك الجلسة . وقد عقبتها اقتراحات باستنكار قرار التقسيم، وبالتبرع بتعويضات الرؤساء والوزراء والنواب عن شهر واحد لاجل فلسطين . وأُقرّ مشروع قانون مستعجل بفتح اعتماد قدره مليون ليرة للاشتراك بإنقاذ دار الانبياء من ايدي الصهيونية .

وسافر بعد ايام رئيس وزارتنا الى القاهرة لتمثيل لبنان في اللجنة السياسية للجامعة العربية ، وقد حصرت ابحاثها بقضية فلسطين . وحمل رياض الصلح وجهة نظرنا الى رؤساء حكومات الدول العربية ، وأظهر استعدادنا للعمل الجدي في هذا السبيل . وأيّد المجتمعون مقرراتهم السابقة وبحثوا في السبل العملية لتنفيذها . وكان إجماع في لبنان على ان يُمَدّ القطر الشقيق بالمال والرجال والعتاد ليبقى دولة عربية مستقلة موحّدة . ولم تكن هذه السياسة عاطفية فحسب، بل بنيت على العقل وعلى مصلحة لبنان، وهو جار مباشر لفلسطين وعلى شرف عهودنا .

وفي ٢٩ من كانون الاول أُثير في المجلس النيابي اللبناني اجتماع اللجنة السياسية وأدلى رئيس الوزارة بنتيجة أبحاث القاهرة فلقي تأييداً إجماعياً، وتطرّق البحث الى السياسة الداخلية ، ففاه هنري فرعون بعبارة لم تتفق والحقيقة اذ قال — مشيراً الى الانتخابات النيابية الاخيرة — انه ورياض الصلح قد « تحمّلا مسؤولية سواهما » ! متناسياً انه كان وزيراً في حكومة تلك الانتخابات وانه رأس لجنة الطعون ... وقد أجابه رياض : « لقد تحمّلنا مسؤولياتنا ، فنحن المسؤولين دستورياً وعرفاً ، تجاه الله وانفسنا والعالم ... » (١)

وقبل ان نختم السنة الحافلة بالاحداث ترأست افتتاح النادي الرياضي في كفرشيما ، وقد احتشدت فيه وفود من أعيان المنطقة ، فسمعت

(١) — محضر جلسة ٢٩ من كانون الاول ، ص ٣٣٦

القصائد والخطب في تأييد العهد ، ورأيت الجماهير مسرورة بما سمعت ، وكانت تظاهرة تأييد كامل شامل أشاعت الغبطة في نفسي وعزّتني كثيراً عن قلة الانصاف ، وقد اتخذها بعضهم منهاجاً . سامحهم الله !

١٩٤٨

الاتفاق المالي مع فرنسة

المفاوضات :

شغلت المفاوضات الرأي العام اللبناني والعربي طوال اشهر، وتأزّمت بسببها الحالة في لبنان مدة من الزمن ، وكذلك تعكرت علائقنا مع سورية من جراء التوقيع على الاتفاق المالي ، فأصبح لزاماً سرد مراحل هذه القضية دفعة واحدة لاهميتها من الوجهتين الاقتصادية والسياسية :

أشرنا سابقاً [١] الى الاتفاق البريطاني الفرنسي المتعلق بنقد لبنان وسورية ، وانضمامنا الى هذا الاتفاق في ٢٥ من كانون الثاني سنة ١٩٤٥، وكان من ميزاته انه ضمن نقدنا ضد سقوط الفرنك ، ومكننا من استبدال عملتنا بالجنيه الاسترليني بمعدل ٨٨٣ غرشاً عن كل جنيه، بدون قيد ولا شرط . وما لبث البريطانيون ان عدّلوا الفقرة الخاصة بحرية شراء الجنيه، فأصبح هذا الشراء يحتاج الى إجازة خاصة من مكتب القطع البريطاني (مع بقاء معدل الاستبدال على حاله) وصار الجنيه

(١) — ج ٢، ص ٧٨

نقداً نادراً بالنسبة الى عملتنا ، وعلا سعره في السوق السوداء بسبب المضاربة . وبعد ذلك ابلغنا الفرنسيون انهم لم يضمنوا عملتنا من السقوط الا مرة واحدة وذلك يوم اسقطوا قيمة فرنكهم ووقّعوا على اتفاقهم مع البريطانيين، وأن هذا الضمان لا يسري مفعوله في المستقبل . مع ان نصه جاء على إطلاقه بدون حصر .

وإزاء تلك الحالة اتصلنا بالخبير الدولي المسيو ڤان زيلند الرئيس السابق للوزارة البلجيكية والعالم الاخصائي في شؤون المال والنقد ، ودعوناه الى بيروت فلبّى الدعوة في اواسط شهر نيسان سنة ١٩٤٧ وتدارسنا المسألة، فأفتى بان النص صريح لمصلحتنا وان الضمان غير محدود، ولكننا لا نقدر على منع فرنسا من نقض الاتفاق ، وانه في حالة نقضه يحق لنا مراجعة المحكمة الدولية في لاهاي ، وهي اذا انصفتنا مبدئياً فلا يسعها الا ان تطلب من الفريقين المتقاضيين لديها ان يصفّيا علائقهما باتفاق جديد ، وحينئذ نضطر للمفاوضة ، فالاحرى بنا والحالة ما ذكر ان نعمد الى مفاوضة فرنسا مباشرة بغية كسب الوقت ، وان نجعل المباحثات تشمل جميع الشؤون المالية والاقتصادية المعلّقة بيننا وبينها ، فينتج عن ذلك كله استعادة تغطية عملتنا التي هي دَين لنا على فرنسا ، على مُهَل معينة .

واقتنعت الحكومة بهذه المشورة المرتكزة الى المنطق ، والى سوابق عديدة ، وقررت العمل بها . وتلقى الخبير المسيو ڤان زيلند ، وهو في لبنان ، دعوة الحكومة السورية لمشاورته بالامر عينه فلبّاها ومكث في دمشق بضعة ايام وردّد على مسامع وزير المال السوري ما قاله لنا .

وفي ٣٠ من آب ١٩٤٧ ابلغت حكومة باريس بصورة رسمية الحكومتين اللبنانية والسورية نقض الاتفاق المالي، فأجاب كلٌّ منا على الفور باننا نتحفّظ اشد التحفظ من هذا النقض الذي لفظه فريق واحد . ولم تمانع الحكومتان بالمفاوضة لتصفية الاتفاق ، وعلى اثر ردّنا المتفق عليه

بين العاصمتين حضر وزير مال سورية الى عاليه وأعلم زميله اللبناني ان حكومته ستكلف خالد العظم وزيرها المفوض في باريس ان يفاوض باسمها، فجمعنا مجلس الوزراء وعهد المجلس الى حميد فرنجيه وزير الخارجية ان يفاوض عنا .

في ٩ من ايلول سافر حميد الى باريس وطالت المفاوضات اكثر من خمسة اشهر بين مدّ وجزر حتى عيل صبرنا وصبر مندوبنا ، وكادت تنقطع غير مرة لولا طول اناتنا وعزمنا على الخروج منها على احسن حال .

بدء المفاوضات :

ابتدأت المفاوضات في منتصف ايلول، وكانت العقبة الاولى مصارفات جيوش الاحتلال . وقد طالبت فرنسا بها وقدّرتها بالملايين ، اما نحن فرفضنا مبدئياً البحث في هذا المطلب ، وتوقف كل حديث . ثم اعيدت المفاوضات على اسس سليمة ، فاختلفت وجهة نظر مندوبنا مع وجهة نظر المندوب السوري . ورجعنا بالموضوع فعقدنا في بيروت جلسة حضرها رياض الصلح وجميل مردم ووافقنا جميعاً على رأي حميد فرنجيه وأرسلنا برقية مشتركة للمفاوضين للتقيد به .

وتتابعت المباحثات بصورة فنية حتى بلغت نقطتها النهائية التي تحتم الجواب بالقبول او بالرفض يوم قررنا السفر الى العراق في آخر تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ .

ولما عرّجنا على دمشق في طريقنا الى بغداد عقدنا اجتماعاً مع الرئيس السوري ووزرائه وفوّضنا اليهم ان يضعوا الخطة النهائية لاكمال الابحاث مع الفرنسيين بالاتفاق مع المسيو بيسون مدير بنك الاصدار الموجود في بيروت ريثما نعود من زيارتنا الرسمية ، وكان الرجل قد

اعتنق وجهة نظرنا في سير المفاوضات ، فدُعي الى دمشق ووضعت معه الحكومة السورية مخططاً بالنقاط الاساسية التي يجب ان يبنى عليها الاتفاق . ولما عدنا من بغداد وعرّجنا على دمشق ثانية اختلينا بالرئيس السوري ورئيس وزارته وتسلّمنا منهما المخطّط ودرسناه في بيروت ووافقنا بدَورنا عليه ، فحمله مدير بنك الاصدار وسافر الى باريس ليعود الينا بمشروع اتفاق نهائي توقّع عليه الحكومتان . وبعد مدة تسلّمنا المشروع المنتظر وتوالى اجتماع الوزراء اللبنانيين والسوريين في دمشق وبيروت وشتورة ، ولكن بدون جدوى بسبب حيرة وتردّد عند اخواننا . وصارت اجتماعاتنا غير مُجدية، وكان ان ابطأنا في جواب حاسم لباريس حتى ابلغتنا حكومتها بواسطة مندوبنا انه اذا انقضى شهر كانون الثاني دون ان يوقّع على الاتفاق فهي تَعدّ نفسها في حلّ من جميع تعهداتها السابقة .

سقوط الفرنك وحماية نقدنا :

وفي ليل ٢٤/٢٥ كانون الثاني فوجئنا بسقوط الفرنك سقوطاً يساوي ٤٥ بالمائة من قيمته، فطلبنا المسيو بيسون مدير بنك الاصدار وقضينا الليل بكامله نقلب الحلول على جميع وجوهها لعلّ عملتنا لا تنهار، ولعلنا نصون ثروتنا ونتجنب كارثة مالية مخيفة ، فتكلّل سعينا بالنجاح . وأصدرت الحكومة الفرنسية جدولاً بمعادلات قيم الفرنك بالنسبة للعملة الاجنبية حدّدت فيه قيمة ليرتنا بمبلغ ٣/٩٨ فرنكاً، اي بدون تخفيض في قيمة نقدنا ، فأذعنا على الفور بياناً بذلك وحصرنا شراء الفرنك ببنك الاصدار منعاً للمضاربة به ، وضمنا بهذا التدبير ضماناً موقتاً مناعة عملتنا وارجعنا الطمأنينة الى الاسواق ، وأيقنا ان عدم التوقيع على الاتفاق المعروض علينا إنْ هو الا مجازفة خطرة تهددنا كل يوم .

وفي ٢٦ من كانون الثاني وصل الى بيروت رئيس الوزارة السورية وزميلاه

وزير المال ووزير الاقتصاد واتصلوا بسرعة باعضاء الحكومة اللبنانيـــة وعقدنا اجتماعاً في قصر الرئاسة فأقرّ السوريون التدابير التي اتخذناها لتثبيت عملتنا (١) ثم تناول البحث مشروع الاتفاق المالي بمجموعه فصار اخواننا السوريون كلما قفلنا باباً في المناقشة فتحوا باباً جديداً، الى ان انحصر الخلاف بنقطتين لا ثالثة لهما : (١) المادة السابعة من المشروع، وقد رآها اخواننا انها لم تقرر التصفية النهائية بل جعلت هذه التصفية تابعة لمشاورات تجري فيما بعد ، واما النقطة الاخرى فهي المادة ٢٢ ، وهي تنص على احترام حقوق الشركات الفرنسية القائمة وذات الامتياز ، فقال الجانب السوري بفصل هذه المادة عن صلب الاتفاق وبان يوضع بها كتاب يلحق بالاتفاق كجزء متمم له .

واستؤنف الاجتماع في السابع والعشرين من الشهر باكراً ودعونا المسيو بيسون ووضعنا بالاتفاق معه تعديلاً للمادة السابعة وصورة كتاب يقوم مقام المادة الـ ٢٢ الآنفة الذكر ، فحواه ان نظام جميع الشركات المذكورة يجب ان يعدّل لينسجم مع الوضع الاستقلالي الجديد ويعرض التعديل على المجلسين النيابيين في كلٍّ من الجمهوريتين لإقراره ، وقبل رئيس الوزارة السورية وزميلاه هذا النص بحروفه .

وألحّ عليَّ جميل مردم بك ان اعقد اجتماعاً مع فخامة الرئيس السوري واركان الحكومتين في شتورة لاعطاء التعليمات الى مندوبنا للتوقيع على الاتفاق المعروض علينا ، فرحّبتُ بطلبه وقلت : لا بأس ان يكون اللقاء في اليوم الثاني ، فتشبّث جميل بك بان يتم الاجتماع بعد ظهر هذا اليوم عينه لضرورة البت بالامر دون تأخير ، وأكّد عليَّ ان لا نفارق

(١) — قلنا انها تدابير موقتة تنتهي في ٣١ من كانون الثاني — اي بعد اربعة ايام — وان لم نوقع خلال هذه الايام الاربعة على الاتفاق المعروض علينا لحقت عملتنا بالفرنك الهابط ووقعت الكارثة الماليـــة المخيفة التي تجنبناها وبذلنا المستحيل لاقصائها عن لبنان .

شكري بك القوتلي إلا بعد موافقته على التوقيع على الاتفاق . فاتصلت بالرئيس السوري بالهاتف الخاص وقرّرنا عقد اتفاق مستعجل بعد الظهر . وكنت متفائلاً جداً بحسن النتيجة لاقتناعي التام بصحة موقفنا، مع علمي بورود برقية سرية من خالد العظم من باريس يشير فيها على حكومته بعدم التوقيع على الاتفاق .

ذهبنا الى شتورة واستصحبنا نسيبنا ميشال شيحا ليدلي بحججه الفنية امام الرئيس السوري . وكان نسيبنا يفضّل الاعتذار لولا إلحاح رياض الصلح عليه بوجوب صحبتنا لاجل الخدمة العامة . وكذلك طلبنا مـن المسيو بيسون ان يلحق بنا الى فندق مسابكي فقد يحتاج الرئيسان الى استيضاحه بعض النقاط الغامضة .

والتأم الشمل في شتورة في الساعة الرابعة وطالت الجلسة ثلاث ساعات متوالية استمعنا فيها الى آراء الجميع ، واستوضحنا المسيو بيسون كل ما خُيّل الينا انه غير جلي وغير واضح ، وعدّلنا المادة السابعة المعترض عليها، لتكون التصفية نهائية فلا تجري مشاورة في نهاية العشر السنوات التي تلي التوقيع على الاتفاق ، وقرأنا نص الكتاب المرسَل الى حكومة باريس ليقوم مقام المادة الـ ٢٢ المتعلقة بالشركات الفرنسية ذات الامتياز، وكدنا نصل الى اتفاق نهائي، وجميل مردم بك يُلحّ عليَّ بان لا افارق الرئيس السوري قبل موافقته على التوقيع على الاتفاق . وكان « آخر ما حرّر » ان فخامة شكري بك طلب النص الجديد للمادة السابعة ونص الكتاب الخاص بالشركات واستمهلنا ريثما يستشير ارباب التجارة والصناعة في دمشق، فودّعناه ووزراءه وعدنا متفائلين الى لبنان والثلوج تتساقط على ضهر البيدر والعواصف تهبّ من كل جانب ، وأوشكت الطريق ان تنقطع بنا ، فبلغنا بيروت في الساعة التاسعة مساء .

وفي صبيحة اليوم الثاني أُنبئنا بان الحالة في دمشق معتكرة لان

الذين استشارتهم الحكومة من رجال الاعمال لم ينصحوا لها بالتوقيع على الاتفاق المالي، فدعونا اصحاب الاعمال عندنا، ودعونا معهم النواب السنّيين الى قصر الرئاسة وشرحنا لهم الموقف وقلنا بكل صراحة للمجتمعين : ان التوقيع على الاتفاق سوف يؤدّي الى الانفصال الجمركي مع سورية . وقد أكّدنا لهم ذلك ليكونوا على بيّنة من امرهم وليشاركونا في حمل التبعة، فأيّدت الاكثرية الساحقة (ان لم نقل الإجماع) وجوب التوقيع . وكان رئيس الوزارة قد دعا ليل الجمعة في ٣٠ من كانون الثاني اللجنة المالية البرلمانية وسألها رأيها في الموضوع فوافقت على التوقيع ولم يخالف من اعضائها سوى سامي الصلح وكمال جنبلاط ، دون الإدلاء باسباب مقنعة .

ويوم السبت في ٣١ من كانون الثاني صباحاً تلفن لي صديقي رئيس الجمهورية السورية ليعرف ما جرى عندنا فأفدته الواقع ، فاقترح اجتماعاً جديداً في شتورة على ان يرافق كلاً منا رئيس وزارته فلبّينا الطلب وعقدنا الاجتماع المقترح طوال ساعتين كاملتين دون ان يسفر البحث عن شيء . وكنت مع رياض مالكين اعصابنا ولكن الرئيسَين السوريين اظهرا حدّة في المناقشة لم نعرفها فيهما من قبل ، وذلك عندما قطعا كل امل باقناعنا برفض الاتفاق ، ولوّحا باتخاذ تدابير قسرية اقتصادية تجاه لبنان، ومن جملتها القطيعة ، فأفهمناهما بكل لطف ان مثل هذا التلويح لا يُجدي وانه لا يمكننا رفض الاتفاق بعد ان عدّلناه برضا السوريين انفسهم . وأوجز رياض الصلح الوضع بقوله : « لا يمكن للرئيس ان يرفض الاتفاق، ولا استطيع بصورة من الصور ان انفصل عن الرئيس».

عدنا الى بيروت متأثرين جداً مما آلت اليه الحالة ، ونشهد الله انه لم يَبْدُ خطأ منا . وأبرقنا الى حميد فرنجيه نجيز له التوقيع على الاتفاق المالي بالانفراد عن المفاوض السوري .

حملة على لبنان :

وما ان تمّ التوقيع في باريس حتى شَنّ جميل مردم بك حملةً على لبنان وعلى رياض الصلح نفسه، وأخذت الصحف السورية تهاجمنا بعنف . فردّت صحفنا برصانة على تلك الحملة ، وأجاب رياض عليها بكل اعتدال وترفّع . . . اجاب اثناء اجتماع صحفي عقده في وزارة الخارجية ، وأجاب في الجلسة التي عقدها المجلس النيابي في ٤ من شباط للمناقشة بالاتفاق . وفي تلك الجلسة ختم رياض خطابه الرائع بالاحتكام الى الجامعة العربية ، فكان لكلامه صدى بعيد في جميع الاندية

لزمتُ الصمت اثناء الحملة ، وأراد شكري بك القوتلي ان يخفّف من حدّة تصريحات رئيس وزارته فأدلى بحديث نوّه فيه بأعمالي وأعمال رياض الصلح في سبيل الاستقلال والسيادة، إلا انه اردف سامحه الله بقوله انه يأمل من المجلس النيابي اللبناني ان لا يُبرم الاتفاق المذكور !

وما ان بدّلنا بالاوراق النقدية السورية المتداولة في لبنان اوراقاً لبنانية جديدة، كي نضمن جميع النقد اللبناني والسوري الذي يحمله اللبنانيون في يوم الاستبدال، حتى وردت انباء من باريس بأن حكومتها اعطت دمشق مهلة ستة ايام للتوقيع على الاتفاق المالي عينه ، فأحدث هذا النبأ بلبلة في الاسواق وذهب وفد من ارباب التجارة والصناعة في لبنان الى دمشق وكذلك حضر وفد مثله من دمشق الى بيروت ، ودعي خبيرون من مصر لإبداء رأيهم في الموضوع **واختلط الحابل بالنابل واشار هؤلاء برفض الاتفاق بعد التوقيع عليه عندما اعلنت سورية رفضه .**

ثبتنا على موقفنا وسعينا لتلبية رغبة الحكومة السورية حتى تتعهّد فرنسا بان التصفية المالية التي ذكرناها واقعة حكماً قبل سنتين من نهاية الاتفاق وبان لا لزوم لمفاوضات اخرى لاجراء تلك التصفية ، وقد لبّت باريس طلبنا ولكن اخواننا في دمشق ظلوا مصرّين على موقفهم

السلبي من الاتفاق !

اتفاق موقت مع سورية . تدخل الجامعة العربية :

على اثر تلك الاحداث المهمة انعقدت في القاهرة الدورة السابعة لمجلس الجامعة العربية فعيّنا رياض الصلح رئيساً للوفد اللبناني يرافقه احمد الاسعد وفيليب تقلا وحسين العويني وسامي الخوري وزيرنا المفوض في مصر وخليل ابو جوده وابرهيم عازار اعضاء في الوفد لاهمية الابحاث وفي مقدمتها بحث الاتفاق المالي . وأوفدت سورية رئيس وزارتها جميل مردم بك . وكان الامل ان التقاء رئيسَي وزارتَي لبنان وسورية حول مائدة واحدة يؤدّي الى حل يُرضي الفريقين .

ولما كانت سورية قد هدّدت بالقطيعة فقد اصبحنا ننتظر إلغاء الوَحدة الجمركية بين الجارَين الشقيقين، وصرت على اتصال دائم برياض لمعرفة اخباره مع جميل مردم بعد ان « دقّا بينهما عطرَ مِنشَم » ، على حدّ قول الشاعر .

وفجأة انبأني رياض من القاهرة بأنه وقّع مع زميله السوري على اتفاق موقت يُبقي القديم على قدمه في علائقنا الاقتصادية حتى الاول من نيسان . وبعث رئيسا الوزارتين بنص الاتفاق الى بيروت ودمشق ليذاع في آن واحد . وجمعت مجلس الوزراء على الفور وعرضت عليه الاتفاق الموقت فأقرّه وهممنا بارساله الى النشر، واذا شكري بك يتصل بي هاتفياً ويستمهلني فيه ريثما يصل رسوله (١) الي . وانتظرت الرسول وقد جاء بالطائرة فعرض عليّ رأي الرئيس السوري بان ينفّذ اتفاق رياض الصلح جميل مردم دون نشره حرفياً ، وبأن يُكتفى ببيان مشترك بمعناه ، ونزلنا على رغبة فخامة الرئيس ، ولكن صحف مصر ولبنان نشرت نصه كاملاً في اليوم الثاني .

(١) – هو المرحوم محسن البرازي وزير الداخلية .

وضعنا مع محسن البرازي صيغة البيان المشترك، ثم أسرّ اليّ الوزير السوري برسالة خاصة من شكري بك معرباً فيها عن امله بعدم إقرار الاتفاق المالي في المجلس النيابي، فأجبت الرسول : « لا شيء يجيز لي ان اعطيكم وعداً او شبه وعد بذلك . والواقع انه لم يحدث جديد يوجب رجوعنا عن امر نحن متأكدون من انه ينفع بلدنا ، وان لدينا وسائل عديدة تُبقي على حسن العلائق بين سوريا ولبنان وإن تفاوت النقد فيهما » .

عاد وفدنا من القاهرة وعُقد على الاثر اجتماع اللجنة السياسية للجامعة في بيروت وتوسّط عبد الرحمن عزّام بين السوريين وبيننا لحسم الخلاف فشرحت له الموقف بحضور حميد فرنجيه شرحاً جلياً وقلت له : « جل ما نقبل به ان يحال الاتفاق النقدي الى المجلس النيابي اللبناني ، وان ندعو في الوقت عينه ، وقبل إقراره ، خبيرين عالمين ليقولوا رأيهم فيه ، ونحن ننزل عند هذا الرأي، فسافر الى دمشق ولم يجبنا ، لا سلباً ولا ايجابياً ! وقد اعتذر فيما بعد بأن المرض اقعده فلم يتابع الوساطة ! وكان موقفه تجاهنا موجباً للاسف ...

تجاه تلك القيامة التي قامت علينا بسبب ما جرى شعرت ببعض التردّد عند رياض الصلح ، فقلت له بمزيد الصراحة انني تاركٌ له الوقت الكافي لمداواة الحالة الداخلية حرصاً على وَحدة الصفوف ، ولكنه لا يجوز لنا ان نفكر دقيقة واحدة بالرجوع عن الاتفاق ، شارحاً له نتائج هذا التراجع من الوجهتين السياسية والاقتصادية . وهذا الموقف الصريح اتخذته مع جميل مردم بك وحسن جبّاره الخبير السوري بشؤون المال ورئيس وفد دمشق للمصالح المشتركة بين الجمهوريتين .

تحرج الحالة الداخلية في لبنان :

والمؤسف ان الحالة الداخلية في لبنان تحرّجت من تدخّل السوريين في اوساطنا الاقتصادية ، وانقسم العرب عربين ، ونسيت الناس الاتفاق

المالي ومضمونه ، وصار السنّيون يعاكسونه لانه عُقد مع فرنسا ولان سورية لم تقبل به ، وأيّده المسيحيون لانه عقد مع فرنسا ورفضته سورية ! ولم انظر الى الامر إلا من وجهة لبنانية بحت . ولم يكن ثباتي في مثل هذا الموقف من الهِنات الهيّنات، ولكن كان يجانبي رجل مَرِن يداوي الحالة بكثير من الصبر والدهاء ، رحمات الله على رياض !

وفي ٢ من نيسان وقّع رياض الصلح وجميل مردم بك على مدّ اجل الاتفاق الموقت حتى الخامس عشر من نوار ، وانتهزا هذه المناسبة فأقرّا فصل رقابة السكك الحديدية وادارة حصر الدخان المشتركة . وكان لهذا التمديد اثره الطيب في الاسواق التجارية .

ثم بلغنا ان ڤان زيلند الخبير الدولي مدعو الى مصر لمشاورته بشؤون مالية فانتهزنا الفرصة ودعوناه الى بيروت، فلبّى ووصل اليها في ١٦ من نيسان واطلع على الاتفاق المالي بجميع نصوصه وملاحقه ، وأفسحتُ له المجال كي يتصل بمعارضي الاتفاق ومؤيديه لمباحثتهم في الامر . ودعاه رئيس الجمهورية السورية الى دمشق فاجتمع به بحضور الوزراء ساعات طويلة .

ولما عاد ڤان زيلند الى بيروت باح لي برأيه قال :

« انني مقتنع بصلاح الاتفاق، ولكن من الافضل تعديل بعض بنوده في المستقبل لتحسينه اذا امكن، وقد اعلنت رأيي هذا بصراحة لمعارضيه ولا اجزم بانني اقنعتهم ، كما اني اعلنته في دمشق للرئيس السوري وحكومته فاسترعى انتباههما ، وقد اقتنعا بان لبنان لم يأتِ عملاً شاذاً بتوقيعه على الاتفاق . وهذا الاقتناع امر مهم في نظري . وعلى الرغم من ذلك كله لا يمكنني الجزم بان سورية ستوقع على الاتفاق » .

قال الخبير هذا ، ثم وعدني مؤكداً بانه فور عودته الى بلجيكا سيضع لنا تقريراً مستفيضاً بالتعديلات التي اقترحها لتحسين الاتفاق . وطلبنا منه ان يجتمع قبل سفره بالمسيو بيسون مدير بنك الإصدار ليطلعه على

مجمل التعديلات المقترحة ليسعى المدير بدوره بالتمهيد لهــا في باريس . وقد اجتمعا . وسافر المدير الى باريس في ٢٥ من نيسان وهو يأمل بأن فرنسا ستقرّ الاتفاق بذيــل يجلي الغوامض على ما اشار اليه ڤان زيلند .

وساطة الدول العربية :

شاع ان الدول العربية توسّطت بأمر الخلاف بين سورية ولبنان . والواقع ان جلالة الملك عبد العزيز آل السعود ارسل برقية اليّ والى شكري بك متمنياً على كلّ منا عــدم قطع العلائق الاقتصادية بيننا ، وأضاف جلالته انه سيسعى لدى الدول العربية لان تضمن النقدين . فرحبّت بوساطته واجبته برقياً باننا نتريّث باقرار الاتفاق حتى يأتينا عرض عملي بهذا الشأن . وقد لفتُّ نظر رياض الصلح الى ان مثل هذا الضمان لا يتيسّر لان الدول العربية تعجز عن تجميد مبالغ جسيمة للتغطية المطلوبة ، وكذلك لا يوافق لبنان وهو الدائن لفرنسا ان يصبح مديوناً للدول العربية بينما تحتفظ فرنسا بدَيننا المتوجب لنا عليها .

وأرسل ملك مصر كريم ثابت الى لبنان وسورية وسيطاً من قبله، فزار اولاً دمشق ثم جاء الى بيروت وأظهر لي استعداد الملك لعقد اجتماع مصري لبناني سوري في القاهرة لاعادة المياه الى مجاريها ، وأطلعته على وجهة نظري وعلى وساطة الملك عبد العزيز ، وأضفت ان الاجتماع المنوي عقده يستوجب تمهيداً فنياً حتى لا يُمنى بالفشل ، ولا سيما ان القضية قضية ارقام وليست قضية عواطف . وعاد الرسول ممتناً من الاستقبال الذي خصصته به ومن مصارحتي له بالحقيقة .

وكان رؤساء وفود الدول العربية قد دُعوا الى الاجتماع في القاهرة في ١٠ من نيسان فتحوّل مركز المفاوضات الى هناك حتى في مسألة النقد . وبحثت هذه المسألة فعلاً قبل ان تتحرج الحالة في فلسطين ،

فاستقبل الملك فاروق رياض الصلح وجميل مردم وباحثهما بالصدد المذكور . واستقبل محمود فهمي النقراشي رئيس الحكومة المصرية حميد فرنجيه بحضور خبيرين ماليين مصريين لبحث العلائق بين لبنان وسورية . وهذا ابرز ما كان في الموضوع .

المجلس النيابي يقر الاتفاق :

ان الثبات في موقفنا، والتأني اللازم لمداواة الحالة الداخلية، والاستعانة برأي خبير عالمي كالمسيو ڤان زيلند اوصلتنا ، بعد عناء ، الى إقرار الاتفاق . وكذلك كان لدينا اكثر من وسيلة لحفظ علائق حسنة بسورية وهو الامر الذي كنا نرغب فيه بكل قوانا . واذا اسفنا لشيء فلتصلّب حكومة دمشق معنا، وقد بدا في موقفها هذا الكثير من قلّة الانصاف ومن ضيق الافق ، في حين اننا اردناه واسعاً متمادي الاطراف ، متين الاساس، بعيد الاهداف .

بذلك الثبات الصامت ، دون اي تبجّح ولا مباهاة ، هدّأنا رَوع البلد واستطعنا ان نحافظ على وَحدة الصفوف ، وان نجتاز مرحلة الخطر من تطوّر تلك الازمة .

دعونا المجلس النيابي الى دورة استثنائية لبحث اتفاق النقد واقراره، وشفعنا المشروع بفذلكة الاسباب الموجبة ، وبالتعديلات التي أُدخلت عليه وحسّنته وقد قبلتها الحكومة الفرنسية وفقاً لرأي الخبير المسيو ڤان زيلند .

وقعت الجلسة في ٣٠ من آب وتلي فيها قرار اللجنة المالية وهو يؤيّد ضرورة الموافقة على الاتفاق [١] وكانت المناقشة واسعة وعنيفة ،

(١) — وضع هذا التقرير بهيج تقي الدين مقرر اللجنة . راجع : محاضر جلسات المجلس النيابي سنة ١٩٤٨، ص ٩٧٤ وما يليها . وقسم الوثائق

ووقف الحاج حسين العويني وزير المال وأشار الى مساوىء في مشروع الاتفاق ، ولكنه اعلن انه لم يمكن الوصول الى احسن مما وصل اليه المفاوض اللبناني، وانه (اي الحاج حسين) سواءً اكان نائباً ام وزيراً فلا يسعه إلا إقراره . وتولّى الدفاع عن الاتفاق حميد فرنجيه وزير الخارجية وهو المندوب الذي وقّع عليه باسم لبنان . وممن طلبوا ردّ الاتفاق سامي الصلح وكميل شمعون [١] واتّسمت معارضة شمعون بطابع شخصي استهدف المفاوض اللبناني . وبعد النقاش الطويل أقرّ المجلس الاتفاق باكثرية ساحقة ضمّت نواباً محمديين ومسيحيين، كما عارضه نواب من الفئتين ، وهم اقلية ضئيلة . فحمدنا الله على هذه النتيجة الحسنة التي وصلنا اليها، بعد ان كادت البلاد تنشقّ الى معسكرين على الصعيد الطائفي الذميم .

ولم تحصل القطيعة مع سورية .

سياستنا الاقتصادية على اساس الحرية التامة :

بعد ان عقدنا الاتفاق المالي المذكور وصُفّيت حسابات لبنان مع الخزينة الفرنسية ، وأصبحنا أُولي امرنا في نقدنا ومقدّراتنا المالية ، عمدنا الى اتباع سياسة اقتصادية حرة في التبادل التجاري ، كما اعتمدنا مبدأ حرية التعامل بالذهب، ورفع القيود تباعاً عن التعامل بالنقد النادر، وإلغاء جميع التدابير التي أوجبها مكتب القطع ، وهكذا حتى بلغنا الى إلغاء هذا المكتب ، فأصبح تجارنا ومصارفنا يعملون دون اي قيد ، وفي حرية تامة ، بما يصل الى ايديهم من نقد اجنبي .

وهذه السياسة التي اطلقت حرية الاقتصاد ، واستمر عليها العهد دون اي تردد ، كانت في رأي الناس عامة سبباً اساسياً للازدهار والانتعاش اللذين غمرا لبنان ، وجعلا منه سوقاً عالمية للتبادل الاقتصادي وتوظيف الرأسمال العربي والاجنبي .

(١) — كان كميل شمعون وزيراً في الحكومة التي اطلعت على مشروع الاتفاق في ٢٤ من كانون الثاني ١٩٤٨ ، وفوضت مندوبها الى باريس بالتوقيع عليه !

فلسطين

اجتماع الجامعة في لبنان :

في ٢١ من آذار عقد مجلس الجامعة العربية اجتماعاته في لبنان للبحث بشؤون الساعة ، وفي مقدمتها قضية فلسطين . وقد وجّهتُ للوفود العربية رسالة ايّدتُ فيها موقف العرب وقلت لهم ان مستقبلهم رهن جهادهم وتضحياتهم . واشرت الى الانباء المؤذنة بخذلان مشروع التقسيم بالكلمة التالية :

« ان هذه الانباء التي نزلت كقطر الندى على قلوب ظمأى الى العدل والحرية والانصاف يجب ان لا تثنينا عن المضي في جهادنا الى ان يتاح لنا باذن الله الفوز بامنيتنا كاملة ، فنساهم احراراً في توطيد اركان السلم والحضارة العالمية ... وان لبنان ليفتخر باجتماع ممثلي الدول العربية الكرام في ربوعه في هذه الساعة الحاسمة من تاريخ بلادها ، ساعة تلوح لنا فيها بوادر الظفر . وانه ليبتهج مع الدول الشقيقة بان تأتي هذه البوادر يوم تحتفل بذكرى انشاء جامعتها ... الخ »

لم تكن الآمال قد منيت بعد بفشل ذريع .

سبق اجتماعَ بيروت اجتماعُ اللجنة السياسية للجامعة العربية في

القاهرة حيث مثّلنا رياض الصلح وحميد فرنجيه وانضم اليهما كميل شمعون عائداً من اميركا بطريق لوندرة . دارت الابحاث هناك حول انتهاء الانتداب الانكليزي، وحول الهدنة بين عرب فلسطين والصهيونيين وقد ابتدأوا يقتتلون قبل نهاية الانتداب ، ولم تسفر المحادثات المذكورة عن شيء عملي بسبب تفرق كلمة دول الجامعة حتى وقعت كارثة حيفا بجلاء الانكليز فجأة عن المدينة وتركها نهباً للصهيونيين [1] ، فهاجم هؤلاء السكانَ العرب العزّل وأجلوهم عن بيوتهم وشرّدوهم ايدي سَبا . ووصل قسم كبير منهم الى لبنان وغصّت الشواطىء اللبنانية ولا سيما في صور وصيدا بين ليلة وضحاها بجمٍّ غفير من اللاجئين وهم في حالة يُرثى لها . وبلغني الخبر في ٢٥ من نيسان صباحاً فأسرعت الى زيارتهم بنفسي مستصحباً حسين العويني نائب بيروت اذ كان في القصر عند ورود الاخبار ، وقد آسيتهم وأعطيت الاوامر اللازمة لايوائهم وإعاشتهم ومدّهم بالمعونة السريعة .

لبنان يوالي نشاطه لاجل فلسطين :

بدأ لبنان ينفّذ دوره في الذود عن فلسطين قبل ان تقع الكارثة ويحل الخطب . وطار رياض الصلح من القاهرة الى عمان بينما كانت اللجنة السياسية للجامعة العربية مجتمعة هناك ، وقابل الملك عبدالله غير مرة ، مستحثاً همته للدفاع عن الارض المقدسة ، فألفى عنده بعض التردد والصدود... وباح له الملك بشؤون ونزعاتٍ ومواجدَ لا مجال لذكرها... وما لبث الوصيّ على العراق ان وافى رياضاً فاستعانه هذا على عمه، فأعانه . ولما اطمأن بالهما شعر رياض بفتور بين الوصي والملك فاروق، فأقنع الاميرَ عبد الاله بان يزور القاهرة فاقتنع ، ورافقه رياض في الطائرة التي اقلتّه الى مصر، وجرت مقابلة بين العاهل والامير العربيين عقبتها مقابلات ، وجمعت

(١) — انسحب الانكليز فجأة من حيفا ، بدون انذار ولا اعلام ، قبل عشرين يوماً من انتهاء انتدابهم ، وهو عمل مؤسف جداً ، جر الى فواجع خطيرة ...

بينهما الاهداف وشدّتهما الواحد الى الآخر يداً واحدة في سبيل الدفاع عن دار الانبياء .

وعاد رياض الى بيروت واقترح عليّ بلسانه ولسان جميل مردم بك ان ادعو الملك عبدالله والوصيّ عبدالاله والرئيس شكري القوتلي الى بيروت لغسل القلوب فاصطدم الاقتراح باعتذار شكري بك ، فاضطر رياض للعودة الى عمان بصحبة الوزير مجيد ارسلان لتهدئة خاطر الملك بعد ما بلغه امتناع الرئيس السوري .

اسفرت اتصالات رياض المتتابعة التي اجراها بالاتفاق معي في العواصم العربية عن تصميم العرب على القيام بعمل عسكري مشترك للذود عن فلسطين ، وكانوا ينتظرون انتهاء الانتداب في الخامس عشر من نوار ليزحفوا إليها . وبدأ طلاب الجامعات في بيروت التظاهرات الصاخبة والاضراب عن الطعام ، ظناً منهم ان الدول العربية متقاعسة عن نصرة القطر الشقيق، واتخذنا الاحتياطات لمنع الشغب، وأذعتُ نداء الى الشعب اللبناني اطمئنه فيه الى نيات تلك الدول . وعُلّق هــذا النداء على جدران المدينة وأذيع بالراديو غير مرة فساعد على تهدئة الخواطر .

وصادف وقوع عيد الفصح عند اليهود في تلك الفترة ووفاة الحاخام الاكبر، فتمّ القيام بالواجبين بصورة لم تستلفت الانظار لهياج الخواطر .

كان رياض الصلح يتصل بي من عمان اتصالاً مستمراً ليستطلع الحالة عندنا وليطلعني على سير محادثاته مع الملك عبدالله ، وكثيراً ما طلب مني ان احادث الملك شخصياً بموضوع فلسطين فكنت افعل وألاقي اذناً مصغية .

الى الرياض وبغداد :

عاد رياض من عمان وظهرت له ضرورة مباحثة الملك عبد العزيز آل سعود لاتمام الاستعداد العسكري، فاتفقنا على ان يسافر وجميل مردم

بك الى الرياض لاطلاع الملك السعودي على مجريات الامور والتأكد من إسداء معونته الفعّالة . وقد احسن الملك وفادتهما ووعدهما خيراً . ثم عرّجا على بغداد في عودتهما وقابلا الامير عبد الاله واركان الحكومة العراقية ، واتّضح لنا جميعاً ان الحكومات العربية كلها مستعدة لانقاذ فلسطين من براثن الصهيونيين . وكان للبنان والحمد لله سهم كبير في هذا كله ، ونشط رياض الصلح لولباً للحركة لا يهدأ ، والاتفاق بيننا تام على انتهاج هذه السياسة العربية، مما زاد في تعلقه بي وزادني محبة له وتقديراً لصفاتٍ فيه جعلت منه رجل دولة .

في تلك الفترة عرضت علينا حلول عديدة للقضية الفلسطينية ، تارة من الحكومة الاميركية وطوراً من الحكومة البريطانية ، وكان الوسيط وزير انكلترة المفوض ، حتى ضاعوا وحرنا في اي عرض هو النهائي ، مما دل على ارتباك شديد في هيئة الامم .

وبينما نحن في اشدّ الاطوار خطورة ، ورياض غـــائب عن بيروت ينتقل من عاصمة الى عاصمة ، عاد كميل شمعون وزير الداخلية من القاهرة ودعا الصحافيين الى مؤتمر في مكتبه بالسراية ، وأدلى اليهم ببيان قسا فيه على الدول العربية ! في حين انه وزير في حكومة متضامنةٍ ومتفاهمة مع تلك الدول في مكافحة الخطر الصهيوني ودسّ الاستعمار ، ولم يخلُ بيانه من نقد غير مباشر لسياسة رئيس وزارتنا ! وبَدَهي انه قام بهذا العمل دون استشارة احد ، وبصورة غير لائقة، متعدياً صلاحيته . ولم يفعل ما فعل الا تملقاً للرأي العام ... ولم نتمكن من معاتبته وتعنيفه لانه اصيب على اثر ذلك البيان بوعكة قوية اقعدته زمناً طويلاً .

وعاد رياض الصلح وجميل مردم بك من بغداد الى دمشق واتصلا بي واطلعاني على حقيقة الوضع ، واستشاراني في دعـــوة اللجنة السياسية للاجتماع في العاصمة السورية في ١١ من نوار ، فوافقت حالاً ، وكانت

مدينة صفد تسقط بيد الصهيونيين بعد سقوط حيفا ، وعدد اللاجئين الى لبنان يزداد يوماً بعد يوم .

ووصلنا الى اليوم المحتوم ، الخامس عشر من نوار ، فدخلت الجيوش العربية اراضي فلسطين ، وأخـذ جيشنا التعليمات اللازمة من قيادتنا العليا وسار نحو مراكزه المعينة في الحدود اللبنانية الفلسطينية . وبعثتُ اليه بهذا النداء :

« نداء فخامة رئيس الجمهورية والقائد الاعلى للجيش اللبناني :

« ايها الجنود البواسل

ندائي اليكم نداء الواجب وانتم سباقون الى تلبيته بكل مـا اعطيتم من اخلاص وتفان .

عيوننا ترقبكم وقلوبنا ترافقكم مذ دعيتم للمساهمة في انقاذ البلد المقدس فلسطين، مهبط الوحي والالهام، والعزيز على قلب كل فرد منكم ومنا .

صبرنا كثيراً واحتملنا كثيراً، وفتحنا على مصراعيه الاوسع باب المساهمة والمسالمة، فلم يقف كل ذلك في سبيل مطامع غير مشروعة، واعمال ينفر منها الضمير وتحكم عليها المبادىء الانسانية : فقد انتهكت الحرمات واستبيحت النفوس والمساكن والأموال وشرد من شرد واستشهد في القتال من سقط فيه صريعاً، فلم يعد بد من جهاد تتكلون على الله وعلى انفسكم وتبلون فيه بلاء حسناً حتى يستتب الحق في نصابه والعدل في ميزانه .

فسيروا على بركات الله تدفعكم عقيدة راسخة بحق يسعون الى هضمه وتريدون له احقاقاً، ومثل اعلى تستهدفونه وراحة تنشدونها لاخوانكم وسلام تنشرونه مخيماً على ربوع قهر فيها الخوف طمأنينة الآمنين .

سيروا فالجهاد خير باب لراسخي الايمان ودرعه الحصينة، ولترافق موكبكم ومواكب رفقائكم من جنود الدول العربية البواسل الوية النصر والظفر .

والله ساهر عليكم حارس لكم وعليه الاتكال .

بيروت القصر الجمهوري ، في ١٥ من نوار سنة ١٩٤٨

بشاره خليل الخوري »

اجتماع في درعا :

وكان القلق يسود النفوس والمستقبل يزداد غموضاً ، على الرغم من تحرك الجيوش العربية لاحتلال اجزاء من فلسطين .

وفي ١٩ من نوار، ليلاً ، اتصل بي شكري بك القوتلي بالهاتف الخاص ودعاني مع رياض الصلح للاجتماع به ، وبالملك عبدالله والوصي عبد الاله في درعا في اليوم الثاني ، فقبلتُ وبلغتُ الدعوة رياضاً ، وغادرنا بيروت في الصباح الباكر وكلٌ منا يُعلّق اكبر الآمال على هذا الاجتماع .

وصلنا الى الحدود السورية حيث استُقبلنا رسمياً وكان السيد احمد الشراباتي وزير الدفاع ممثلاً لرئيس الجمهورية فرافقني بسيارتي الى دمشق وهو قلق البال ككل واحد منا . ولم يُخفِ عني اخبار الجبهة غـير المرضية، فأسرّ إليّ بأن فرقة من الجيش السوري وقعت في كمين صهيوني وتكبّدت خسائر كبيرة .

كان شكري بك ينتظرنا في حديقة المعهد الزراعي في مدخل دمشق، فترجّلنا وصافحناه وركبتُ سيارته ووجهتنا درعا وكنا متأخرين عن الموعد قليلاً ، فأسرعنا نحو الحدود الاردنية وكان قد سبقنا اليها بدقائق الملك والوصي فاستقبلناهما بمزيـد الحفاوة معتذرين عن التأخير ورجعنا على اعقابنا الى سُرادق نصب في ظاهر درعا . وبعد المجاملات المعتادة والترحيب الودي الخالص ، خلونا جميعاً لاستعراض حالة الجبهة من جميع وجوهها، وظهر الملك مغتبطاً، فخوراً بأعمال الجيش الاردني، وباستعداده للقتال، وباحراجه الجيش الصهيوني ، فغمرتنا موجة مـن الامل وتناولنا الغداء . ثم اجتمعنا الى اركان حرب الجيوش العربية وفي مقدمتهم صبور بك وهو ضابط ارتباط الجيش المصري في الاردن ، وقد امتدح بدوره الجيش الاردني فزادنا حبوراً وحصل لنا بعض الاطمئنان . وودّعنا الملك والوصي ورجعنا الى دمشق ، فودّعنا شكري بك وتابعتُ مع

رياض طريق العودة ونحن نستعيد ما قيل في الاجتماع .

لم نكن متفائلين، على الرغم مما ذكرتُ، لعلمنا ان الملك عبدالله ليس حراً في تصرفه الحربي، ولان قيادة جيشه بيد غلوب باشا الانكليزي، فهل بامكان العرب ان يعتمدوا كل الاعتماد على تلك القيادة ؟ وليس في عمان وجود إلاّ للملك ولقائده، وليس للسلطات الاردنية رأي، ولا للصحافة أية حرية بالبحث والنقد . اما في لبنان فالحرية مطلقة، بل متطرفة ... ومطالبتنا بالدفاع عن فلسطين مستمرة كما يعرف الملأ ، فكان للشعب اللبناني ولمجلسه النيابي مواقفهما المشرّفة في هذا الصدد .

قام الجيش الاردني ببعض الاعمال الحربية الموفّقة في بادىء الامر ، وكذلك تقدّم الجيش المصري نحو غزّة وبئر السبع وأمّن اتصاله بمتطوعي اميرالالاي احمد عبد العزيز ونقيب المدفعية كمال الدين حسين ، كما اتصل بالفدائيّين الذين يقودهم فوزي القاوقجي في منطقة الجليل . وكانت الجيوش العربية من مصرية واردنية وعراقية وسورية تحتل مدينة القدس القديمة ورام الله والاترون ونابلس واريحا وبيت لحم وبيت جبرين والفالوجة وغزة . واخذ الجيش اللبناني مركزه الدفاعي على حدودنا المحصنة . اما الجيش السعودي فحال بعد المسافة دون اشتراكه بهذه الاعمال التي تمّت في وقت قصير بعد الخامس عشر من نوار .

في ذلك الوقت لم نكن مطلعين على عدم استعداد الجيوش العربية من حيث العدد الحديثة والتنظيم ، وكذلك كنا نجهل قوات العصابات الصهيونية المنظمة وعدد الآليّات ووفرة الذخائر لديها والمخطط الحربي الذي وضعته لاحتلال فلسطين بكاملها .

هدنة موقتة . اجتماع اللجنة السياسية في عاليه :

وبقيت الحالة على هذا المنوال الى ان عرضت الهدنة الاولى في ١١ من حزيران لمدة اربعة اسابيع .

اجتمعت اللجنة السياسية للجامعة العربية في القاهرة وقبلت بالهدنة المقترحة، وتولّى الكونت برنادوت المراقب الدولي ملاحظة تنفيذها .

ثم خرق الصهيونيون هذه الهدنة غير مرة لتحسين مراكزهم العسكرية والتقدم في بعض الجهات لتقويم خطوط احتلالهم . ووضعت هيئة الامم يدها على القضية الفلسطينية ولم يكن الدور الذي قامت به الا إساءةً للعرب .

راح برنادوت في فترة الهدنة يُعدّ مقترحاته لحل القضية فجاءت لنفع الصهيونية بسبب عوامل سياسية ثبت ان للولايات المتحدة وبريطانية اليد الطولى فيها . ولا غرو ان تكون مثل تلك الحلول المقترحة قد خيّبت آمال العرب فرفضوها . وقد طلب برنادوت تمديد الهدنة عشرة ايام اخرى ليتسنّى له مراجعة مجلس الامن في لك سكسس فردّ العربُ طلبه . واستؤنف القتال فعلاً في الثامن من تموز والعرب اقل قوة منهم يوم قبلوا الهدنة .

سافر برنادوت الى اميركا وعرض المسألة على مجلس الامن واتخذ المجلس قراراً بوقف القتال تحت طائلة العقوبات الاقتصادية . ولعبت السياسة الدولية دورها المُخزي بالضغط على الدول العربية ضغطاً شديداً لقبول الهدنة مهما كلف الامر . واجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في عاليه في الرابع عشر من تموز . وفي السادس عشر منه وصل فجأة الى المطار الامير عبد الاله فذهب رئيس الوزارة لاستقباله وانتظرته في مدخل عاليه في بيت الوزير مجيد ارسلان ووصل موكبه وترجّل ، فاحتفيتُ بمقدمه وركبنا السيارة الى مقرّنا في عاليه ونزل ضيفاً عليّ . وأخذ قسطاً من الراحة، ثم خلونا ، ومعنا رياض ، لتبادل الآراء ففهمت منه ان الجيوش الاردنية متلكئة عن القتال، **وانها تتأخر عن عمد بنجدة الجيوش العربية دون استثناء** . . . ثم استقبل الوصي ممثلي الدول العربية في اللجنة السياسية . وأقمت على شرفه مأدبة عشاء وقضينا السهرة في حديث كله شجون ... وبات ليلته في مقرّنا وسافر في اليوم الثاني صباحاً

فرافقته الى المطار مودّعاً، وانا في غاية الالم والانقباض مما سمعته منه ...

وما ان غادر بيروت حتى اتصلتُ بالرئيس السوري لانبئه بما جرى فاسرع الى مقرّنا ووصل ظهراً . فخلوت بـه طويلاً وافضيت اليه بالمعلومات التي اتصلت بي من الوصي ، بينما كان اعضاء اللجنة السياسية مجتمعين في بيت عمر الداعوق في عاليه . وقد ذاعت شائعات ملأت الارض بسرعة البرق ان اقتراح وقف القتال قد ُقبل، في حين ان اللجنة لم تتخذ بَعدُ اي قرار في الموضوع . فدعونا رياض الصلح وجميل مردم بك من قاعة الاجتماع ، فأسرعا الينا وعرفنا منهما ان اللجنة السياسية تميل في بحثها الى قبول الهدنة، لاسباب لم تعد خافية على احد ... فأسفنا اسفاً شديداً، وروّعنا الواقع الرهيب ، ولكن لم يكن لدينا حيلة .

ودّعني الرئيس السوري والدمعة في عيني كلٍّ منا . واستقبلتُ في المساء وفود الدول العربية المدعوّين للعشاء في مقر الرئاسة . انتهزت الفرصة وخلوتُ بمحمود فهمي النقراشي ليطلعني على آخر المعلومات التي وصلت اليه من مصر فلم يكتمني الامر ، ولم يَخفِ عني ما سيكون موقفه الايجابي من قبول الهدنة ، وقال لي : ان جيش الملك عبدالله قد وقف القتال فعلاً ، وان النجدات العراقية تأخّرت ولن تستطيع في حالة وصولها ان تملأ فراغ الجيش الاردني ، وان الملك ابن السعود حال ويحول بُعدُ المسافة دون دخوله المعركة في وقت قريب ، وان مصر تعجز عن ان تتحمل وحدها عبء القتال الثقيل في فلسطين، فكيف بسورية ولبنان ؟

فأيقنتُ ، بعد هذا ، ان لا بدّ من وقف القتال، ويا للأسف !

وكانت المهلة المضروبة لجواب الدول العربية يوم الاحد في ١٨ من تموز الساعة الخامسة مساء على توقيتنا . وثابرت اللجنة السياسية على اجتماعها طوال ليلة السبت ونهار الاحد ، وأصدرت قرارها بقبول وقف

القتال قبل الموعد المضروب بدقائق ، ونفس كل فردٍ من اعضائها تذوق المرّ من العذاب !

انتهى الفصل الاول من مأساة فلسطين وحالة العرب اسوأ دولياً وعسكرياً منها يوم محاولة العرب إنقاذ فلسطين ، فلا حول ولا ...

لقد أدّى لبنان ، رئيساً وحكومة وشعباً ، واجبه على اتمّ ما يرام ، وله ان يرتاح منه الضمير لحسن سعيه وقيامه بواجبه في شتى ميادين العمل في سبيل القضية الفلسطينية التي جعلها قضيته الاولى ، وقد أعلن هذا القول عبد الرحمن عزام امين الجامعة امام الوفود العربية المجتمعة في بيتنا بعاليه ، فأقرّته الوفود على إنصافه ، وأيّدته في ما قال . وكان محمود فهمي النقراشي رئيس الوزارة المصرية اول المؤيّدين .

بعض ذيول الهدنة :

قوبل قرار اللجنة السياسية باستياء شامل في البلدان العربية وتظاهرات الجماهير صاخبة في كثير منها . اما في لبنان فقد شاء بعضهم ان يخلق جواً من الاضطراب ولكن التدابير الحكيمة التي اتخذتها الحكومة حالت دون اي شغب ، واقتصرت المعارضة على استجوابين في المجلس النيابي ، احدهما بامضاء كميل شمعون والآخر بتوقيع بهيج تقي الدين .

ومكث عبد الرحمن عزام في جبالنا بضعة ايام بعد ارفضاض اجتماع اللجنة ، وحضر المجالس المتوالية التي دعوت اليها رياض الصلح وحميد فرنجيه في عاليه لتداول الوضع الجديد بيننا ، وكان قد صار من الواضح ان ما أرغم الدولَ العربية على قبول الهدنة سببان : اولهما الموقف الدولي العدائي ضد العرب ومردّه الى الدعاية الصهيونية المترامية الاطراف والمتشعّبة في شتى الميادين ، وثانيهما الوضع العسكري السيّء عتاداً وتدريباً ، أضف اليهما فقدان الانسجام بين الدول العربية وتضارب الاهداف وعدم توحيد القيادة ، حتى صدق فينا قول الإمام علي :

« فيا عجباً – والله – يميت القلب ، ويجلب الهم ، اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم ، وتفرقكم عن حقكم . فقبحاً لكم وترحاً ، حين صرتم غرضاً يرمى : يغار عليكم ولا تغيرون ، وتغزون ولا تغزون ... وما غزي قوم في عقر دارهم الا ذلوا . فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت الغارات عليكم وملكت عليكم الاوطان ... » (١)

وبعد ذلك التداول أخذ الامين العام على نفسه توجيه الجامعة نحو تحسين الحالة العسكرية اثناء فترة الهدنة، وطلب الينا ان نعاونه على إنشاء مكتب للدعاية في اوربة، وقرّ رأينا على دعوة شارل حلو وزيرنا المفوض لدى الكرسي الرسولي لتوسيع الدعاية لقضية فلسطين في فرنسا وايطالية واسبانية قبل ان تنعقد في ايلول الدورة العادية لهيئة الامم . وقبل شارل حلو المهمة وأخذ يُعدّ لها العدّة . ورأينا ان ينضم اليه محيي الدين النصولي صاحب جريدة « بيروت » وقبل هو بدوره المهمة وصرف كلٌّ منهما جهده لوضع مخطط للدعاية بالاتفاق مع امين سر الجامعة ريثما يسافران الى باريس قاعدة عملهما . وخصّصت الجامعة العربية الاعتمادات اللازمة لهذا العمل الواسع . وأثبت الواقع ان لبنان احسن اختياره وأصاب المرمى .

رالف بونش والكونت برنادوت في لبنان :

وفي ٢١ من تموز وصل الى عاليه المسيو رالف بونش معاون الكونت برنادوت وقابل عبد الرحمن عزام في بيتنا ، حاملاً اليه دعوة الوسيط الدولي للاجتماع في جزيرة رودس وبحث شروط الهدنة مع ممثلي اسرائيل، على ان يكون العرب في قاعة والاسرائيليون في قاعة اخرى فلا يتقابلون، وصلة الوصل بينهم الكونت الوسيط الدولي ، حتى اذا تمّ الاتفاق وقّع عليه كلٌّ بمعزل عن الآخر . وكنت اثناء تلك المقابلة مجتمعاً مع رياض الصلح وحميد فرنجيه نتابع ابحاثنا بانتظار عبد الرحمن عزام فدخل علينا واستشارنا بالامر ، فأشرنا عليه بان يرجىء قبول الدعوة ويقترح على رالف بونش حضور الوسيط الى لبنان بدعوة منا لمقابلتنا .

(١) — نهج البلاغة، ص ٦٣ .

وبعد يومين ، في ٢٣ من تموز ، وردت برقية من رودوس تنبىء بتلبية الكونت برنادوت الدعوة . وفي اليوم الثاني وصل الوسيط الدولي الى لبنان فتعهّدناه بالحيطة للمحافظة عليه . وكانت المقابلة بيني وبينه في ٢٥ ولم يحضرها سوى المسيو رالف بونش الذي تولّى الترجمة .

ان الكونت برنادوت كبير القامة ممتلىء الجسم، على وجهه ملامح النبل . بدأ حديثه بشكر لبنان على دعوته وقال ان المهمة الموكولة اليه هي مراقبة تنفيذ الهدنة التي اوصى بها مجلس الامن . وكنت صريحاً الى آخر درجات الصراحة، وكان متحفظاً غاية التحفظ . وظهر لي انه مسيّر بتوجيه مجلس الامن وهيئة الامم المتحدة . وشعرت مع ذلك كله ان بعض مقاطع من حديثي استرعت انتباهه وانتباه معاونه . لم يتقيد بوعد او شبه وعد . وكرر دعوته للدول العربية الى اجتماع رودوس . وكرر شكره واستأذن بالانصراف ليقابل عبد الرحمن عزام .

وأسرعت على الاثر بكتابة ملخص الحديث الذي جرى بيننا وأعطيتُ نسخة عنه لرئيس الوزارة واخرى لعزام [1] .

ويظهر ان الكونت برنادوت لم يكن شديد التعصب ضد العرب ، فبعد اتصاله بأقطاب الدول العربية في اواخر تموز ، وبعد ان راقب الهدنة التي قُبلت في عاليه ورأى بعينه كيف ان الصهيونيين خرقوها غير مرة ، وفي اكثر من منطقة، وضع تقريراً فيه إنصاف نسبي للعرب . وكان التقسيم الذي اقترحه اكثر ملائمة لهم من التقسيم الذي قررته هيئة الامم في كانون الاول سنة ١٩٤٧ .

مكث الكونت برنادوت في لبنان ثلاثة ايام، وتجوّل في انحائه وطاف في مدنه وقراه ، وأحطناه بالرعاية لحراسته وراحته . وعاد الى القدس معزّزاً مكرّماً .

(١) — انظر قسم الوثائق .

ترسيخ عهد الاستقلال

زيارة جبيل :

كانت جبيل ملعباً للدعايات السامة ضد العهد الجديد ، ومنطقتها هي التي حملت لواء المعارضة ضدنا في انتخابات ايلول عام ١٩٤٣ . فهناك هُدّد انصارنا وأُطلقت عليهم النار ، وذاقوا الامرّين . وجاء الوقت للاهتمام بهذه البقعة من لبنان ورأى رئيس الوزارة ان ازور جبيل فوافقتُ وعيّنت اليوم العشرين من كانون الثاني موعداً للزيارة بمناسبة وضع الحجر الاساسي للسراية الجديدة .

تحرّك الموكب من بيروت في الساعة الثامنة صباحاً فخفّ اهالي قرى وسط كسروان الى الساحل لتحية الرئيس ورفقائه ، واستوقفتنا وفودها في جونيه، وفي مفرق غزير، وفي طبرجة ونهر ابرهيم، وطلقات الديناميت تهز الساحل . وبلغنا جبيل فاستقبلتنا استقبالاً لبنانياً رائعاً حتى اضطررتُ لان اترجّل وأمشي بين الجماهير لاصل الى المنصّة القائمة في وسط الساحة . ولم اكن مستعداً للكلام ، ولكن الجو الحماسي الولائي الذي خيّم على الاستقبال، وهتافات المستقبلين واقوال الخطباء والشعراء أثارتني فأشرتُ بانني سألقي كلمة . وكانت كلمتي مرتجلة قطع المستمعون كل مقطع من

مقاطعها بالتصفيق والتأييد . ومما قلته : « انه كان بامكاننا ان نزور جبيل قبل هذا التاريخ حكومة جافّةً امام شعب جفول ، ولكننا ارجأنا الزيارة الى ان نفتح العيون ونفتتح العقول والقلوب . (هنا دوّى الرصاص وتعالى التصفيق والهتاف كأنه يوم الحشر ، وتصاعدت من صدور الالوف صراخات الاستحسان) . وانتقلت الى الدعايات السامة التي روّجها المغرضون في هذا البلد المسيحي اذ قالوا إننا تنكّرنا للغرب واننا ارتمينا بأحضان العرب، فقلت : « انني كنت ، ولم ازل ، رسول الالفة والسلام لاجمع المسيحي والمحمدي على صعيد الاستقلال اللبناني ، كنت ، ولم ازل، لاجمع الكنيسة والجامع ، انا مثلكم ابن الضيعة ، درست تحت سنديانة الكنيسة ، وقمت القيمة ، وربّعت الجرس ، فكيف يعقل ان اجازف بتلك الذكريات واتنكر للتقاليد اللبنانية ؟ »

أسال كلامي هذا دموع الكثيرين . وانتقلت الى الكلام عن عمران جبيل ومنطقتها .

ثم أرسيت حجر الاساس للسراية الجديدة وانطلقنا الى دير سيدة المعونات مركز الرئاسة العامة للرهبنة البلدية، فاستقبلنا الرئيس العام ورهبانه، ورأينا بعضهم يطلق الرصاص ابتهاجاً !! وسمعنا صوت الديناميت يدوّي في الاودية فيتردّد صداه في جميع الانحاء .

وفي مائدة الطعام ألقى الرئيس العام خطاباً حارًّا بالترحيب والدعاء، فأجبته عليه وقلت : « ان الروح القدس حلّ علينا وعلى المنطقة في هذا الدير الذي شبّهته بعليّة صهيون ، واني لاشعر ان قلب الرهبنة البلدية اللبنانية ذات التاريخ المليء بالخدمات الجلى في عمران لبنان قد انفتح لتفهّم العهد الجديد، ولتقبّله . »

ومن حق الانصاف ان يقال ان اخي سليماً قام بدور مهم في مساعدة هذه المنطقة وأدّى لاهاليها، بصرف النظر عن لونهم السياسي ، خدماتٍ كثيرة ، فضم الينا الكثيرين من المعارضين ، حتى ان رياض الصلح الذي

لم يكن يضمر لسليم حباً جماً لم يتمالك من الجهر بهذه الحقيقة .

وانتهى النهار ببهجة وحبور وعدنا الى بيروت وقد سبقتنا الاخبار اليها ، فوردت علينا شهادات الاستحسان تترى . وكان الكثيرون قد سمعوا خطابي ساعة نقلته الاذاعة .

عيد المولد :

وصادف عيد المولد النبوي بعد ايام ودُعيتُ وفقاً للتقليد الى حفلة الجامع العمري الكبير فلبيتُ الدعوة وألقى سماحة المفتي خطاباً يناسب المقام ، فأجبت بخطاب شبيه بخطاب جبيل ، وقد أثّر تأثيره ، ومما ورد فيه عن فلسطين :

« ... كنت اود ان تكون التهنئة صافية لولا ان محنة فلسطين العزيزة وتجربتها المرة تقضان علينا المضاجع ، لان ما نطلبه لانفسنا نطلبه لاخواننا وجيراننا ، فثمت مجال للافصاح من جديد عما يخامرنا نحن اللبنانيين رئيساً وحكومة وشعباً ، نحو ذاك القطر الشقيق الجريح حيث يسقط المجاهدون شهداء في سبيل الحق .

« ... واني اخيرا اذ امحضكم وطائفتكم الكريمة تمنياتي القلبية ، واذ اكرر تهنئتي لسماحتكم ولهذا الحشد الكريم وللعالم الاسلامي اجمع ، بهذه الذكرى الشريفة ، لابتهل اليه تعالى ان يأخذ بنصرتنا وينير طريقنا ويسدد خطانا وينشر فوق ربوعنا قاطبة لواء السلام والطمأنينة وان يوفقنا في التجربة الثانية ، كما اسبغ علينا فيضاً من نعمائه في التجربة الاولى ، وهو خير من توكلنا عليه فلا يخيب رجاء الخاشعين، ولا يتخلى عن الصابرين اذا صبروا ، وهو للظالمين بالمرصاد . »

العلائق الطيبة مع رؤساء الطوائف المسيحية ترسخ الاستقلال :

عَقَبَ تلك المناسبات مجيءُ غبطة بطريرك الطائفة الارثوذكسية لعقد المجمع الانطاكي المقدس فأقمتُ على شرفه وشرف الاساقفة حفلة غداء . وردّت مطرانية بيروت التحية باحسن منها فأقامت في كرسيها وليمة على شرف الرئيس ووزرائه وكانت تظاهرة باهرة للعهد إذْ جدّدت هذه

الطائفة الكريمة ولاءها لنا . وفي ختام المأدبة ألقيتُ خطاباً كان له الاثر الحسن .

وزار الرئاسة غبطة البطريرك الجديد للطائفة الكاثوليكية الملكية ورددت له الزيارة في كرسي مطرانية بيروت ودعوته لتناول الغداء مع اساقفته وعلّقت على صدره وسام الارز من درجة الوشاح الاكبر ، ولما غادر الاراضي اللبنانية قاصداً دمشق واكبته درّاجاتنا حتى الحدود فاظهر امتنانه الفائق لهذا التكريم .

وقد تحسّنت علائق السلطات الروحية من وطنية وأجنبية بالسلطات المدنية ومقام الرئاسة تحسّناً عاماً ، وصار السفير البابوي وصاحبا النيافة الكردينالان واليسوعيون والعازريون وجميع الاكليريكيين يظهرون لمقام الرئاسة مزيد الاحترام ويؤدّون لرئيس الجمهورية في كنائسهم جميع المراسم . وتجلّى ذلك يوم تذكار جلوس قداسة البابا بيوس الثاني عشر فقد اقام السفير البابوي قداساً حافلاً في معبد اخوة المدارس المسيحية وتَنظَّم ترتيب التحية للرئيس عند دخول الموكب الكنسي وعند خروجه من قبل جميع المشتركين بالموكب من كهنة وأساقفة وكرادلة ومن السفير نفسه ، كما اتُّبعت مراسم التبخير للرئيس مع تقبيل ايقونة حمل الله . ونقول بالمناسبة إننا أسّسنا تقاليد ثابتة سيكون لها اثرها في حياة المجتمع اللبناني ، منها الاشتراك في حفلات عيد الفصح وعيد المولد ، الى آخر ما يؤيّد السلطة المدنية في نظر شعب متعلق بدينه على اختلاف طوائفه .

فكأن الحفلات الدينية اصبحت اعياداً وطنية يشارك فيها اللبنانيون بعضهم بعضاً الفرح والحبور ويتبادلون التهاني .

غيمة عابرة بسبب اللجنة الرسولية :

تحسّنت علائقنا بالسلطات الروحية جمعاء ولكنها تعكرت مع

البطريركية المارونية على غير خطأ منا : كان الكرسي الرسولي قد اتخذ تدبيراً زجرياً ضد المطران يوحنا الحاج، وكفّ يده عن مهام الابرشية ، وراجعنا المنسنيور مارينا بالامر فانتهزنا الفرصة لنقول له بكل صراحة ان لا تتعرض رومة للكرسي البطريركي الماروني، وذلك لاسباب عديدة بيّناها سابقاً ، واقتنع منا في ذاك الحين ، ثم كثرت الشكاوى من المقام البطريركي، وقد يكون لبعض الاساقفة يد فيها ، فاتخذ الكرسي الرسولي تدبيراً خطيراً ضد غبطته اذ فرض عليه لجنة وصاية رسولية ومنحها صلاحيات واسعة . وأبلغ السفير البابوي هذا التدبير البطريرك فأظهر سيد بكركي استياءه منه وانتقده انتقاداً مراً . ولم تُفاتَح الحكومة اللبنانية بهذا الحدَث المهم الا بعد وقوعه وتبليغه للبطريرك ولاعضاء اللجنة الرسولية . وهو تدبير لم يسبق له مثيل في تاريخ الطائفة المارونية .

لم يكن لنا رأي في كل ما جرى ، وبالتالي لم نرشّح احداً للجنة الرسولية ، غير ان تعيين المطران بولس المعوشي رئيساً عليها وتعيين المطران عبدالله خوري عضواً فيها ، وكلاهما يمتّ الينا برابطة النسب ، افسحا المجال امام المصطادين في الماء العكر ليهمسوا في اذن البطريرك ان تدبيراً كهذا أُوحي به منا ، او انه على الاقل اتخذ بمعرفتنا ، لنضع يدنا على السلطة الروحية المارونية ! وصادفت هذه الوشاية قبولاً لدى البطريرك انطون فأخذ ، رحمه الله، ينتقدنا علناً وباسلوب أقلّ ما يقال فيه انه تعدّى الانصاف وحدود المجاملة فتعكّرت علائقنا الشخصية مع هذا المقام على كرهٍ منا ، ولكننا لم نغيّر شيئاً في التقليد الذي وضعناه من قبل، في ان يواكَب البطريرك رسمياً عند انتقاله الى كرسيه البطريركية ذهاباً واياباً .

وزاد في الظن بأني ذو تأثير في الكرسي الرسولي ، إجازة المطران اغناطيوس مبارك اجازةً جبرية ليغادر كرسي ابرشيته ويسافر الى اوربة باستثناء رومة . واني لاعلن الآن ، وقد مرّت العاصفة ، وصار الرجلان

في ذمة الله ، اني كنت بريئاً من دم الصِدّيق ، اي البطريرك ، ولكني لم اكن بعيداً عن التدبير الذي نال المطران مبارك ، فقد كلفت مفوضيتنا لدى الفاتيكان ، بعد اخذ رأي الحكومة ، ان توصل الى المراجع المسؤولة جميع الاسباب الداعية لوقف المطران مبارك عند حدّه ، ومنعه من التدخل في الشؤون السياسية تدخّلاً غير مرغوبٍ فيه ، ولا سيما اذا كان المتدخل رئيساً روحياً ، وكذلك دعوت غير مرة السفير البابوي وحدّثته بشأنه ، فأعطي المطران تلك الاجازة الجبرية للسفر وأذعن للامر .

واستخدمنا كل دراية لاجتناب ما قد ينتج من استياء لدى الشعب الماروني من جراء التدبير المذكور ، فمرّ الحدَثان الخطيران ولم يقابَلا بما يُعكّر الامن ، فالمطران مبارك ابحر الى فرنسا دون ضجّة ونزل سيد بكركي عند ارادة الكرسي الرسولي وانحصر رد الفعل في بلدة بشري مسقط رأس البطريرك ، حيث أُنزلت الاجراس عن بعض الكنائس ، ولما انتقل غبطته الى الديمان صيفاً واكبه وفد من البلدة المذكورة وأصرّ على ان لا يرافقه اعضاء اللجنة الرسولية الى مصيفه، ولكن اعضاء اللجنة لم يلبثوا ان وافوه الى الديمان .

ودُعي البطريرك الى حفلة في اهدن واستصحب اعضاءَ اللجنة في سيارة مشت وراء سيارته ، ولدى مرور الموكب في بشري اطلق بعض المتظاهرين رصاصهم على عجلات السيارة الثانية فتعطلت عن السير ، واضطر المطارنة للركوب في سيارة اخرى . واوقف مطلقو النار على الفور . ولم يمض على توقيف المعتدين اسبوع واحد حتى طلب الينا اعضاء اللجنة الرسولية اخلاء سبيلهم (بعد ان سوّى الخلاف المنسنيور اغناطيوس كيروز ابن اخت البطريرك عريضه) وقبلت الحكومة الوساطة وأوعزت الى النيابة بوقف الملاحقات القانونية . وإنْ دلّ هذا الامر على شيء فعلى ان طريقة الحكم في هذا البلد تختلف عنها في العالم باسره . . .

وعاد البطريرك الى بكركي في آخر الصيف تواكبه الدرّاجات الرسمية .

وفاة المطران عبدالله خوري :

في الخامس من شباط تُوفي المطران عبدالله خوري بسكتة قلبية في بيت قريبه جورج بستاني في بيروت، فآلمني النبأ وحزنت على هذا الحبر الكبير والنسيب العزيز الذي خدم البطريركية المارونية وخدم وطنه لبنان الخدمات الجلّى، وبرز قائداً روحياً فذّاً حتى صار قبلة الانظار ، وعُدّ المرشّح الحتم للمقام الماروني الاول حال وفاة البطريرك الحويك . ولكن الحظ لم يُسعفه فانتخب المطران انطون عريضه بطريركاً وكان هو اول القابلين الخاضعين ، وحافظ على كرامته فلم يبدُ منه اي تأفف ، وبلغ به روح الانضباط وكبر النفس ان اخلص الخدمة للبطريرك الجديد كما أخلصها لسلَفه . وبقي نائبه العام . ولما شاخ البطريرك عريضه صار المطران عبدالله عضواً في لجنة الوصاية الرسولية . وكان المفروض ان يكون هو رئيساً لهذه اللجنة ولكن الفاتيكان قضى بان يرئسها المطران بولس المعوشي ، فأذعن المطران عبدالله للامر وأخلص الخدمة في المهمة الجديدة بمنتهى اللباقة ، واحتمل مشقاتٍ كبرى أودتْ بحياته ، فقضى مأسوفاً على مناقبه ومزاياه .

وما ان بلغني الخبر حتى خففتُ الى بيت جورج بستاني أعزّي واقتبل التعازي، وحرصت على ان يحتفل بالصلاة على نفس الفقيد في كاتدرائية مار جرجس احتفالاً يليق بشخصيته ومقامه فاتصلت حالاً بالبطريرك عريضه ليرئس الجناز فقبل على ان يعود بعد الحفلة الى بكركي . وأعدّت الحكومة الترتيبات اللازمة بمعرفة رئيس الوزارة ووزير الخارجية وادارة المراسم .

وفي السادس من شباط أوفدت الحكومة الى بكركي موظفاً كبيراً في سيارة الرئاسة وانتقل البطريرك عليها الى الكاتدرائية ، وأقيمت حفلة

الجناز بجميع المراسم اللائقة بحضوري وحضور الوزراء والاحبار من جميع الطوائف، والنواب وكبار الموظفين من مدنيين وعسكريين ورجال السلك الخارجي ، ووفود الصحافة والجمعيات الخيرية والهيئات الوطنية .

وكان عزم البطريرك ان يعود توّاً الى بكركي بعد نهاية الصلاة ، وسبب ذلك عتب على الرئاسة في غير محله بعد تعيين لجنة الوصاية كما سبق ذكره ، فأبيتُ ان يقع مثل ذلك . ولكن ما العمل وعناد البطريرك عريضه اشهر من نار على علم ؟ فأقدمت اليه ولم انتظر ان ينزل عن عرشه ليبادر في التعزية ، بل خطوتُ نحو العرش وصافحته بحرارة، وما كان منه الا ان انحنى عليّ وعانقني عناقاً ولائياً . فهمست اليه بانني لا ارضى بان يرجع الى بكركي قبل الغداء . ودعوته للاستراحة مع حاشيته في القصر ولتناول الطعام على مائدة الرئاسة فقبل شاكراً . وأثار قبوله تعجبَ العامة والخاصة .

وبعد الغداء خلوت بغبطته وبادلته احاديث الود . وظهر له من حفاوتي به وإبداء الاحترام لمقامه ان كل ما اذاعه عني المفسدون باطل .

وبعد ان ودّعني وغادر القصر مشيّعاً بالتكريم سعى واحد من مرافقيه الى جرّه الى زيارات اخرى في بيروت فرفض رفضاً باتاً وعاد الى كرسيه في بكركي بالمراسم التي رافقته في مجيئه .

علاقتنا مع الطوائف الاسلامية ترسّخ الاستقلال :

وكانت علاقتنا بالاوساط الاسلامية حسنة جداً ، ولا سيما وقد قدّرت لنا موقفنا من فلسطين بعد ان شاهدت بامّ العين ما قمنا به من جهود مع الحكومة والشعب في سبيل القطر الشقيق العزيز . وكنا نقيم حفلات الافطار في شهر رمضان لوجوه الطائفة حتى صارت هذه الحفلات تقليدية . ولم تقتصر حفلاتنا على اللبنانيين بل اننا في ٢٠ من تموز دعونا

الى حفلة الافطار في مصيفنا بعاليه الوزراء والنواب والعلماء والاعيان المحمديين وكبار الموظفين والوزراء المفوضين للدول العربية والاسلامية ومعاونيهم وبعض اقطاب العرب الموجودين في لبنان كمزاحم الباجه جي رئيس وزارة العراق والحاج امين الحسيني مفتي فلسطين الاكبر وعبد الرحمن عزام امين سر الجامعة العربية وفوآد حمزه وفوزي القاوقجي واحمد الراوي ، وقد اجتهد معاونونا بان تمتاز المأدبة بمزيد من الترتيب والاتقان ، ولا غرو ان تتناول الاحاديث شؤون وقف القتال وضرورة جمع صفوف العرب لخيرهم ، ونحن في ظروف فلسطين الراهنة الاليمة .

وفاة بترو طراد :

ألمّ المرض بالرئيس بترو طراد فنقـــل الى المستشفى وأرسلتُ من يعوده ويطمئنني الى حالته . ولكنه ما لبث ان تُوفي فاجتمع مجلس الوزراء وقررنا ان يكون دفنه في مأتم وطني بوصفه رئيساً سابقاً للدولة ، اسوةً بالمرحوم ايوب ثابت ، وقد حضرت الصلاة على نفسه وألقيت تأبيناً من على منبر كاتدرائية القديس جرجس قلت له فيه :

«ايها الراحل الكريم ، هذه آخرة كل حي وخاتمة كل عناء ونهاية كل جهاد ، هذه ثالثة الحالين يختلف معناها عن معنى اليقظة والمنام، فنفس خالدة تصعد الى باريها لتؤدي حساباً الى اعدل من عدل وارحم من رحم ، وجسد فان ينزل الثرى وذكرى يرددها الاحياء عمن رقدوا على رجاء القيامة والبعث اليقين .

«... لذلك اقف هذه الوقفة حزيناً شاعراً بعظم المصاب فيك وواسع الفراغ بعدك . اقف باسم لبنان الذي احببت وخدمت لاودعك الوداع الاخير واسكب على ضريحك عبرات وصلوات تفيض من اعين وقلوب رفقائك واصدقائك ومعاونيك . واقدم التعازي الى آلك وانسبائك والى الطائفة الارثوذكسية الكريمة التي احاطت جثمانك بالرحمات والابتهالات بشخص بطريركها وكبير احبارها المبجل واساقفتها الكرام ، والى اللبنانيين اجمعين الذين يتطلعون الى مقرك بعد غيابك كما يتطلع الراؤون الى مكان النجم الذي أفل ويكادون لا يصدقون انه توارى عن الانظار، تقبلك الله عز وجل بالرحمة والرضوان ، واسكنك فسيح جنانه ونفعنا بذكراك» .

ومشيت وراء النعش من ساحة النجمة حتى مدفن مار متر . وقد ألحّ عليَّ الهيئات الرسمية وأفراد العائلة بان لا امشي هذا الطريق الطويل وان اركب السيارة واسبقهم الى المدافن بسبب طول المسافة ، ففضّلت ان اتعب على ان اقصّر باداء الواجب .

تجديد الرئاسة

الاسباب الموجبة لتعديل بند في الدستور :

ليس تجديد رئاسة الجمهورية في لبنان بالامر السهل، فهو يستلزم تعديل الدستور . وتعديل الدستور محاط بالشائكات من القيــود ، وبسياج الاقتراع عليه باكثرية ثلثي العدد الذي يتألف منه المجلس . وما من عاقل يُقدم عليه الا اذا تهيأ له جوٌّ مفعَم بالتأييد داخل الندوة وخارجها . وتهيئة الجو المطلوب غير ما تظنه عامة الناس وبعض السياسيين من ذوي النظر القصير :

الجو المفعَمُ بالتأييد يأتيك كالارتجال في الخطابة ، وهــل هو في الحقيقة وواقع الامر إلا اختزان بعيد عميق من اعمال وأحداث وظروف ومناسبات وتجارب ، وذكرى ماضٍ طيب ، وأمل في مستقبل ، ونزعة الى استقرار وتوطيد ، وثقة عن اختبار ، ولين في المعاملة ، وصلابة في الرأي ، وتفهّم لمشارب الناس ونزعاتهم المتضاربة ، وحب للسلام ، اضف الى ذلك كله مجموعةً من اللاموزونات تُرجح في النهاية كِفّة الميزان .

الجوّ المفعَم بالتأييد اوجده الميثاق الوطني والحرص عليه ، وهذا لمّا يزلْ طريَّ العود ، وأوجده تطهير الدستور من قيود الانتداب ، وأوجده اعتقال راشيا ، وحكومة بشامون ، وتسلّم الصلاحيات ، بل انتزاعها ، من الفرنسيين ، ورفض المعاهدة والمركز الممتاز ، والاصرار على جلاء جميع الجيوش الاجنبية عــن الاراضي اللبنانية حتى جلت ، ثم اتفاق النقد ، وحرية التعامل ، واشتراك لبنان في تأسيس جامعة الدول العربية ، وانضمامه الى هيئة الامم ، والاعتراف باستقلاله من جميع الدول في الشرق والغرب . هذا الجو اوجدته ايضاً ثقة البلدان العربية بالوضع اللبناني ، ونقاّه حسن العلائق مع البلدان الاجنبية ، والاتصالات الطيبة مع جميع الرؤساء الروحيين على اختلاف الاديان والمذاهب .

لقد استعجل التجديدَ امران : اولهما تجديد الرئاسة لشكري بك القوتلي قبل عام من انتهاء ولايته ، والآخر حرب فلسطين .

ويجب ان يكون المرء ملاكاً او نبياً ليرفض تمديد ولايته في هذا الجو المواتي من كل جهة . وبكل وداعة أعلن اني لستُ ملاكاً ، ولا نبياً !

ولا أدّعي — وانا انسان — انني لم ارغب في التجديد ، ولكنني اقول بجزم وبدون تبجّح إنني لم اسعَ اليه الا على الصعيد العالي الذي ذكرت ، وانني ما اردت ان يُستعجل لولا الحدَثين اللذين اشرت اليهما .

هذا ، وحمل لواءَ التجديد رجالٌ ونوابٌ لهم ماضيهم الوطني الاغر ، ووزنهم المرجح ، وشخصيتهم البارزة في ميدان السياسة . وقد عملوا عن اقتناع ، وبملء حريتهم ، متجاوبين مع الرغبات العامة .

وتمّ في ٩ من نيسان التوقيع على اقتراح تعديل البند الـ٤٩ من الدستور تعديلاً استثنائياً لتجديد الرئاسة ست سنوات للرئيس الحالي ، اعتباراً من نهاية ولايته . ولم يقتصر الاقتراح على العشرة النواب وهو

العدد المنصوص عليه دستورياً، بل صدر عن ستةٍ واربعين نائباً، ووافق عليه نائبان غائبان عن البلاد ، فزاد عدد المقترحين على الثلثين بأحد عشر صوتاً .

ولم يوقّع على الاقتراح سبعة نواب هم : اخي سليم الخوري الذي لم يُطلب اليه التوقيع بسبب كونه اخي ، ونسيباي هنري فرعون وموسى فريج اللذان عملا برأي ابن عمي ميشال شيحا اخي زوجتي وكان ضد استباق الوقت ، وجاراهم يوسف كرم وسليمان العلي ونصّوح الفاضل مراعاة لخاطر عبد الحميد كرامي . اما كمال جنبلاط فغادر البلاد قبل الاقتراع ولكنه لم يسافر الا بعد ان زارني ثم كتب اليّ يقول إن معارضته التجديد انما هي معارضة مبدأ ، ولا تتعدّى الى شخصي . واخيراً كميل شمعون ، منسجماً مع نفسه في هذه المرة اذ قدّم استقالته من وزارة الداخلية يوم تقديم المشروع الى المجلس النيابي .

بقي الاقتراح في درج رياض الصلح منذ التوقيع عليه في التاسع من نيسان ، في انتظار الوقت المناسب لتقديمه ، الا ان الجيوش العربية دخلت فلسطين في ١٥ من نوار فاستصدر مرسوم احالة المشروع الى المجلس في التاسع عشر من الشهر عينه .

اجتمع مجلس النواب في ٢٢ من نوار وأقرّ تعديل الدستور باجماع النواب الحاضرين ، اما المعارضون فغابوا جميعهم عن الجلسة . وتعيَّن يوم ٢٧ من نوار موعداً لتجديد الولاية بالانتخاب ، فاجتمع المجلس وجدّد الولاية بالاجماع في جو ملؤه الكرامة . وقد نزلت الى الندوة واستقبلني رئيسها واعضاؤها في الرتاج الخارجي ودخلتُ المجلس فوقف النواب وجميع الحاضرين وكان في المقصورات وفد يمثل الحكومة السورية ، والوزراء المفوضون الاجانب جميعهم وكبار الموظفين من مدنيين وعسكريين . ثم ألقى رئيس المجلس خطبة موجزة اجبته عليها بخطبة اوسع احتوت الشكر على تلك الثقة التي تجدّدت ، وذكرت الاحداث الجارية وفي

مقدمتها مسألة فلسطين ، واغرورقت عيناي بالدموع عندما ذكرتها بالعبارات التالية :

« ... وان اعز ما يخالجها (الامة) في الآونة الحاضرة القيام بالواجب كاملاً غير منقوص نحو شقيقتنا فلسطين العربية، حيث قضى الحق والعدل ان تتعطل لغة الكلام ، وان يثب لبنان مع سائر الدول العربية الى حماية اقداسها وحفظ ارواحها البريئة ، والى العمل الجدي المجدي لنجدتها وانقاذها ، وان تخفق الوية النصر على مواكب جنود الحق في طريقهم الى تحريرها الخ ... »

وقوطع الخطاب بالتصفيق مراراً .

ثم انتقلنا الى غرفة رئيس المجلس حيث تقبّلتُ التهاني من جميع الحاضرين .

وكانت الحكومة قد اذاعت بلاغاً على الاهلين بان لا يتحمّلوا مشقّة المجيء للتهنئة ، ولكن الوفود اخذت تزحف على القصر ووردت علينا آلاف من برقيات التأييد من الداخل والخارج ، مما زادنا برهاناً ان التدبير صادف رضى كاد يقارب الاجماع الكامل في لبنان والمغتربَ ، وارتاحت له الدول العربية والاجنبية . ومما هو جدير بالذكر ان قداسة الحبر الاعظم لم ينتظر اعلانه رسمياً ليهنىء الرئيس فكلّف سفيره فور الاقتراع ان يحضر الى قصر الرئاسة ويحمل اليّ تهانيه وبركته .

اما انا فقابلت هذه الثقة بشكر الله على نعمته وعاهدتُ نفسي على ان اكون عند ثقة مواطنيّ ، وان اجاوب عليها بزيادة الحرص على كرامة لبنان وعزّه .

ضعف نشاط المعارضة :

عالجنا بكثير من الهدوء والصبر الحادث المؤسف الذي عكّر الجو في زحله ، وسعى الكثيرون لاستثماره ضد الحكومة ، الى ان اجتمع وجهاء

المدينة ، وفي مقدمتهم المغترب الكبير جورج معلوف ، وقرروا تهدئة الحال فوفّقوا وعادت المياه الى مجاريها . وعطفت الحكومة على مطالب المدينة وضمنت قرضاً مالياً كبيراً لبلديتها يساعدها على تنفيذ برنامج انشاء وتعمير يعود على الزحليين بالخير العميم .

وخفّ نشاط كتلة التحرر الوطني ، وزارني غير مرة عبد الحميد كرامي وعمر بيهم وحبيب طراد ، وشعرتُ أن الابحاث اتخذت طابعاً ودياً عن ذي قبل . وسافر حبيب طراد الى باريس حيث توفّاه الله فجأة فأبرق إليّ احمد الداعوق وزيرنا المفوض راجياً ان أبلّغ صديقي اخاه غبريال الخبر المؤلم ففعلتُ وعزّيت الشقيق على مصابه وحضرت حفلة الصلاة على نفس الفقيد وعلقت على صدره وساماً رفيعاً ، فكان لكل هذه البوادر الطيبة وقع حسن في قلوب اقربائه واصدقائه وزملائه في كتلة التحرر الوطني .

اما الكتلة الوطنية فلم اجد سبيلاً اليها ، بل صار كميل شمعون يهدّد بالتفاهم معها بعد ان وجد نفسه منفرداً بالمعارضة داخل المجلس ، وأعلن هنري فرعون معارضة مستقلة عن كل فرد او كتلة ، وكمال جنبلاط يظهر تارة واقعية مدهشة ويعود طوراً الى الخيال !

وفي تلك الاثناء اعتدَت عشيرة الدنادشة على اناس من راس بعلبك وقتلت بعضاً منهم انتقاماً لدندشي قتل منذ اشهر في قرية الفاكية .

وشاء البعض ان يستغل هذا الحادث ليوغر صدر بطريرك الكاثوليك والمطران يوسف معلوف على الحكومة ، فأسرعنا الى تدارك الحالة ريثما يعود جيشنا من حدود فلسطين ويؤدّب المجرمين .

اما الكتائب فظلت مثابرة على خطة مخلوجةٍ انتهجتها ، وهي الاعتراف داخل الجدران بمحاسن العهد ، وفضائل الرئاسة ، وحنكة رئيس الحكومة ، والاشادة بمواقفنا الوطنية عامة وبقضية فلسطين خاصة ،

والموافقة على وقف القتال ، ثم إثارة حملات عنيفة على الحكومة في صحيفتها ، كل ذلك حتى لا يُنسب الى الحزب تأخّر عن ركب المعارضة !

ولا تسل عن حالة الصحافة وعما وصلت اليه أقلام بعضهم من التهجّم على المجلس ، وعلى الحكومة ، والمناداة بالويل والثبور كلما حاولت النيابة العامة ان تطبّق عليها القانون ، فتزعم ان لا حرية للرأي ، وتنعي الى الملإ الاقلام وحامليها ! والواقع ان المعارضة والصحافة تمتّعتا بحريات عزّ نظيرها في ارقى البلدان وأعرقها ديمقراطية . وقد اشتهرتُ واشتهر رياض الصلح بوسع الصدر ولين العريكة والتسامح ، ولم يكن احدنا ليُقدم على تدبير زجري إلا بعد ان تتجاوز الامور حدودها وتتعدّى الى مساس الاوضاع مسّاً جوهرياً يهدّد النظام القائم ويشيع الفوضى .

ولم يُعكر الامن سوى هجوم نهاد توفيق ارسلان مع بعض اعوانه على مخفر صوفر وقتل دركي فيه ، فقتل واحد من العصاة وجرح بعض رفقائه وأركن الآخرون الى الفرار . وقد اثبت التحقيق ان هناك موآمرة متشعبة ، وصودرت اسلحة من غرفة تملكها الكنيسة المارونية في صوفر، وأوقف كاهن الرعية وبعض المتدخلين في الجريمة واحيلوا الى المجلس العدلي، و «كوّع» التحقيق كي لا يمسّ المطران اغناطيوس مبارك ...

وسام اسباني :

اهديت الجنرال فرنكو رئيس الدولة الاسبانية الدرجة الممتازة من الاستحقاق اللبناني فتسلّم الجنرال هذا الوسام بحفلة رسمية في مدريد واحتفى برسول لبنان حفاوةً بالغة وبادلني الكوديلو الوشاح الاكبر لوسام شارل الثالث، ارفع الاوسمة الاسبانية ويقلّده الملوك والرؤساء بصورة نادرة ، واوفد وزيره المفوض في مصر الى لبنان لتعليقه ، فجرت حفلة جميلة في عاليه ، زادت رونقاً على حفلة تقديم اوراق الاعتماد ،

ورافقتها مراسم لا نظير لها، فقد وصل المفوض الاسباني الى مقر الرئاسة يرافقه اعضاء البعثة الدبلوماسية في لبنان ، وحيّته ثُلّةٌ من الجنود ودخل القاعة باللباس الرسمي والنياشين ، وانحنى امامي ثلاث مرات ، وأجبته على تحيّته بتحنية الرأس ، فتقدّم مني يحيط بي رئيس الوزارة ووزير الخارجية وموظفو غرفة الرئاسة المدنيون والعسكريون وموظفو البروتوكول .

وسألني : هل تتقبل يا فخامة الرئيس الوسام الاكبر ذا الشأن الرفيع لشارل الثالث ، وترضى ان يدرج اسمكم في عِداد حامليه ؟

فأجبته : يسرّني ان اتقبّل الوسام وان اتلقّى علامته من يدكم .

قال المفوض : باسم صاحب الفخامة سيدي ومولاي رئيس الدولة الاسبانية وقائد جيوشها المعظم اهدي فخامتكم هذا الوسام ، وباسمه وباسمي اقدّم التهاني طالباً منه تعالى ان يحفظ حياتكم الغالية وان يوفق لبنان .

اجبت : اشكر فخامة القائد العام رئيس الدولة الاسبانية على هذه الهدية الثمينة ، وأرغب ان تكون عربون صداقة متينة بين البلدين الاسباني واللبناني ، وأقدّم الدعاء لسعادة القائد العام ومجد اسبانيا .

وكانت الكلمات تلفظ الواحدة تلو الاخرى بكل هدوء ، وقد سُمعت كلها في حين انها قيلت بصوت خافت جداً .

وتراجع المعتمد الاسباني ووجهه أمامي وظهره الى الوراء ، منحنياً ثلاث مرات مثلما دخل .

وقال لي رياض : لقد تنكّرتَ لنا بالمهابة التي تجلّت في هذه الحفلة . فأجيبه : الحق على المراسم ؟

وبعد دقائق معدودة عاد المندوب الاسباني الى الصالون وانا فيه وحدي فصافحته لاول مرة ودعوته للجلوس ، وتحدثت معه عشر دقائق . ثم أُدخل المدعوون الرسميون وانتقلنا الى غرفة الطعام . وكان العشاء غاية في الاتقان ولكن السهرة عكّرها عارض صحي اعترى القائم باعمال اسبانيا في لبنان اذ أُغمي عليه عَقب خروجنا من المائدة فأسعف بالسرعة اللازمة وأحطناه برعاية خاصة مما زاد في شكر الاسبانيين لنا .

رياض الصلح يؤلف وزارة جديدة :

فُتحت دورة استثنائية للمجلس تبتدىء في ٢٢ من تموز ونصّ جدول الاعمال على مشاريع عديدة اهمها إقرار اتفاق النقد مع فرنسا . وعُيّنت الجلسة الاولى في ٢٧ من تموز صباحاً . واخذ النواب يتساءلون : هل تستقيل الوزارة او لا تستقيل قبل التئام المجلس ؟ واما اساس « النكرزات » فبقاء الوزارة اربعة عشر شهراً ! فدعوت رياضاً وتركت له الخيار بين ان يستقيل ويؤلف وزارة جديدة ، او ان يعدّل وزارته ، فاختار الامر الاول وقدّم استقالته يوم الاحد في ٢٥ من تموز . وكلفته بعد مباحثة رئيس المجلس ان يؤلف الوزارة الجديدة ففتح باب استشارة النواب وألّف وزارته في ٢٦ من تموز فأبقى معه ثلاثة من زملائه القدماء هم حميد فرنجيه وجبرائيل المر ومجيد ارسلان ، وجاء بأربعة وزراء جدد هم احمد الاسعد وفيليب تقلا وحسين العويني والياس الخوري . وكان لهذا الاختيار تأثير حسن في جميع الاوساط . وأرجأت الجلسة الى ٣ من آب لتتمكن الوزارة الجديدة من إعداد برنامجها وطلب الثقة على اساسه .

نزلتُ الى السراية يوم تأليف الوزارة واستقبلت الوزراء وهنأتهم فانصرفوا الى اعمالهم . وعقدنا جلستين ، وانعقد مجلس الوزراء يومين

على التوالي ، وصدرت مراسيم بتنظيم المديريات العامة ، وبنقل بعض المديرين العامين ، وبتعيين هيأة تفتيش الدوائر ، وبتعيين ادارة التجهيز الاقتصادي الوطني . وجرى ذلك كله بتجرد من الاغراض ، وقصدنا تحسين سير الادارة بعد ان طال عهد بعض المديرين بدوائرهم حتى خَفَتَّت عنايتهم بشؤون الناس .

وقبل ان تتقدّم الوزارة من المجلس بطلب الثقة أُوقف نهاد ارسلان في ٣١ من تموز، وذلك على أثر عودته من عمان بالتهمة التي أشرنا اليها، وأُحيل الى القضاء واستُجوب مرتين فهدّد بالاضراب عن الطعام ثم هدأت اعصابه واخذت العدالة مجراها .

مرور الملك فيصل في لبنان :

رست في ميناء بيروت مدرعة انكليزية تُقلّ جلالة ملك العراق واستقبلته على الرصيف استقبالاً رسمياً وعرضت معه فرق الجيش والدرك، وركبنا سيارة مكشوفة صعدت بنا الى عاليه يرافقنا هتاف الجماهير ، والعرق يتصبّب مني ، وكذلك كان الملك ، وخشيت عليه ان يبرد بانتقالنا السريع من الساحل الى الجبل فوضعت على كتفيه « صدريتي » الصوف فأبى ان يستخدمها حتى لا أُحرم انا منها، ولكني ألححتُ عليه بالقبول فشكر . وبعد ان استراح قليلاً في مقرّنا رافقناه حتى فندق « غرين هوز » في جوار بحمدون حيث ودعته ورافقه رئيس الوزارة في موكب رسمي الى الحدود اللبنانية السورية .

عودة المطران مبارك :

ذكرنا التدبير الذي اتخذته دوائر الڤاتيكان بفرضها على المطران مبارك ان يبعد عن كرسيه الى اوربة باستثناء رومة، ولكن هذه العقوبة لم تنفّذ كلها ، فقد غادر المطران بيروت في اواخر نيسان ومكث شهراً في

باريس وانتقل الى رومة دون استئذان ، ويا للاسف ، فتكدّر خاطر قداسة الحبر الاعظم عليه وأرجأ استقباله . ثم أُذن له بالمثول امام قداسته وقيل لنا ان المطران تسلّح بكبر سنّه وصفاء نيته فرقّ رأس الكنيسة لحاله وعَدّ غيابه عن ابرشيّته ثلاثة اشهر عقاباً كافياً له وسمح له بالعودة الى كرسيه . وفوجئنا في الثاني من آب بوصول المطران مبارك الى مطار بيروت . ونزل من الطائرة ومضى تواً الى كرسيه في عين سعاده . وأراد المشاغبون ان يستغلوا عودته فلم يُفلحوا لان الحكومة احتاطت لمنع الشغب، وأبلغت السفير البابوي أسفها من رجوع المطران، فنبّهه السفير الى سوء العاقبة فيما اذا عاد الى نشاطه السابق . وقد ارعوى على ما يظهر . وجُلّ ما قاله لزائريه انه يشكر للحكومة انها اتاحت له إجازة ثلاثة اشهر ... وهذا اضعف الايمان في التهكم والمداورة على الفشل !

شمعون يهاجم رياضاً :

في ٣ من آب تقدّمت الحكومة من النواب ببيان موجز بسطت فيه مجهودها في الذود عن فلسطين أثناء محنتها .

وما انتهى رئيس الوزارة من بيانه حتى طلب كميل شمعون الكلام وهاجمه مهاجمة عنيفة عدّها المنصفون عصارة التعدّي والتحدي ، وقلّة الانصاف، وقد ورد فيها من العبارات النابية ما لم يبرّره حق، خصوصاً وانها صدرت من رجل مارس مسؤوليات الحكم غير مرة ، ومثّل الحكومة في المؤتمرات الدولية التي بحثت قضية القطر المظلوم ، وكان وزيراً للداخلية يوم زحفت الجيوش العربية على فلسطين !

وقد ابتدأ النائب بتبيان « المناقضات ؟ » التي زعم ان رياض الصلح وقع فيها ، ثم خاطبه قائلاً :

« ... انه (اي الشعب) جربكم مراراً وصبر على اغلاطكم تكراراً والتمس لكم في طية قلبه اعذاراً ، ولكنكم تعرفون تماماً انه قد حجب ثقته عنكم ونزعها منكم وانتهى ...

اما انت يا دولة الرئيس فانك تعرف انك في ازمة بعد ازمة ، وفي تجربة بعد تجربة . فقدت ثقة كان يمنحك اياها اصدقاء لك اعزاء ، ورفاق لجهادك قدماء ، وتعرف انك اذا وجدت لك في هذا المجلس مؤيداً فقد خسرت خارج المجلس الف مؤيد ...

ادهشني ذكرى جهاد الثلاثين سنة في سبيل فلسطين مع انك لو اكتفيت بذكر الاسابيع الماضية المعدودة لحق لك الفخر بانك خدمت فلسطين اليهودية في ساعات قصيرة اكثر مما خدمت فلسطين العربية في عمر طويل، وانه لفخر يقر لك به مئات من عرب فلسطين المنكوبين المفضوحين .

ادهشني فوق كل هذا انك تذكر البكاء على ما ضاع ، مع انك تحفظ روايات العرب وتحفظ طبعاً رواية ابي عبدالله لما اضاع غرناطة فبكاها فقالت امه له : «ابك مثل النساء ملكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال . » (١)

واعطي الكلام لرياض الصلح فاستهل جوابه بقساوة، فقال عن خطاب شمعون انه « مقالة دبّجها واحد في هذا البلد ، ثم ألقاها في هذا المجلس نائب ينفث نفثة فاشل موتور ...

« لقد كنت اولاً وثانياً وثالثاً اول من رفض الهدنة وآخر من قبلها . ولتسمع بذلك سوريا والعراق ومصر وبقية البلدان العربية . ان لبنان أدى اجل المهمات في قضية فلسطين انما انا يا اخي لست مثلك ، بل اعتبر نفسي مسؤولاً فلا اعلن ما يجب ان يبقى سراً ، ولكنني امين بان الرأي العام يعرف من هو رياض الصلح وماذا عمل رياض الصلح يوم كنت انت تتسكع على ابواب المنتدبين...

« ... واما ان تتبع سياسة صيف وشتاء على سطح واحد ، صباحاً عند المطران مبارك ومساء عند مفتي فلسطين ، فهذا ما لا نقرك عليه ، ولا يمكن ان نقبل به . واني احتكم بذلك الى الرأي العام وهذا ما اقوله (٢) » .

وجرت مناقشة اشترك فيها عدد من النواب المؤيدين، ونالت الوزارة الثقة باكثرية ساحقة .

وبلغ التأثر من كميل شمعون كل مبلغ ، وانتابته عند انتهاء الجلسة نوبة قلبية آلمنا خبرها ، وقد خفّ الاطباء يتقدمهم الوزير الياس الخوري

(١) – محضر جلسة ٣ من آب ، ص ٨٧٩
(٢) – محضر الجلسة عينها ، ص ٨٧٩ – ٨٨٠

لاسعافه ونجحوا في مداواته . ومما اذكره انني اوفدت لمعاينته الدكتور الذائع الصيت روجه غوديل الموجود آنذاك في بيروت ففحص النائب المريض فحصاً دقيقاً وعاد يطمئني الى حالته .

دعوة رياض الصلح الى عمان :

سخط العرب كل السخط على سياسة الملك عبدالله في فلسطين لان قياده لم يكن بيده بل بيد سواه ، ولان موقفه ادّى الى قبول وقف القتال . وفي هذا الظرف المحرج تلقى منه رياض الصلح دعوة الى عمان فلم نرَ بدّاً من قبولها لكنني طلبت من رياض ان يتجنب دعوة الملك الى زيارة لبنان، حتى ولو اظهر رغبته فيها، ووافقني على رأيي . وسافر رياض الى عمان في الخامس من آب صباحاً وعاد مساء ، وجاءني حالاً ليقصّ عليّ حديث الملك ، والحديث ملؤه الحيرة : فالملك لا يريد ان يتخلّى عن فلسطين ، ولكنه لا يستطيع استئناف القتال بعد ان منعه غلوب باشا قائد جيشه (!) من استعمال الذخيرة، ومنَع الضباط الاردنيين من تلقي امر الملك للقتال ! وكان جلالة عبدالله يعلم العلم اليقين ان العرب تنكروا له تنكراً تاماً بعد ان سلموه قيادة جيوشهم . فلم يسع رياضاً الا ان نصح له بالتريّث لعل الله تعالى يمن بالفرج . ولم تبحث زيارة لبنان .

مخاوف انكليزية ومزاعم اسرائيلية :

ان خيبة الامل في فلسطين جرّت ذيلاً آخر إذ ظهرت بوادر تقرّب الحكومة السورية من روسية ، ولم تخفَ مساعيها على الوزير المفوض البريطاني ، فأوفد هذا اليّ معتمداً بثّني شكواه وتبرّمه بذلك، وأجبت الرسول باني لا استبعد مثل هذه البوادر بسبب موقف البريطانيين من قضيـة فلسطين ، ولكني استدركت بأن السوريين لا يميلون بتاتاً الى اعتناق المبادىء الشيوعية .

وفي ٩ من آب زارني رئيس الوزارة السورية واطلعته بحضور رئيس

وزارتنا على مخاوف الانكليز، فأجابني بما قلته لرسول المفوضية البريطانية ، وأكد لي ان لا خوف من انزلاق السوريين الى جانب الشيوعية . ثم تطرّق الحديث الى عروض بلغتهم بواسطة الوسيط لعقد صلح مع اسرائيل . وقد تمّ رأينا ، نحن الثلاثة ، على ان نرفض كلّ مفاوضة معها ، لان اي اتصال بها يشكّل اعترافاً بوجودها وهذا ما يرغبون فيه . وقرّرنا ان نتصل بالدول العربية الاخرى وبأمين سر الجامعة للاتفاق على ردّ مشترك يُرسل الى الوسيط ويبيّن فيه ان وقف القتال تدبير موقت لا يمكن ان يستمرّ ، وان المهم ايجاد حل عادل لقضية فلسطين .

ذيول جلسة ٣ من آب :

تلك المشاكل الخارجية لم تصرف المعارضة عن عملها مما اضطرّ رئيس الوزارة للاهتمام بالدفاع عن نفسه وعن حكومته ، بدلاً من العناية بالشؤون الخطيرة التي يجتازها لبنان ويجتازها العالم العربي .

فبعد إخفاق كميل شمعون في جلسة ٣ من آب ، وما ان ارتاح من النوبة التي ألمّت به ، حتى رجع الى عناده وتصميمه في تحطيم الهيكل، بأي ثمن كان ، وراح يتصل بالمعارضين من نواب وسواهم ، وبجميع الموتورين ، لتشكيل جبهة تهاجم الحكومة والرئاسة في آن واحد، ووجد مرتعه الخصب بين المطران مبارك العائد من رومة واميل اده العائد من باريس، وانضم اليه عدد من اصحاب الصحف . ولكن مجاله ظل قصيراً، فالمطران لا يجرؤ على التمادي في غيّه بعد التنبيه القاسي الذي تلقاه من الكرسي الرسولي ، واميل اده صار محدود النشاط بعد ان قرّر الفرنسيون التحفّظ تجاهه وعدم الاندفاع معه .

مشكلة الصحافة :

اما الصحافة ، وهي على خلاف دائم مع الحكومة بسبب التعطيل

الاداري ، فقد قابلت مسعى كميل شمعون بارتياح وانضمّ بعضها اليه بحماسة . وليس من ينكر ان الحكومة استخدمت التعطيل عند الاضطرار . وكان هذا التعطيل قد اضحى مهزلة من المهازل فما ان تُعاقَب جريدة بسبب تهجّمها على السلطات حتى ينبري الوسطاء ويعدوا بان الجريدة المعطّلة ستسلك سبيل الاعتدال ، فتخفض الحكومة مدة التعطيل من شهر مثلاً الى اسبوع او الى اقل منه ... واخيراً عُدّل قانون الصحافة وأُلغي التعطيل الاداري إلا في حالة التعرض لرئيس الجمهورية ، وحُدّدت مدته بثلاثة ايام لا يجوز تمديدها إلا بقرار من المحكمة . وكان هذا المشروع قد وضع منذ سنة ١٩٤٥ ولم يناقشه المجلس النيابي قبل اليوم ، واثناء مناقشته هدّدت نقابة الصحافة بالاضراب فتلافينا الامر الى ان أُقر القانون وصدر مرسوم بالافراج عن جميع الجرائد المعطلة (١) .

الحيلولة دون شغب المعارضة :

ودعت المعارضة الى اجتماع شامل في قرية رومية المتن ، وأغضت الحكومة عنه في بادىء الامر ، ولكنها لم تلبث ان منعته بعد ان قبضت دورية من الدرك على بضعة كتائبيين منتقلين الى عاليه على سيارة جيب ومعهم قنابل يدوية . وفُتّش بيت الكتائب في حي الصيفي وضُبطت فيه اسلحة حربية ، وأحيل المقبوض عليهم الى المجلس العدلي . وابتدأت الوساطات تسعى الى دورها المعتاد لكن رئيس الوزارة ترك سياسة المسايرة وأعدّ للامر اهبته ، فدعا كلاً من صبري حماده رئيس المجلس والنواب

(١) — تعدت حملة الصحف على الرئاسة والحكومة النطاق اللبناني الى المغترب فتابعت صحيفة «الهدى» النيوركية لصاحبها سلوم مكرزل تهجمها على العهد بامضاء الخوري يوسف عواد ، في حين اننا اهدينا سلوم مكرزل وساماً رفيعاً بمناسبة يوبيل جريدته ، وأحسنا وفادة الخوري يوسف عندما زار لبنان في ربيع هذه السنة ... عفى الله عن اصحاب الغرض الاعمى !

حبيب ابو شهلا ومجيد ارسلان واحمد الاسعد وفيليب تقلا والياس الخوري وحسين العويني وسليم الخوري وسواهم وبسط امامهم الحالة ، وقال ان صبره قد عيل وان للحلم حداً ، ولم يعد بامكانه التساهل في كرامة الحكم وهيبته . فوافقه المجتمعون على عزمه وقرّروا تكتل الاكثرية النيابية للحيلولة دون شغب المعارضة التي كانت تستمد قوتها من تشتّت القوى الموالية .

عشاء الشقيف :

ودعا احمد الاسعد الى مأدبة في فندق الشقيف ضمّت اكثرية نيابية لمناصرة الحكومة ، وقرّرت هذه الاكثرية ان تتقدّم الوزارة من المجلس في اولى جلساته بطلب الثقة . وانعقدت الجلسة في ٢٩ من آب ، وعلى جدول الاعمال استجوابان ، احدهما من كميل شمعون يزعم فيه ان الدولة تُضيّق الحريات العامة على الناس ، والآخر من سليمان العلي وكميل شمعون بشأن تعطيل الصحف . وأراد شمعون التملّص من استجوابه الاول اذ شعر بضعف موقفه ، فأحرجه رئيس الوزارة وطرح الاستجواب على التصويت وردّه المجلس . أما الاستجواب الثاني فنوقش فيه لان رئيس الوزارة قبل الردّ عليه وطرحت الوزارة الثقة على اساسه فنالتها بالاجماع، ولم يخالف سوى سامي الصلح (!) وامتنع عن الاقتراع ثلاثة نواب، احدهم كميل شمعون . وظهر فوز الحكومة باهراً بفضل تضامن الاكثرية النيابية معها .

تظاهرات التأييد من كل جانب :

وقع عيد الفطر عند المسلمين في ٦ من آب ، وهو اليوم الذي يقع فيه عيد الرب عند المسيحيين ، فأقيمت الزينات في جميع الانحاء كأنها لعيد واحد . واحتفل بصلاة عيد الفطر في الصباح المبكر في الجامع العمري ، وخرجت الجموع بعد الصلاة في تظاهرة تهتف لرئيس الجمهورية

ولرئيس الوزارة وللوزراء، ثم ذهب قسم كبير منهم الى دار رياض الصلح في عاليه ودار مفتي الجمهورية في بحمدون ، وقمتُ وفقاً للتقليد بتهنئة رئيس الوزارة واستصحبته لتهنئة المفتي . وفي تلك الزيارات لم تَنِ الايدي من التصفيق ولا الافواه من الهتاف .

وكنت أكثر التجوال في المتن والشوف فيلاقي الاهلون موكب الرئاسه بمزيد الحماسة ، خصوصاً عندما يرونني اتفقد الطرقات الوعرة حيث لا يمر موظف صغير .

عمل وترفيه :

وُجد معاً في لبنان الاستاذ الكبير اميل خوري وزيرنا المفوض لدى الجمهورية الايطالية ، والاديب اللامع شارل حلو وزيرنا المفوض لدى الكرسي الرسولي، فانتهزت الفرصة لتبادل وجهات النظر في شؤون مهمتهما، ودعوتهما الى الغداء في قصر بيت الدين مع رئيس الوزارة ووزير الخارجية ، وكان ضيف الشرف السفير البابوي . فأثير موضوع التمهيد لاقامة علائق دبلوماسية بين الكرسي الرسولي وحكومة سورية ، وعرضنا الحالة في ايطالية ، فقرّ الرأي على ان يسرع حميد فرنجيه بدعوة جميل مردم بك رئيس الوزارة السورية ورياض الصلح والسفير البابوي الى الغداء للتفاهم على تبادل التمثيل السياسي بين الفاتيكان ودمشق .

وقبل ان يودّعنا السفير البابوي اخبرنا ان بعض الاوساط المسيحية المتطرفة عاتبة عليه لمسايرته الحكومة ، وانه اجاب : « ان تلك المسايرة هي من اخص واجباتي وتتفق مع تقديري للاعمال الطيبة التي ألمسها كل يوم » .

وبعد ان انصرف المونسنيور مرينا تداولنا بشؤون لبنان في رومة وفي الفاتيكان ، ثم خرجنا الى سطيحة القصر المطلّة على

الوادي نتجاذب اطراف الاحاديث ، فظهرت مواهب الوزيرين المفوضين بأجلى مظاهرها في اجمل واحة .

وما ان غادرنا المدعوّون حتى وصل المطرانان بولس المعوشي وبطرس ديب لتنقية الجو بيني وبين المطران مبارك . فأحسنتُ وفادتهما وقلت لهما انني مستعد لتناسي الماضي على شرط ان يعلن صاحبهما اسفه على ما عمله وما فاه به من تصاريح تمسّ الوضع الوطني والرئاسة والحكومة ، وودّعاني دون ان يتعهّدا بشيء سوى السعي الى ذلك .

وفاة الشيخ فريد الخازن :

دخل هذا الصديق المخلص المستشفى الاميركي لاجراء عملية جراحية . وعدتُه غير مرة واطمأننتُ الى ما قاله لي الاطباء عن حالته ، ثم ساء وضعه فجأة وأُبلغتُ الخبر فنزلت ليلاً من عاليه ، وما ان وصلت الى باحة المستشفى حتى اجتمع حولي الاطباء قاطعين الامل . وتوفّي الشيخ فريد ونحن بالقرب منه فبكيناه بكاءً مراً . وقد أوعزتُ الى رئيس المجلس بالترتيب اللازم لاقامة مأتم حافل بنفقة الحكومة تقديراً لمواقفه الوطنية الجريئة في دفاعه عن الحياة الدستورية، فالخسارة به في هذا الميدان عظيمة . ولحظ الكثيرون تأثري الشديد ولم اتمالك من البكاء .

وفي اليوم الثاني نُقل جثمان الفقيد الى غوسطا واحتفل بدفنه في مأتم رهيب يوم عيد انتقال السيدة العذراء[1]. وقد وصلتُ الى القرية الباكية يرافقني رئيس الوزارة والوزراء فوجدت جماهير كثيرة محتشدة تواكب النعش وترثي الفقيد على الطريقة الجبلية المؤثرة ، وصُلّي على نفسه في ميدان القرية وأبّنه المطران يوحنا الحاج تأبيناً بليغاً . وفي نهاية المأتم تقبّلتُ تعازي الجماهير والدموع تنهمر من عيني . ولفت النظر وفدٌ من مشايخ الدروز رافق الوزير مجيد ارسلان ووفد من مسيحيّي الشوف

(١) — ١٥ من آب

رافق اخي سليماً ، وجميعهم يرثون الراحل بالحداء . وقدّمتُ التعازي الى ارملته ووالدته وعدت حزين القلب كئيباً .

هل لانكلترة يد في المعارضة :

أثار موقف كميل شمعون من الرئاسة والحكومة تكهّناً وتقوّلاً ... وكثرت الهمسات فيه وفي دوافع انحرافه نظراً للصداقة التي تربطه بالانكليز ، فرغبتُ باستجلاء الامر ودعوت وزير بريطانية المفوض الى مقابلتي بحضور رئيس الوزارة وحبيب ابو شهلا، وعرضنا الحوادث الخارجية وذيول قضية فلسطين ، ثم سأل رياض الصلح الوزير المفوض عن موقف البريطانيين من حملات صديقهم ، فاستنكر الوزير البريطاني المعارضة التي يقوم بها شمعون وقال إنه لا يوافق على الخطة التي انتهجها !..

بعض المشاغل :

بلغني ان في نية هنري فرعون زيارة المطران يوسف معلوف في بعلبك، بعد ان باشرت قوى الامن مطاردة الدنادشة المعتدين على اهالي رأس بعلبك ، وبلغني ايضاً ان بعضهم تحدّثهم نفسهم بالاعتداء على هنري ، فطلبت من رياض الصلح ان يقول له بارجاء زيارته فقبل هنري النصيحة .

كانت وفود الدول العربية الى المؤتمر البرلماني المنوي عقده في رومة في ٢ من ايلول قد قرّرت اجتماعاً تمهيدياً في لبنان ، فدعاهم رئيس المجلس النيابي للنزول في فندق صوفر حيث مكثوا ثلاثة ايام يناقشون جدول الاعمال . ودعوتهم الى تناول الشاي في مقرّنا بعاليه ولبّوا الدعوة شاكرين .

عاد كمال جنبلاط من اوربة بعد ان اقترن بابنة صديقنا الكبير المرحوم الامير شكيب ارسلان ، واظهر رغبته بزيارتنا فاستقبلناه مع عقيلته بمزيد الحفاوة . والارجح انه لاول مرة في تاريخ الطائفة الدرزية

يتمّ مثل هذا القران ، فهل يكون بدء عهد التفاهم بين الاسرتين سبيلاً الى نبذ الخلافات ؟

دعوة الناخبين في محافظة جبل لبنان :

صدر في آخر آب مرسوم يقفل الدورة النيابية بعد ان خلا مقعدان مارونيان بوفاة المرحوم فريد الخازن وباستقالة اخي سليم الذي أصرّ على ترك النيابة . ومالت المصلحة الى ترشيح اميل لحود وسليم الخازن .

وفي الثالث من ايلول صدر مرسوم بدعوة الناخبين الى يومي ١٩ و ٢٦ من هذا الشهر ، ولم يُرشّح احد نفسه سوى المرشحَين المذكورين .

الانتقال رسمياً الى بيت الدين :

سافر رياض الصلح الى الاسكندرية لحضور اجتماعات اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في ٣ من ايلول .

وفي ٦ منـــه انتقلتُ الى بيت الدين بطريق الدامور دير القمر . فاستقبلتنا الدامور استقبالاً حافلاً ورافقتنا فيها سيارات عديدة وكذلك رحّبت بنا دير القمر ترحيباً حاراً وإنْ توارى بعض الافراد ... وترجّلتُ في الساحة العامة وعرضت فرقة من الدرك ، وحيّيتُ الجماهير المحتشدة وهي تصفق ابتهاجاً فشكرتها . وتابعت السير الى بيت الدين فرأيت الوفود متراصّة على جانبي الطريق ، مـــن المعاصر حتى ميدان السراية ، وقد أُطلقت العيارات النارية على رغم مـــن التحذير ، ثم اطللتُ من الشرفة على الميدان وحيّيت هؤلاء المواطنين الطيبين ، ووقفت في الباحة الداخلية وصافحت وفود القرى الشوفية ووفود المتنين ، يتقدّم هؤلاء مرشّحهم اميل لحود ، ودعوتُ الى الغداء جميع المرافقين الرسميين . وبعد الغياب تلألأت جميع المقاطعة بالزينات النارية وبدت في مشهد جميل .

وفي اليوم التالي استقبلت وفداً من بيت الدين وقـــد زارني مهنئاً بسلامة الوصول باعتباري ضيف البلدة ، وكذلك استقبلت وفداً من راشيا جاء يطالب بتحقيق جر مياه الشرب لبلدته وللمنطقة فوعدته خيراً . وبعد مدة خُصص الاعتماد اللازم لهذه الغاية .

وفي ٨ من ايلول عيد مولد السيدة العذراء شفيعة كرسي بيت الدين احتفل المطران بستاني بقداس حبري دعاني اليه فلبّيتُ مع قرينتي ، وقد تناهى الاسقف في تكريمنا ولفظ بعد الانجيل كلمة شكر وتأييد لنا ، وفي نهاية الحفلة انتقلنا الى الحديقة واحتسينا القهوة في ظلال الاشجار الباسقة ، وحولنا وجوه المنطقة ، وتبادلنا الاحاديث بجو ملؤه البساطة ثم ودّعتُ المطران والحاضرين وذهبت مع زوجتي في نزهـــة الى ضهور السمقانية والجديدة والمختاره وجوارها متذكراً الايام الماضية وروعتها .

استقبالات وحفلات :

كنت اثناء اقامتي في بيت الدين اطوف كل يوم بارجاء القصر متفقداً اعمال الترميم القائمـــة على قدم وساق والتي صارت وشيكة الانتهاء . ويرافقني موريس شهاب مدير الآثار والمهندس انطون ثابت المشرف على الترميم ، وانا استحثّ همتهما للسرعة في العمل حتى يعود الى القصر ما كان له من العمران والاتقان .

وصادف ان خليل ثابت ، الديري الاصل ، عضو مجلس الشيوخ المصري جاء يصطاف في دير القمر ، وهو عدا مركزه الرسمي كاتب ناضج وصحافي مشهور برصانة آرائه فاستقبلته غير مرة واستمعت الى احاديثه الممتعة ودعوته الى الغداء مظهراً له التقدير الذي تستحقّه مكانته . وهو واحد من الرعيل اللبناني الذي خدم مصر وطنه الثاني فاستحق الشكر من الوطنين وأُنعم عليه بلقب « باشا » . وكان خليل باشا يتبرّم بتصرف بعضهم في دير القمر ويقول لي : انهم يضيعون اثمن فرصة لهم في جوارهم

لمقامكم . وكنت اجيبه : سامحهم الله ، وليعلموا ان معاملتي لمنطقتهم لا تتأثر بموقفهم . . .

وفي ١٢ من ايلول استقبلت وفود القرى الشوفية واقليم الخروب وبسوس والمناصف ، وصلت تحدو حداءها اللبناني المؤثّر جداً ، وقد امتازت بوفرة عددها وإظهار ولائها بالخطب والقصائد . وصادف وصول الشيخ محمد عبد الصمد شيخ عقل الطائفة الدرزية الى القصر بينما الوفود تتدفق في وصولها موجات بعد موجات ، فأشاد الشيخ باتحاد العنصرين المسيحي والدرزي . وأثّر فيَّ ان شيخاً درزياً من مشايخ وفد المناصف تقدَّم مني قائلاً : يا فخامة الرئيس ، يسمع الانسان احياناً ما يسرّه بدون سابق انتظار ، وقد سررنا فعلاً عندما سمعنا نحن الذين ندين بمبدأ التقمص وفداً من الوفود الكثيرة ينشد :

« والمـــير بشير بعزّو تقمَّص بالشيخ بشاره ! »

وفي ١٣ من ايلول مساءً اقيمت الزينة على سطح السراية احتفاء بعيد الصليب . وتمشياً مع التقاليد حضرت القداس يوم العيد في كنيسة القرية ثم استقبلت وفوداً اخرى في قاعة العمود ، وفيما نحن على ذلك وصل رئيس الوزارة عائداً من الاسكندرية يصحبه وزير الخارجية وعرض علينا ما كان في سفره وتباحثنا بشؤون الجامعـــة العربية ومقررات اللجنة السياسية وتأليف وفدنا الى هيئة الامم . وقد تفاهمنا على تلك الامور كلها ودعوتهما الى الغداء .

كان اليوم ١٦ من ايلول مخصّصاً لاستقبال غبطة الكسندروس طحان بطريرك الروم الارثوذكس ومعه اساقفته . وقد زارني ليقلّدني الوشاح الاكبر لوسام القبر المقدس مع قِلادته من قبل البطريرك الاورشليمي ، وأُقيمت الحفلة في قاعة العمود في منتصف الساعة الثانية عشرة ، والقى غبطة الزائر خطاباً لطيفاً أكـّد فيه باسمه واسم طائفته العزيزة عاطفة الصداقة والتأييد فأجبته شاكراً ، وتناول مع اساقفته الغداء في القصر

وتبودلت الانخاب ، وتكلّم سيادة المطران ابو رجيلي على المائدة معبراً عن عواطفه وعواطف السادة الاساقفة فكان كلامه آية الولاء والوفاء . وقد ودّعتُ الجميع بالحفاوة .

ثم استقبلت رياض الصلح وهو على اهبة السفر الى باريس ليرئس وفدنا في الدورة العادية لجمعية الامم المتحدة . وكانت لدينا قضايا معلقة عديدة فخلوت به ساعتين كاملتين ودرسنا تصفية مخلّفات الجيش الاميركي وهي التي اشترتها الحكومة سابقاً ، والحكم الذي صدر على نهاد توفيق ارسلان ، ومقتل الكاهن الارثوذكسي في جوار قرية شبعا ، وحالة الامن والدرك وبعض التعيينات والتبديلات . وألححتُ على رئيس الوزارة بان لا يغادر لبنان قبل ان يجتمع مع الوزراء السوريين لتصفية الامور المالية والاقتصادية المعلقة بين البلدين منذ توقيعنا على اتفاق النقد ، فأكد رياض لي ان الاجتماع المشترك سيعقد في ١٩ من ايلول في دمشق قبل ان يركب الطائرة الى باريس .

تلك المشاغل اليومية المتراكمة عليّ لم تحلْ دون عنايتي بعمران قرى الشوف ، وكثيراً ما كنت ادعـــو الفنيين من موظفي الاشغال العامة لاطلاعي على الخرائط وعلى سير الاعمال . وهو تشجيع كافٍ لزيادة عنايتهم بالعمل والاسراع به . وقد ظهرت نتائجه بأسرع مما كنت اتوقع .

استقبال وزير خارجية ليبرية :

حلّ وزير خارجية ليبرية ضيفاً على الحكومة اللبنانية منذ ايام فدعوته في ١٧ من ايلول الى بيت الدين ودعوت معه وزيره هـــنري الجميل المفوّض لدينا وكان الضيف يحمل اليّ وسام « النجمة البيضاء » اكبر وسام في جمهوريتهم ، فأقيمت حفلة تسلمه في قاعة العمود بحضور رئيس الوزارة ووزير الخارجية ومديرها وموظفي الرئاسة وقنصل لبنان في مونروفيه وكان يرافق الوزير في تجواله في لبنان ، ثم دعوت الضيف

الكريم الى تناول الغداء مع من ذكرت وكان الاجتماع وديّاً جداً .

وطاف وزير ليبريه ورفقاؤه في ارجاء القصر بانتظار استقبال آخر أُقيم بعد ظهر ذلك النهار في الحدائق إكراماً له ودعي اليه النواب والوجهاء واعضاء الجالية اللبنانية في ليبرية من المصطافين في لبنان مع زوجاتهم ومعظمهم من دروز الغرب (الشويفات ودير قوبل) وهم مواطنون افاضل يبيّضون الوجه .

مصرع الكونت برنادوت :

وبعد انصراف المدعوين انعقد مجلس الوزراء لتصريف بعض الشؤون المهمة قبل سفر رياض الصلح . وفيما نحن في الاجتماع بلغنا مقتل الكونت برنادوت الوسيط الدولي وقد صرعه الارهابيون الصهيونيون في احد شوارع القدس الجديدة وهو بلباسه الرسمي في طريقه الى دار الحكومة !

وما ان بلغنا هذا النبأ المؤسف حتى وصل القائم باعمال المفوضية البريطانية وطلب مقابلتي واكد لي مصرع الكونت . وكان قد قام في ذهني دقيقة سمعت النبأ اننا قد نستطيع استغلال الجريمة ضد الصهيونية فسألت زائري عما تكون نتيجة هذا العمل الاجرامي ، فحار في جوابه وأظهر اسفه للحادث ولم يُشر الى ذيوله . فقلت في نفسي : انه لن تكون ذيول، وان الريح لم تواتِ العرب ولكن دماء بريئة قد هُدرت . ولله تعالى حكمة لا تدرك . وسيظل رسول السلام يستصرخ العدالة وهي صماء ، ولن يقام لقتله ايّ وزن حتى في صميم مجلس الامن وفي هيئة الامم المتحدة التي امتُهن علمها ، وصُبغ في وضح النهار بدم مندوبها ووسيطها ...

وفي ١٨ من ايلول انعقد مجلس الوزراء وصدر مرسوم بتعيين وفدنا الى هيئة الامم المتحدة برئاسة رياض الصلح ، وأنجزنا بعض الاشغال

العادية . ثم استقبلت المطران اوغسطين بستاني وحاشيته وكمال جنبلاط وعقيلته ، لتناول الغداء على مائدة الرئاسة، وشاع جو ولائي جديد بين بيت الدين والمختارة، وسمعت من جميع ضيوفي اشد آيات التأييد، فسررتُ جداً اذ بدأت امنيتي تتحقق بجمع الكلمة في الشوف حول مقام الرئاسة .

نيابة اميل لحود وسليم الخازن :

جرت الانتخابات الفرعية في محافظة جبل لبنان يوم الاحد في ١٩ من ايلول .

وكان ممثلو المعارضة قد اصدروا بياناً بمقاطعتها ، موقّعاً عليه من كميل شمعون وكسروان الخازن وبيار الجميل . ولكن المقاطعة لم تُسفر عن اي اثر اذ ان الناخبين اقبلوا على صناديق الاقتراع إقبالاً كبيراً . ولم يكن للمرشحين منافس . واعلنت النتائج في الليل ، وفاز بالنيابة اميل لحود وسليم الخازن . وجدير بالذكر ان كمال جنبلاط اشار على انصاره بالاقتراع ولم يبال ببيان المعارضة . . . وجدير بالذكر ايضاً ان بعض الموظفين كانوا ملكيين اكثر من الملك فظهر في الصناديق اوراق تزيد على عدد المقترعين الحقيقيين ! فاجتمع مجلس الوزراء ليلاً وامر بتحقيق شامل لمعاقبة المتجاوزين ، وكان رياض الصلح في دمشق وبلغته نتيجة الانتخاب الفرعي فبات ليلته مطمئناً ، وفي اليوم الثاني ركب الطائرة الى باريس ترافقه تمنّياتنا ومحبتنا .

ترقيات المساعدين القضائيين :

صدرت ترقيات المساعدين القضائيين في ٢٠ من ايلول ووضع موضع الدرس تصنيف موظفي وزارة الاشغال العامة وارجىء البتُّ فيه الى وقت آخر .

ذكرى انتخاب الرئاسة :

لم تنتظر الوفود نهار الذكرى لتقدم التهاني ، بل بدأت ترتاد القصر منذ اسبوع وكان وفـد بلدية دير القمر واعيانها في مقدمة الوافدين المهنئين وقدّم لي مذكرة بسط فيه مطالب البلدة وختمها بشكري على الاعمال العمرانية والاثرية السابقة متمنّياً عليَّ إتمامها .

وفي ٢٠ من ايلول امّت بيت الدين وفود محافظة جبل لبنان يتقدمها النائبان الجديدان اميل لحود وسليم الخازن ، فخرجتُ الى الشرفة المطلّة على الميدان الكبير للترحيب بهـا وحيّتني بالاهازيج وإطلاق العيارات النارية . وألقى اميل لحود خطاباً بليغاً على عادته مهنئاً بالذكرى ومشيداً بالاستقلال والسيادة ، وأجبته على كلمته ورجعتُ الى قاعـة العمود لاستمع الى الخطباء والشعراء ، ثم صافحت الناس فرداً فرداً والسرور يملأ الوجوه .

وفي ٢١ من ايلول وفدت الشخصيات الرسمية والدينية والمدنيـة وأُقيمت زينات باهرة في ساحة القصر وفي بيت الدين ودير القمر وبعقلين والمعاصر وجوارها . وزار وفد من سيدات دير القمر زوجتي في الدار الداخلية وعاد فزارني في قاعة الاستقبال بحضور المطران بستاني ، وألقى سيادته دعاء حاراً بحفظ لبنان ورئيسه . وأوفد فخامة الرئيس السوري الوزراء سعيد الغزي وميخائيل ليان ووهبه الحريري لتهنئتي . وكذلك اوفد بطريرك الروم الكاثوليك ثلاثة مطارنة للغرض عينه . وكان في مقدمة المهنئين المطران ايليا الصليبي والمطران ايليا كرم وعدد عديد من الاساقفة والكهنة والرهبان الموارنة .

فالحمد لله دائماً على نعمه المتواصلة وعلى هـذا الالتفاف البارز حول الرئيس ليشجعه على العمل الصالح .

العودة الى الاعمال العادية :

قسمتُ اعمالي بين بيروت وبيت الدين متوخياً السرعة في إنجازها ، واتصلت برئيس جمهورية سورية بالهاتف المباشر وشكرته على تهنئته يوم العيد، وطلبت منه ان يوفد الينا وزير خارجيته لبحث الشؤون المشتركة بيننا ولتوجيه وفدَينا الموجودين في باريس .

تلقيتُ نبأ بوصول رياض الصلح الى باريس بعد ان تأخرت طائرته في دمشق وفي استنبول بسبب رداءة الطقس .

فلسطين في هيئة الأمم المتحدة

كانت المسألة الشائكة في اجتماع الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة قضية فلسطين، اذ تبنّت حكومتا الولايات المتحدة وبريطانية اقتراحات الكونت برنادوت بانشاء دولة يهودية مصغـرّة ، وتقسيم فلسطين بـيـن العرب واليهود ، وهذا ما لا يقبل به العرب . وبدا الجوّ قاتماً إذ راحت دوائر هيئة الامم تتودّد اميرَ شرقي الاردن ووعدته بانها تتساهل معه ، بعد التقسيم ، بضم الجزء الذي يبقى عربياً الى إمارته وتعترف به ملكاً عليها جميعاً ، مع الاعتراف طبعاً باسرائيل ! وكانت تلك نقطة الضعف في الامير الهاشمي عرفها الصهيونيون فيه منذ عرفوه ، ومهروا في استغلالها في شتى الظروف ... وهذا يفسّر غضب الامير واحتجاجه على تشكيل حكومة عربية لفلسطين برئاسة احمد حلمي واتخاذها غزّة مقراً موقتاً لها .

واجتمع وزيرا خارجية سورية ولبنان في مكتبي وبحثنا موضوع الدولة العربية الفلسطينية وموقف الملك عبدالله منها ورأينا ضرورة دعمها . وأقرّ الوزيران سفر احدهما (محسن البرازي) الى القاهرة وبغداد لاستمزاج حكومتيهما بالوضع الراهن . وأطلع الوزير البرازي زميله اللبناني

على مشروع مذكرة ينوي تقديمها لامانة الجامعة العربية تتضمن شكوى سورية على شرقي الاردن بسبب موقفه من قضية فلسطين ، فوافقنا مبدئياً على نصّها شرط ان يُتريّث في تقديمها لئلا يضعف الموقف العربي في هيئة الامم المتحدة حيث النية غير صافية ، وقد تُنتهَز فرصة الجهر بخلافات العرب ليُقضى على آخر امانيهم في تحرير القطر المنكوب .

ودّعنا محسن البرازي وطار الى القاهرة واتصل بحكومتها وبالامانة العامة للجامعة ، واتضح له ان الدول العربية تفضّل التريث بالاعتراف بحكومة فلسطين الجديدة فرجع الينا بعد يومين حاملاً هذا الخبر، فدعونا حميد فرنجيه وزير خارجيتنا واتفقنا على ان نحدّث شكري بك القوتلي بالواقع ففعلنا وقـد اتفقنا جميعنا معه على ان ننتظر وصول مزاحم الباجه جي رئيس وزارة العراق الى دمشق لنقرر تحديد الوقت الملائم لذلك الاعتراف . وأبرقنا الى رئيس وزارتنا في باريس بخلاصة ما تمّ الاتفاق عليه .

المعرض الزراعي في شتورا . زيارة البطريرك الصائغ في قصر بيت الدين . نزهة الى معاصر الشوف :

في ٢٦ من ايلول ذهبت الى شتورة يرافقني وزير الزراعة والوزراء فاستقبلتنا حشود عظيمة في مفرق قب الياس وهي وفود البقاع كافة ، فحيّيناها وتابعنا طريقنا يواكبنا راكبو الخيل حتى فندق شتورة . وترجّلتُ وعرضت مفارز الجنود والدرك وصافحت الرسميين ووجهاء زحله والبقاع وحيّيتُ الجموع المتراصّة ثم تفقدت اقسام المعرض كلها بين حماسة القوم وهتافهم . وقد سررت بما شاهدت ولكن التنظيم كان مفقوداً ... وخطرت لي كلمة ارتجلتها عن مزايا الارض اللبنانية والمزارع والفلاح فلقيت استحساناً كثيراً .

ودعي الوزراء والرسميون ورؤساء الدين والوجوه والاعيان الى الغداء

المعدّ في فندق مسابكي وحرصت على ان يكون الاجتماع وديّاً .

وفي ٢٧ من ايلول زارني في بيت الدين غبطة بطريرك طائفة الروم الكاثوليك مع جميع اساقفته ومطرانَين جديدين سيما على بيروت وعمان ، وتناولوا الغداء على مائدة القصر . وكان غبطته مسروراً يطفح البشر من وجهه ، وقد شرب نخبي قائلاً : « ان الطريقة الفضلى لاتقاء جميع المخاطر الداخلية والخارجية هي التفاف جميع العناصر حول فخامة الرئيس » . فشكرته . وبعد الغداء خلا بي لمسائل عمومية وخصوصية ثم ودّعني مع اساقفته الاجلاء شاكراً ما لقيه من حفاوة واكرام .

وفي اليوم عينه استقبلت رئيسة دير عبرين وراهباته ودار الحديث على اعمال المثلث الرحمات البطريرك الياس حويك مؤسس الرهبنة وقد رعاها بعنايته فأينعت احسن الثمار .

وزدتُ في التجوال في قرى الشوف لأودّع الربوع الجميلة قبل نهاية الصيف ، وقصدت مع قرينتي الى المعاصر ودخلناها فجأةً ، ورغبت تفقد الطريق المؤدّي الى ارزها ومنه الى مقلب الماء والى البقاع الغربي ، ولكني لم اكمل النزهة بسبب عطل الطريق ، وتوقّفت في ساحة القرية قليلاً والشمس تميل الى الغروب والوان البحر بهية . وشاهد بعضهم السيارة فتنادوا وخفّوا لاستقبالنا والحفاوة بنا ، وكان سرورهم عظيماً لانهم شاهدوا لاول مرة حاكماً في ربوعهم . وترجلتُ لاردّ لهم التحية وقد احاطوا بي باشّين . وأجمعوا على طلب إصلاح طريق الباروك — المعاصر وطريق بلدتهم الى البقاع .

مشروع الاتفاق الاقتصادي والمالي مع سورية :

ان الاتفاق الموقت الذي عقده رياض الصلح وجميل مردم بك ، بعد اختلاف سورية ولبنان على الاتفاق المالي مع فرنسا ، لم يكن ليفي بالمرام ،

وقد جدّدناه غير مرة إلا ان الحالة الراهنة كانت تتطلب قيام علائق نهائية لمصلحة الجارين ، وكانت المشاريع والعروض قد توالت ، فعرضت جميعها على مجلس الوزراء في ٢٦ من ايلول وبحثها المجلس طوال اربع ساعات متتابعة ولم يسفر درسه عن نتيجة حاسمة ، فأقرّ الرجوع الى رأي الخبيرين من ارباب التجارة والصناعة اللبنانية ، وتولّت وزارتا المال والاقتصاد استشارة هؤلاء الخبيرين فكانت آراؤهم متضاربة . ثم انعقد مجلس الوزراء في ٣ و ٦ من تشرين الاول ، وجاءنا وفد تجاري من بيروت يطلب مقابلة مستعجلة لإبداء وجهة نظر التجار في القضايا المعروضة على بساط البحث ، فاستقبلناه واحتجّ على تشبّث الجانب السوري باجبار التجار اللبنانيين على نيل إجازة مسبّقة لاستيراد البضائع مما يسبّب لهم اضراراً جسيمة . واقترح الوفد الاستعاضة عن الاجازة المسبّقة بوضع بيان ببضائع محدودة يمنع من استيرادها منعاً باتاً الى حين ، ثم انعقد مجلس الوزراء مرة ثالثة وأقرّ ضرورة التمسك برغبة التجار اللبنانيين الذين يعلقون على وجهة نظرهم اهمية كبرى يرتبط بها مصيرهم ، فمن واجب الحكومة ان تحافظ على مصالحهم المشروعة .

زيارة دير مشموشة :

لبينا دعوة رئيس الدير وغادر الموكب بيت الدين في ٣ من تشرين الاول صباحاً بطريق المختاره — جزين ، وزحفت قرى الشوفين جميعها الى الطرقات العامة تهتف بالحداء حاملة الازهار ، واستوقفت الموكب في المختاره وعين قني وعماطور ونبع عزيبه حيث وقف وجوه جزين في مفرق مدينتهم ينتظروننا ، فحيّيناهم ومشينا بين صفين من الجماهير من النبع حتى الشالوف ووصلنا الى دير مشموشه والاجراس تقرع والناس تزغرد ، وانتظر الرهبان وعمدة التلامذة القدماء في مدخل ساحة المدرسة ورافقنا الآباء بالملابس الكنسية والتراتيل والبخور الى الكنيسة حيث حضرنا القداس ثم انتقلنا الى القاعة الكبرى لحضور حفلة خطابية ، وقد

استدرجني الشعراء والخطباء باقوالهم الولائيــة البليغة فتكلمت مرتجلا ، وهزّ كلامي السامعين . وتناولنا الغداء على مائدة الدير وعدنا الى بيت الدين بطريق الدامور دير القمر وبلغني فيما بعد ان خطاب مشموشه نقلته الاذاعة وصادف استحساناً شاملاً .

مقابلة كميل شمعون لي في قصر بيت الدين :

طلب اليّ صديق ان اعيّن موعداً لكميل شمعون استقبله فيه وأُفسح له المجال للتبسط في عرض افكاره وآرائه ، فأبرقت استشير رياض الصلح في باريس ، وتلقيت جوابه في برقية مستعجلة يقول فيها : « على رئيس الجمهورية ان لا يوصد بابه بوجه احد » . وتمّت المقابلة . واجتهدت ان اجعل جوّها ملائماً إلا ان الحديث كان ذا شجون ، ولمست من خلاله ان خيوط الماضي قد تقطّعت وان الزائر منصرف بقواه جميعها نحو الانتقاد اللاذع ، واضعاً نفسه فوق محيط السياسيين ، ينظر الى الهِنات فيجسّمها سيّئات ، والى السيئات فيتمسّك بها دون سواها ويتجاهل او ينكر الحسنات ... متناسياً انه اشترك في الحكم منذ اليوم الاول حتى اربعة اشهر خلت ! وبيّنت له بعض اخطائه فلم يعترف بها واراد ان يبرّرها !

دامت المقابلة ما يزيد على الساعتين ، وبقيت الشقّة بيننا بعيدة سواء أمن الوجهة الشخصية ام من الوجهة العامة . وما كنت لانكر ان الطموح الشخصي امر طبيعي ومشروع ، شرط ان لا تمشي مظاهره في طرق فقدت كياستها او سيطر عليها التعنّت والصلف، لئلا تؤدّي الى شق الصفوف وبلبلتها .

كنت صريحاً جداً مع زائري شأني الدائم معه ومع سواه ، ووددت ان اصل ما انقطع بيننا فلم أُفلح، وأسفت للعقبات التي وضعها في طريق التفاهم دون مبرّر .

سوق عكاظ في حدائق القصر :

دعوتُ جمهرة من رجال الادب والصحافــة الى تناول الشاي في حدائق القصر وانبرى الشعراء والخطباء لانشاد الشعر وإلقاء النثر ، وكانت فرصة سانحة لابراز المواهب التي يتحلى بها نفر من اللبنانيين ، وكان لبنان عروس شعرهم ونثرهم فنهلتُ ما استطعت من هذا المعين . وجمعنا القصائد والخطب وشكرت المدعوّين ، وأحسنت وفادتهم في الحل والترحال .

متابعة درس الاتفاق اللبناني السوري :

تابع مندوبو الحكومتين اجتماعاتهم في شتورة وأطلعني الوفد اللبناني على ما دار فيها ، فدعوت وزيريّ المال والاقتصاد ورئيس مجلس المصالح المشتركة وأعدنا النظر في الموضوع فاتضح لي ان الخلاف في الرأي لا يزال مستحكماً ولكن المندوبين توصّلوا الى وضع بعض الاسس الصالحة للاتفاق، منها مبدأ تعادل النقدين في مدفوعات المصالح المشتركة والدوائر الرسمية والحوالات المصرفية حتى بلوغ احد الرصيدين الدائنين مقدار عشرة ملايين ليرة لبنانية ، وعندها يوقف التعاطي حكماً الى ما بعد تسديد الرصيد المدين او بعد المقاصة بين الرصيدين .

ومن اسس الاتفاق ايضاً الاستغناء عن رخصة الاستيراد المسبّقة والاستعاضة عنها بلوائح تلحق بالاتفاق كجزء متمم له تُحدّد فيها البضائع الممنوع استيرادها موقتاً . وقد فوّض موسى مبارك وحسن جَبّاره رئيسا مجلس المصالح المشتركة إعداد هذه اللوائح .

واستشرنا المسيو بيسون مدير بنك الاصدار في تلك النتائج التمهيدية فوافق على مبدأ تعادل النقدين بالشروط الواردة وقال ان تطبيقه العملي متيسر .

وبذلنا جهوداً عزيزة في سبيل التفاهم تفادياً للقطيعة وحتى لا نُلجأ اليها الا في الضرورة القصوى . وعلى هذا الاساس اعطى وزير المال ووزير الاقتصاد التوجيهَ اللازم للوفد اللبناني .

زيارة المختارة وبعض قرى شوفيّة :

في ٦ من تشرين الاول تفقدتُ الطرق المؤدية الى مزرعة الشوف والكحلونية وعرّجت على جديدة المختارة واسترحت في مزرعة الشيخ داود طليع متفقداً مزروعاتها . ثم زرت كمال جنبلاط وعقيلته في المختاره فسُرّا بمفاجأتي وسألتهما عن حالة الست نظيره التي كانت تتداوى في بيروت فأسمعاني الاطمئنان . وجلسنا في أعلى الحديقة عند السد الذي تتدفق منه مياه الباروك وامامنا الوادي الجميل واشجار الزيتون . وأرسل كمال يعلم اهالي المختاره بوجودي المفاجىء فاسرعوا واجتمعوا امامِ مدخل القصر . ولما ودعتُ صاحب الدار وعقيلته عائداً الى بيت الدينِ تقدم الاهلون مني وحيوني تحية حارة

استقبال رسمي في حديقة القصر . زيارة المطرانين بولس المعوشي واوغسطين بستاني :

رأينا ان نقيم قبل مغادرة بيت الدين حفلة استقبال واسعة نختم بها حفلات الصيف، فدعونا جميع الوزراء المفوضين الاجانب وكبار الموظفين المدنيين والعسكريين والوجهاء والاعيان مع عائلاتهم . وعاونتني قرينتي والوزراء في الترحيب بالضيوف وإكرام وفادتهم ، ومُدّت موائد المقصف في الحديقة واختلف المدعوون اليها مظهرين اعجابهم بترميم القصر الذي خلع على المكان وشاحاً من الذكريات هي بعض تاريخ لبنان .

وكان المطرانان معوشي وبستاني من المدعوّين الى الحفلة فلم يحضراها ولكنهما وفدا بعد نهايتها وقصّ علي المطران معوشي ما يعانيه هو وإعضاء

اللجنة الرسولية من التعب في ممارسة اعمالهم بسبب تصلب البطريرك عريضه بالصلاحيات المنتزعة منه فنصحت له بالصبر وطول الاناة .

* * *

ودّعني الضيوف وصعدتُ الى سطح القصر والشمس تميل الى المغيب تتقطر بين غمامتين «كالدمعة الحمراء» .

خفتت زقزقة العصافير نزيلة حديقة القصر ، ورفرفت جوانحها سراعاً في طيرانها الى الوَكنات ، وتسلّق « القرقدان » الشربينة الهيفاء الى مضجعه في ذروتها ، سريع الغفوة خفيف اليقظة ، كأنه ينام باحدى مقلتيه .

وأسرع الليل بخطىً مجنّحةٍ يغشى الوادي ويسترقُ خضرتَها، ويرقى رويداً الى اعالي الجبل ليطوّق السماء من جوانبها ، وسطعت النجوم تباعاً ، وشبّتْ سُرُجُ دير مار عبدا المواجه للقصر ، ومساكنِ الوادي، وإبّالةُ خَلواتِ جرنايا على جبل المناصف، وأُضيئت المصابيح في دير القمر وبيت الدين ، وعـين المعاصر وأطراف بعقلين ، وانكفأ الضجيج، واختبأت الضوضاء في مكامنها ، وارتفع صوت الشلاّل فهدرت مياهه عازفة عزفَ الملائكة في النعيم ، وتشجّعت نافورةُ البركة فجاوبتها باللحن الخفيف .

جلستُ كأنني في قطعة من جنةٍ هبطت من عدن الى الارض ، وارتوت عيناي نعاساً في « تعسيلة » اشهى من إغفاءَة الفجر كانني يقظان نائم ، وترآى لي في لمحةِ بصر طيفُ الامير الكبير خارجاً من حجرته يتلمّس طريقه الى شرفة القصر بخطى متئدة ليجلس في مقعده المعهود ويطلّ على الوادي .

ثم لاح وميض برق وأيقظني من غفوي ، فغاب الامـير عن نظري

فجأة ونزل الغيث قطراً ثم انهمر ، وفاحت تربة لبنان بعبيرها وفيه من العنبر طيب ، ومن العنب والتين عود ، فمشيت الى مخدعي ورفعتُ عينيّ ويديّ وقلبي نحو خالق هذه الروائع ، وسألته عزّ وجلّ ان يديم على لبنان نعمة جمال الخلق والخلق . ونمتُ قرير العين على امل الاصباح القريب .

العودة الى بيروت . الاعتراف بحكومة فلسطين :

غادرنا بيت الدين في يوم عاصف . ورأست في الملعب البلدي في بيروت حفلة تسليم السيوف للضباط الجدد وسمّيت دورتهم باسم فلسطين . وقد حلفوا اليمين وهم رُكّعٌ حسب التقليد وقلتُ لهم كلمةً تناسب المقام . ثم مشوا في صفٍ منتظم ومرّوا امامي وامام الوزراء وقادتهم يتقدّمهم عَلَم المعهد .

وعدت مع الوزراء الى القصر وحدّث وزير الخارجية وزيرَي مصر والعراق ليقف على مدى استعداد حكومتيهما للاعتراف بحكومة فلسطين فتبيّن له انهما على استعداد حسن ، وما لبثنا ان اعترفنا بها في ١٣ من تشرين الاول ، اي في حلول عيد الاضحى ، وأبرقنا بالامر الى غزّة ، وكذلك فعلت الحكومة السورية .

اعترفنا بحكومة فلسطين ونحن نعلم تمام العلم ان البريطانيين غير راضين عن موقفنا هذا ، وقد اتصلوا بنا غير مرة كي لا نقدم على الامر مراعاة لخاطر الملك عبدالله . اما وقد أقرّته اللجنة السياسية في الجامعة فلم يعد بوسعنا التراجع عنه ، وقد تريّث لبنان في ذلك حتى تسبقه الدول العربية الكبرى في اعترافها ، وحذا حذوها .

قضية فلسطين ايضاً :

دعوت السفير البابوي وعرضت معه وضع فلسطين ومصير الاراضي

المقدسة ، ولم أخفِ عنه اسف العرب عموماً ولبنان خصوصاً من ان الكرسي الرسولي لم يشجب، كما كان يُنتظر منه، تأسيسَ اسرائيل واعمالَ الصهيونيين الفظيعة في الارض التي قدستها الديانات السماوية كلها . وقد استرعت ملاحظاتي انتباهه ، ووعد بان يراجع الكردينال اغاجانيان ويعلما رومه معاً بالامر ويطلبا من الكرسي الرسولي زيادة العناية بالقضية الخطيرة التي جعلناها اولى مشاغلنا الرئيسية .

وصار يزداد قلقنا يوماً بعد يوم بسبب اخبار هيئة الامم في باريس ، بالرغم من التطمينات التي بعث اليّ بها رياض الصلح بلسان حبيب ابو شهلا (١) ، وقد بنى رياض تفاؤله على حديث جرى له مع المستر بيفان عن عرب فلسطين ولكن التفاؤل رافقه كثير من التحفّظ .

وامتلأ الاسبوع الاخير من ايلول بحوادث خرق الهدنة من قبل الصهيونيين في القطاع المصري، فاتصل بي الرئيس السوري وأخبرني انه قد ارجأ سفره الى العراق بسببها .

وأوفدنا الزعيم العام فؤاد شهاب الى مصر ليبحث مع عبد الرحمن عزام في ما يجب عمله ، وعُقد اجتماع في عمان حضره الوصي على العرش العراقي وجميل مردم بك ومحمود فهمي النقراشي وأسفرت نتيجة ذلك كله عن ضرورة وقف القتال ولكن الصهيونيين استمرّوا في الحرب .

وامام تلك الحالة المحرجة زار الامير عبد الاله الرئيس السوري في دمشق واقترح عليه دعوة الملوك والرؤساء العرب للاجتماع . وقد اخبرني شكري بك بالاقتراح فوافقت عليه ، على ان يُعرض على ملك مصر

(١) — بعث رياض يطمئننا الى ذلك مع حبيب ابو شهلا الذي مثل مجلس نواب لبنان في المؤتمر البرلماني العام في رومه . وبعد انتهاء المؤتمر سافر حبيب الى باريس واجتمع برياض . وقد سرني ما قاله لي من ان لبنان مرفوع الرأس في هيئة الامم بوفده وبرئيسه رياض الصلح .

اولاً ، وابديت خشيتي من انه اذا عُقد مؤتمر كهذا دون ان يسفر عن قرار حاسم برفض مشروع برنادوت وعن ضرورة استئناف القتال حالاً فالقضية العربية تصاب بنكسة فاضحة ، خصوصاً وان هيئة الامم مجتمعة في باريس والجامعة العربية ستجتمع في القاهرة في ٣٠ من ايلول ، فيُقابَل تلكؤ العرب بصدمة تأتيهم من هيئة الامم وهي في الاساس غير مصغية لمطالبهم وغير عاطفة عليها ، فتكون البلية الثانية اعظم من الاولى . وهكذا صُرف النظر عن اجتماع الذروة .

وشنّ الصهيونيون هجوماً جديداً غاية في العنف على الجيش المصري في قطاع غزّة ودعموه بالطائرات ، فقرّرنا عقد اجتماع في شتورة حضره جميل مردم بك والوزير مجيد ارسلان وفوزي القاوقجي قائد جيش الانقاذ .

بتلك الاتصالات والاجتماعات كلها كانت ترسل برقيات متتابعة الى رياض الصلح ليكون على بيّنة من الامر ومن مقرراتنا اثناء غيابه ، ورياض يجيب بما يجري معه في باريس .

تعسر المحادثات مع الحكومة السورية :

في ذلك الخضمّ من الاحداث الجسام تشبّث السوريون ببرامجهم الاقتصادية، لا من حيث فرض إجازة مسبّقة للاستيراد فحسب ، بل من حيث تحديد الاصناف الممنوعة او المقنّن استيرادها ، فوسّعوا اللائحة الى حد غير معقول . وأمام ذلك التصلب رأينا ان نستشير جمعيتَي التجار والصناعيين فدعوناهما الى القصر الجمهوري وبسطنا للاعضاء تطوّر المحادثات بسطاً شاملاً . فلم يوافقوا على اللائحة التي اقترحتها الحكومة السورية لانها تُلحق بهم اضراراً لا تُعوّض . وطلبوا ان تسندهم الحكومة اللبنانية فأجبتهم باننا على استعداد للوقوف الى جانب مطالبهم المشروعة . وانصرفوا شاكرين .

وأوفدنا فيليب تقلا وزير الاقتصاد الى بحمدون واجتمع بزميله

السوري وبحثا تلك المواضيع بدون جدوى ، وعاد ينبئنا بفشل مسعاه وزاد قائلاً : « اذا دامت الحالة على ما هي عليه فنحن سائرون نحو القطيعة » . فقلت : لا حول ولا قوة الا بالله . . . وكتبت على الفور برقية الى رياض الصلح بجميع التفاصيل وباننا تساهلنا الى درجة يصبح بعدها التساهل استسلاماً لا نرضى به ، وطلبت رأيه قبل انعقاد مجلس الوزراء الذي سيلتئم في ١٦ من تشرين الاول . فأبرق رياض مشيراً باستئخار المفاوضات الى عودته . فأوفد مجلس الوزراء في ١٧ من تشرين الاول حميد فرنجيه الى دمشق لمقابلة الرئيس السوري واستمهاله . وعاد في المساء ولم يُفلح ، ولعل الحكومة السورية اسفت لما بدر فاتصل لطفي الحفار نائب رئيس مجلس الوزراء بالحاج حسين العويني وزير المال وطلب اليه ان يوافيه الى دمشق لاستئناف الحديث معه ومع شكري بك، فلبّى العويني الدعوة على رجاء الوصول الى اتفاق ولو موقتاً . وفي المساء عاد وزير المال واجتمع بوزير الاقتصاد ووضعا مشروع اتفاق مالي اقتصادي وارسلاه الى دمشق ، وتأخر الجواب عليه كما تأخر الاجتماع لبحثه اذ جاءتنا اخبار تدعو الى التفاؤل : ذلك ان مجلس الوزراء السوري وافق على اتفاق النقد مع فرنسا كما وقّعنا عليه !

سامحهم الله ، وليتهم لم يبتعدوا عنا يوم قبلنا بذلك الاتفاق فكنا تفادينا مشاكل كثيرة كادت تفصلنا عنهم وتشق بلدنا شطرين .

وابتدأ الناس يعترفون بفضل الثبات الذي اظهره لبنان في التمسّك بذلك الاتفاق ولا سيا بعد ان تدنّت العملة الفرنسية مرة اخرى ولم يتأثر نقدنا بهذا التدني .

ان الله مع حسَني النية حتى يُنصَفوا بعد ان تعرضوا للانتقاد اللاذع .

معارك بين جيش الانقاذ والصهيونيين :

سافر حميد فرنجيه الى القاهرة في ٢٨ من تشرين الاول لحضور الدورة

العادية للجامعة العربية وقام فيليب تقلا وزير الاقتصاد بالوكالة عنه في وزارتـي الخارجية والتربية الوطنية ، وقد واجهنا في ذلك الحين مصاعب جديدة من جراء معارك صارمة نشبت في قطاع جيش الانقاذ على حدود لبنان ، اذ هجم الصهيونيون هجوماً واسعاً وصدّهم المتطوعون ولكن قصف الطائرات ومدافع الميدان اضطرت المتطوعين للتراجع قليلاً .

وحلّقت طائرة اسرائيلية في اليوم نفسه فوق بيروت وألقت مناشير تهديد للشعب اللبناني وللحكومة باستعمال جميع وسائل العنف اذا شمل لبنان برعايته جيشَ الانقاذ . وأبرقنا بالواقع الى رياض الصلح وعنينا بان لا تنشر الاخبار السيئة كي لا توهن العزائم .

ودعوت الزعيم العام فؤاد شهاب قائد الجيش لاستوضحه الخبر فأخبرني ان موقع قرية سعسع سقط بأيدي الصهيونيين وانه اذا استمر الهجوم على مواقع جيش الانقاذ ، وهو نقطة الارتباط بين سورية ولبنان ، فيخشى ان يلقى الجيش اللبناني صدمات صهيونية عنيفة ، وان القائد السوري الموجود الآن في بيروت ابلغه انه على غير استعداد للقيام بحركة عسكرية في هذه الظروف .

وفي يومي ٣٠ و ٣١ من تشرين الاول تواترت اخبار عن الجبهة غير سارة . وتوقع الخبيرون ان قوى فوزي القاوقجي قد تضطر للتراجع الى الحدود اللبنانية بعد سقوط سعسع والمالكية في يد العدو ، فعقدنا مجلس الوزراء في منتصف الليل ودعونا قائد الجيش فعرض الموقف وأعرب عن امله بان الصهيونيين لا يتخطون الحدود اللبنانية .

وتكرّرت جلسات مجلس الوزراء في ١الاول مـن تشرين الثاني ، وظلّت اتصالاتنا البرقية مستمرة برياض الصلح في باريس وبحميد فرنجيه في القاهرة، واتخذ المجلس بعض احتياطات داخل البلاد ، وقدّم احتجاجاً الى هيئة الامم المتحدة بواسطة وفدنا لديها على ما يجري خلافاً لشروط

وقف القتال ، وأرسلنا احتجاجاً آخر لنائب المراقب الدولي ولرئيس اركان حربه اللذين حضرا الى بيروت وقابلا وكيل وزير الخارجية .

واتصلتُ مراراً بالرئيس شكري القوتلي وطلبتُ منه إبقاء الفوجين السوريين في حوزة قيادتنا في الجنوب تعزيزاً لجبهتها بعد ان كانت القيادة السورية قد قررت سحبهما . وانقضى يومان دون ان يأتينا رد على برقياتنا .

وأصدر مجلس الوزراء بلاغاً عـن تراجع جيش الانقاذ الى الحدود وطلبنا من اللبنانيين عدم تصديق الاخبار الكاذبة التي يروّجها ويبالغ فيها ذوو النيات السيئة ، وزاد في الطين بِلة اقتراب موعد انتخابات رئاسة الجمهورية في الولايات المتحدة ، والمرشّح الجمهوري الذي يزاحم الرئيس ترومان فيها اشدّ منه ميلاً للصهيونية واكثر عطفاً وتأييداً !

وانعقد مجلس الوزراء في ٣ من تشرين الثاني لتصريف بعض الشؤون العادية وقد بدت لنا تافهةً جداً في الظرف العصيب الذي نجتازه مع اخواننا العرب في مختلف ديارهم . وأعياني التعب وحدث لي احمرار قويّ في العينين . وفي المساء استقبلت فيليب تقلا فاطلعني على برقية من جدة تنبيء بارسال قوة عسكرية سعودية للجبهة الشمالية ، وأبدى تخوّفه من ان تصل متأخرة وان لا تفيد الجيش المصري .

في ٤ من تشرين الثاني صباحاً وصل الى بيروت الامير خالد شهاب وزيرنا المفوض في عمان حاملاً اليّ رسالة من الملك عبدالله مفادها ان المصريين خابروه بسوء الحالة العسكرية عندهم ، وهو يرى ان الالتجاء الى المفاوضة اجدى ، وان العودة الى القتال مغامرة ، **وانه ينوي ان يبرق الى رياض بعدم التحمس كثيراً لقضية فلسطين بالنظر الى مصلحة مئات الالوف من ابنائها اللاجئين قبل كل اعتبار آخر ، خشية ان يضطر الفلسطينيون الى مفاوضة اسرائيل مباشرة والاعتراف بالحالة الراهنة .**

قلت للامير خالد انني لا اعلـّق بشيء على رسالة الملك ولكني اشكره علـى صراحته وأبدي له فكرة واحدة وهي **ضرورة الرجوع الى الجامعة العربية في ذلك كله كي لا ينعت العرب بالتفكك في الظرف العصيب .**

واستوفدتُ رسولاً من سورية لاطلع شكري بك القوتلي على رسالة الملك .

وطيرت الى رياض الصلح البرقية التالية :

« محض سري : استقبلت هذا الصباح وزيرنا في عمان ، وقد استدعاه جلالة الملك عبدالله صباح البارحة وأفهمه انه ، بناء على افادة وردته من القيادة المصرية عن الحالة العسكرية في القطاعين الجنوبي والشمالي ، كتب جلالته لجلالة ملك مصر كتاباً يستفاد منه صعوبة المداومة على القتال في الاراضي الفلسطينية ، وعن المغامرة التي تنتج عند استئناف الحرب وضرورة المفاوضة من قبل الدول العربية لايجاد حل للمحافظة على ما بقي من فلسطين خشية ان يستسلم عرب فلسطين انفسهم للحالة الراهنة . وجلالة عبدالله مزمع ان يرسل اليكم برقية معناها ان الغلو لم يعد له من محل بعد تبدل الحالة ، ويناشد وطنيتكم وحكمتكم لتفضيل مصلحة مئات الالوف من الذين فقدوا وطنهم على اي اعتبار آخر . لم نعلق بشيء على تبليغ وزيرنا المفوض سوى اننا كلفناه بشكر جلالته على ابلاغنا الواقع ورغبتنا الاكيدة ان تكون الدول العربية متفقة الرأي في الحل كيلا ينعت العرب بالتفكك في مثل هذا الظرف العصيب . هل من جديد يرجى من هيئة الامم ومجلس الامن ؟ وهل من تطور بعد انتخابات اميركا ؟ (١) هل لديكم معلومات خاصة غير ما ذكرنا بمسعى مصر لدى الاردن ؟ »

ووردت اخبار مؤلمة جداً عـن اجتماع مجلس الجامعة في القاهرة ، فقد كتب الينا حميد فرنجيه بان النقراشي رئيس الحكومة المصرية لم يحضر اي اجتماع ، وانه غير مأمول ان يحضر في المستقبل . وان عبد الرحمن عزام مريض او متمارض ولا يقابل احداً ، والوفد العراقي تأخر عـن افتتاح الجلسات الاولى ولدى وصوله قابل رئيسه فاضل الجمالي رئيس

(١) – انتخب الرئيس ترومان مجدداً لرئاسة الولايات المتحدة .

الوزارة المصرية وتعاتبا عتاباً شديداً على ترك مصر منفردة في ساحة الحرب دون اجراء اي عمل مشترك حين هوجمت قواتها بالنقب . وزاد حميد انه سيقابل النقراشي في ٥ من تشرين الثاني ثم ينبئنا حالاً بفحوى المقابلة .

في ٥ من تشرين الثاني مساء وصل رسول شكري بك القوتلي وسلمته نسخة عن رسالة الملك عبدالله واخرى عـن برقيتي الى رياض الصلح وارفقتها بكتاب خاص مني اليه بيّنت فيه خطورة الموقف . فشكرني الرسول ونقل الي رغبة الرئيس السوري بان نجتمع لتبادل الرأي، فاتفقنا على ان يتم الاجتماع في اليوم التالي في شتوره (٦ ت ٢) . وهذا نص كتابي الى شكري بك :

« فخامة الصديق المعظم الاخ العزيز اطال الله بقاءه .

تجدون في طيه صورة عن البرقية التي طيرتها لرياض بك بعد مقابلة وزيرنا في عمان فوراً ، ولا يخفى فخامتكم اهمية بل خطورة الرسالة التي حملها الي والتي تركتني محتاراً ، خصوصاً وان اخبار اجتماعات مجلس الجامعة غير سارة بسبب امتناع النقراشي باشا من حضور الجلسات حتى الآن ، وتأخر الوفد العراقي عن الوصول للجلسة الاولى ، ومرض او تمارض عزام باشا في هذا الظرف العصيب . فعلى الله الاتكال في احرج مأزق عرفته الدول العربية . طالباً منه عز وجل ان يحفظكم بعين عنايته نصيراً للعرب وصديقاً معظماً واخاً عزيزاً

لاخيكم الوفي

بشاره خليل الخوري »

وكان على الحكومة اللبنانية ، فوق ما عليها من مشاغل ، ان تعنى باللاجئين الفلسطينيين فدعوت مجلس الوزراء ودرسنا حالتهم المؤسفة . فقرّرنا الاسس التي يجب ان يُبنى عليها إسعافهم . ثم استأذن الوزراء شاكرين توجيه الرئاسة وعقدوا جلسة وزارية لتنظيم ادارة خاصة بالهجرة الفلسطينية بجميع فروعها (٥ ت ٢) .

وفي اليوم التالي (٦ ت ٢) ذهبتُ صباحاً الى شتورة يرافقني جبرائيل المر رئيس الوزارة بالوكالة . ووصل اليها الرئيس السوري يرافقه جميل مردم بك رئيس وزارته . فخلونا اربع ساعات في الطابق العلوي من نزل مسابكي وعرضنا الموقف من جميع جهاته :

موقف الملك عبدالله ، حالة الجامعة العربية ، العمل العسكري المشترك الذي تُرك الامر فيه للقيادة .

وبلغنا ان مباحثات الجامعة طرأ عليها تحسّن قليل وان المجتمعين قرّروا دعوة رؤساء الوزراء الى جلساتها وكنا قلقين من ذلك كله ، وبَعُد عنا التفاؤل ، ولكن عزاء واحداً جبر خاطرنا وهو اتفاق لبنان وسورية رئيساً وحكومة على جميع الشؤون المعروضة .

عدت الى بيروت واعترتني حمّى سبّبها احتقان رئوي . وعلى الرغم من التعب الشديد الملم بي رأست مجلس الوزراء لاطلعه على مباحثات شتورة وعلى الموقف عموماً . ثم ابرقنا الى رياض الصلح في باريس والى حميد فرنجيه في القاهرة بتفصيل الوضع .

وفي اليومين التاليين ، وأنا في فراشي ، استقبلت الوزراء واطّلعتُ على البرقيات الواردة من الخارج وأهمها برقية طويلة من رياض الصلح جلت بعض الامور بما يتعلق بالموقف الحاضر في هيئة الامم .

وشفع رياض برقيته بكتاب خاص جاءني في الطائرة وقد بدأه بقوله :

« ... لا اعرف والله كيف احييكم واحيي هذه الوطنية وهذه الصلابة في الموقف الصعب ، بل هذا السداد في الرأي ، كل هذا احييه في شخصكم واحمده تعالى على انه منح لبنان رئيساً عظيماً كفخامتكم . ويشاركني في اجلالكم جميع اخواني هنا ادامكم الله يا سيدي وابقاكم . ساحتفظ ببرقياتكم لدي فهي من اعظم آثار رجولتكم التي تجلت في هذه الاوقات الحرجة . وصلت الي انباء الوطن وصمود اهله المعنوي وهذا ايضاً اثر من آثار قيادتكم الحكيمة » . (١)

(١) — انظر قسم الوثائق

اجبتُ رياضاً ببرقية دعوته فيها للعودة في حالة إرجاء بحث قضية فلسطين من اساسها ، وبلّغت نسخة من برقيته الطويلة الى رئيس الجمهورية السورية فشكرني الرئيس على هذا التبليغ وطمأنني الى الازمة الوزارية السورية بقوله : « ان استقالة وزراء الحزب الوطني الثلاثة لن تخلق ازمة وزارية لعدم ضرورة استبدالهم بسواهم » .

زالت الوعكة والحمد لله وصرت استطيع مغادرة الفراش والجلوس في غرفة النوم، فاقمت انتظر برقيات الخارج لارسال التعليمات والمعلومات الى رياض وقد أبرقت له ان « جميل مردم بك والباجه جي سيكونان بعد الظهر في القاهرة للاشتراك باعمال الجامعة العربية قصد تقويتها معنوياً ولكي لا يتركا النقراشي منفرداً في هذه الازمة » (١٠ ت ٢) .

وفي ساعة متأخرة من ليل ١١ / ١٢ تلقيتُ برقية من رياض يستعين بها الجامعة لشد ازر وفود الدول العربية في باريس، تمهيداً للوصول الى حلٍّ مُرضٍ مع السيد رالف بونش نائب الوسيط بغية ايجاد هدنة بدلاً من وقف القتال ، وقد وضع العرب شروطاً لذلك . ويرى رياض ان عملاً عسكرياً من العرب يفيدهم من حيث إقرار الهدنة ويرفع عنهم سمة الانشقاق والتفكك .

وقد ارسلنا نسخة عن هذه البرقية الى الرئيس السوري والى مندوبنا في الجامعة ليبلّغها للاعضاء .

اما الموقف في باريس فغامض جداً على ما يستفاد من انباء رياض ، فمن محبّذ لتقرير برنادوت ، ومن مؤيّد للتقسيم الاول ، ومن خائف على سقوط تقرير الوسيط عند الاقتراع ، وهذا مما يجعل القضية العربية اقرب الى الفشل منها الى النجاح .

ومع ذلك يجب ان لا نقنط وان نتابع العمل المضني بدون ملل .

في ١٢ من تشرين الثاني صباحاً وصل حميد من القاهرة وقابلني مقابلة طويلة فشرح لي الموقف في الجامعة وقال انه تحسَّن عن يوم افتتاح الدورة ، وان التفاهم بين مصر والعراق عاد الى مجراه ، وقد اتفقت الوفود على عمل مشترك في نقطة من نقاط الجبهة المصرية ، وسيكون إسهام لبنان فيه باستغنائنا عن الفوجَين السوريين المرابطين على حدودنا وبارجاعهما الى سورية لتستخدمهما حسب الحاجة اليهما .

وقد صدر امر القيادة بذلك هذه العشية بعد ان أيّد الرئيس السوري قرار الجامعة بحديثٍ هاتفي معي .

الأونسكو في لبنان

كان لجوزيف ابو خاطر وزيرنا المفوض لدى حكومة المكسيك قسط وافر من الفضل في القرار الذي اتخذته الهيئة العمومية لمنظمة الاونسكو كي تجتمع في بيروت وذلك يوم كان رئيساً لوفدنا في اجتماع مكسيكو[١] .

سعينا ووُفقنا بان قرّرت هيئة الاونسكو في ذلك الحين اختيار بيروت مكاناً لاجتماع مندوبيها العام تحت رعاية رئيس الجمهورية اللبنانية .

وجرت مساعٍ من القائمين على شؤون هذه المؤسسة الثقافية العالمية لنقبل في عِداد الضيوف مندوبين عن اسرائيل فرفضنا رفضاً باتاً ، وأعلنا اننا نفضّل حرماننا من الاجتماع على ان نقبل العدوّ في ارضنا . ثم اصررنا في الرفض الجازم مهما كلّف الامر . وانتهت الازمة بقبول وجهة نظرنا . واتخذت هيئة الاونسكو قراراً جديداً بعقد اجتماعها العام في بيروت في ١٧ من تشرين الثاني .

وكنا قد بدأنا بالتفتيش عن قاعة تليق بمثل هذا المهرجان العالمي

---

(١) — انظر قسم الوثائق .

التاريخي فلم نجد في انحاء العاصمة كلها قاعة موافقة . فقرر مجلس الوزراء بناء القاعة المنشودة واجتمع الخبيرون الفنيون وهم من خيرة الناس علماً واخلاقاً ، واختاروا ثكنة كانت لآليات الجيش الفرنسي . فوافقت الحكومة على اختيارهم وأعَدَّت المبالغ اللازمة للعمل الجبار ، فتهيأت القاعة ومُدَّت بالرياش في وقت سريع حتى قال الناس انها تمّت بأعجوبة !

لم تمنعنا مشاغلنا المنوّعة اثناء نكبة فلسطين من الاهتمام بهذا المؤتمر العالمي ، فانعقاده في العاصمة اللبنانية يكسوها هيبة وجلالاً في دنيا العلم والادب . وقد اشرفتُ شخصياً غير مرة على إعداده ، وتفقّدت الاعمال القائمة في بنايته على قدم وساق ، وفي قرب الموعد المضروب اخذت وفود الدول تصل الى لبنان ويستقبل كلاً منها مندوبون عن وزارة الخارجية . واستقبلتُ في قصر الرئاسة اللجنة التنفيذية للمؤتمر يتقدّمها المسيو جوليان هكسلي مديرها العام . ثم زرت القاعة قبَيل يوم الاجتماع فوجدتها تتلألأ بالانوار الساطعة وقد وقف ينتظرني المدير المشار اليه وقسم من المندوبين الاجانب وممثلون عن وزارتي الخارجية والتربية الوطنية فرحّبوا بقدمي وطافوا معي بارجاء المكان والقاعة الكبرى وصالات الاستقبال فرحين مبتهجين شاكرين ، مشيدين بالعمل الفذ الذي حقّقته الحكومة اللبنانية .

انعقد المؤتمر في ١٧ من تشرين الثاني ظهراً وقد اصطفّت جنود الحرس مع موسيقاها في مدخل البناية ، وحيّت مفرزة خاصة كلّ وفد وصل تحية « تقديم السلاح » . وبدا الترتيب بالغاً اشدّه ولم تَشُبْهُ شائبة في خارج القاعة ولا في داخلها ، وازدحم المكان بالمندوبين الرسميين وبالمدعوّين اللبنانيين والاجانب ازدحاماً وافراً حتى كادت القاعة تضيق بهم على وسعها ، وهم جميعاً في علو المكانة السياسية والعلمية ، ولمسوا حفاوة بالغة واهتماماً خاصاً بكل فرد من افرادهم .

وبعد ان اخذ كلٌّ مكانه وصل موكب الرئيس فحيّاه الحرس وصدحت الموسيقى بالنشيد اللبناني ودخلتُ القاعة ووقف المندوبون والحاضرون ، ومن اعلى المِنصّة اعلنتُ باسم لبنان افتتاح المؤتمر الثالث للاونسكو ، ورجعتُ الى كرسيّ استمع الى الخطب المقررة وقد طفحت كلها بشكر لبنان وتقدير ضيافته السمحاء .

وجاء دوري في اختتام الحفلة ، وقد أعددتُ خطابي باللغة الفرنسية وتُرجم الى العربية والانكليزية وطُبع طبعة انيقة جداً ، ووقفت اتلوه فشعرت من اللحظة الاولى انه استرعى الانتباه الشامل .

كان الاستهلال :

« يسعدني ان ارحب بكم ترحيباً صادقاً جميلا اذكر بمناسبته قول الشاعر اللاتيني : « انا انسان وليس بغريب عني كل ما هو انساني » . فباسم لبنان، الفخور باستقبالكم في ارضه المضيافة ، ارض الحضارات العريقة ، وملتقى ثقافات الشرق والغرب ، اعرب لكم عن اخلص التمنيات ، لان يخصب نشاطكم ، ولان تكون اعمالكم منارات مشعة على طريق التقدم الفكري والانساني .

« ... ايها السادة المندوبون ، ثقوا ان على هذه الارض اللبنانية التي شهدت امداً طويلا سير التاريخ في عهديه القديم والحديث ، شعباً يفهمكم، ويقدر عملكم في كنه قيمه ، وسينمو عنده كل ذلك في هذه الايام الحافلة التي سنقضيها معاً ، ولسوف نعرف هنا ، كيف نفكر ، ونتأمل ، ونصلي ، ممارساً كل منا طريقته الخاصة ، بحرية كاملة .

« ... وليس لي ان امتدح البلد الذي شرفني برئاسته الاولى ، ولكنني استطيع ان اقدمه لكم مستوفياً شروط التربة الخصبة حيث تينع حنطة الزراع . ان لبنان هو صديق الحقيقة ، انه تلك الارض المختارة ، ارض التفاهم والتسامح والحريات . والطوائف العديدة التي يتألف منها تمتاز بسعيها المتواصل لتعزيز التفاهم فيما بينها ، ولان يفي بعضها بحقوق بعض بعدل متبادل ، ولان تتواصل بمحبة صحيحة ، وقد يكون في المثل الذي نجتهد بتقديمه ، قدوة حسنة للمقتدين .

ولكن لبنان ينتظر منكم الدروس الرفيعة التي ستقترن بتاريخ نزولكم في ربوعه وسيضمها الى تاريخنا ، فانتم ايها السادة تقومون بعمل انساني في ارض الانسانية ووطن العذوبة . ونحن نردد معكم خلال شهر الاونسكو :

« اعرف نفسك بنفسك »

« المرء يضيق بكل شيء الا بالمعرفة »

« لو كنت انطق بالسنة الناس والملائكة ولم تكن في المحبة فانما انا نحاس يطن او صنج يرن »

« ان البغض عقم »

« الحياة الحقيقية ينبوعها الروح »

« المحبة اقوى من الموت » اه.

وما ان ختمتُ الخطاب حتى دوّت القاعة بتصفيق حاد ، ثم انتصب الحاضرون وقوفاً كأنهم رجل واحد، وكأن قوةً داخلية دفعتهم الى الوقوف ، وضاعفوا في التصفيق وارتفعت هتافاتهم تحيّي لبنان ورئيس لبنان .

ودّعتُ الحاضرين بتحية واسعة صادرة من القلب . وغادرت المكان بالمراسم التي استقبلتني ، شاكراً في نفسي الله على انني بيّضت وجه لبنان في هذه الحفلة العالمية وحملتُ قبَساً من إشعاع ثقافته امام الامم . وهذا مما يرسخ قدمه في الاستقلال وعالم الفكر ، ويزيد عليه عطف الدنيا المتمدنة . وهذه غاية ما نرجوه له .

وانهالت عليّ التهاني من كل جانب، فقبلتها وضممتها باقة فوّاحة تقدمة خالصة لوجه لبنان النبيل والمثل العليا التي اعتنقها منذ القدم . وسيدخل هذا المؤتمر التاريخَ اللبناني صفحةً منورة كأهم الاحداث التي مرّ بها ، وحظّي منه انني اسهمتُ إسهاماً وافراً بمجد لبنان وعزّه .

وتوالت حفلات الاونسكو ومحاضرات رؤساء الوفود والاجتماعات العامة واجتماعات اللجان ، فاظهرت كلها المقام الذي يحتله وطننا الصغير حجماً في عالم الثقافة والادب .

وامتازت محاضرة المسيو جورج بيدو رئيس الوفد الفرنسي وصادفت استحسان المثقفين اللبنانيين والاجانب .

وبعد خمسة ايام (٢٢ ت ٢) احتفلنا بعيد الاستقلال ، والوفود الاجنبية جميعها ما تزال بين ظهرانينا فبلغ الاحتفال حدّ الروعة ، وزاده رونقاً اشتراك تلك الوفود في حفلة السراية الكبيرة . وفي ذلك اليوم ، مثار الفخر للبنان ، سقتُ كلمة من محطة الاذاعة الى اللبنانيين بيّنت فيها ان اقتصارنا على حفلة استقبال رسمية دون سواها مردّه الى محنة فلسطين .

العودة الى مشاغلنا — الاتفاق مع سورية — الهدنة في مجلس الامن :

عاد فيليب تقلا من القاهرة بعد ان حضر اجتماع الجامعة [١] واقتنص السانحة من وجوده هناك فبحث الامور الاقتصادية وراقه الحديث فيها اكثر مما راقه حديث الشؤون السياسية في الاجتماع .

وفي ١٦ من تشرين الثاني اجتمع وزيرا المال في لبنان وسورية في شتورة وتقاربا رأياً في الاتفاق المالي دون سواه . وهذا لا يلائم لبنان ، لان القسم الاقتصادي جزء لا يتجزأ من الاتفاق العام، فاذا استثني هذا القسم اطمأن بال السوريين الى الناحية المالية وأهملوا الاتفاق على الناحية الاقتصادية التي تهم التجار والصناعيين اللبنانيين .

وفي ٢٧ من تشرين الثاني تناول الغداء على مائدتي جميل مردم بك رئيس وزارة سورية وزميلاه سعيد الغزي وزير المال بالوكالة ومحمد العايش وزير الاقتصاد ، والوزراء اللبنانيون جبرائيل المر وحميد فرنجيه وفيليب تقلا وحسين العويني وجرت ابحاث اقتصادية أدّت الى تمديد الحالة

(١) — بعد ارفضاض الاجتماع بقيت دورة الجامعة مفتوحة وارجئت الى اجل غير مسمى .

الراهنة بيننا ريثما يرجع رياض الصلح من باريس ، وتركنا الفنيّين غائصين في ابحاثهم في احدى قاعات القصر وخلوت بحميد فرنجيه وجميل مردم بك ودعونا الينا مجيد ارسلان وزير الدفاع والزعيم الاول فوآد شهاب قائد الجيش وتداولنا الحالة في الحدود اللبنانية السورية بعد ان انكفأ اليها جيش الانقاذ . وقد شاعت اخبار مقلقة عن نفسية المجاهدين ، فبحثنا وضعهم ورأينا ان التقارير عنهم لا تدعو الى الاطمئنان ، فقرّرنا ان تستبدل الحكومة السورية جيش الانقاذ بأفواج سورية نظامية تحل محلهم تداركاً لخطر شغب قد يقومون به ويرهقون الاهلين . واتصلت بشكري بك القوتلي وبسطت له رأينا فوافق حالاً على التدبير المذكور .

فرغ مجلس الامن الدولي من مناقشة الهدنة الدائمة بين العرب واسرائيل بعد ان رفضها مندوبو الدول العربية وانتقلت القضية الفلسطينية الى اللجنة السياسية ، وكأن قوى الدول جمعاء تكاتفت على العرب . وعلى الاثر طلب وزير بريطانية المفوض مقابلتي فاستقبلته بحضور حميد فرنجيه وزير الخارجية ، وقد ابدى لنا النصح باسم حكومة صاحبة الجلالة بان يقبل العرب تقرير برنادوت لانه أفضل الحلول في نظرها فناقشناه وأبدينا له رأياً معاكساً ، فاعترف بان نصح حكومته لا تستطيع الحكومات العربية ان تعمل به ولكنه يرجو ان لا يؤثر مندوبو الدول العربية في اصدقائهم من المندوبين الآخرين لحملهم على رفض التقرير المذكور ! فلم نرتبط باي وعد وقلنا له اننا سنبرق بفحوى الحديث الى رياض الصلح ونترك له تقدير الامر .

وهكذا فعلنا ، وأبرقنا الى رياض ايضاً بالترتيبات التي اوجبتها ظروف جيش الانقاذ وطلبنا منه ان يسرع بالعودة .

أزمة وزارية في دمشق :

رجع الوزراء السوريون الى دمشق وما ان وصلوا اليها حتى قامت

تظاهرات دامية بسبب فلسطين أدّت الى استقالة وزارة جميل مردم بك واضطر الجيش لان يتسلّم تأمين النظام فاستتب الامن مع وجود القلق ، ودعي الرئيس هاشم الاتاسي الى تأليف الوزارة فرفض ثم قبل . وقد اتخذنا بعض الاحتياطات داخل لبنان لمنع تسرب عدوى التظاهرات .

وفي إبّان تلك الازمة رجع حبيب ابو شهلا من مصر وأطلعني على المفاوضات الدائرة بين حكومة القاهرة وشركة التابلين الاميركية لتحويل مصب البترول من لبنان الى الشاطىء المصري فيما اذا تأخرت سورية عن السماح بمرور الانابيب عبر اراضيها ، فاتصلتُ بالرئيس شكري بك وألححت عليه بالموافقة على الاتفاق المعروض عليهم بشأن إمرار الانابيب فوعدني وعداً جازماً بعرض المشروع على المجلس فور تأليف الوزارة .

وفي هذه الغمرة من الاحداث وصلتني انباء مؤسفة بان الجيش الصهيوني انتهز البلبلة الحاصلة واحتلّ بعض القرى اللبنانية النائية ، فراجعنا حالاً لجنة الهدنة .

وداع وفود الاونسكو :

اخذت وفود الدول للاونسكو تزور قصر الرئاسة للوداع ولم تكتفِ بتسجيل الاسماء في سجل التشريفات بل رغبت جميعها في مقابلتي فاستقبلتها ، وأبدت عظيم امتنانها لما اظهره لبنان من حسن الوفادة لها ، وأعربت عن تقديرها للمكانة الثقافية التي يحتلّها وطننا في الشرق .

وزاد وفدا الهند وباكستان على عاطفة عرفان الجميل شكوى كلّ منهما على الآخر بسبب توزيع نشرات متبادلة عن مقاطعة الكشمير المختلف عليها بينهما ، فأظهرتُ اسفي الشديد لاثارتهما مسألة داخلية تخصهما في بلد عاملها بالاكرام وهما فيه ضيفان ، فشاركاني رأيي وحمّل كلٌّ منهما الآخر تبعة البدء .

ومن حسن الصدف ان وزير الهند المفوض قدّم لي اوراق اعتماده في ذلك اليوم عينه وجرت المراسم حسب المعتاد ، وألقى الوزير كلمة موجزة قال فيها إنه سعيد بان ينزل هذا البلد « الصغير الكبير » . وعقبَ الحفلة غداءٌ في جو ودّي وكان بين المدعوّين سيدتان هنديتان بملابسهما الوطنية الجميلة وكذلك كان الوزير واعوانه يرتدون الملابس الهندية ايضاً .

وطلب المسيو بيدو رئيس الوفد الفرنسي مقابلتي مودّعاً ، واتّسمت زيارته بطابع خاص . ونقل اليّ تصريحاً رسمياً من قبل حكومته بالمحافظة على الوضع الراهن في لبنان وسورية وما جاورنا من الدول العربية ، وأفادني ان وزير فرنسا المفوض في دمشق أدلى بالتصريح عينه للرئيس السوري . وانتهزت فرصة زيارته لالحّ عليه ، وهو ذو النفوذ المرموق في بلاده ، بان يسعى فور وصوله الى باريس سعياً حثيثاً لاخلاء القرى اللبنانية من الجيش الاسرائيلي لان حكومة فرنسا لا تعدم وسيلة لانجاح مسعاها .

ثم استقبلت المستر آلن رئيس الوفد الاميركي ، وقد جاء شاكراً الضيافة اللبنانية باسم وفده وحكومته مشيداً بمواهب اللبنانيين ، فأجبته ان لبنان ينتظر من اميركا مساعدته على درء الخطر الصهيوني عنه وعن العرب .

وأبرقت حالاً الى رياض الصلح بملخص الاحاديث .

حالة اللاجئين :

وشغلت بالنا الحالة السيئة التي يعيش فيها اللاجئون ، وخشينا ان تزداد سوءاً في ايام الشتاء ، ولا سيما انه لمّا تصل الى لبنان مساعدات، الا الحليب ليوزّع على الاطفال . وأتت عدة بعثات ولكن تأخر وصول المال والمواد الغذائية . ثم جاء المستر بيارد دودج عميد الجامعة الاميركية

سابقاً مكلّفاً بدرس الاسعاف للاجئين، فاستقبلته وأطلعته على سوء مصير هؤلاء البائسين المشرّدين عن بلدهم وبسطت له الخطر من جراء تأخير المساعدات . ودعوته الى الغداء على مائدتي، وأكملنا البحث على مستوى واسع فأظهر كل استعداد حسن، ولا غرو، فهو رجل فاضل يخاف الله ويعطف على القريب .

نهاية الاحتفاء بالوفود :

وانتهى الاحتفاء بالوفود الى الاونسكو بحفلة استقبال في القصر وبزيارة قمت بها الى المعرض الصناعي الذي اقيم في احدى قاعات المؤتمر الثقافي المذكور .

وحرصت ايضاً على تكريم أفراد البعثة الصحفية اللبنانية التي دعوناها من المهجر لحضور الاجتماع العالمي واحتفالاته، ولتطّلع على تطور جميع الاوضاع في الوطن المهد بعد الاستقلال ، فدعوت اعضاء هذه البعثة الى الغداء واكّدت لهم ان لبنان لن ينسى ابناءه الذين رفعوا له منارات اعتزاز في مختلف مضاربهم . وقد ساد الاجتماع حنين رائع ضم لبنان بشطريه ، وحمّلت الصحفيين تحيّة الوطن الى المغتربين فكانوا جدّ ممتنّين .

واخيراً دعونا الى عشاء وسهرة راقصة في قاعات الاونسكو، جميعَ اعضاء الوفود والوزراء والرسميين والسلك الدبلوماسي ورجالات الاعمال من مواطنين وأجانب مع سيداتهم . وكانت الجمعية العمومية للمؤتمر قد انتخبت المسيو بوده مديراً عاماً لها خلفاً للمستر هكسلي فوصل المدير الجديد الى بيروت وحضر الحفلة (١) وقد بلغت قمة الروعة . وبقيت مع زوجتي اكثر من ساعة ونصف الساعة واقفَين في مدخل القاعة الكبرى نستقبل الضيوف ونصافحهم، ثم افتتح مقصفان كبيران في القاعتين الشرقية والغربية وأجلستُ معنا على مائدة الشرف وكيل رئيس الوزارة وزوجته والمدير

(١) — ١٠ من ك ١

العام السابق للاونسكو مع زوجته والمدير الجديد المسيو بوده ، وانتهت المأدبة الرسمية في منتصف الليل فتركنا الحفلة .

واستمرّ المدعوّون يسرحون ويمرحون وانعقدت حلقات الرقص على أنغام الموسيقى وظلّت حافلة الى ساعة متأخرة من الليل .

وانتهى مؤتمر الاونسكو في بيروت في اليوم الذي اختتم اجتماع دورة الامم المتحدة في باريس .

وشرع المندوبون يعودون الى بلادهم ونحن بانتظار رجوع وفدنا من العاصمة الفرنسية .

هيئة الأمم تعيّن «لجنة توفيق»

ابرق رياض الصلح بعد تلقّيه برقياتنا انه عائد الى بيروت على جناح السرعة .

وفي السابع من كانون الاول ليلاً ايقظني مرافقي لاستقبل القائم باعمال مفوضية العراق لامر مستعجل جداً فاستقبلته ، وتلا عليّ برقية من نجيب الراوي رئيس وفدهم في الجمعية العمومية لهيئة الامم مشفوعة برجاء من فارس الخوري رئيس الوفد السوري وكلاهما يلتمس بالحاح إرجاء عودة رياض الصلح . فدعوتُ حميد فرنجيه حالاً وأطلعته على الطلب فأبرق الى رياض بان يبقى في باريس مهما اقتضى الامر كي لا يُنسب إخفاق العرب الى استعجال عودته .

واخيراً ، وبعد جهد ، اقترعت الجمعية العمومية لهيئة الامم على اقتراح بتأليف « لجنة توفيق » من ثلاثة اعضاء ، اميركي وفرنسي وتركي ، لدرس قضية فلسطين ووضع تقرير عنها الى مجلس الامن، دون ان يُشار في حيثيات الاقتراع الى قرار التقسيم ، ولا الى تقرير الوسيط الدولي الكونت برنادوت[١] .

(١) — قرار التقسيم صدر في ٢٩ من ت ٢ سنة ١٩٤٧

فهل يؤمل من هذه اللجنة الوصول الى حلول إيجابية في حين ان الحالة الراهنة في القطر الشقيق قد فرضت التقسيم الفعلي وقيام اسرائيل ؟ وكلا الامرين لا يقبل بهما العرب .

اما على الصعيد العسكري فصار من المتوقّع قيام هدنة دائمة مقام وقف القتال . وابتدأ التنفيذ بالافراج عن الجنود المصريين المحاصَرين في الفالوجة ، وكفّ الجنود العراقيون والاردنيون عن القتال في قطاعيهما ، ورافق ذلك كله سعي وضغط دوليّان لدى الملك عبدالله لحمله على قبول التقسيم والاعتراف ضمناً باسرائيل مقابل ضم القسم العربي من القطر المنكوب الى مملكته شرقي الاردن على ان يفاوض الصهيونيين على اساس الامر الراهن . . .

وعلى اثر القرار المذكور طلب مسيو سرڤواز وكيل الوسيط الدولي مقابلتي واقترح على الحكومة اللبنانية عقد هدنة موقتة على الحدود ، وحصر المفاوضة بين القواد العسكريين دون مداخلة وزارة الخارجية . فدعوت حميد فرنجيه وأطلعته على الاقتراح وأجبنا وكيل الوسيط الدولي بان شرط هذه الهدنة العسكرية هو انسحاب العدو من القرى المحتلة والابتعاد عن حدودنا مسافة معلومة ، فوعد مسيو سرڤواز بالسفر الى حيفا لهذه الغاية .

ضم القسم العربي من فلسطين الى الاردن :

اصبح ضمّ القسم العربي من اراضي فلسطين الى شرقي الاردن واقعاً سياسياً اذ عُقد مؤتمر في اريحا ونودي بالملك عبدالله ملكاً عليه . وثارت ثائرة العرب ، وتلقّيتُ رسالة من الملـك فاروق بواسطة المفوضية المصرية يستنكر فيها عمل الملك الهاشمي ويطلب منا ان نشترك في هذا الاستنكار .

واجتمع مجلس الوزراء وكلّف وزير خارجيتنا إبلاغ وزير الاردن

المفوض مذكرة فحواها مناشدة الملك عبدالله — وهو قطب عربي — ان لا يرضى عن عمل يُظهر تفكك قومه وانقسامهم ، وان الحكومة اللبنانية تسأله الرجوع الى الجامعة ، فهذا خير من الانفراد في تحمّل مسؤولية إضعاف الدول العربية جمعاء .

ولم ترسل المذكرة الا بعد إعلام الرئيس السوري بمضمونها وإبراق نصها الى رياض وهو في رومة بطريق العودة .

انابيب النفط السعودي وشؤون اخرى :

زارني ممثلو شركة « التابلين » الاميركية وأكدوا لي ان خط الانابيب من الاراضي السعودية الى البحر عبر سورية ولبنان أسهل عليهم وأقل نفقة من الخط الى الشاطىء المصري ولهـذا فانهم يطلبون مني الالحاح على الرئيس السوري ليطرح الاتفاق على المجلس النيابي فوعدتهم خيـراً واستمهلتهم الى ان تنفرج الازمة الوزارية في دمشق .

وبعد ازمة طالت سبعة عشر يوماً ألّف خالد العظم وزارة جديدة ولا نعلم ما اذا كان عمرها يطول او انها تسقط بعد حين في هذه الظروف .

وقفت « الكتائب » موقفاً حسناً من الاحداث الجارية وما انحازت الى عناصر الشغب فدعوت رئيسها الشيخ بيار الجميّل وهنأته على ذلك ، وانتهز الفرصة وطالب بحل المجلس ، فأفهمته بالحجة المنطقية ان هذا الامر مستحيل في الظروف الراهنة .

وفي ١٧ من كانون الاول استقبلت الزعيم العام فوآد شهاب ليطلعني على محادثاته مع الوسيط الدولي ، فقد عرض عليه مفاوضة عسكرية بحتة لاجلاء العدو عن الاراضي اللبنانية وان يجمعه في اليوم الثاني برئيس اركان حرب الامم المتحدة ، فقلت للزعيم العام بان يتصل حالاً بوزيرَي الخارجية والدفاع وان يُرجىء جوابه النهائي الى ما بعد رجوع رئيس الوزارة الى بيروت .

وعاد الزعيم العام في اليوم الثاني واخبرني انه اتفق مع رئيس الاركان المشار اليه على الخطة التي رسمتها له والتي وافق عليها وزيرا الخارجية والدفاع . وفي ساعة مبكرة من يوم الاحد من كانون الاول وصل حميد فرنجيه فجأة الى القصر وأخبرني بان موسى شرتوك وزير خارجية اسرائيل موجود على باخرة اميركية في مياه بيروت خارج الميناء في طريقه الى حيفا ، فاتصلنا حالاً بالقيادة العسكرية لتأمر الباخرة بمغادرة مياه لبنان الاقليمية دون إبطاء ، ومنع الدنو منها .

اجلاء العدو عن الاراضي اللبنانية :

أرجأتُ المقابلات العادية لاحصر عملي ونشاطي في مسائل الحدود ، وهي موضوع الساعة . واستقبلت قائد الجيش وقد حمل اليّ البرقيات التي تلقاها من الجنرال ريللي مراقب الامم المتحدة بان جلاء القوات الصهيونية عن الاراضي اللبنانية قد تقرر مبدئياً ، وبان الجنرال المذكور يطلب الاجتماع الى رئيس الوزارة اللبنانية لوضع اسس العمل . فأشرت على القائد العام بان يبرق الى الجنرال ريللي بتعيين موعد الاجتماع في ٢٣ من كانون الاول .

عودة رياض الصلح :

وصل رياض الصلح الى المطار بعد ظهر ٢٢ واستقبله مندوبان من الرئاسة ومعهما الوزراء وكبار الموظفين مـن عسكريين ومدنيين وجمع غفير من مختلف الطبقات . وسأله الصحافيون عن انطباعاته عن قضية فلسطين في مقررات الجمعية العمومية فاعتصم بالصمت ، وألحّوا فقال لهم : « كان انتصارنا سلبياً »[١] فذهبت مثلاً .

---

(١) — معنى الانتصار السلبي : عدم الاشارة في قرار الهيئة العمومية الى تقسيم فلسطين ، وعدم الاشارة الى تقرير برنادوت — راجع ص ١٧٦

وجاء رياض الصلح من المطار الى القصر فاستقبلته مع جمهور المستقبلين الرسميين في القاعة الكبرى وعانقته وهنأته على الجهود التي قام بها في سبيل القضايا العربية عامة وقضية فلسطين خاصة . وعيّنتُ له مقابلة طويلة في المساء ، فمضى الى داره لمشاهدة عائلته بعد ذلك الغياب الطويل وجرى له هناك استقبال شعبي كبير .

وعاد اليّ في المساء وخلونا نعرض جميع الاحداث الخارجية وتطوّرها، وتطرّقنا الى الشؤون الداخلية ومنها اعتداء عشيرة الدنادشة على قوى الامن في اودية الهرمل .

وعاد رياض لمقابلتي في اليوم الثاني لاكمال الاحاديث ، ذلك لان غيابه كان طويلاً والحوادث عديدة ومتشعبة . فوضعنا خطة لاستقبال الجنرال ريللي وجلاء قوى العدو عن اراضي لبنان . وقد حضر حبيب ابو شهلا قسماً من الحديث واشترك بابداء الرأي . ثم انسحب ودخل علينا ميشال شيحا وكنا قد دعوناه لاستشارته بشؤون فلسطين والعلائق بين العرب ومداواة الحالة الراهنـــة التي فككت عراهم . ثم تطرّق البحث الى الاصلاح الداخلي وكانت آراء الزائر سديدة جداً .

وعلى اثر تلك الخلوات انعقد مجلس الوزراء فأطلعه رياض على المراحل التي مرّت بالقضية الفلسطينية وعلى المقررات التي نصت على تعيين لجنة التوفيق الدولية . ولم يكن متفائلاً .

ثم بحث المجلس بعض الشؤون العادية فأقرّ في جملة ما أقرّه تموين اقليم الخروب بمياه الشفة مـن قناة الصفا ، وزيادة كمية المياه اللازمة للشرب في بيروت ، وإلغاء خطوط الترامواي والاستعاضة عنها بـ « الترولييبوس »، وقد انجزنا جدول الاعمال ولم تنته المشاكل « وهـل الممالك راحة وسلام ؟ »

وارفضّ مجلس الوزراء وبقي رياض الصلح في مكتبي ، واتصلنا

بشكري بك القوتلي وطلبنا منه ان نجتمع في شتورة في ٢٩ من كانون الاول فانبأنا باغتيال النقراشي رئيس الوزارة المصرية ، فأسفنا لهذا الحادث وكان له الصدى الاليم في نفوسنا ونفوس اللبنانيين، وخصوصاً الذين عرفوا الرجل وقدّروه حقّ قدره . وفي الحال طيّرت الرئاسة برقية تعزية بوفاته الى الملك فاروق والى عائلة الفقيد ، وكذلك قامت رئاسة الوزارة بواجب التعزية للحكومة المصرية .

ولم يتم اجتماع شتورة بسبب العواصف وسقوط الثلج وانقطاع الطريق، فأرجأناه الى وقت آخر ، وكنا في أمسّ الحاجة الى مثل هذا التلاقي .

عيد الميلاد ورأس السنة :

دنت السنة من نهايتها . واحتفلنا بالميلاد احتفالاً عائلياً ، وأقـام صديقنا الخوري بطرس روفائيل الذبيحة الالهية في الطابق العلوي من القصر وحضرها بعض الاقرباء والاصدقاء والبعثة البلجيكية للاونسكو ورئيسها الكونت دي مِرود . وكان بين اعضاء البعثة سيدات يُحسنّ تراتيل العيد فشنّفن الآذان بأصوات شجية مؤثرة . وبعد القداس دعونا الجميع الى المائدة وشكرنا الكونت على دعوته الى هذه الحفلة البعيدة عن المراسم .

ووصلنا الى اليوم الاخير من السنة ، وكانت سنة مليئة بامثولات وعِبَر تسترعي انتباه اصحاب الضمير والرأي .

* * *

الحياة لا تقف ولا تعرف الركود ، والايام تجري سراعاً ، ومواجهة الاحداث تُحتّم عملاً جازماً دون توانٍ ولا كسل ، وواجب صاحب المسؤولية ان يفحص ضميره ويشكر ربّه على نعمه الخاصة والعامة ، ويتأهّب لمتابعة العمل بايمان مجدّد ، وان يودّع العام المنصرم بالحمـد ،

ويستقبل العام الجديد بثقة وأمـل بالله ربّ النيات وحافظ العائلات نفساً وجسداً ، فهو الخالق ، واليه المعاد .

وعلى المرء ايضاً أن يذكر اروع حكمة للامام علي القائل :

« إذا كنتَ في إدبارٍ والموتُ في إقبال فما أسرعَ الملتقى !

اهلُ الدنيا كركبٍ يُسار بهم وهم نيام

إنّ لله في كل نعمةٍ حقاً : فمن أدّاه زاده منها ، ومن قصّر عنه خاطر بزوال نعمته ! » .

١٩٤٩

هدنة رودس

اجتماع بحمدون :

ألمّت بي وعكة أقعدتني في الفراش فأرجىء اجتماعي ورئيس جمهورية سورية في شتورة . وفي الرابع من كانون الثاني ذهب رياض الصلح الى دمشق واتصل بالرئيس السوري وبحكومته ، ورجع فأطلعني على الحديث التمهيدي الذي جرى بينه وبين المسؤولين وأنهم اتفقوا على ان يُعقد اجتماع الرئيسين في ٥ من كانون الثاني في بحمدون . وفي اليوم المضروب وصل شكري بك الى الفندق الكبير ومعه خالد العظم رئيس الوزارة السورية الجديدة فاستقبلتهما ومعي رياض الصلح وحميد فرنجيه وتناولنا الغداء وصعدنا الى الطبقة العلوية حيث عقدنا اجتماعاً طال اربع ساعات، عرضنا فيه حوادث فلسطين ، وقضايا العرب ، وموقف كل دولة من الدول العربية من الجامعة ، فبدا لنا سوء الحالة بأجلى مظهر وقلنا بأنه يجب بادىء ذي بدء إنقاذ الجامعة من الازمة التي تتخبط فيها وإعادة تنظيمها على اسس ثابتة .

ودار البحث في سفر رئيس الوزارة اللبنانية الى بغداد فرأينا التريث

أجدى ، ولا سيما ان رياضاً طال غيابه عن لبنان ، والواجب المحلي يقضي بوجوده فيه في مثل الازمات الخارجية والداخلية التي تعصف حولنا ، ناهيك بأن الجبهة العراقية الصهيونية لمـّا تنجلِ حالتها ، فلا يُعلَم هل يعود الصهيونيون الى القتال فيها ام ان حركاتهم إنْ هي إلا مداورة تهدف الى إكراه الجيش العراقي على اتخاذ خطة الدفاع بدلاً من خطة الهجوم .

ثم أثرنا مسألة الاتفاق النقدي بين سورية وفرنسا فاتضح لنا انه صار على قاب قوسين من التوقيع عليه وإحالته الى المجلس النيابي لابرامه . والجديد الطريف في حكايته ان خالد العظم عينه هو اليوم المفاوض فيه ، مع انه هو الذي أشار على حكومته برفضه يوم وقّعنا عليه ! [١]

وانتقلنا في مفاوضاتنا الى مسألة إمرار أنابيب « التابلاين » عبر الاراضي السورية لتصل الى لبنان ، فوُعدنا وعداً قاطعاً بأن إجازتها ستُدرس في القريب العاجل درساً ايجابياً بعد ان ثبت ان مصلحة الجمهوريتين محقـّقة في تنفيذ هذا المشروع .

ومن أهم ما تناوله الحديث ، انعزالية العرب وسلبيتهم تجاه الدول الغربية الكبرى ، وقد ظهر لهم من « تقاعس » هذه الدول ومن قلة إنصافها لهم في قضية فلسطين ما ظهر، ولاح لنا ان هذه القضية ستبقى حجر عثرةٍ بين الفريقين ، وسيتـّخذ العرب موقفاً سلبياً من التعاون مع الدول المذكورة حتى في حالة نشوب حرب عالمية تهدّد بلداننا بالخراب فيما اذا اصبحت ميداناً لها . ولم نَبتّ الامر واتفقنا على دعوة شارل مالك وزيرنا المفوض في واشنطن والموجود حالياً في بيروت لنعرض الموقف وإياه ونكوّن فكرة صريحة تصلح لاتخاذها اساساً في بحث القضية في الجامعة العربية . وقرّرنا ذلك لان لبنان وسورية كانا

(١) — راجع : ص ٩٠

يعملان دائماً معاً في هذا المضمار ، ولم يفكـّر أحدهما بالعمل منفرداً عن شقيقه ، ولا بَعُد عنه ، وقد أعطيا غير دليل وبرهان على ذلك .

انتهى الاجتماع في الساعة السادسة مساء فودّعنا ضيفانا ، ورجعتُ في سيارة واحدة مع رياض وحميد لنلخّص انطباعاتنا عما جرى ، وكانت كلمة الختام لرياض ، وقد أخجلت تواضعي ...

شؤون داخلية ونشاط المعارضة :

من المشاغل التي كانت تستدعي انتباه الحكومة مطلبٌ كانت تراه حقاً لها من ارباح الشركات ذات الامتياز ، فالعائدات المدفوعة منها قليلة يجب ان تزاد ، والزيادة ضرورية للقيام بالاصلاح الذي يقتضيه توسّع العمران ، ولا سيما ان الشعب ينفر من أية نفقة جديدة توضع على كاهله، والصحافة ، بأكثرها ، تسانده دون التعمّق في الدرس ، فالعدل يقضي والحالة هذه ان تؤدّي الشركات المذكورة قسماً من ارباحها الضخمة لتحقيق الاصلاح . وهذا ما سعينا اليه .

وتأخر إقرار الموازنة وصار من الواجب دعوة المجلس الى دورة استثنائية لاتمام درسها ودرس المشاريع الاخرى المعروضة عليه .

ونشطت المعارضة مُصرّةً على حل المجلس، وهذا الحلّ دونه صعوبات جمة في الظروف الراهنة ، وأصبح هذا المطلب لازمةً معزوفةً يردّدها المعارضون وقسم من الصحافيين !

واجتمع مجلس الوزراء مرتين متواليتين في اوائل كانون الثاني لبحث شؤون الساعة، وقرّر أن يتفادى حلّ المجلس بانشاء مجلس شيوخ فيما اذا تيسّر ذلك بتعديل الدستور وتعديل قانون الانتخاب وباجراء الاصلاح في الادارة على نطاق واسع . ومال اكثر الرأي الى إجراء التعديل باسلوب « اللائحة الوسطى »، اي ان تصير الدائرة الانتخابية أضيق من

المحافظة وأوسع من القضاء . وعلى اثر ارفضاض مجلس الوزراء خلوت برياض الصلح ومحّصنا الآراء ودعونا ميشال شيحا واستشرناه فيها فقال بقولنا واستبعد مثلنا حلّ المجلس، ورحّب بتضييق الدائرة الانتخابية وبالاصلاح .

فلسطين ايضاً وابداً :

تنفيذاً لما أُقرّ في اجتماع بحمدون دعوت شارل مالك الى مقابلتي بحضور رياض الصلح ، فقال لنا ان العرب امام امر واقع وهو اعتراف الدول الكبرى باسرائيل ، فعليهم ان يأخذوا ذلك بعين الاعتبار دون ان يغيّروا موقفهم السلبي من الغاصب ، وبمقدورهم ان يُحسّنوا علائقهم بتلك الدول الكبرى لتخفيف وطأة اعترافها بالعدوّ لعلّنا نَحُدّها عن مساندتها له .

وانتهزنا زيارة وزير انكلترة المفوض ووزير اميركا مصحوباً بزميله في مصر وهو المولج بشؤون اللاجئين، وباحثناهم في خلق جوٍّ جديد يكون للعرب فيه نصيب من تأييد الدول الكبرى التي لا يمكنها تجاهل القوة الكامنة في الاقطار العربية من حيث عددها ويقظتها ومهمتها في مصير الشرق . ووجدنا لدى محدثينا تفهّماً للموضوع غير ان الثقة ظلت بعيدة بيننا وبينهم .

في تلك الاثناء كانت معركة النقب دائرة الرحى ، وقد اظهر المصريون فيها شجاعة نادرة رفعت من معنويات العرب . ثم وقف القتال على تلك الجبهة اذ انذر البريطانيون اسرائيل بالانقلاب عليها بسبب تعدّيها الاخير على الحدود المصرية ، وأرفقوا هذا الانذار بتعزيز قوتهم العسكرية في شرقي الاردن فتراجع الصهيونيون . وبدت طلائع الهدنة ، ودعا الوسيط الدولي الفرقاء الى رودس لبحث شروطها ، كما طلب الى لبنان

ان يعود الى بحث إخلاء الاراضي اللبنانية من جنود اسرائيل فتريّثنا قليلاً الى ان ينجلي الموقف .

وحفل الاسبوع الثاني من كانون الثاني بالاحداث بعد ان اسقط الطيران الاسرائيلي خمس طائرات انكليزية فوق الاراضي المصرية ، وتوتّرت الحالة بين حكومتي لوندرة وتل أبيب ، في شرقي الاردن وعلى حدود قناة السويس . فاتخذ البريطانيون احتياطاً عسكرياً وكادت الازمة تؤدّي الى اشتباك دامٍ لولا المساندة الفعّالة التي لقيها الصهيونيون من لدن الولايات المتحدة الاميركية ، وقد تمَّ ذلك بان حكومة واشنطن استعجلت الوساطة بين مصر واسرائيل لعقد هدنة دائمة بينهما ، ونجح المسعى الاميركي وجاء مندوبو القاهرة وتل ابيب الى جزيرة رودس وبدأت المفاوضات دون ان يلتقوا ، وكان ذلك باشراف نائب الوسيط الدولي ، ووردتنا الاخبار بانه من المأمول الوصول الى نتيجة حاسمة في مدة وجيزة .

شؤون عربية :

زار لبنان وليّ عهد اليمن ترافقه حاشية كبيرة ضمّت بعض الامراء فاحتفينا بهم على سابق عادتنا ودعوناهم الى الغداء في القصر الجمهوري مع رئيس حكومتنا والوزراء وكبار الموظفين وأحطناهم بالود والمؤانسة ، ولكن الحالة في فلسطين جعلت الحديث شاجناً .

وكان لتطور قضية القطر الشقيق الذي تآمرت عليه المطامع بلا رحمة ولا وجدان ، أثره في العراق . فاستقالت الوزارة وعاشت بغداد شهراً في أزمة حكومية، وعُهد اخيراً برئاسة الوزارة الى نوري السعيد ففُسِّر هذا التدبير بأن الوصيّ قد اعتمده ليرضي البريطانيين ويكسب تأييدهم لعرب فلسطين في تلك الظروف العصيبة المحرجة .

طلائع الهدنة في رودس :

انتدب الوسيط الدولي أحد معاونيه الى لبنان ، فاجتمع هذا برئيس وزارتنا وأطلعه على مجرى مباحثات الهدنة ، وقال له ان دعوة الدول العربية الاخرى الى مفاوضات رودس لن توجَّه اليها الا بعد ان يطمئن الوسيط الى ان الحكومات المذكورة تلبّي الدعوة . وقد حرص على نيل هذا الاطمئنان كي لا تعرض كرامة الامم المتحدة للامتهان، خصوصاً بعد ان تزعزت ثقة العرب بها في قضية فلسطين .

وسافر المعاون الى عمان ودمشق يجسّ النبض .

ولم نُجبه سلباً ولا ايجاباً حتى نفاوض الرئيس القوتلي بشأنها ، فأوفدنا اليه فوآد عمون مدير وزارة الخارجية . وراجعنا الوسيط الدولي مراراً وتكراراً في العاشر والحادي عشر من كانون الثاني تمهيداً لاجتماع آخر بين قيادتنا العسكرية وقيادة اسرائيل بخصوص مشاكل الحدود ، فتمّ الاجتماع في الرابع عشر ووصل الفريقان الى الاتفاق على منع تعدٍّ جديد ريثما يُستأنف البحث في ١٩ من كانون الثاني ، وتعهد العدوّ باخلاء خمس قرى لبنانية قبل الموعد المضروب تمهيداً للجلاء التام . وقصدنا إرجاء المباحثات الخاصة بنا الى التاريخ المذكور حتى نعرف نتائج اجتماع رودس، وهي منتظرة في ١٨ على الارجح ، فنكون عندئذٍ على بيّنة من الامر .

السهر الدائم :

الحالة تقتضي السهر الدائم والنظر الى المستقبل بعد الذي مرّ بالبلدان العربية من التجارب القاسية . فطلبتُ من رياض الصلح ان يظلّ على اتصال بي . ومن اهم ما بحثناه بحثاً جدياً موضوع انعزال الدول العربية عن دول الغرب ، فرأينا ان لا ينفرد لبنان برأي او مسعى ، وأن نرجـع الى الجامعة العربية في ذلك وإنْ تشتّتت آراءٌ واهواء ،

ويا للاسف . وتشبّثنا بان تكون مفاوضة العرب للدول الغربية وهم صف واحد مجتمع الكلمة ، ولا يخفى ما في هذا من مَنَعة وقوّة .

اما في الحقل الداخلي فسعينا سعياً حثيثاً الى اصلاح شامل يدرسه كل وزير على حدة في وزارته ، ثم يُبحث في مجلس وزاري ويُعرض على رئيس الجمهورية في المرحلة الاخيرة . وقد انعقد مجلس الوزراء غير مرة لتحقيق الاصلاح المنشود وعملنا لذلك جادّين ، ولكن الناس لم يكن لها مفهوم واحد للامر ، وكل فئة تريد إصلاحاً حسب تفكيرها ورغباتها الخاصة ، دون مراعاة تفكير الآخرين ورغباتهم ، وشرط ان لا يمسّ الاصلاح المنشود مصلحة المنسوبين الى هذا او ذاك من اصحاب النفوذ . اي ان ورقة البركة عند بعضهم إنْ هي الا ورقة الحِرْم عند الآخرين .

ورأى رياض ان يتصل شخصياً ببعض المعارضين، فاستقبل[١] هنري فرعون وكميل شمعون ، ووجد ان الاول ينظر بهدوء الى تعديل قانون الانتخاب ، وأما الثاني فلمّح الى القبول بانتدابه الى الخارج في مهمة . وأطلعني رياض على ذلك كله .

رجع مدير وزارة الخارجية من دمشق بعد ان قابل شكري بك القوتلي في موضوع الهدنة ، وعرفنا منه ان الحكومة السورية لا تُبدي ولا تُعيد ، وهي بانتظار محادثات رودس .

وفي اليوم الثاني صباحاً زارني مودّعاً فوآد حمزه الوزير في المملكة العربية السعودية ، وأظهر استعداده لحمل رسالة مني الى جلالة الملك عبد العزيز ، فجدّدتُ الرسالة التي حملها مني حسين العويني من قبل ، وهو موضوع ثقة عند الملك . وفحوى الرسالة انه لا يجوز اضمحلال الجامعة العربية بسبب خلافات جسّمتها قضية فلسطين ، بل علينا ان

---

(١) - في ١٧ من ك ٢ .

نقوّي الجامعة ونضمن لها حياة العزم والبأس لفائدة العرب فلا يعيشوا في حالة عزلة تُضعفهم جميعاً ، كما ان عليهم واجب التضامن لمواجهة الاحداث الخطيرة .

تعسر المفاوضات في رودس :

بلغ شهر كانون الثاني نهايته ولم تصل مفاوضات رودس الى نتيجة حاسمة ، فأبرقت وزارة الخارجية الى وزيرنا المفوض في القاهرة تستطلعه الاخبار الاخيرة، وأجاب الوزير بان المفاوضين المصريين لا يزالون في المرحلة الاولى . فأجزنا للقيادة العسكرية ، بعد هذا التأخير ، ان تجتمع في راس الناقورة بالقيادة الصهيونية بحضور ممثلي الامم المتحدة، وذلك لعدم قطع الاتصال ، على ان لا توقّع قيادتنا على اتفاقٍ ما قبل اعلان اتفاق رودس المرتقب .

فاضل الجمالي مندوب نوري السعيد :

شعرت حكومة العراق بنقمة عليها من اكثر الحكومات العربية من جراء الاحداث الاخيرة، فرأى نوري السعيد ان يتقرب من الساخطين وأوفد فاضل الجمالي لهذه المهمة . وقد سافر فاضل الى القاهرة وجاء الى بيروت في اواخر كانون الثاني واستقبلتُه طويلاً وأحسنتُ وفادته ، وعرفت منه انه تمكن في مصر من تحسين الجوّ بعض التحسين وأنه مهّد لمقابلة بين ابرهيم عبد الهادي رئيس الوزارة المصرية ونوري السعيد . فصارحتُ فاضل الجمالي الكلام وأكّدت له رأينا بضرورة تقوية الجامعة العربية وهي تمرّ اليوم بأزمة حادة ، فالجامعة لم تُنشأ لظرف آني ، ولا لوقت معيَّن ، بل هي شبه مؤتمر دائم للدول العربية لتنسيق علائقها بعضاً ببعض، وكذلك لتنسيق علائقها بالدول الاجنبية . وها اننا مقبلون على المرحلة الاخيرة من قضية فلسطين ، ولجنة التوفيق الدولية آتية الينا فهل من المصلحة العربية ان ترانا اللجنة مفككي العرى ؟

وتطرّقنا الى حالة سورية المعنوية وتخوّفها الدائم من حركات الملك عبدالله ومطامعه غير المشروعة إزاءَها والتي تسرّبت الى لبنان ايضاً ، ونصحتُ للجمالي بأن يجهر في دمشق بالتأمينات اللازمة لبقاء الوضع الراهن في الشرق العربي .

وقابل فاضلُ الجمالي رئيسَ الوزارة اللبنانية ثم قابل وزير الخارجية ، فقال له كلٌّ منهما بقولي ، وأيّدا رأيي دون سابق اتفاق بيننا ، مما كان له احسن وقع لديه، وودّعنا ممتناً من اخلاص لبنان رئيساً وحكومة للقضية العربية .

وجاء الى لبنان ايضاً موفد من العراق (١) ولكنه دون فاضل الجمالي دهاء وثقافة ، فلم يختلف حديثنا اليه عن الاحاديث التي سمعها فاضل .

وقابل الرسول الجديد رياض الصلح وحميد فرنجيه ثم غادرنا بعد ايام الى القاهرة لمتابعة المسعى لتحسين علائق حكومتي القاهرة وبغداد .

فرنسا وانكلترة واسرائيل :

طلب وزير فرنسا المفوض مقابلتي حاملاً اليّ رسالة من حكومته تؤكد لنا فيها تدخلّها مع مندوب اسرائيل لاخلاء الاراضي اللبنانية من الجنود الصهيونيين . وانها لم تحصل حتى الآن على نتيجة لهذا التدخل .

وساءني ما عرفته بعدئذ من ان حكومة باريس تستعد للاعتراف باسرائيل بعد ان تنجلي المفاوضات الجارية بينهما .

وكذلك ساءني تغيّر السياسة البريطانية تجاه الصهيونية : لقد أرغى الانكليز وأزبدوا على اثر سقوط طائراتهم الخمس ، وحشدوا قوّاتهم في العَقَبة ، وهدّدوا وتوعّدوا ، ولكنهم لم يلبثوا ان هدأ غضبهم فجأة

(١) — جميل المدفعي من رؤساء الوزارة العراقية سابقاً .

وسمحوا لجمع غفير من الصهيونيين قاطني قبرص بان يدخلوا الاراضي المقدسة ، وكذلك افرجوا عن عدد كبير من الاسرى الصهيونيين، وأكد لنا العارفون ان بريطانية على أهبة الاعتراف باسرائيل مقابل اعتراف الولايات المتحدة بحكومة شرقي الاردن ! وهذا كله مساومات على العرب ... احسن الله حال دولنا ، وألهمها اتباع السياسة الرشيدة التي تقوّيها وتخرجها من هذه الازمات !

تحسن العلائق الاقتصادية مع سورية :

رجعت الحكومة السورية الى سياسة عملية . ان مجلس الوزراء وافق على اتفاق النقد مع فرنسا وطلب من المجلس النيابي إبرامه . وكذلك طمأن ادارة شركة «التابلين» بانه سيفعل هكذا قبل نهاية الشهر (ك ٢) بالاتفاق المتعلق بإمرار انابيبها عبر الاراضي السورية الى لبنان . وطلب منا رئيس الوزارة السورية إبرام الاتفاق لاقتسام عائدات المشروع .

فيا ليت اخواننا وجيراننا اقدموا على ذلك كله في حينه وجنّبونا مشادّاتٍ لا طائل تحتها، واتهاماتٍ برهن الواقع على فسادها ! المهم انهم عادوا الى الخطة الاولى التي مشيناها معهم متفاهمين متضامنين ، ولعل لتأخرهم فائدةً تظهر لبنان متّشحاً بثوب الحكمة والدراية اذ مشى الى ما فيه مصلحته بقدم ثابتة وبدون تردّد .

وقف محادثات رودس . موقف بريطانية من اسرائيل :

تعاقبت جلسات مجلس الوزراء في هذا الاسبوع وأدّت الى إعداد بيان مسهب تلاه رئيس الوزارة في ٢٥ من كانون الثاني في المجلس النيابي ، وعقبته مناقشة عنيفة انتهت بمنح الثقة باكثرية اربعين نائباً ضد ثمانية . ولكن العقبات باقية وإن ثبت مركز الوزارة الى حين .

وقفت محادثات رودس ثم استؤنفت ولمّا تصلْ الى اتفاق ، وقد ايقن وكلاء الوسيط اننا لن نستبق القاهرة في التوقيع على الهدنة ، فكفّوا عن الالحاح علينا بعقد الاجتماعات مع العدو في الحدود . وبقي القتال واقفاً عملياً .

تجلّت سياسة انكلترة في خطاب ألقاه المستر بيفن رئيس حكومتها : يريد البريطانيون الاعتراف باسرائيل دون إغضاب العرب ، وكيف يتسنّى لهم مثل هــذه المعجزة ، ونحن على يقين من ان حل قضية فلسطين على اساس التقسيم وقيام اسرائيل سيخلق حتماً في الشرق العربي بركاناً بل بَلقاناً جديداً ، وكلٌ يعلم ما جرّته سياسة البلقان من ويلات . ان الحرب هدّامة في أيّة قارة وقعت ، وخصوصاً في الشرق الذي لم تستكمل بلدانه عناصر القوة بعد .

اعترافات دولية باسرائيل . الوسيط يدعو الى عقد هدنة معها :

زاد موقف العرب حرجاً عدد اعتراف الدول الكبرى باسرائيل . بقي الاستنكاف البريطاني مأمولاً الى آخر ساعة ، غير ان حكومة لوندرة انضمّت الى دول حلف الاطلسي وجاء الاعتراف جملة . ولعبت هناك السياسة الداخلية والخارجية دورها الفعلي في ذلك .

وفي ٣١ من كانون الثاني وردت برقية مستعجلة من المستر رالف بونش الوسيط الدولي يدعو بها جميع الدول العربية الى مفاوضات الهدنة ، فاتصلنا بالحكومات الشقيقة لنعرف موقفها ، ورأينا ان يجتمع وزير خارجيتنا ووزير خارجية سورية للاتفاق على جواب واحد الى الوسيط .

علمنا ان جميل المدفعي غادر القاهرة ليحضر اجتماع الملك عبدالله والوصي عبد الاله في الحدود العراقية الاردنية في الثاني من شباط .

في الرابع من شباط وصل الى بيروت المسيو ستاڤروپلو الموظف في

مجلس الامن الدولي مندوباً عن المستر بونش ليُطلع الحكومة اللبنانية على سير المفاوضات في رودس وهي في طريقها الى الاتفاق . وغاية المندوب ايضاً ان يشجّعنا ويشجّع الدول الشقيقة على قبول مباحثات الهدنة . واجتمع ممثلو الدول العربية في دار رئيس الوزارة المصرية في القاهرة وبحثوا الموضوع من جميع جهاته وكتبوا محضراً بمباحثاتهم ارسلوه الينا لإبداء الرأي . فلم نجد فيه جديداً سوى ما عرفناه معرفة غير رسمية عن ان اتفاق الهدنة الذي ستوقّع عليه مصر في رودس يفتح الباب امام هدنة مع الدول العربية الاخرى .

في الثامن عشر من شباط وصلت الى بيروت لجنة التوفيق الدولية التي عيّنتها الجمعية العامة في نهاية كانون الاول للاهتمام بقضية فلسطين ، وبيروت مرحلتها الاخيرة بعد ان زارت العواصم العربية الاخرى .

استقبلتُ صباحاً على التوالي وزير الخارجية ثم رئيس الوزارة وتناول البحث نقطتين مهمّتين : الاولى تدويل مدينة القدس وملحقاتها ، والاخرى موضوع اللاجئين .

واستقبلتُ مساء اعضاء لجنة التوفيق ولفتُّ نظرهم الى خطر إدخال عنصر جديد في الشرق يضمر الشر للجيران ويهـدّد السلم حاضراً ومستقبلاً . وقلت لهم : ان على هيئة الامم المتحدة تدارك الخطر بالطرق الفعّالة ، وهي ان لم تحزم امرها وإن ظلت تساير الصهيونيين ، فالدول العربية لن تسكت لانها تعدّ وجود الصهيونيين في هذه الارض العربية خطراً على سلامة قوميتها وعلى مستقبلها . ثم قلت : ان بعض الشر اهون من كله ، وإن تدويل مدينة القدس والبت في مشكلة اللاجئين من شأنهما التخفيف من حدّة الازمة . ولكن تبادل الآراء بيني وبين اعضاء اللجنة لم يُفسح المجال ليطمئن قلبي ، بل لمست ان القوم « محقونون » بنيات بعيدة عن مصالح العرب . وودّعني اعضاء اللجنـة وهم يهمّون بالسفر العاجل الى تل ابيب ، وسافروا . . .

الهدنة الدائمة :

في ٢٤ من شباط مساء ورد نبأ رسمي بان المصريين والصهيونيين وقّعوا في رودس على اتفاق هدنة دائمة بدلاً من وقف القتال . ان للنبأ اهميته الكبرى وشأنه العاجل في تشجيع الدول العربية الاخرى على الاقتداء بمصر .

كان حكيماً جداً رأي الحكومة اللبنانية في التريّث حتى تذاع نتائج محادثات رودس . اما وقد تمّ الاتفاق المذكور فلم يبقَ من مجال الى رفض دعوة الوسيط الدولي لعقد الهدنة . وهكذا كان ، ولكننا آثرنا استئناف الابحاث السابقة في الناقورة وعدم الذهاب الى رودس ، وعُيّن اول اجتماع مع العدو في اول آذار ، وعلمنا أن المباحثات مع شرقي الاردن ستبدأ قريباً .

الجديد في السياسة السورية :

في ٢١ من شباط وصل خالد العظم الى بيروت فاستقبلته بحضور رياض الصلح وحميد فرنجيه وأبلغنا ان سورية وقّعت على اتفاق النقد مع فرنسا وحوّلته الى المجلس النيابي ، وحوّلت معه اتفاق إمرار انابيب التابلين ومشروع اتفاق البترول مع شركة « الانكلو إرانيان » . وزاد الضيف على ما تقدّم ان لا بد من توحيد سياستنا في توزيع المحروقات وتحديد اسعار بيعها ورفع « التقنين » عنها ، كما انه يأمل خيراً بتمديد اتفاق شتورة على أسس معقولة تبقي حرية التجارة في لبنان مباحة إلا في بعض مواد كمالية يقف استيرادها موقتاً او تخضع لاجازة استيراد موقتة . وجميع هذه النقاط المهمة معلقة من ايلول ١٩٤٨ ، وعسى ان تصل الحكومتان الى اتفاق نهائي في جميع هذه القضايا .

ثم تطرق الحديث الى الامور السياسية فسمعنا من خالد العظم تفهماً

« جديداً » للاحداث التي يتمخّض بها العالم ، وللامور التي لها علاقة بسياسة البلدين الداخلية والخارجية . وهذا هو ملخص كلامه .

١ – اكتشف الامن العام في دمشق مسعى تجسّس يقوم به الحزب السوري القومي في الاراضي السورية وقد أوقف بعض المتجسّسين ، فعلى الامن العام اللبناني ان يكون يقِظاً وينسّق عمله مع الامن العام السوري للقضاء على التجسس المذكور .

٢ – يقوم نشاط شيوعي شديد في سورية بعد حوادث العراق (اعتقالات واعدام بعض الشيوعيين هناك) ، فيجب تنسيق مقاومة هذا النشاط بين حكومات بغداد ودمشق وبيروت .

٣ – ان امتيازات شركات النفط سائرة سيراً حسناً ولكنها تعكرت برجوع مدير شركة « التابلين » عن تعهدٍ كان قد وقّع عليه بإمرار النفط السوري « في حالة وجوده » بأنابيب التابلين ليصل الى البحر . وحجة المدير في هذا التراجع ان مجلس ادارة الشركة لم يوافق عليه . وزاد خالد بك : ان التعهد قد أُحيل الى المجلس النيابي كجزء متمم للاتفاق الاصلي بين الحكومة والشركة فتراجُعُ الشركة قد يزعزع ثقة المجلس بحسن نيّتها فلا تنفّذ التعهدات الاخرى ، وقد يُردُّ المشروع بكامله ، خصوصاً وانه يوجد دعاوة كبيرة ضد تلك المشاريع . فطلبنا من خالد بك ان يتدارك الامر بحكمته وان يطلب من الآن موافقة مجلس ادارة الشركة على سائر تعهدات مديرها العام فيقطع على المعارضين حجتهم .

٤ – الجامعة العربية مهدّدة بأزمة خطيرة لاستحالة عقد الدورة العادية واجتماع الهيئة السياسية ، فأصبح من الضروري السعي الحثيث لابقاء هذه المؤسسة على ان يعاد النظر في تأليفها وتنظيمها . فوافقناه على ذلك وقلنا له : قد تكون العلّة في تفكك الجامعة وقد زال بعقد

الهدنة في رودس . وطلبنا منه ان يوفد الوزير محسن البرازي الى القاهرة للسعي الى ضم الشمل لا سيا وقد اقترب عقد الدورة العادية في اذار ويجب ان لا ترجأ لان في إرجائها تخاذلاً ينجم عنه ضرر فادح .

٥ — ان التوقيع على الهدنة في رودس حدثٌ مهم في قضية فلسطين، والمشاورات التي بدأت بها لجنة التوفيق الدولية قد تدعو الدول العربية الى الاجتماع لتوحيد كلمتها خصوصاً بما يتعلق باللاجئين ، والملك عبدالله يتشبّث بضم « القسم العربي » من القطر الممزّق الى شرقي الاردن تنفيذاً لمقررات مؤتمر اريحا، وعلينا ان نحدّد موقفنا من هذا المطلب . فأجبته : من الموافق ان يُنزع من الصهيونيين اكبر مساحة يمكن نزعها منهم من الارض التي اغتصبوها، وان يُضيَّق عليهم ، على ان يُترك للاهالي العرب امر البت في مصيرهم ، والدول العربية توافق على اختيارهم المصير الذي يقررونه احراراً .

٦ — لا تزال نيّة الملك عبدالله تجاه سورية غير صافية ، وهو يواصل مساعيَه الى تحقيق هدفه المعروف . فقلنا له : ان اتصالات الملك نفذت الى بعض الشخصيات اللبنانية وفي مقدمتها الرئيس اميل اده (ويقال ان الملك اهداه رسمه) والكتلة الوطنية التي يرئسها ولويس زياده ونهاد ارسلان وجريدة « البيرق » . وهذه الاتصالات غير خافية علينا ، وهؤلاء جميعهم لا يجارون الملك في تحقيق فكرة سورية الكبرى الا ظاهراً ، وحقيقة امرهم منه انهم يأملون مساعدته لقلب نظام الحكم في لبنان . وهذه الرغبات احلام واوهام ... الا انــه من الواجب علينا السهر لمنع الدعاوة لسورية الكبرى وللمحافظة على كيان لبنان على اساس ميثاقه الوطني .

٧ — قال خالد بك : إن سورية لا تتمكن في الوقت الحاضر من اجابة دعوة الوسيط الدولي لعقد هدنة مع الصهيونية ، فالرأي العام ينفر من هذه الفكرة، اما لبنان فله ان يتابع المباحثات بهذا الشأن .

فأعلمنا خالد بك اننا نفضّل ان يتم الاجتماع بين العسكريين اللبنانيين والصهيونيين في الناقورة دون الانتقال الى رودس .

ووافق الجميع على هذه الخطة .

شؤون داخلية :

خَفـّت الحملات على الحكومة وعلى المجلس بعد الجلسة التي نالت فيها الوزارة الثقة ، وبعد الحكم بالسجن على اصحاب جريدة « البيرق » حكماً موقوفَ التنفيذ .

ووُقـّع في وزارة الخارجية على معاهدة صداقة وتجارة مع ايطالية (١) وعلى معاهدة تجارية وثقافية مع اليمن (٢) .

وأُرجىء التوقيع على معاهدة مماثلة مع الولايات المتحدة بسبب موقفها من قضية فلسطين .

في ٢٢ من شباط قدم وزير جمهورية الشيلي اوراق اعتماده مع المراسم المعتادة ، ونـوّه في تبادل الخطب بمزايا المغتربين اللبنانيين والخـدَمات التي يؤدّونها لتلك البلاد والبلدان التي نزلوها . وأبلغني الوزير ان رئيس الشيلي وقـّع على مرسوم بإهدائي قلادة اعلى وسام عندهم، فشكرته وقلت له إننا سنبادلهم هذا التقدير .

وزارني مودّعاً في اليوم عينــه نيافة الكردينال تبوني ، بطريرك الطائفة السريانية الكاثوليكية ، مسافراً الى ايطالية على باخرة حربية فرنسية ، فحمّلته رسالة احترام الى قداسة الحبر الاعظم وتقبّلها بالشكر وقال انه سيؤدّيها ويُطـَمئن قداسته الى ازدهار لبنان وتقدير القيم الروحية فيه ، وينقل اليه رأينا ورأي حكومتنا في قضية تدويل القدس . وكان نيافته غاية في اللطف والانسجام .

(١) و (٢) — ١٥ من شباط .

وفي مساء ذلك اليوم استقبلت الرئيس ألفرد نقاش وتناولنا الشاي في مكتبي ، وتحدثنا في الشؤون الحاضرة ، وباح لي برغبته الملحّة ورغبة اصدقائه بتعديل قانون الانتخاب على ان يتبعه حل المجلس ، وان تُسند رئاسة الوزارة الى رجل من خارج البرلمان إقصاءً لرياض الصلح عن الحكم . فذكـّرته بمزايا رئيس الوزارة وبسطت خدماته الصادقة في المحافظة على لبنان اثناء حوادث فلسطين ، ودللتُ زائري الى الخطر من هزّة داخلية تنجم عن حل المجلس في هذه الظروف المحرجة . واتضح لي انه سيستمر في معارضته . وقد أحسنتُ وفادته إكراماً للمنصب الذي عُيّن فيه ونظرتُ الى ثقافته وتهذيبه اكثر من نظري الى شعوره الولائي نحوي ، وهذا شأني في علائقي بجميع السياسيين : أُبدي اللياقة مهما تباينت الآراء .

وفي اوائل اذار عقدت كتلة التحرر الوطني اجتماعاً في بيت سامي الصلح وتخلّف الكثيرون عن حضوره ، وأُلقيت خطب عديدة أهمّها خطابان هوجمت الرئاسة فيهما، أحدهما من عبد الحميد كرامي وكان عنيفاً، والآخر من كميل شمعون وكان اقل عنفاً . وعلى الرئيس ان يتحمّل وان يصبر ! وفي اليوم الثاني تطوّع هنري فرعون للتوفيق بين المعارضين المختلفين عقائد ومرامي، فعلامَ هذا الموقف من سامي الصلح وهنري فرعون؟ ألأن نجاحهما في « انتخابات ٢٥ نوار » كان باهراً ؟

المرحلة الاخيرة للهدنة مع اسرائيل :

اعاد الوسيط الكرّة علينا بشأن الهدنة الدائمة مع الاسرائيليين ، وحجته في هذا الالحاح ان الهدنة المصرية قد عُقدت في رودس ، فقبلنا ولكننا ألححنا في ان تظل الناقورة وحدها مكاناً للمفاوضات فقبل الوسيط . وعليه اجتمع مجلس الوزراء في ٢٨ من شباط صباحاً وفوّض وزارةَ الدفاع بالمباحثات وصدر بلاغ بذلك قطعاً للتكهنات والتأويلات، وهي كثيرة ...

أوفدنا الى المفاوضات ضابطين من وزارة الدفاع وارفقناهما بأنيس صالح مستشاراً حقوقياً وبترجمان ، فاجتمعوا في اول اذار بالمفاوضين الاسرائيليين في راس الناقورة ووضعوا جدولاً لاعمال الجلسة المقبلة التي عيّنت في ٣ من اذار . ومشت المحادثات في بطء ولم تتقدّم الاّ بعد سبعة ايام اذ قـُبلت النقاط التي تشبّث بها الجانب اللبناني ، وهي :

١ — الحد الفصل بين الجيشين هو خط الحدود الدولية المعروفة .

٢ — لا يؤتى على ذكر جنود سوريين ، في الاراضي اللبنانية بل يُكتفى بالقول ان الفريقين يتركان قوة رمزية على الحدود ويتعهدان بعدم مهاجمة احدهما الآخر في اثناء الهدنة الدائمة .

٣ — والاهم ، ان ذُكر صراحةً في متن الاتفاق انه لا يمسّ اساس المطالب المتعلقة بفلسطين الى حين تقرير الحل النهائي لقضية القطر الشقيق .

وأُقرّت البنود الاولى ذات الطابع السياسي وتركت البنود العسكرية تحت البحث ، وأُرجىء الاجتماع الى العاشر من اذار ثم تمّ الاتفاق على الناحية العسكرية وعلى جلاء القوى الاسرائيلية عن الاراضي اللبنانية . ووُقّع على الهدنة بالحروف الاولى من اسماء المفاوضين . وفي ٢٢ اجتمع مجلس الوزراء ودرس الاتفاق وأقرّه . ووقّع المفاوض اللبناني عليه نهائياً في ٢٣ من اذار في مخفر راس الناقورة [1] .

لجنة التوفيق الدولية في بيروت لبحث قضية اللاجئين :

دعت لجنة التوفيق الدولية الحكومات العربية للاجتماع في بيروت ابتداء من ٢٣ من اذار لبحث قضية اللاجئين . ووصلت اللجنة والوفود

---

(١) — تم التوقيع على الهدنة مع الاردن في ٣ من نيسان . ومع سورية في ٣ من تموز . ولم تتم اية هدنة مع العراق والمملكة العربية السعودية .

قبل يومين من الموعد . وفي ٢٢ من اذار احتفلت الدول العربية بذكرى تأسيس جامعتها فاغتنمتُ المناسبة ودعوت لجنة التوفيق واعضاء الوفود والوزارة اللبنانية الى تناول الشاي في القصر ، وبذلت جهدي لاشاعة جو ملائم تهيئة للابحاث المقبلة .

وكان يمثل الدول العربية وزراء الخارجية فيها ، الا العراق الذي اوفد موظفاً لم يكن كفوءاً لزملائه . وعبثاً ابرق وزير خارجيتنا الى نوري السعيد يدعوه فلم يجب !

وما ان بدأت جلسات لجنة التوفيق مع الوفود العربية حتى ظهرت العقبات ، ومردّها ان اسرائيل عارضت بفصل قضية اللاجئين عن قضية السلم الدائم وهو حلم مستحيل التحقيق . وكانت وجهة نظرنا ، والوفود العربية تشاركنا اياها ، ان تحلّ قضية اللاجئين حالاً . وقد أفضى وزير خارجيتنا بهذا الرأي امام لجنة التوفيق باسم جميع الوفود .

وقيل على هامش تلك الابحاث : إن عروضاً مُغرية استهوت الملك عبدالله لايواء اللاجئين جميعهم في اراضي شرقي الاردن مقابل مائة مليون دولار تُدفع له من صندوق الامم المتحدة . ولم يثبت الخبر . وتعسّرت المباحثات فأوقفت اللجنة الدولية اجتماعاتها في بيروت وطلبت الى الوفود العربية نقل مكان الاجتماع الى بلد محايد كسويسرة لتتمكن اسرائيل من الاشتراك في المفاوضات ، على غرار ما جرى في رودس بموضوع الهدنة . فتريّث المندوبون العرب في الرد ليسألوا حكوماتهم رأيها في طلب اللجنة .

وقبل ان تغادر لجنة التوفيق بيروت دعوتها الى الغداء ، واثناء تبادل الاحاديث قصّ علينا المسيو بوازنجه المندوب الفرنسي فيها ان اليابانيين حبسوه يوم احتلوا الهند الصينية وانه لم يحفظ لهم ضغينةً او حقداً ، وان السماح يليق برجال السياسة ، فأجبته : « انا من رأيك تماماً ! » ،

مشيراً الى معاملة الفرنسيين لي ... فضحك الجميع وقال المسيو بوازنجه : « لقد اعطيتَ يا فخامة الرئيس اكثر من دليل على ما قلته الآن » .

عودة الى السياسة الداخلية :

لا شيء جديد يذكر في السياسة الداخلية سوى ان حميد فرنجيه وزير الخارجية أعلن في المجلس النيابي، على اثر غضبة عابرة، عدم انسجامه مع زملائه الوزراء ، وقدّم لي استقالته فتركتها في الدرج وأفهمته ان عمله غير موافق في الوقت الحاضر فقنع .

وتساهلت الحكومة مع الصحف تساهلاً كثيراً لم يكن توجيه الرئاسة بعيداً عنه ، فتجاوزتْ عن حملات عنيفة فيها الكثير من المساس بالسلطة ولم تلاحق الصحفيين، واستصدرت عفواً عنهم بعد الحكم عليهم، واكتفت بتعطيل رمزي . ولكن جريدة « الاوريان » لم تعبأ بهذا التسامح من الدولة فهاجمت الوضع اللبناني بمقالة عنوانها « سلبيتان لا تخلقان ايجابية »، ومعنى ذلك في نظرها ان الميثاق الوطني لا يُجدي اذ ان رجوع فئة عن طلب الحماية الاجنبية ورجوع فئة اخرى عن طلب الوحدة او الاتحاد العربي لا يجعلان من لبنان وطناً وامة ، وكان موضوع المقال ولهجته خطيرين لا يجوز السكوت عنهما ، فصدر مرسوم بتعطيل « الاوريان » ولاحقت النيابة العامة جورج نقاش كاتبه ولاحقت كسروان لبكي المدير المسؤول فاوقفا توقيفاً احتياطياً ثم احيلا الى المحاكمة فحكم عليهما باحكام صارمة ، وأحس أصحاب الصحف « بالسخن » فخففوا من حملاتهم، وهدأوا فترة قصيرة .

وبعد ان سكنت العاصفة التي اثارها المقال اخذنا بتلطيف الجو فقصّرنا اجل تعطيل « الاوريان » وقللنا مدة السجن على المحكومَين . وقيل لي ان جورج نقاش تقبّل ذلك كله برصانة وكرامة واما زميله كسروان لبكي فعيل صبره وضاق صدره .

انقلاب عسكري في دمشق

في الصباح المبكر من الثلاثين من آذار تلقّيتُ نبأ هاتفياً مستعجلاً بان في دمشق انقلاباً عسكرياً ، ونُقلتْ اليَّ البلاغات الرسمية التي اذاعتها القيادة هناك وهي تنبىء بحدوث الانقلاب وباعتقال شكري بك القوتلي رئيس الجمهورية واعتقال خالد العظم رئيس وزرائه ، وان الزعيم العسكري حسني الزعيم قد تسلّم جميع السلطات الدستورية . فدعوتُ حالاً رئيس الوزارة واخذنا بتسقط الاخبار من مصادر مختلفة فعرفنا ان شكري بك تحت الحراسة في مستشفى المزّة . فساءنا الامر وانشغل بالنا كثيراً عليه ، وعلمنا ان مصير مجلس النواب على « كف عفريت » ، وان الاحكام العرفية أُعلنت في جميع الاراضي السورية .

وتداولتُ الرأي ورياض الصلح فهالنا الحدث من حيث خطورته بحد ذاته ، ونتائجه بعد تغلغل العنصر الصهيوني في فلسطين ، والمطامع التي تتجاذب الشرق الاوسط . لا يعرف لهذا الانقلاب مداه ، ولا التطور الذي سوف يُحدثه . لم تحصل مقاومة ما في دمشق ولا في مكان آخر

من سورية . غير ان القلق استحوذ على القطر الشقيق وأخذت البرقيات ترد علينا من البلدان العربية للاستعلام عما جرى ، وقد ابدى مرسلوها تخوّفاً معقولاً جداً من جراء الانقلاب الارعن .

في الثالث من نيسان مساء أصدر صاحب الانقلاب بياناً « الى الجيش الباسل والشعب السوري الكريم » ، حمل فيــه على العهد السابق حملة ظالمة لم تعرف الانصاف . ولما بسط مخطّط سياسته الخارجية المقبلة ذكر لبنان بهذا الكلام المعسول : « ... **اما لبنان الشقيق فاننا نؤيد وضعه الراهن تمام التأييد ونحترم استقلاله . ونرجو ان نحل في الوقت القريب كافة القضايا المعلقة بيننا وبينه والتي لم تحلّ بعد** » .

وسعى حسني الزعيم لتأليف حكومة من المدنيين فلم يُفلح ، فحلّ المجلس النيابي(١) وتولّى بنفسه السلطتين التشريعية والتنفيذية وألّف مجلس أمناء دولة لتسيير الامــور الادارية . الحالة هادئة . بدأ موفدو الدول العربية يصلون الى بيروت ، وأولهم القائم مقام العسكري محمد يوسف من ضباط القصر الملكي المصري . ولدى وصوله اتصل بمقر الرئاسة وطلب مقابلتي فاستقبلته واستطلعني رأيي في الحدث المؤسف فأفضيت اليه بجميع المعلومات المتوافرة لديَّ لينقلها الى الملك فاروق ، وقلت له بان يقابل رياض الصلح وحميد فرنجيه ففعل . وعاد الى القاهرة في اليوم الثاني على جناح السرعة .

ثم استقبلتُ جميل بابان موفد العراق الى دمشق فأخبرني انه قابل حسني الزعيم وباحثه في الوضع الجديد . ولاح لي من كلام بابان موفد نوري السعيد أنه يؤيد ، في الباطن ، حركة الجيش السوري ، فخامرني سوء الظن وتساءلت : ترى ، هل للعراق ولشرق الاردن يــد في ما جرى ؟ وهل للانكليز ضلع فيه ؟ وهب انه انقلاب داخلي ، أفلا يجوز

(١) — ٤ من نيسان .

ان يستغله الهاشميون في بغداد وعمان ، ومن ورائهم الانكليز ، لمآربهم واغراضهم ؟

وعلى اثر ذلك كله اخذ حميد فرنجيه وزير خارجيتنا يتصل بالوزراء المفوضين ، عرباً واجانب ، يستكشف مخابئهم ولم يُمدّه احد منهم بمعلومات جديدة ، وجميعهم تنصّلوا من الحدث كما تنصّل بنو يعقوب من دم اخيهم يوسف . . .

تعكر العلائق بين رياض الصلح وحسني الزعيم :

يعلم الله اني ورياض الصلح والحكومة لزمنا جانب الحياد التام في الحركة السورية على كونها اجراءات داخلية ، ولزمنا الحياد منغّصين ، يملأ نفوسنا القلق على شكري بك القوتلي ، العزيز علينا جميعاً ، والقريب الينا كشخصٍ وكرئيس دولة تعاونا واياه على الخير ما قدّر الله ، ولكن حسني الزعيم سيّء الظن ككل رجل يُقدم إقدامه ، فأخذ يتّهم رياض الصلح بأنه هو الذي أوعز الى بعض الصحف اللبنانية بمهاجمة الوضع الجديد وبأنه يقوم بمساعٍ حثيثة لدى الدول العربية لتسويد صحيفة صاحب الانقلاب لديها حتى لا تعترف بحكومته .

وكانت تلك الادعاءات فاسدة وظالمة من اساسها ، فالصحف الوطنية في لبنان لم تكن بحاجة الى وحيٍ لمهاجمة الانقلاب الطائش . وكل عاقل يقدّر الحكم الدستوري تقديره الصحيح رأى في حركة حسني الزعيم ، وهي تمرد شخصي انتقامي، مجازفةً خطرة أساءت الى سورية والى جميع الاقطار العربية . فكان بَدَهياً ان يتناولها الكتاب اللبنانيون الوطنيون بالنقد والاستنكار . أما نحن فحافظنا على هدوء اعصابنا وتركنا علائقنا الاقتصادية بسورية على حالها، في حين ان نفوسنا ما تزال مضطربة جزعاً على مصير صديقنا رفيق الجهاد فخامة شكري القوتلي الذي تضاربت الاخبار عنه ، وفي حين ان نية حسني الزعيم تجاهنا ما تزال غامضة ،

ومرامي عمله غير الدستوري مبهمة . والله تعالى يعلم وحده عواقب تلك المجازفة المؤسفة . وقد بقينا على رباطة جأشنا لعلّنا نستطيع « ترويض » الرجل .

وفي ٤ من نيسان أوفد اليّ حسني الزعيم مرافقه الخاص[١] ومعه كتاب فيه الكثير من اللطف واللياقة ، إلا انه يتضمّن شكوى صريحة من موقف رياض تجاه الانقلاب ، ويخشى الزعيم ان يؤدّي الامر « الى اسوأ العواقب » . مؤكداً امنيته ان تبقى سورية على خير صلات مع لبنان الشقيق[٢] .

وقد شفع الموفد الخاص الكتاب الخطي برسالة شفوية لا تختلف عن معنى الكتاب . ويفهم صراحةً منها ان تعاون حسني الزعيم لن يكون خالصاً مع حكومة لبنانية يرئسها رياض الصلح .

قرأتُ الرسالة بكل إمعان ، واستمعت الى حاملها بمزيد الانتباه ، ثم قلت له : « أُحمّلك الى الزعيم اصدق تحياتي ، وأكّد له بلساني ولسان رياض الصلح وحكومته حيادنا التام ، وعدم تدخلنا في الماضي ، ولا في الحاضر ، في شؤون سورية الداخلية . وأننا نتمنى للبلد الجار الشقيق التوفيق والازدهار » .

وغادرني الرسول ، بعد ان فهم مني صدق النية وتمسّكي برياض . ولدى وصوله الى دمشق كرّر حسني الزعيم تصريحه بأنه يؤيد الوضع الراهن في لبنان ويحترم استقلاله ، ويرغب في المحافظة على علائق الاخوة بينه وبين سورية .

وعلى الاثر اجتمع مجلس الوزراء اللبناني ووافق على بيان وضعه رئيس

(١) — النقيب رياض الكيلاني .
(٢) — انظر قسم الوثائق .

الوزارة يتضمن المعنى عينه ويطلب الى الصحف تحاشي البحث في وضع سورية الداخلي . وأكد البيان ان لبنان لم يتلقّ ايّ إنذار ، ولا يقبل أيّ إنذار ، من اية جهة كانت .

واخيراً صرّح القابض على مقاليد الحكم في دمشق بان من اعز امانيه الابقاء على روابط الاخاء بين البلدين .

وطلبنا من قيادة الجيش اللبناني ان توفد العقيد توفيق سالم الى العاصمة السورية ليقابل حسني الزعيم ويؤيد باسمنا ما ورد في بيان مجلس الوزراء، ويتفق معه على التدابير الواجب اتخاذها على الحدود .

استقالة الرئيس شكري القوتلي :

في ٧ من نيسان عقـد صاحب الانقلاب مؤتمراً صحفياً اعلن فيه « استقالة شكري القوتلي من رئاسة الجمهورية ، واستقالة خالد العظم من رئاسة الوزارة » [١] .

وبعد هذه الاستقالة أخذ الوضع الجديد يتركز في سورية بسرعة غريبة عجيبة، وبدأت الدول الكبرى تبحث جدياً امر الاعتراف بالزعيم، والدول العربية تستعدّ له مترقبةً الحوادث .

صعوبة التفاهم مع الانقلاب :

وفي ١٣ من نيسان اوفدت حكومة لبنان كلاً من محمد علي حماده مدير

(١) ـ نشرت صحف دمشق استقالة الرئيس القوتلي بهذا النص : « اقدم للشعب السوري الكريم استقالتي من رئاسة الجمهورية السورية راجياً له العز والمجد ـ ٦ نيسان ١٩٤٩ ، شكري القوتلي » .

اما استقالة خالد العظم فأذيعت بالنص التالي : « اعلن استقالتي من رئاسة الحكومة السورية ـ ٧ نيسان ١٩٤٩ ، خالد العظم » اه .

الشؤون العربية في وزارة الخارجية وفريد شهاب مدير الامن العام ليقابلا صاحب الانقلاب ويعرضا معه بعض الشؤون الطارئة، فنعرف وجهة نظره فيها .

واستمرّت الهيئة اللبنانية للمصالح المشتركة على تفاهم تام مع الهيئة السورية ، إبقاءً لوضع المصالح المذكورة .

داوينا الحالة موقتاً من جهتيها السياسية والادارية ، واما من الناحية الخلقية فكان من الصعب تلافي تأثير الانقلاب السوري في سياستنا الداخلية، ومنذ الدقيقة الاولى نشطت المعارضة عندنا وصحفها لاستثمار الموقف . وقد يكون هذا طبيعياً ، ولكن المؤسف ، بل المفجع ، تهافت بعض اللبنانيين على دمشق للتقرب من العهد الجديد . ولم يقتصر التهافت على بعض صحفيين بل تعدّاهم الى سياسيين لهم مكانتهم في محيطهم، وفي مقدمتهم وفد كتلة التحرر الوطني الذي ضمّ نواباً منظورين كسامي الصلح وكميل شمعون وسليمان العلي وكمال جنبلاط ونصّوح الفاضل وعلى رأسهم عبد الحميد كرامي ، واستقبلهم صاحب الانقلاب استقبالاً حسناً ظهرت نتائجه في لبنان بعد ايام .

وفي ساعة مبكرة من ١٣ من نيسان اتصل وهبي الحريري[١] بالتلفون من دمشق برياض الصلح ، ورياض في الفراش بسبب وعكة ألمّت به ، وأفضى اليه بضرورة الاعتراف بالوضع السوري ، فاظهر رياض حسن استعدادنا للعمل وقال له بان يسبق الاعتراف اتصال بين المسؤولين في العاصمتين لتقرير بعض مبادىء تستلزمها الحالة الراهنة . وعلى هذا الاساس اتصلت وزارة خارجيتنا بزميلتها في سورية وطلبت موعداً لمقابلة بين حسني الزعيم وحميد فرنجيه، فأجابت دمشق بالقبول المبدئي على ان يُعيّن الموعد فيما بعد . ثم وردت منها إشارة هاتفية لصرف النظر موقتاً عن هذه الزيارة .

(١) ـ كان وزيراً للمال في عهد فخامة القوتلي وهو صديق لحسني الزعيم

وفي ١٤ من نيسان صباحاً طلب حسن جبّاره رئيس اللجنة السورية في المجلس الاعلى للمصالح المشتركة مقابلة مستعجلة مني . وحمل اليّ رسالة شفوية من حسني الزعيم ، فحواها : احترام لشخصي ، وتمنّيات طيبة للبنان ، وحنق لا مزيد عليه على رياض الصلح ، لان الزعيم يتّهمه بتدبير موآمرة على حياته (!) بالاتفاق مع احمد الشراباتي الوزير السابق للدفاع السوري الموجود في بيروت ، وينسب اليه تأخر الحكومة اللبنانية عن الاعتراف بالوضع السوري ! وزاد الرسول ان الزعيم لا يمكنه البتة التعاون مع رئيس وزارتنا .

أكّدتُ لحسن جبّاره ان سياسة الرئاسة وسياسة الحكومة واحدة ، وهي واضحة جداً إزاء الانقلاب السوري ، فنحن لم نتدخل في شؤونهم الداخلية ، وسنحافظ على حسن العلائق الاقتصادية وحسن الجوار والصداقة والاخوة . اما الاعتراف بالعهد الجديد فأمر ممكن ولكنه يستلزم تهيئة ، ولقد بدأنا بها وكادت تؤدّي الى نتيجة لو لم يرجىء الزعيم نفسه موعد الاجتماع الذي كان قد تقرّر مبدئياً عقده بينه وبين وزير خارجيتنا . اما الموآمرة فانها من ضروب الخيال والدس ، وما اكثر الدسّاسين في مثل هذه الظروف ... والمعارضون اللبنانيون الذين يقابلون الزعيم ليسوا بَراءً ولا خَلاءً من تعكير المياه بيننا . ولن اسأل رياضاً عن الموآمرة لانها خرافة ، وأؤكد على مسؤوليتي عدم وجودها . وقلت اخيراً للزائر : « انا لا اعرف ان اشتغل في جوّ موبوء ، فعلى الزعيم ان يجعله صافياً ، وعلى هذا الاساس دون سواه نصل الى نتائج ايجابية في مصلحة البلدين » .

اجاب حسن جبّاره : « ان الموقف عسير في سورية . وهم يعتمدون على فخامتكم لاعادة المياه الى مجاريها » . (هل يعني بذلك ان نساير اطوار قائد الانقلاب ؟)

فقلت له : بذلتُ كل جهدي لتحسين العلاقة ، وعلى القائد السوري ان يُقدم بدوره ويصل ما انقطع ، وذلك بتحديد مقابلة لوزير خارجيتنا ،

ولا يجوز ان نكرّر الطلب بعد إلغاء الموعد . وقلت للرسول : « ان وجومنا اول الانقلاب امر طبيعي ، ومردّهُ الى صداقتنا مع الرئيس شكري بك القوتلي الذي آخانا في نضالنا الوطني ، ومن واجبنا ان نخاف على مصيره ، ناهيك بخوفنا على مصير سورية نفسها ، وبردّة الفعل المنتظرة في البلدان العربية » .

جرى ذلك الحديث قبل الظهر وأطلعتُ رياضاً عليه . وفوجئتُ بعد الظهر مفاجأة كبرى اذ اتصل بي رياض من سريره هاتفياً وأنبأني بان وهبي الحريري تلفن له من دمشق قائلاً : « انقلب الجو تماماً !.. »

وعلى اثر هذا التلفون من رياض عـــاد حسن جبّاره الى مقابلتي مستعجلاً ، « راجياً باسم الزعيم ان اعتبر الفقرة من الرسالة الشفوية المتعلقة برياض ملغاةً ، لان المعلومات التي بنيت عليها مكذوب فيها . »

وعلى الفور اتصلت وزارة خارجية دمشق بوزارة خارجيتنا وعيّنت موعداً لاجتماع صاحب الانقلاب وحميد فرنجيه .

اتصالنا بالدول العربية : مع مصر

لم نشأ ان ننفرد عن الدول العربية بالاعتراف بالوضع السوري الجديد فأبرقت وزارة الخارجية الى سامي الخوري وزيرنا المفوض في القاهرة تستطلعه الاخبار ، وهذا نص برقيتها :

« نرجو سرعة الافادة عما هي اسباب اعلان حالة الطوارىء في مصر . قف . ما هي مهمة الضباط المصريين الذين اوفدوا امس لسوريا . قف . اوفد الزعيم ضابطاً للبنان مع رسالة طالباً توجيه الصحف للاعتدال وابقاء الحالة الاقتصادية بين البلدين على التعامل السابق . وبنيتنا ايفاد مندوب لسوريا هذا الاسبوع (اشارة الى مهمة العقيد توفيق سالم) بمهمة استطلاعية ولبعض التدابير اللازمة على الحدود . قف . نشير على الجامعة ان تتصل بدمشق لاسباب لا تجهلونها . قف . مندوب العراق لسوريا (بابان) وصل للبنان وقابل المسؤولين ويريد ان يعتبر الحركة داخلية محضة وان الاخطاء المتكررة سببت الانقلاب . ينظر للمستقبل بحذر . ونستنتج انه لا يخلو من بعض امال . قف . وافونا بجميع ما يتصل بكم .

الخارجية » اهـ.

واوفدنا في ١٥ من نيسان محمد علي حماده الى القاهرة للاتفاق مع وزيرنا المفوض فيها واستمزاج الحكومة المصرية بشأن الاعتراف بحكومة دمشق الجديدة .

اتصالنا بالمملكة السعودية :

كان الملك عبد العزيز قد استطلعني رأيي في الانقلاب السوري اثر وقوعه ، وأرسل إليّ نسخة عن البرقيتين المتبادلتين بينه وبين الزعيم فأجبته بالبرقية التالية ، بواسطة المفوضية السعودية في لبنان :

« نرجوكم ان تحملوا لجلالة الملك عبد العزيز آل سعود الرسالة التالية : يشكر فخامة الرئيس جلالتكم على اطلاعه على الرسالتين المتبادلتين بين جلالته والكولونيل حسني الزعيم ، وعلى الغيرة والحكمة اللتين اظهرهما جلالته بمعالجة الامر الواقع في الجارة الشقيقة سوريا . ونحن نشاطر جلالته اهتمامه وارتقابه الاحداث الجارية وحرصه على صحة ورفاهية فخامة شكري بك القوتلي . قف . ان الموقف الحاضر في سوريا يستدعي انتباهاً ما بعده انتباه ، مع العلم انه وان لم يثبت للآن تدخل غريب عن سوريا في الانقلاب الحاضر فهذا لا يمنع امكان استغلاله من جهات متعددة . قف . نرى ان لا يترك صاحب الانقلاب معرضاً الى شتى المداخلات والتأثيرات ، وان يداوم جلالته الاتصال بالكولونيل المشار اليه . كما انه يجدر بمصر وبالجامعة ان تتبعا هذه الخطة حتى ينجلي الموقف ، خصوصاً بعد ان اذيعت استقالة فخامة شكري بك ودولة خالد بك . قف . وخلاصة القول ان جامعة الدول العربية تجابه برأينا اكبر تجربة عرفتها منذ تأسيسها ، وتفوق بالخطورة القضية الفلسطينية ذاتها . اطال الله عمر جلالته وابقاه ذخرا للعروبة . » اه.

ويوم اوفدنا محمد علي حماده الى القاهرة ابرقنا الى جُدّة بالموضوع نفسه ، وعلى الاثر طلب وزير المملكة السعودية مقابلتي وأبلغني رسالة من جلالة الملك عبد العزيز عن محادثاته مع الوفد السوري الذي اوفده حسني الزعيم الى الرياض يلتمس من الملك الاعتراف بالوضع الجديد ، وان جلالة عبد العزيز طلب من الوفد ضرورة تأليف حكومة شرعية في دمشق قبل الاعتراف بها .

وقال لي الوزير المفوض السعودي : إن جلالته يرى ايفاد رياض الصلح الى بغداد ليقف على استعداد حكومتها بهذا الشأن بعد ان يكون قد عرّج على دمشق وقابل صاحب الامر فيها .

اهم الاحداث التي عقبت الاتصالات بالدول العربية :

شاء حسني الزعيم ان يلبّي توصية الملك عبد العزيز فعهد الى فيضي الاتاسي بتأليف حكومة انتقالية . وسعى فيضي الى ذلك حثيثاً ولم يوفق فاعتذر . وعمد صاحب الانقلاب الى تأليف الوزارة برئاسته (١) .

ووردت علينا برقيات من القاهرة تُصوّر الحالة على حقيقتها في مصر بعد اجتماع وزيرنا المفوض ومندوبنا محمد علي حماده بأمين الجامعة العربية وبابرهيم عبد الهادي رئيس الوزارة المصرية ، والحالة هي الميل للاعتراف بالحكم الجديد مع مراعاة الحذر اللبناني من الانقلاب .

وتمّ اجتماع حميد فرنجيه بحسني الزعيم على غاية الانسجام ، وطلب صاحب الانقلاب من وزير خارجيتنا الاسراع بالاعتراف بالوضع الجديد فأظهر له الوزير استعدادنا الحسن .

وفي ظهر ١٦ من نيسان وصل فجأة الى مطار دمشق نوري السعيد رئيس الوزارة العراقية يرافقه شاكر الوادي وزير الدفاع العراقي واللواء صالح صائب رئيس اركان الجيش العراقي وخلوا بالزعيم . ثم وصل بعدهم عبد الرحمن عزام وحذا حذوهم .

---

(١) — ألف حسني الزعيم حكومته الجديدة على الوجه الآتي : حسني الزعيم للرئاسة والداخلية والدفاع . عادل ارسلان للخارجية على ان يكون نائباً لرئيس الوزارة . فيضي الاتاسي للمعارف . حسن جباره للمال . فتح الله الصقال للاقتصاد . اسعد الكوراني للعدل والاشغال العامة . نوري الايش للزراعة . ولم يمض يوم واحد حتى طرأ تعديل على هذا الترتيب فان فيضي الاتاسي لم يقبل الاشتراك في الحكومة فعين خليل مردم بك وزيراً للمعارف بدلاً منه ، واسندت وزارة الاقتصاد الى حسن جباره مع بقائه وزيراً للمال ، واسندت وزارة الاشغال العامة الى فتح الله الصقال .

عاد حميد فرنجيه الى بيروت وأطلعني وأطلع رياضاً على تفاصيل الحديث مع القابض على الحكم في دمشق ، ودعا الى مقابلته الوزراء المفوضين للولايات المتحدة وانكلترة وفرنسا وباحثهم في الحالة الجديدة فاتضح له أن تحفـّظ البريطانيين هو الذي ارجأ الاعتراف الاميركي والاعتراف الفرنسي ، وان فرنسا تحافظ على الوضع الراهن للحدود اللبنانية السورية ، وان الولايات المتحدة تعاكس فكرة سورية الكبرى . اما وزير انكلترة فنصح لوزير خارجيتنا بان يراعي لبنانُ في سياسته الخارجيـة العائلةَ الهاشمية ، وفي مقدمتها الملك عبدالله (!) وأجابه وزيرنا بأن سياستنا العربية واحدة تجاه جميع الاقطار الشقيقة ، ولا نفرّق بين ملك ورئيس ، فعلى الهاشميين ، إذن ، ان يعطونا التأمينات الصريحة بمحافظتهم على الوضع اللبناني وباحترامهم الوضع الراهن في البلدان العربية ، فلا يُشاع من وقت الى آخر انهم يسعون الى تحقيق فكرة الهلال الخصيب او سورية الكبرى .

وتلقـّينا انباء جديدة من مصر بان القاهرة تستعدّ للاعتراف بالوضع الانقلابي في سورية ، فيما اذا بَلـَّغها لبنان ان هذا الوضع لا يُقلقه . اما الملك عبد العزيز فطلب منا تحسين العلائق مع حسني الزعيم وان يتصل به رياض الصلح شخصياً . ثم جاءنا عبد الرحمن عزام من دمشق واستقبلته فأسرّ اليّ بان مصر والمملكة العربية السعودية « تحتضنان الوضع السوري شرط ان يحترم هذا الوضع استقلال لبنان، وان يعلن لبنان اطمئنانه الى ذلك . » فأثبت حديث عزام صحـّة المعلومات التي تلقيناها من مفوضيتنا في القاهرة .

الاتجاه الصريح نحو الاعتراف بالانقلاب :

وراحت الاحداث تتوالى بسرعة ، ففوجئنا في ٢١ من نيسان مساء بنبأ طيران حسني الزعيم الى القاهرة واجتماعه بالملك فاروق وعودته الى دمشق في اليوم عينه مما دلّ على ان مصر قرّرت الاعتراف بالانقلاب

السوري بعـد ان اخذ ملكها من زائرهِ التأمينات الكافية بما يتعلق بسياسته مع لبنان اولاً ، ثم مـع العراق وشرقي الاردن والعائلة الهاشمية عامة .

وفي اليوم الثاني (٢٢ من نيسان) فوجئنا ايضاً بزيارة وزير بريطانية المفوض لوزير خارجيتنا ليعلمه ان دولتـه ستعترف بحكومة دمشق الجديدة في اقرب وقت . ورأينا ان الرياح تواتي حسني الزعيم فمن حسن السياسة ان نلبّي رغبته ونعترف به ، خصوصاً وان عبد الرحمن عزام اكـّد لنا نجاح وساطته معه لمصير الرئيس شكري بك القوتلي وبأنه وعده وعداً قاطعاً باخراج شكري بك من السجن ووضعه في بيت خاص في دمشق مع عائلته تحت المراقبة ، وقد يتمكن بعدئذٍ ملك مصر من تحسين حالة الرئيس السابق بالافراج عنه .

والاهم من ذلك كله ان حسني الزعيم اتصل فور عودته من القاهرة برياض الصلح واتـّفقا على ان يزوره رئيس وزارتنا في دمشق في ٢٤ من نيسان .

يظهر ان الامور سائرة سيراً حسناً ما لم يعكـّرها معكر .

اهداف بريطانية :

في ٢٣ من نيسان استقبلتُ وزير انكلترة المفوض استقبالاً طويلاً بحضور رياض الصلح وأفضى الينا بان دولته ستعترف بالزعيم وتبلـّغه ان اعترافها هذا لا يمنع تكتـّل دولتين او اكثر من الدول العربية برضى شعوبها .

والمؤسف في معنى هذا البلاغ المنطوي على « التحفظ » ان انكلترة لا تستبعد مشروعَي سورية الكبرى والهلال الخصيب .

لبنان يفتح الباب :

في ٢٢ من نيسان مساءً دُعي مجلس الوزراء الى جلسة مستعجلة وأفضيتُ اليه بجميع المعلومات التي وصلت الينا ، ودرسنا مسألة الوضع السوري الجديد فأجمع رأي الوزراء على ضرورة الاعتراف به ، وتولّى رياض الصلح إبلاغ حسني الزعيم هاتفياً هذا النبأ السار ، ولا تسل عن حبور الرجل وامتنانه . واتصل حميد فرنجيه ليلاً بمفوضيات الدول العربية والاجنبية وبلّغها قرار مجلس الوزراء ، فأكد له وزيرا مصر والمملكة العربية السعودية ان دولتيهما ستعترفان بالوضع الجديد فوراً بعد اعتراف لبنان .

وفي الصباح المبكر من ٢٣ نيسان ابرق وزير خارجيتنا الى وزير خارجية سورية باعترافنا الرسمي ، وتمّ اعتراف المملكة السعودية ظهر ذلك اليوم . وأُعلن اعتراف مصر في المساء .

وما ان وصلت برقيتنا الى دمشق حتى جاء منها عادل ارسلان وزير خارجيتها فاستقبلته في الساعة السابعة مساء وبحثنا في زيارة رياض الصلح دمشق وضرورة اعداد مراسمها بحثاً مطولاً ، فاتصل عادل هاتفياً بحسني الزعيم ونقل اليه حديثنا فوافق عليه ، وأُعدّت المراسم وأُمرت دوائر الحدود ودوائر العاصمة باجرائها .

رياض الصلح في دمشق :

في اليوم الثاني(١) استُقبل رياض في دمشق استقبالاً رسمياً حافلاً جداً فزار حسني الزعيم في قصر الرئاسة وعاد الى الفندق حيث ردّ له الزعيم زيارته ودعاه الى تناول الغداء على مائدته . ودارت الاحاديث الودية بين الرجلين وتناولت الوضع السياسي لسورية وللبلدان العربية وأكد

(١) — الاحد في ٢٤ من نيسان .

الزعيم لرياض حرصه على النظام الجمهوري وعدم انضوائه تحت لواء سورية الكبرى او الهلال الخصيب ، وحمل حملةً عنيفة على الملك عبدالله وعلى نوري السعيد ... ثم طلب الى رياض ان يلبّي دعوة العراق ويسعى لحسم الخلاف بين الحكام السوريين والعراقيين، شرط ان ينسحب الجيش العراقي المعسكر في المفرَق (شرقي الاردن) تطميناً لحكومة سورية .

وانتقل البحث الى العلائق اللبنانية السورية فأكد عليه رياض وجوب عدم التعرض لاستقلال لبنان إذ ان استقلال سورية مرتبط به ، وحذّره من استدراج المعارضة اللبنانية له في زياراتها المتكررة لدمشق ، وبلّغه الامانة التي حمّلته اياها بما يتعلق بشكري بك ، فلبّى الزعيم رغبة الملك عبد العزيز والملك فاروق ورغبتي ونقل الرئيس السابق من سجن المزّة الى دار والدته .

وتطرّق الحديث الى المسائل الاقتصادية واتفق الاثنان على ان يأتي حسن جبّاره لبحثها في بيروت في ٢٦ من نيسان .

وعاد رئيس وزارتنا مودّعاً بالمراسم التي استُقبل بها وروى لي كل ما جرى ، وقال : ملكتني غُصّة عندما دخلت قصراً كان يملأه شكري القوتلي ، وحبستُ الدمع في عيني !

فشكرنا الله على نجاة صديقنا من نزق الانقلاب ، وعلى تطوّر الامور بهذا الشكل ، واشتراط الدول العربية اشتراطاً ضمنياً أنها تعترف بالوضع الجديد فيما اذا اطمأن لبنان اليه ، مما دلّ على ان استقلالنا عزيز على البلدان العربية كما هو عزيز على اللبنانيين .

وفي ٢٦ من نيسان وصل حسن جبّاره الى بيروت وباحث مسؤولي وزارة الاقتصاد مباحثاتٍ مبدئية سادها التفاهم . وسمحت الحكومة السورية تدليلاً على حسن نيتها بتصدير عشرين الف رأس من الغنم الى لبنان .

وظلّ حسني الزعيم يحمل في مؤتمراته الصحفيـة على الملك عبدالله

ومشروع سورية الكبرى ويغمز من قناة العراق . ورأيت ان حملته شديدة اللهجة فتوقـّعتُ ان تزيد في التوتر القائم . وقد سبّبت سدّ الحدود في شرقي الاردن .

اتصال مع العراق :

في ٢٨ من نيسان مرّ ببيروت احمد الراوي امين عام وزارة الخارجية العراقية (ووزيرها المفوض في لبنان سابقاً) واستقبلته طويلاً وحمّلته الى نوري السعيد رأيي في ما يجري في دمشق وبغداد ، وأن يَلفته الى ضرورة التعقّل في هذه الظروف ومعالجة الحالة بملء الحكمة ووسع الصدر ، وأن على نوري وهو الخبير بأدقّ شؤون السياسة ان يتجاوز عن تصريحات هوجاء لم يمارس صاحبها الحياة الدولية من ذي قبل ، وذلك كي لا تقـع البلاد العربية في أزمات هي بغنى عنها ، والعدو المشترك على الابواب .

بحث تعديل قانون الانتخاب :

انعقد مجلس الوزراء في ٢٧ من نيسان وأنجزنا فيه الاشغال العادية وأتينا على موضوع تعديل قانون الانتخاب فاعتذر رئيس الوزراء عن عدم تقديمه المشروع ووعد بأنه سيسرع بدرسه وإعداد اكثرية نيابية توافق عليه . ولم يُخفِ رياض ما يعانيه من صعوبات في تقريب وجهات نظر متضاربة .

وعقدنا مجلس وزراء آخر في التاسع والعشرين من نيسان وعدنا الى بحث قانون الانتخاب فوجدت الحكومة نفسها في مأزق : ذلك انها اذا طبّقت نتائج الاحصاء صعبت عليهـا إجابة مطالب الكثيرين ، واذا اعتمدت الاستنساب لتلبية المطالب شذّت عن المبادىء وفتحت باباً يصعب إقفاله . وأُرجىء البحث الى فرصة اخرى . ثم درسنا قضية شركة مياه بيروت ، وكان العرض الاخير الذي تقدّمت به ان تتولّى الاصلاح الضروري في الاحياء المرتفعة التي لا تصل المياه اليها في الصيف ،

وأن لا تزيد في تسعيرتها ، على ان يدخل ما تنفقه على الاعمال وقدره ما يقارب المائتين والخمسين الف ليرة لبنانية في حساب الاستهلاك عند تصفية الشركة . ولم يبتّ المجلس بالامر ريثما تـُعِدّ وزارة العدل درساً وافياً عما اذا كان قبول الحكومة بهذا العرض يُعَدّ تنزّلاً منها عن حقها باسترداد الامتياز قبل انقضاء مدته .

مراقبة الحالة الداخلية :

لا تزال الحالة هادئة . اننا ننجز الاشغال العادية ، ونحن في سهر متواصل على الامن . الجهود التي بذلناها في الفترة المحرجة التي مررنا بها لقيت تأييداً من شعب لبنان تجلّى بحفاوة الاهلين برئيس الجمهورية واعضاء الحكومة في ذكرى الشهداء[1] فقد قوبل الموكب الرسمي بالتصفيق الحاد والهتاف اللذين ذكـّراني ببدء عهد الاستقلال . وعقبت حفلة الشهداء حفلةٌ اخرى بإزاحة الستار عـن نُصب الجندي المجهول في شارع البارك بالقرب من وزارة الدفاع ، وقد اقيم النُصُب تخليداً للجنود الذين قضوا في إداء الواجب ، وكانت الحفلة مؤثـّرة جداً ، والعرض جميلاً بدقته وانتظامه ، فألقيتُ كلمة مختصرة حيّيتُ فيها الجنود الاحياء والاموات وأشرت الى الصلة التي تربط بينهم . ووقعتْ كلمتي في نفوس السامعين موقعاً مؤثـّراً .

وأُتيحت لي الفرصة وأنا في طريق العودة الى القصر ان أعطي الدليل على حرمة الحق الواجبة على كل حي امام الموت، فقد التقى الموكب الرسمي في شارع البسطة بجنازة متواضعة فأوقفتُ الموكب، وترجّلتُ وترجّل

(١) — درج لبنان ، في كل سادس من نوار ، على الوفاء بذكرى الشهداء الابرار منذ السنوات الاولى للانتداب . وكان الفضل في هذا العمل الوطني لعصبة تكريم الشهداء التي تأسست لهذه الغاية ولتذكير البلاد باهدافها الاستقلالية الكاملة . وكان من اركان هذه العصبة صلاح الدين عثمان بيهم وعلي ناصر الدين ويوسف ابرهيم يزبك وقسطنطين يني وتقي الدين الصلح والدكتور محمد خير النويري وجورج عقل وسواهم من الشباب الوطني .

الحرس والمرافقون وأدّينا تحية الاحترام لسلطان الله، واليه المعاد، والموت جارٍ على كل حي .

رياض الصلح في القاهرة فبغداد :

سافر رياض الصلح الى القاهرة في الاول من نوار بمهمّة تقريب وجهات النظر بين الدول العربية ، وخصوصاً بين حكومتي مصر والعراق، ووردت علينا برقياته تنبىء بنجاحه . ثم سافر الى بغداد حيث توفيقه غير مرتقب إلا ان الله وفّقه فعاد بعد غياب اسبوع يظهر امتنانه من تفهّم المسؤولين مسعاه الحسَن . وقد رضي رئيسا وزارتَي القاهرة وبغداد ان يجتمعا بحضوره في الاسماعيلية او بور سعيد لان ابرهيم عبد الهادي لا يستطيع ، على زعمه ، مغادرة الاراضي المصرية ، وقد قبل نوري السعيد هذه الحجّة .

شؤون وشجون :

يسير تعديل قانون الانتخاب ببطء كي لا نصل الى مأزق . والذين ألحّوا به بدأوا يفترون بعد ان خيّبت الارقام آمالهم ، وقد قررت الحكومة قبل ان تحيل المشروع الى المجلس ان تجسّ نبض اللجنة النيابية للادارة والعدلية .

وقعت حادثة مؤسفة في زغرتا على اثر حكم جنائي على رجل من عائلة فرنجية بدعوى قتل ، فقد تجمهر الاهالي للاحتجاج ودخل بعض المشاغبين السراية وبعثروا الرياش والاوراق ، فتدخل الدرك وهدأ الحال وصدرت مذكرات بتوقيف المعتدين .

اما خلاف الدنادشة مع اهالي راس بعلبك فقائم لا يتزحزح ، وزاده حرجاً موقف المتطرفين الذين يرفضون المصالحة إلا بعد حكم المحاكم ، بينا يسعى المعتدلون وراءها منعاً من اصطدام جديد . وبعد تدارك الامر مع الوزراء اجمع الرأي على إرسال قوة من الجيش والدرك ترابط بين

الفريقين لتأمين الاهالي على اعمالهم الزراعية ريثما تفرج الازمة . فاخذت القوة مراكزها واطمأن البال موقتاً .

جرت انتخابات المختارين هادئة جداً، ولم تتدخل الحكومة فيها ، وكان لترفع المسؤولين اثر طيب عند المنصفين .

أُتقل الخامس عشر من نوار بالحفلات المدرسية : فقد أقيم في الصباح قداس رسمي في كنيسة كلية الآباء اليسوعيين لذكرى عيد القديس يوسف شفيعها ، حضرتُه مع رئيس الوزارة والوزراء وكبار الموظفين، وحضره المعلمون بملابسهم الرسمية ، واحتفل بالذبيحة الالهية السفيرُ البابوي يعاونه بعض رؤساء الاكليروس ببزّاتهم الحبرية . وبعد نهاية القداس صافحتُ السفير ورئيس المدرسة ومديرها ومعلميها والحضور، وأُدّيت المراسم الرسمية في الوصول والانصراف بكل دقة وانتظام .

وكانت الحفلة الثانية بعد الظهر في الكلية العاملية ، وبلغت حماسة المستقبلين والتلامذة حدّها الاقصى . ولفظ النائب رشيد بيضون القيّم على الكلية خطاباً ترحيبياً شكرني فيه وشكر الحكومة على عنايتنا بالمؤسسة وإمدادها بالمعونات المادية والادبية ، وعلى إهدائه وسام الارز من رتبة كومندور . ثم جرت العاب رياضية تفوّق التلاميذ فيها، وبدأ عرضهم فساروا في صفوف منتظمة استرعت الانتباه . وكان الوداع حماسياً ورافقنا هتاف الحاضرين حتى مشت السيارة بنا .

اعتداء على لبنانيين في الارض اللبنانية :

حدث في ١٩ من نوار حادث غريب لم يسبق له مثيل : فقد وصل ضابط سوري اسمه اكرم طبّاره ومعه ثلاثة جنود على سيارة جيب الى حقل بجوار حاصبيا واغتالوا كامل الحسين في رائعة النهار بينما هو ينقب ارضه ولاذوا بالفرار ، فلحقت بهم قوة من الدرك اللبناني وألقت القبض عليهم في « خراج » قرية ينطا بمساعدة آل العريان .

وما ان بلغ الخبر دمشق حتى اتصل حسني الزعيم برئيس الوزارة وطلب اليه تسليم الضابط والجنود بحجة ان المغتال جاسوس على الجيش السوري . وراجعني رئيس الوزارة فاستشرنا رجال القانون في الامر — وهو واضح وضوح الشمس — فأفتوا في ان الطلب مُخالف لكل قانون وعرُف ، وأجبنا حسني الزعيم بالرفض البات .

وردّ الزعيم على رفضنا باقفال الحدود ومنع المواشي والمواد الغذائية من دخول ارضنا ، واهماً اننا نُذعن للضغط ! فأبينا عليه ذلك والمسألة تتعلق بكرامة لبنان الوطنية . وشاع الخبر ، فأخذ بعض ضعفاء النفوس وقليلي الايمان ينصحون لنا بالمساهلة « تلافياً للمشاكل ! » فوقفت الحكومة دون تلك النصائح البائخة وأصررنا على رفضنا ، وعزّزنا القوة في المنطقة التي يقطنها آل العريان في الحدود السورية كي لا ينالهم انتقام .

وتأزّمت الحالة ، واضطُررنا الى اقفال حدودنا مقابلةً بالمثل ولمنع تسرّب البضائع اللبنانية الى الاراضي السورية ، فان الزعيم صار يسهّل دخول ما يلزمه منها ويردّ ما يستغني عنه ، وقد مسّ التجارة اللبنانية ضرر بالغ ولكن للضرورة احكامها . وأوقفت في الحدود كميونات تخص الدولة السورية (وزارة المال والجيش) واحتج الزعيم فأفرجنا عنها .

وتدخلت حكومتا القاهرة والرياض وطلبتا من وزيريهما المفوضين لدينا تقريراً وافياً عن الحالة لتسعيا الى مداواتها .

ودعونا غير مرة مجلس الوزراء للانعقاد وفي رأس جدول اعماله تدارك الاقتصاد اللبناني ، فاتخذ تدابير فعّالة يكون لها أثر سريع .

وصامدنا تعنّت دمشق معتصمين بحقنا ، واحتملنا في سبيله الامرّين ، فانفرجت الازمة بفضل ثباتنا ، ورُفعت الحواجز جميعها وعادت المواصلات الى ما كانت عليه ، وقرّ الرأي بين الجانبين على إجراء مباحثات ، في الحدود ، لتصفية حادث اغتيال كامل الحسين .

اجتماع الحدود :

تعيّن الاجتماع في ٢٥ من نوار ، ومثّلنا في المفاوضة حميد فرنجيه وفيليب تقلا وأنيس صالح ، ومثّل الحكومة الزعيمية عادل ارسلان وأسعد الكوراني وعبد الحميد الاسطواني .

وصل وفدنا في الساعة العاشرة صباحاً فاستقبله الوفد السوري قرب خيمة حمراء تعلوها الاعلام اللبنانية والسورية ويحيط بها الجنود السوريون بكامل معدّاتهم الحربية ، وقــد أدّى هؤلاء التحية العسكرية للوفدين ودخل الجميع الخيمة . وقبل ان يجلس وفدنا طلب حميد فرنجيه إبعاد القوة المسلحة عن مكان الاجتماع ، فتوزّع الجنود على الطريق لمنع السير طوال مدة المفاوضة .

بدأ رئيس خارجيتنا يعاتب الوزراء السوريين عتاباً مرّاً على ما وقع ، وفيه امتهان لكرامة لبنان ، فأبدى هؤلاء اسفهم وطلبوا فوراً التوقيع على مشروع اتفاق أعدّوه من قبل ، وهو يقضي بتسليم جنود الفريقين الى السلطة العسكرية التابعين لها في حالة ارتكابهم جرائم في اراضي جيرانهم ، مع مفعول رجعي يشمل الجنود الموقوفين في لبنان . فأجاب وفدنا بان هذا الاجراء غير وارد قانوناً . وألحّ السوريون عليه مستندين الى الوضع الخاص بحكومــة الانقلاب في سورية ، وأصرّ اللبنانيون على رفضهم وعرضوا ان يُعمل بأحد امرين : إما ان يحاكَم الجنود الموقوفون في المحاكم اللبنانية ويعود العفو عنهم لرئيس الجمهورية ، وإما ان يُحتكم الى مصر والمملكة العربية السعودية وهما صاحبتا الوساطة في الخلاف منذ وقوعه . فراجع السوريون حسني الزعيم هاتفياً واستمهلوا للجواب اربعاً وعشرين ساعة .

وانتهى الاجتماع وعاد كل وفد الى بلده . وفي الساعة السادسة والنصف مساء اجتمع مجلس وزرائنا واطلع على ما دار من اقتراحات فوافق على خطة مندوبينا .

وفي السادس والعشرين من نوار صباحاً اتصل بي حسني الزعيم وقال لي ان عادل ارسلان ومحسن البرازي سيصلان الى بيروت قبل الظهر للاجتماع بي وباركان الحكومة اللبنانية ، وقد يعرّجون على وزير مصر المفوض ليتبادلوا الرأي في الوساطة المعروضة قبل ان يعطيا جواب حكومتهما في الموضوع .

ثم تلفن الموفدان الى الحكومة اللبنانية يعتذران عن اضطرارهما الى إرجاء مجيئهما الى التاسع والعشرين من نوار !

تحكيم القاهرة والرياض :

وفي الموعِد المعيّن جاء محسن البرازي يرافقه نذير فنصه (١) وقابلاني وقابلا رئيس الوزارة وأبلغانا قبول الحكومة السورية بتحكيم مصر والمملكة السعودية بدون قيد ولا شرط .

وقبل التوقيع على الاحتكام طرأت مشكلة جديدة اذ قبض موظفو الامن العام السوري على احد السوريين في الارض اللبنانية فتوقفنا عن الامضاء حتى أطلق المعتقل وعاد الى بيته في لبنان .

ووُقّع على الاحتكام وصدر بلاغ مشترك عنه .

وبعد ايام صدر حكم المحكّمين يؤيّد حقّنا القانوني بتوقيف الضباط والجنود السوريين وبمحاكمتهم في اي حال . ورأى المحكّمون ان يدعونا بسبب العلائق الودية القائمة بين الجمهوريتين لان نسلّم الموقوفين الى حكومتهم، فرضينا بهذا الحكم . وقد قدّم الموقوفون طلباً باخلاء سبيلهم فقرّرته المحكمة وأوصلهم الدرك الى الحدود . وبقي ملفّ الدعوى في النيابة العامة للحفظ .

---

(١) - لم يكن نذير فنصه موظفاً في الحكومة السورية ، وانما هو « عديل » حسني الزعيم ، وقد ساعده في اعداد الانقلاب فصار الزعيم يوفده في المهمات السرية الى رؤساء الدول العربية والاوروبية .

مشاكل اخرى مع حسني الزعيم :

لم تُختم سلسلة المشاكل مع حسني الزعيم بصدور حكم المحكّمين !

ففي الثالث من حزيران خرقت مفرزة سورية حدود لبنان في جهات راشيا ، فاحتجت الحكومة اللبنانية على هذا العمل غير القانوني وانسحبت المفرزة . وصدر بلاغ مشترك يقول ان خرق الحدود كان خطأ . ولكن وقع بعد يومين ما أثبت تعمّد خرق الحدود ، وتعمّد « الخطأ » المزعوم ، فقد دخلت فصيلة سورية اخرى قريتَي الحلوة ودير العشائر اللتين لا طريق اليهما الا من الارض السورية ، وأقام الجنود فيهما . والغاية من ذلك التجاوز محاولة إلقاء القبض على خزاعي العريان الذي ساعد الدرك اللبناني على توقيف قتلة كامل الحسين . فاتخذت حكومتنا جميع الاحتياطات للمحافظة على خزاعي العريان وآله . ووُفقت الى ذلك .

وفي الخامس من حزيران اوقفت حكومة دمشق سيارات لبنانية تقلّ بضائع ومنعتها من اجتياز الحدود ، واضطرت حكومتنا الى الاحتجاج . ثم عادت المياه الى مجاريها وأخذت البضائع على اختلاف انواعها تجتاز (١) حدود البلدين دون عائق . وسُحبت فصيلة الجيش السوري من منطقة الحلوة ودير العشائر بعد اجتماعَين عسكريين عُقدا في بيروت ودمشق .

رئيس اساقفة مكسيكو يزورنا :

زار لبنان رئيس اساقفة مكسيكو فأكرمنا وفادته ودعوته الى الغداء في القصر وقلّدته وسام الارز، فأظهر امتنانه وأوصيناه بجاليتنا القاطنة بلاده ، فمدحها ووعد بان يزداد عناية بها .

---

(١) - ١٠ من حزيران .

مساعدة دار الايتام الاسلامية :

أقامت دار الايتام الاسلامية حفلة خيرية في مركزها فحضرتُها يرافقني رئيس الوزراء وطفنا في سوقها الخيرية ، وقلّدتُ محمد علي بيهم القيّم عليها وسام الاستحقاق . وانتهت الحفلة بكلمة تهنئة ختمتها بقولي : « لانكم لم تقهروا يتيماً ولم تنهروا سائلاً ، وأنفقتم مما تحبون ستنالون أجرَكم من يد الله الذي يَجزي المحسنين خيراً » . وقد ساعدنا الدار مساعدة مادية كريمة تستحقها .

الضعف في الحكم الداخلي :

تكررت اتصالاتي بالوزراء بسبب الحوادث التي ذكرتها ، وكانت موجة التشكي العام قد بدأت تنالهم بقسوة ، وشكا اليّ الكثيرون « دلعاً » في بعض الوزراء غير مستحب ، واستهتاراً بالشؤون العامة ، وانصرافاً الى الاغراض الخاصة ، ولا سيا في تعيين الموظفين الذين يحق للوزراء تعيينهم ، اذ كان هؤلاء يحضنون الانصار ويُبعدون اصحاب الكفاءات . وكثيراً ما ردّدتُ على مسامع رئيس الوزارة تلك الملاحظات ، وطلبت منه ان يضع حداً لها ووعدني خيراً ، ولكن تراكم المشاغل والتبعات عليه ، وأسفاره المتتابعة التي اوجبتها أزَمات خطيرة عصفت بالعالم العربي — ونحن القلب منه — ما كانت لتساعد رياضاً على البرّ بوعوده لي .

وهكذا أهمل الاصلاح الداخلي بعض الاهمال وجلب علينا إهمالُه العديدَ من الشرور والويلات ، ومن الطبيعي ان يؤخذ الصالح بجريرة الطالح . ناهيك بأن في لبنان « مناخات » سياسية شديدة التأثر ، كثيرة التقلب ، صعبة المراس ، سعيت أن امارس فيها ، وكنت نِعمَ المُمارس ، الى حد ... والله مع الصابرين ، وكنت منهم !

وبدا في مقدمة الشاكين المتذمرين عبد الحميد كرامي وقد طلب ان

يزورني ليُفضي اليّ بهواجسه من الحالة ، فاستقبلته وسعيت الى جعل جو المقابلة صافياً ، وكان . فأصغيتُ اليه باهتمام ، وتجلّت لي فيه صفات الرجل ووطنيته حين يبتعد عنه رسل التفرقة ودعاة السوء .

حديث مع الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية :

وصل من عمان الى بيروت مستر وليم سترونغ وكيل وزارة الخارجية البريطانية الدائم وأقمنا غداء على شرفه . وقبل الغداء عرضنا معه بحضور الوزير البريطاني المفوض جميع المشاكل التي يعانيها الشرق الادنى ، وفي مقدمتها مشكلة فلسطين ، والازمة التي تمرّ بها الجامعة العربية بسبب السياسات الاجنبية ، وتصرّف بعض الحكومات العربية ذات التأثر بمصالح الانكليز . وبسطتُ للضيف الاسباب التي تهيب بلوندرة الى ضرورة مساندة العرب ، وذلك لان المستقبل للعرب في هذه البقعة فيما اذا اتاحوا لهم ان ينظّموا امورهم ولم تقف المطامع الدولية في سبيلهم . وشرحت له الدور المهم الذي يمكن لبنان ان يقوم به لتقريب وجهات النظر بين الدول الغربية والعربية لانه لا ينتمي الى عرش من العروش ، وليس منحازاً الى محور ما ... وأظن ان الحديث أثّر فيه تأثيراً حسناً ، فهل يستطيع ان يعمل شيئاً ؟

وأُعِدّت لزائرنا نزهة الى بيت الدين وتناول الغداء في حدائق القصر بدعوة من الحكومة . وقيل لنا ان في نيته ان يتصل بالحكومة السورية .

اصطدام بين منظمة الكتائب والحزب القومي السوري :

في التاسع من حزيران مساءً اصطدم في محلة الجميزة افراد من منظمة الكتائب وأفراد من الحزب القومي السوري اصطداماً عنيفاً سالت فيه الدماء ، وكان قد سبق الاصطدام اننا تلقّينا معلومات رصينة عن نشاط

جدّي واسع يقوم به القوميون السوريون لاحداث شغب تنفجر على اثره ثورة داخلية تطيح بالاوضاع . وكانت الدوائر اللبنانية ذات الاختصاص تعرف الكثير من مفاوضاتٍ تجري بين بعض القوميين السوريين والمعارضين المتطرفين العاملين بوحيٍ من الخارج للنفخ في الرماد ، فما ان بلغتني تفاصيل الاصطدام حتى دعوت مجلس الوزراء للانعقاد ليلاً واستمرّ اجتماعه الى الساعة الرابعة صباحاً . وقد قرر المجلس حلّ الحزب القومي السوري الذي كان يعمل ضد كيان لبنان، وملاحقة المسؤولين فيه ملاحقة قانونية . فطوّقت قوى الامن مركزه وألقت القبض على بعض اعضائه في منطقة راس بيروت . ولوحق افراد منظمة الكتائب بالتهم المنسوبة اليهم وهي محاولة قتل وضرب وجرح ، وأوقف بعضهم على ذمّة التحقيق .

برهن عمل الحكومة على ان في طاقتها قمع الحوادث عندما تحزم امرها . اما التواني الذي لمسناه في اجراءات تلك الليلة فمردّه الى ان بعض القوميين السوريين متغلغلون في صفوف الدرك والشرطة والامن ، فأوقف بعض افرادهم . وابتدأ التحقيق في الثاني عشر من حزيران ، واستجوب الموقوفون فباح بعضهم بايضاحات خطيرة وسّعت التحقيق حتماً وتناولت اعضاء آخرين ، فصدرت مذكرات جلب وإحضار وتوقيف بحقهم ، وقُبض على البعض ولاذ البعض الآخر بالفرار .

اجتماعي بحسني الزعيم في شتوره :

ان للانقلابات "منطقاً" يجعل الاحداث يتبع بعضها بعضاً . والذين يقومون بهـا يهدفون الى غايتهم على مرحلتين : الاولى زحزحة الوضع القديم ، والاخرى ترسيخ الوضع الجديد . ولم يشذّ الانقلاب السوري عن هذه القاعدة فأصدر حسني الزعيم ، وهو رئيس للدولة وللحكومة ، مرسوماً تشريعياً يقضي بانتخاب رئيس للجمهورية باستفتاء شعبي . وعيّن اليوم الخامس والعشرون من حزيران موعداً لهذا الانتخاب .

وسبقت الانتخاب أحداثٌ ثلاثة غير منتظرة : أولها حشد جيوش عراقية في الحدود السورية – ومن الطبيعي ان ينفي نوري السعيد علاقة هذا الحشد بانتخاب ٢٥ من حزيران – وثانيها هبوط مزاحم الباجه جي مطار ألمازه ، وقيل فيه إنه آتٍ الى القاهرة لتسوية الخلاف بين الحكومتين العراقية والمصرية . ولم نُبلَّغ شيئاً عن هذا الموضوع الذي خصص له رياض الصلح مساعيه الحميدة وتحمّل في سبيله عناء الاسفار غير مرة ، وكان المفروض ان تجري المفاوضات بحضوره ولكن شيئاً من هذا لم يكن !.. وثالث الاحداث مكالمة هاتفية معي في ليل ٢٣ من حزيران ، والمتكلم حسني الزعيم نفسه الذي باح لي برغبته في ان نجتمع في شتورة في الساعة العاشرة من اليوم التالي ، اي قبل اربع وعشرين ساعة من الانتخاب ! وقد اتفقنا على ان يرافقني رياض الصلح ويرافقه محسن البرازي . فدعوت رياضاً لمقابلتي في ذلك الليل وبدأنا باعداد الترتيبات لتأمين سلامة الضيف وللحفاوة به . ورياض رجل هـذه الساعات ولولبها الذي لا يستكين ، فجلس بجانبي وأخذ بكلتا يديه سمّاعتين لهاتفين وراح يطلب الاشخاص الذين يحتاج اليهم : نادى قائدَ الجيش ، قائد الدرك ، فندق مسابكي في شتورة ، محافظَ البقاع ، مخفر المصنع ، مدير الامن العام ، البروتوكول ، بعضَ وجهاء المنطقة ، بعض النواب ، جـورج حيمري وناظم عكاري ، ناداهم جميعاً ووكـل الى كلٍّ منهم عملاً ولم ينتهِ من ذلك كله إلا « وقد لاحَ مفتوقٌ من الصبحِ أشْقَرُ » .

ونمنا قليلاً . وركبنا السيارة في موكب رسمي ووصلنا الى شتورة في الساعة التاسعة ووجدنا الزعيم فوآد شهاب بانتظارنا ، وهو الذي عُهد اليه الاشراف على استقبال حاكم الدولة السورية ، فأطلعنا على التدابير التي اتخذها ابتداءً من نقطة الحدود، منها توزيع الدرك والجيش والدبابات والآليات كأننا في عرض لقوانا !

ووصل حسني الزعيم الى الحدود فاستقبله العقيد توفيق سالم وقائد

الدرك نور الدين الرفاعي وأُدّيت له التحية العسكرية وواكبت سيارته مفرزة من الدرّاجات النارية .

وصل الضيف الى فندق مسابكي في الساعة العاشرة تماماً . فاستقبلته مع رياض الصلح في المدخل ورحّبنا به ، وحيّاه الجند وصدحت موسيقى الجيش بالنشيدين السوري واللبناني ودخلنا معاً ، فخلوت به في الطبقة العلوية ودخل رياض ومحسن البرازي احدى القاعات القريبة منا .

دامت خلوتنا ساعتين كاملتين، وهذا ملخص ما دار بيننا :

« بدأ الزعيم حديثه عن الغاية من زيارته ، ألا وهي طمأنة اللبنانيين، والإعراب عن نياته الحسنة تجاه لبنان لانه يحترم استقلاله وسيادته ، وانه سيسعى جهده ليحافظ على العلائق الطيبة وعلى اواصر الاخوة .

« اما تقوية الجيش السوري وتعزيزه ، وهما الهدفان اللذان يرمي اليهما، فالغاية منهما ان يكون هذا الجيش سياجاً لاستقلال سورية واستقلال لبنان معاً .

« ثم قال حسني الزعيم انه في اول الانقلاب اضطُر كسباً للوقت ان يلاطف حكومتي عمّان وبغداد غير انه اتخذ فيما بعد موقفاً حذراً منهما، بعد ان ظهرت أغراضهما نحو سورية بتمسكهما بمشروعَي سورية الكبرى والهلال الخصيب ، فكان الجفاء الذي زادته توتراً زيارته الى القاهرة . وأشاد حسني الزعيم بموقف لبنان ومصر والمملكة السعودية من سورية واستبشاره بنهضة الجيش المصري بعد تجربة فلسطين القاسية .

« ثم أبدى الضيف اعتذاره عن اجتياز اكرم طباره الضابط السوري ورفقائه الجنود الثلاثة الحدود اللبنانية واغتيالهم كامل الحسين[1] . وأكد

(١) – راجع : ص ٢٢٢

ان الحادث جرى بغير علمه وانه يأمل ان لا يقع في المستقبل أيّ امر يعكّر صفو العلائق بين الجارتين الشقيقتين » .

اجبت : « ان الانقلاب السوري احدث بادىء ذي بدء وجوماً في لبنان لعدم معرفتنا السابقة بزعيمه كرجل سياسي ، ولغموض اغراض الانقلاب البعيدة ، ولمعاملة شكري بك القوتلي بما عومل به . ولكن هذا كله لم يؤثّر في موقفنا ، وقد رأيتُ شخصياً ، كما رأى رياض الصلح والحكومة اللبنانية، ان الحدَث شأن داخلي ليس من مبدئنا ولا من المصلحة اللبنانية ان نتدخّل فيه بصورة من الصور ، وبرقياتنا الى الدول العربية شاهدة لنا على اتبّاعنا هذه الخطة . وقد صبرنا على « تدليع » المعارضة اللبنانية من قِبل الزعيم، واحتملنا الاستثمار الذي ربحته في اثر الزيارات التي قامت بها الى دمشق تقوية لمركزها عندنا .

اما حادث الضابط اكرم طباره وجنوده فمؤسف جداً ، وكان الواجب يقضي بان يُطلب تسليم المجرم بالصورة القانونية فيدرس الطلب ، لا ان يُقتل الرجل ثم تقفل الحدود ويتبع ذلك التدابير العنيفة التي اتخذت . ومع ذلك نقول : عفا الله عما مضى ، وقد قبل لبنان بالتحكيم ونفّذه حسماً لكل خلاف » .

فشكرني حسني الزعيم كثيراً ، وشكرته بدوري على زيارته التي يقوم بها لرئيس لبنان في اليوم الذي يسبق انتخابه لرئاسة الجمهورية ، وهي زيارة ذات قدر بالنسبة الى المنصب الذي سيتولاه ، ولها مغزاها الكبير .

ثم استطردتُ : اما وقد أتيحت لنا فرصة الاجتماع، فعليّ ان اعرض معكم الحالة الواقعة :

١ – ان لبنان وسورية بلدان مستقلان ، يتمّم الواحد الآخر اقتصادياً ، ويدعم الواحد الآخر سياسياً ، وعلينا ان نؤلف محوراً صغيراً

من جمهوريتَينا كما كان الحال في عهد فخامة شكري بك القوتلي ورفقائه، لنحافظ على حقوقنا المشروعة .

٢ — اما علائقنا بالدول العربية الشقيقة ، فمع علمنا ان لبعضها مطامع عندنا ، وان بعضها الآخر بريء الغاية من جهتنا ، فعلينا ان نحفظ التوازن بينها وان نقوم بدور وسيط الخير ، خصوصاً وان هنالك عروشاً لها مرامٍ ... ونحن جمهوريتان بعيدتان عن تلك المرامي .

٣ — علينا ان نسعى لتقوية الجامعة العربية ، ونعاكس ضمن جدرانها كل مشروع يرمي الى تحقيق سورية الكبرى او الهلال الخصيب . وأن نراعي القائمين على امور العراق وشرقي الاردن معاً إذ ليس من الحكمة تحدّيهم، ويكفينا ان ندافع عن انفسنا دون استفزاز احد .

٤ — اما العلائق مع الدول الاجنبية فيجب ان تكون طيبة مع الجميع ، دون انحياز .

وافق الزائر على حديثي فأيقنت ان وجهات النظر بيننا متفقة .

ثم انتقل الى موضوع آخر وامتدح فرنسا لانها تُسلّح الجيش السوري .

ولما انتهت الخلوة دعونا رياض الصلح ومحسن البرازي الى الطبقة العلوية ولخصنا لهما الحديث الذي جرى . وبقينا مدة من الزمن نتبادل المجاملات التي لا بد منها في مثل حالنا ونحن في الشرق ... ثم ودّعنا ضيفنا ورفيقه بالحفاوة التي استقبلناهما بها ، وكنا شاكرين ممتنّين .

ورجعت مع رياض الى بيروت حامدين الله على انتهاء هذه المقابلة بما سيكون له من وقع حسن في كلّ من البلدين ، بعد ان تلبّدت الغيوم ووقعت الازمات وكادت العلائق ان تنقطع .

وفي الخامس والعشرين من حزيران جرى الاستفتاء « بملء الحرية ...»

— ومن كان يجرؤ على ترشيح نفسه ضد قائد الجيش ؟ — ومن المضحكات المبكيات ان بعض صحفٍ في بيروت اخذت تتغنّى بحرية الانتخاب وتنعي الحريات في لبنان !

وما ان أعلنت النتائج حتى اتصلتُ بالزعيم هاتفياً لتهنئته قبل ان اتلقّى البرقية الرسمية التي اعلنت لي الانتخاب الواقع وقد تضمّنت التمنيات الطيبة للبنان ولشخصي ، وأجبتُ عليها بألطف منها .

نقد وتذكير :

وقع على الصحفي سعيد سربيه [1] اعتداء نسبه الناس الى « ازلام » الوزير مجيد ارسلان بعد ان طعنت به جريدة « كل شيء » ، فوجّه اليّ محيي الدين النصولي صاحب جريدة « بيروت » ، وخال سعيد سربيه المعتدى عليه ، كتاباً مفتوحاً في صحيفته أنقل منه هذه الفقرات :

« هل تذكر يا فخامة الرئيس يوم صعدت منبر الندوة في ١٨ نيسان سنة ١٩٣٩ وقلت في خطاب (٢) هزنا هزاً :

« ... والتوازن بين السلطات مبني على مقام رئاسة مترفعة عن الاحزاب تعتبر حكماً بينها ، وعلى حكومة مقيدة بالقوانين ، وعلى مجلس رقيب على اعمالها يقوم اعوجاجها ، ويردها الى محجة الصواب ؟

« اقول هذا عن اقتناع وانا مـــن اقلية طالما غلبت على امرها في هذا المجلس وذهبت صيحاتها هباء منثوراً .

« فالحريات العامة كنز لا يعرف قيمته الا الفاقدون له ، واذا كانت لنا كلمة نقولها للبنانيين في مثل هذه الايام فهي ان يحتفظوا برصانتهم المعروفة وبرباطة

(١) — احد صاحبي جريدة « كل شيء » الاسبوعية، ومن كتاب جريدة « بيروت » اليومية .

(٢) — يشير الكاتب الى خطاب القيته في المجلس النيابي وانا رئيس المعارضة ، وكنا في مرحلة عصيبة من تاريخنا الدستوري نكافح فيها طغيان السلطات في تدابيرها الظاهرة والباطنة للقضاء على الحكم الوطني وعلى الحريات . وقد أتيت على هذه الشجون في الجزء الاول من « حقائق لبنانية » .

جأشهم وتعلقهم بنزعاتهم التاريخية نحو الحرية ، وشجبهم لكل استبداد او استعباد ، لانه اذا عبث لا سمح الله بتلك الحرية فاللبناني في مدنه وجباله سيأسف عليها اسفاً مريراً ويرجع للنضال في سبيل الحصول عليها تكراراً ، وقد يكون لات ساعة مندم .

وليثق اللبنانيون ان الرئاسات تزول ، والحكومات تزول ، والمجالس تزول ، وما من احد كتب له او كتب لنفسه خلوداً في مركز او مقام ، او سخر له قدر فرتع في دست حكم ودام » .

وتابع الكاتب في جريدة « بيروت » :

« هذا ما قلته يا فخامة الرئيس منذ عشر سنوات ، في عهد كان الاجنبي مسيطراً على مقدرات لبنان، فماذا تريد منا ان نقول وانت المرجع الشرعي الوحيد الباقي في لبنان ؟ » اه.

وكان المقال ذا مغزىً وفيه كثير من اللباقة .

قلت : ويا ليت بعض المسؤولين يفهمون ما يترتب عليهم من واجبات وهم المضطرون لاحتمال الكثير من الحملات والهجمات دون ان تحدّثهم نفسهم بالاعتداء على الكتّاب وإن تجاوزت حملة هؤلاء الكتاب، أحياناً، حدودها المشروعة .

تبادل الزيارات الرسميّة بين بيروت ودمشق :

انعقد مجلس الوزراء في ٢٩ من حزيران وبحث اموراً كثيرة اهمها تفويض وزارة الاشغال العامة بالتوقيع على اتفاق شراء الماء لاقليم الخروب من المطران اوغسطين البستاني وليّ وقف ابرشية صيدا .

وكذلك أقرّ مجلس الوزراء إرسال وفد لدمشق لتهنئة رئيس جمهوريتها الجديدة ، وأُلّف من فيليب تقلا وزير الاقتصاد والزعيم فوآد شهاب وناظم العكاري .

في ٢ من تموز ذهب وفدنا الى دمشق ، وأحسنت حكومتها وفادته

واستقبلته استقبالاً رسمياً في الحدود وفي مدخل دمشق وفي حديقة القصر الجمهوري ، وبعد تبادل عبارات المجاملة خلا حسني الزعيم بالوزير تقلا وأعاد على مسامعه التأكيدات عينها التي سبق له ان قالها لي شخصياً في شتورة . ودعي الجميع الى مأدبة الافطار وقفلوا راجعين بالمراسم الرسمية ، وقد مرّوا عليّ في عاليه وأطلعوني على ما جرى فكنت مسروراً .

وفي الحادي عشر من تموز مساء وصلت الى السراية الكبيرة في بيروت بعثة الشرف السورية لرد الزيارة ، فاحسنّا وفادتها ودعوناها الى مأدبة إفطار في عاليه جعلناها غاية في الاتقان ، وساد الاستقبال والمأدبة جوٌّ صافٍ وتبودلت عبارات المجاملة وعادت البعثة ليلاً الى دمشق ممتنّةً شاكرة .

حلّ المنظمات

اعتداءات الحزب القومي السوري :

شهد الاسبوعان الاول والثاني من تموز سلسلة من الحوادث المؤلمة ، ففي الرابع من تموز هجم افراد مسلّحون من الحزب القومي السوري على مخفرَي الدرك في حارة حريك والمتَين وقتلوا دركياً وجرحوا اثنين . ووُفّقت القوة الى القاء القبض في صرود المتين على قسم من المعتدين وعرفت هوية رفقائهم الآخرين ، فنشط الدرك الى اعتقالهم ، وانصرفوا هم بجميع قواهم الى الشغب ، لا يهدأ نشاطهم ليلاً ولا نهاراً .

وثبت لنا ان انطون سعاده قد لجأ الى دمشق ومضى يقود حركة اشياعه منها متمتعاً بحماية حسني الزعيم . فدعوت رياض الصلح وتداولنا الرأي ، ونحن قلقان على حالة الامن في البلاد ، مستغربان سياسة الزعيم الذي تنكر ، فجأة ً وبدون سبب ، للبنان في هذا الظرف عينه ، على الرغم من الأيمان المغلظة وجميع التصريحات التي أكّد لنا فيها ولاءه واخلاصه !

وانتهزنا سفر فوآد حمزه الى المملكة العربية السعودية وحمّلناه رسالة

الى الملك عبد العزيز بغية ان يُسدي النصح للجار السوري الغريب الاطوار والاخلاق ، لعلّه يُنفّذ خطة الصداقة التي طالما وعد لبنان باتباعها منذ ان اجرى انقلابه الطائش ، ولكنه لم يلبث ان أخلفنا وعدَه !

وفي الايام التي تلت تلقّت رئاسة الوزارة وقيادة الجيش معلوماتٍ راهنة بان الحزب القومي السوري لمّا يُفرغ جعبته ، وانه ينوي حركاتٍ عدائية ضد مراكز الدولة، واغتيال بعض الشخصيات السياسية، فاتّخذت الحكومة أهبتها للامر .

ونشرت عمدة الحزب المذكور مناشير عديدة يدعو فيها انطون سعاده الشعبَ اللبناني الى الثورة ، واذاعت العمدة ايضاً على انصارها ومجنّديها لاعمال الشغب ان الجيش اللبناني والجيش السوري على تمام التفاهم مع الحزب ، وانه في ليل ٥ من تموز ستخرج المصفّحات والدّبابات اللبنانية بقيادة ضبّاطها تحمل علامة « الصاعقة » وتُسلّم الى المقاتلين من الحزب، في حين تخرق الدّبابات والمصفّحات السورية الحدود اللبنانية وتنضم الى القوى القومية السورية المقاتلة فينهار الوضع في لبنان من اساسه ، ويتولى القوميون السوريون مقدرات الحكم فيه !

وصدر من انطون سعاده — وقد لقّب نفسه بالقائد الاعلى ! — « أمرٌ » الى اتباعه في السلك العسكري اللبناني يقول لهم فيه :

« على جميع الرفقاء القوميين الاجتماعيين المنخرطين في السلك العسكري في الجيش او في الدرك او في الشرطة ان يعتبروا انفسهم ابتداء من اليوم الثالث من شهر تموز سنة ١٩٤٩ معبئين في صفوف الثورة القومية الاجتماعية في لبنان . فعليهم عرقلة جميع الاعمال والتدابير التي يأمر بها الطغاة القائمون على الحكم الحاضر في لبنان ، والالتحاق بالمناطق المحتلة من قبل القوات القومية الاجتماعية عند اول فرصة تلوح لهم .

« صدر عن القيادة العليا في ٣ تموز سنة ١٩٤٩

« التوقيع : القائد الاعلى : انطون سعاده »

وقد صدر في ٤ من تموز، من « القيادة العليا » للحزب المذكور، بيان آخر جديد خُتم بهذه العبارة :

« ... لذلك ، فان الحزب القومي الاجتماعي يعلن الثورة الشعبية العامة . فالى الثورة على الطغيان والخيانة ايها الشعب النبيل » اهـ (١)

ثم هجم بعض افراد من هذا الحزب على مخفر الغبيرة وأطلقوا النار على الدركيين فجرحوا اثنين منهم .

وفي ليل الخامس من تموز جاءت عصابة من الارض السورية مسلحة بالسلاح الكامل الى راشيا فالتقتها دورية من الدرك اللبناني وردّتها على اعقابها ، وكانت العصابة بقيادة زيد حسن الاطرش من جبل الدروز وهدفها احتلال قلعة راشيا ، فأوقف الدرك السوري افرادها في طريق عودتهم ، وعبثاً سعينا الى ان يسلّمنا اياهم فأبى .

وظهرت عصابة قومية سورية اخرى قرب سُحْمُر وهاجمت مخفر مشغرة ، فصمد الدركيون لها وردّوها على الاعقاب بعد ان جرحوا رجلين منها جراحاً خفيفة ، ثم طاردتها قوى الامن وحاصرتها بقرب سحمر وقتلت عدداً من افرادها واستسلم الآخرون .

وألقي القبض في بيروت على خمسة من اعضاء الحزب القوميِ السوري وهم يوزّعون المناشير المعلنة الثورة في جميع الاراضي اللبنانية . وظهرت عصابة سورية ثالثة قرب حاصبيا تضمّ احد عشر شخصاً كاملي العدّة الحربية ، فخفّ وزير الدفاع بنفسه للاشراف على مطاردتهم ، وكذلك قصد احمد الاسعد وزير الاشغال العامة مرجعيون لمراقبة حركة عصاباتهم التي ظهرت هناك .

وحجزت الشرطة في بيروت ثلاث سيارات فيها اسلحة وقنابـل ورشاشات .

(١) — طبعت وزارة الانباء في لبنان كتاباً عنوانه : « قضية الحزب القومي » بسطت فيه ملاحقة هذا الحزب امام القضاء ، وارفقتها بالوثائق .

واشتبك الجنود مع عصابة قومية سورية في وادي سرّحمول قرب عرامون الغرب، وأسفرت المعركة عن قتل النقيب توفيق شمعون الذي اظهر شجاعة كبرى في مطاردة العصابة، وجرح اثنان او ثلاثة من القوميين وقبض على الآخرين .

ووفّقت دورية من الدرك الى إلقاء القبض على القوميين السوريين الثمانية الذين هاجموا مخفر الغبيرة ، وأحيل جميع المعتقلين الى القضاء العسكري لينالوا جزاءَهم .

تسليم سعاده ومحاكمته :

تلك كانت الحالة التي اقلقت بال الحكومة ، وشغلت الرأي العام ، وأنذرت بتهديد الكيان .

وفي الساعة الثانية والنصف من صباح السابع من تموز استيقظت على رنين جرس الهاتف في غرفة نومي في عاليه ، وكان محدّثي رياض الصلح الذي اخبرني بإلقاء القبض على انطون سعاده وانه موقوف في ثكنة الدرك السيار . وقد استغربت هذه المفاجأة وعهدي بأنطون انه لاجيء الى دمشق، ومنها يهاجم لبنان في حمى حسني الزعيم . فارتديت ثيابي حالاً ونزلت الى بيروت ومررت برياض في بيته وتوجّهنا الى قصر الرئاسة، وقد بلغت الساعة الثالثة والنصف .

قصّ علي رياض مـا عرفه معرفة اكيدة عن توقيف انطون سعاده قال : « تلقّى حسني الزعيم انباء اثارت هواجسه من حيث إخلاص الحزب القومي ورئيسه للوضع الجديد في سورية ، فدعا انطون سعاده الى مقابلته في القصر الجمهوري وأحسن وفادته ولاطفه ، ولما انتهت المقابلة وودّع الزائرُ مضيفَه خرج سعاده الى الشارع فوجد مفرزةً من الامن العام تحيط بالقصر ، وأسرع قائدها فألقى القبض عليه . وتلفن حالاً مدير الامن العام الى زميله اللبناني وطلب منه مفرزة مسلّحة لتتسلّم المعتقل في

الحدود في منتصف الليل، شرط ان يُقضى عليه قبل وصوله الى بيروت . وكان شرط مدير الامن العام الدمشقي في وجوب هذا القتل صارماً جداً . والحيلة البوليسية معروفة : الإيهام بأن انطون سعاده قد حاول الفرار من حرّاسه فأطلقوا النار عليه وقُتل، وهكذا يصل جثةً هامدة الى لبنان ويُسدَل الستار على مجازفته .

ووصل مدير الامن العام اللبناني ورجاله الى الحدود في الميعاد وتسلّموا الموقوف ، ورجع رجال الامن السوريون الى دمشق . ثم جاء المدير اللبناني الى المخفر واتصل تلفونياً برئيس الوزارة وأبلغه الخبر والشرط الذي فُرض من دمشق بوجوب قتل انطون سعاده ، فأجاب رياض الصلح : أحضر المتهم الى ثكنة الجيش في الفيّاضية ، ولينقل منها محاطاً بحراسة الجند الى سجن الدرك السيّار في بيروت ، ووافِني مع نور الدين الرفاعي الى القصر الجمهوري .

قلت : ودخلنا مكتبي في القصر ودعونا الزعيم فوآد شهاب ، وعقدنا مجلساً تداولنا فيه الامر . ولمستُ حيرةً من ردّة فعل متوقعة عند حسني الزعيم لعدم قتل انطون سعاده في الطريق ، فأخذتُ على نفسي الاتصال بدمشق وكانت الساعة قد بلغت الخامسة صباحاً . وظلّ الهاتف يرنّ في القصر الجمهوري السوري ولا يُسمع جواب للنداء . حتى بلغت الساعة السادسة واذا حسني الزعيم على الخط .

قلت له : اشكرك على موآزرتك لبنان في هذه الليلة ، اما الرجل فهو موقوف وسيحال الى المحكمة العسكرية لمحاكمته وفقاً للقانون . فقال: حَسَنٌ حسن ، ولا شكر على الواجب .

ثم سلّمت السماعة لقائد الجيش فأكمل الحديث معه وبحثا في تدابير الامن .

والتفتَ اليّ رياض وقال : « رفعتَ عن صدري وصدر معاونيك بلاطاً ثقيلاً » .

فأجبته : « وبرهنتَ انت على انك انسان قبل كل شيء » .

ودعي وزير العدل ومديره ويوسف شربل المدعي العام الاستئنافي وصدر مرسوم بإحالة انطون سعاده الى المحكمـة العسكرية وبوشر استجوابه في اولى ساعات الصباح .

وانعقدت المحكمة العسكرية وأقرّت سرّية الجلسة وبدأت باستجواب المتهم واستماع الشهود .

وبينما المحاكمة جارية اتصل كمال جنبلاط بالقصر وطلب مقابلة مستعجلة، فأجيب الى طلبه ودخل عليّ اصفر اللون ، وقال : تملأ البلد اشاعة ان انطون سعاده سيُعدم بدون محاكمة . فطمأنته الى ان هذا لن يكون .

فقال : انا لا اشاركه عقيدته ولكن يجب ان لا يحاكَم عليها ، ومن الضروري ان تجري المحاكمة علناً ليكون للرأي العام نصيب في الحكم ، خصوصاً وان المحاكم تتأثر برأي الحكومة .

فأجبت : ان المتهم لا يُحاكَم على عقيدته — مع مناقضتها للكيان اللبناني مناقضة تامة ، والامر خطير — بل يُحاكم على اعمال مادية ، فهو متّهم بالتحريض على العصيان المسلح ، وبالاشتراك الفعلي فيه ، وبقتل رجال الدرك، وبما رافق عمله التمرّدي من حوادث يعاقب عليها القانون . وللمحكمة العسكرية دون سواها يعود الحق بالمحاكمة العلنية او السرية . والحكومة لم تتدخّل ولن تتدخل في الامر، لا في الشكل ولا في الاساس . والعدل مؤمَّن للمتهم كسواه ، والمحكمة ستصدر حكمها بكل حرية وفقاً للقانون ولما يوحيه الضمير .

قال كمال جنبلاط : لماذا لا تُرجأ المحاكمة وقد قبضت الحكومة على ناصية الحال ؟ ان الشوف والشوفين والبلاد كلها هادئة، ولم ينضمّ احد من انصار البيت الجنبلاطي الى جماعة انطون سعاده ، وكذلك لم ينضم اليهم من انصار الامير مجيد سوى بعض اعوان من عرمون الغرب ... ثم، ولماذا

لم يحاكم لحد الآن دعاة آخرون للثورة كالمطران مبارك ونهاد ارسلان ؟

فأعدت على مسامع الزائر ما قلته له سابقاً، وعندها ودّعني وانصرف .

وجرت المحاكمة طوال الثامن من تموز فاستُجوب المتّهم تفصيلاً وتدقيقاً . واستُمع الى الشهود . وألقى يوسف شربل النائب العام الاستئنافي مطالعة طويلة سرد فيها الادلة بجلاء ووضوح . وأعلن رئيس المحكمة فترة للاستراحة .

ثم استؤنفت الجلسة ورافع وكيل الدفاع طالباً للمتّهم الاسباب التخفيفية التي تستند الى عوامل نفسية وتفكيرية .

وسئل انطون سعاده عما يقوله فألقى دفاعاً طال اكثر من ساعة ، تناول القسم الاول منه مبادىء الحزب فشرحها شرحاً وافياً وادعى انه ليس ضد الكيان اللبناني ! وتناول القسم الثاني حوادث الاعتداء فدفع المسؤولية عنه وألصقها بغيره من القوميين السوريين ، وانتحل لهم عذراً بأنهم فعلوا ما فعلوه دفعاً « للاستفزاز الحكومي ! » كأن استعمال الحكومة حقها وواجبها في الحفاظ على الامن يُعدّ استفزازاً ، للناس !

خُتمت المحاكمة واختلت الهيأة ساعة واصدرت الحكم باعدام المتّهم وحلّ الحزب القومي السوري .

وأحيل ملف القضية الى لجنة العفو ، فدقّقت اللجنة فيه وردّت الطلب بالاجماع . وصدر المرسوم بتنفيذ الحكم فجيء بكاهن ساعد السجين على إتمام واجباته الدينية . ونفّذ الحكم في الساعة الرابعة من صباح التاسع من تموز .

محاكمة القوميين السوريين الآخرين :

وانعقدت المحكمة العسكرية مرة ثانية وحاكمت المتهمين الآخرين ، وعددهم ثمانية وستون متهماً ، فحكمت باعدام اثني عشر شخصاً منهم ،

وقضت بعقوبات مختلفة على الآخرين ، وكانت خفيفة بوجه عام .

وأحيلت احكام الاعدام على لجنة العفو فوافقت على ستةٍ منها ، واقترحت استبدال عقوبة إعدام الستة الآخرين بالاشغال الشاقة المؤبدة فأخذنا رأيها بعين الاعتبار وأقررناه .

مرّت تلك الاحداث بالبلاد كأنها عاصفة هوجاء ، بل إعصارٌ أقضّ على الناس مضاجعها ، وسلب راحة الحاكمين وحجب النوم عن عيونهم ، فالنهار قلق والليل ارق .

ويعلم الله أني ومعاونيّ من وزراء وقضاة مدنيين وعسكريين لم نُقدِم الا وفي العين قذى، وفي الحلق شجا، فكأس الواجب في بعض الاحايين مرّة المذاق ، والمسؤولية ثقيلة العبء ، وقد ترافق راحة الضمير غصّة الم ودمعة مكفكفة .

ويلجأ الحاكم الى ربّه مستعيناً فيسمع همس الآية الكريمة : « ولكم في القصاص حياةٌ يا أولي الالبابِ لعلّكم تتّقون » .

ذيول متعبة :

شنّت جريدة « النهار » حملة على الحكومة بسبب محاكمة انطون سعادة والقوميين السوريين ، فعُدّت مقالاتها مخلّة بالامن ولوحق صاحبها غسان تويني امام القضاء وأوقف ، وتوارى عن العيان اخوه وليد تويني المدير المسؤول ، وقدّم كلٌّ من النائبين كمال جنبلاط وكميل شمعون استجوابَين ، يتعلق الاول بمحاكمة القوميين السوريين ، والثاني بملاحقة الجريدة المذكورة !

وكثرت المساعي للكف عن ملاحقة صاحبَي « النهار »، فعجبنا للامر كيف لا يتدخّل النافذون لتخفيف الحملات الطائشة عن الحاكمين لكنهم يتدخلون لمنع العدالة من الملاحقات القانونية، او يسعون لتخفيف الاحكام بعد

صدورها ، والاحرى ان يكون الميزان متعادلاً بين المعتدي والمعتدى عليه ، ولحرية الفكر حدود !

وصدر الحكم على غسان التويني بالسجن ثلاثة اشهر وببراءة اخيه وليد . واختلف الناس بشأن الحكم ، فمنهم من رآه صارماً ومنهم من نظر اليه نظرة منصفة، ولا سيما أنْ قد سبق لصحيفة « النهار » ان تهجّمت غير مرة على السلطات (١) .

* * *

وفي ليل ١٧ / ١٨ من تموز اطلق حرّاس بيت الكتائب النار على بعض العمال العائدين من المرفأ وجرحوا اثنين منهم، وتقدّم العمال بشكواهم الى الشرطة فطاردت هذه المعتدين الى بيت المنظمة وأوقفتهم وتحرّت المستودع فوجدت فيه اسلحة منوّعة وقنابل يدوية فحجزتها . وقام المحقق العسكري بتحريات اخرى بعد ظهر ١٨ من تموز فعثر ايضاً على اسلحة حديثة مخبأة في مستودع آخر واحيلت الاوراق الى المحكمة العسكرية . وأثارت هذه النتيجة ضجّة عنيفة ولا سيما في الاوساط التي لا تقرّ منظمة الكتائب على اساليبها . وأجمع الرأي العام على ضرورة حل المنظمات جميعها على اختلاف نزعاتها ومراميها وذلك لاراحة المجموع من الحوادث المؤلمة التي واجهتها الحكومة في مطاردة الحزب القومي السوري .

وانعقد مجلس الوزراء في ١٩ من تموز واتخذ قراراً إجماعياً بحل المنظمات حالاً على ان تقوم مقامها احزاب سياسية اذا شاء رؤساؤها، وتغيّب عن المجلس وزير الداخلية جبرائيل المر بداعي المرض ، وخوبر بالهاتف فطلب ان يطلع على القرار قبل التوقيع عليه فحمله اليه موظفان فتردّد في توقيعه واضطُر لتقديم استقالته لعدم انسجامه مع زملائه

(١) — رأينا ان نستمر على سعة الصدر والمعاملة بالحسنى فلم يكمل المحكوم عليه مدة سجنه .

فقُبلت استقالته فوراً ، ودُعي جبران النحاس من طرابلس وعُين في اليوم الثاني نائباً لرئاسة الوزارة ووزيراً للعدل وعُهد بوزارة الداخلية الى رياض الصلح .

ووُقّع على مرسوم حل المنظمات على الرغم من توسّط النواب هنري فرعون وحبيب ابو شهلا وابرهيم عازار وسواهم لمصلحة الكتائب ، وقد أفهمنا الجميع ان هذا التدبير هو لفائدة البلاد ولخير المنظمات نفسها، لان هذه المنظمات ستصطدم ، بحكم تدريبها العسكري ، بالاهالي كما حدث للكتائب مع عمال المرفأ، وكما حصل للقوميين السوريين الذين اصطدموا بالحكومة .

وأعلن في هذا الصدد انني لم اضمر اي سوء لمنظمة الكتائب ، ولا لسواها . ولكن اعتقادي الصريح هو ان تقليد الجندية في تلك المنظمات، يخلق في المنضوين تحت لوائها نفسية اعتداد وعنف لا تتماشى مع المبادىء الديموقراطية ، وكثيراً ما يرى اعضاء المنظمات الشبه العسكرية أنفسهم أنداداً للدولة مما يثير لهم وللدولة معاً مشاكل عديدة ولا سيما في بلد كلبنان . . . اما الحزب السياسي فهو اكثر انسجاماً مع مفاهيم النظام الجمهوري ، سواء أكان الحزب موالياً او معارضاً .

وأخذ بعض النواب يُنذرون الحكومة بردّ فعل عنيف من جراء حل المنظمات عامة ، والكتائب والنجّادة خاصة . وفي الحقيقة وواقع الامر لم يقع اي حادث عكّر الامن . وثبت للجميع ان الحكومة لا تحقد على شبان لبنانيين لا يُشَكّ بوطنيتهم إلا انها ترى من كرامة الحكم ومن وجوب حسن سيره ان لا يعتقد هؤلاء الشبان القليلو الخبرة السياسية انهم دولة ضمن دولة ، لئلا تكون العاقبة وخيمة على الجميع ، والافضل اتقاء الشرّ بتلافيه قبل حدوثه .

* * *

عودة الى الشؤون العادية :

في ١٣ من تموز استقبلتُ في بيروت رئيس الوزارة وبعض الوزراء وأنهينا اشغالاً معلقة ادارية وسياسية ، ودعونا مدير الخارجية وزوّدناه بالتعليمات اللازمة لاجتماع لوزان المقبل المتعلق بقضية اللاجئين .

وقرّرنا دعوة اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية الى الاجتماع في لبنان في فرصة عيد الفطر ، فبعث رياض الصلح ، بوصفه وزير خارجية بالوكالة ، بكتاب الى كلّ من الحكومات العربية بهذا الشأن ، كما انه اجتمع بوزراء العرب المفوضين لدى الحكومة اللبنانية وكرّر الدعوة على مسامعهم ليبيّن ضرورتها في هذه الظروف الراهنة . فقبلت الدعوة .

تفاؤل محسن البرازي :

وصل محسن البرازي في اواخر رمضان الى عاليه ليردّ الزيارة التي قام بها رياض الصلح لحسني الزعيم فاستقبلناه استقبالاً رسمياً وخلوت به وبرياض مدة طويلة وقلّبنا وجهات النظر في شتى الشؤون المعروضة على البلدين ، واتفقنا على كل شيء . وعبّر محسن البرازي عن حقيقة واقعة اذ قال : إن الروابط بين الحكومتين على خير ما يرام .

وأقيمت حفلة إفطار في المقرّ الجمهوري في عاليه وفقاً للتقليد جمعت المقامات المحمدية من دينية ومدنية، ووُفق منظمو الحفلة بانتظامها واتقانها، ودعي اليها محسن البرازي وسادها جو من الود عز نظيره، وقد افتتحت واختتمت بالنشيد الوطني .

وفي اليوم الثاني دعا رياض ضيفنا الى مأدبة اخرى ودعا ايضاً اليها زملاءَه الوزراء والنواب والموظفين الكبار واعضاء السلك السياسي العربي . ولدى الانتهاء من تناول الطعام وصلتُ الى بيت رياض ملاطفة له ولمحسن ، فقابل المدعوّون وصولي بالتصفيق ، فصافحتهم وجالستهم في

الدار ساعة تبادلنا فيها الاحاديث والمجاملات، وشعرت بأن زيارتي ملأت الصدور انشراحاً .

وفي ٢٧ من تموز ، اي في اليوم الاول من عيد الفطر ، زرتُ رياض الصلح في داره بعاليه مهنئاً واستصحبته لزيارة مفتي الجمهورية وصبري حماده رئيس المجلس النيابي المصطافَين في بحمدون . وتناولت الغداء مع الحرس الجمهوري في مخيّمه قرب المقر وجاملت الضباط والافراد فسُرّوا كثيراً .

تدشين مستشفى تل شيحا :

أُنشىء في زحلة (محلة تل شيحا) مستشفى تَبرّع ببنائه وتجهيزه بالآلات الحديثة نفر كريم من المغتربين الزحلاويين ، ولما حان تدشينه نشبت ازمة بين بعض الاسر كادت تؤخره، فتدخّل في الامر غبطة البطريرك مكسيموس صائغ وهنري فرعون وفليب تقلا واجتمعوا بي في مقر الرئاسة بعاليه ، فدعوت ممثّلين عن الفريقين المختلفي الرأي وتداولنا الامر فوصلنا الى حل قبل الجميع به . وجرت حفلة الافتتاح دون اي حادث .

حزب « الاتحاد اللبناني » :

وتلافينا أزمةً اخرى نشأت عن حل المنظمات إذ تَشبّث بيار الجميّل بان يطلق على حزبه الجديد اسم « الحزب الكتائبي السياسي »، معارضاً بذلك مرسوم الحل، واعتنق وجهة نظره حبيب ابو شهلا وهنري فرعون فعارضها رياض الصلح . وجاءني بيار الجميّل شاكياً ، وبعد أخذ ورد اتخذ الحزب الجديد اسم « الاتحاد اللبناني » .

بين عاليه وبيت الدين :

قسمتُ اوقات العمل بين هذين المصيفين تهويناً على الوزراء وعلى الجمهور . وشغلتُ وقتي في قصر بيت الدين بأعمال العمران الجارية فيه ، وبشؤون

المنطقة ، وبالسعي لتوحيد السياسة الدرزية بتفاهم مرغوب فيه بين مجيد ارسلان وكمال جنبلاط يساعدني عليه المطران بستاني، فصرنا نأمل النجاح آناً ونقطع الامل آناً آخر . اما في عاليه فكنت انصرف الى شؤون الادارة اللبنانية والى السياسة العربية .

وأُرجىء اجتماع اللجنة السياسية بسبب ازمة وزارية في القاهرة . ثم أُلّفت وزارة جديدة برئاسة حسين سرّي استعداداً للانتخابات النيابية هناك ، ولكن الوزارة المذكورة ما ان ثبّتت قدميها في الحكم حتى دعت اللجنة السياسية للاجتماع في الاسكندرية في ٢٠ من تموز ، متبنية الدعوة التي سبق لرياض الصلح ان وجهها . . . لا بأس ، والمهم ان نصل الى نتائج حسنة .

استقبال وزير اميركا المفوض :

استقبلتُ في ٦ من آب وزير الولايات المتحدة بحضور رياض الصلح ، وقد أبدى الوزير امله بأن يرفع الحظر عن تزويد البلاد العربية بالاسلحة، وقال لنا إن المفاوضات الفرنسية الانكليزية الجارية في لوندرة لم تضرّ بمصالح دولتَي المشرق ، وزاد على ذلك ان الولايات المتحدة ارسلت مشروع معاهدة بينها وبيننا . فأجبناه بأننا سندرسه فور استلامه . ورأى الوزير ان زيارتي لاميركا الشمالية مستحبة في خريف ١٩٥٠ ، فاذا وافقتُ وُجّهت اليّ الدعوة رسمياً . فاستمهلتُ في الجواب وقلت للوزير المفوض ان الرئيس ترومان قد دعاني الى هذه الزيارة في سنة ١٩٤٦ ولم اتمكن من تلبيته بسبب تطوّر قضية فلسطين .

نشاط المعارضة . هزيمتها في المجلس :

على اثر ضبط اسلحه حربية في سيارة النائب المعارض سليمان العلي جدّدت كتلة التحرر الوطني نشاطها وعقدت اجتماعاً في صوفر في بيت

ألفرد نقاش ، وقيل لي إن كمال جنبلاط طلب من الاعضاء ان يضمّوا الرئيس اميل اده وكتلته الى كتلتهم ! وإنه لَطلب يثير الاستغراب الشديد ، فقد سبق لكمال جنبلاط نفسه ان ألحّ عليّ باحالة اميل اده الى المحاكمة للحكم عليه جزائياً ، فما عدا مما بدا ؟ وقيل لي ايضاً ان كميل شمعون قد أيّد كمال جنبلاط في اقتراحه ، فألّفت كتلة التحرر لجنةً خاصة من اعضائها للاتصال بجميع الاحزاب المعارضة ، ومنها الكتلة الوطنية ، لتوحيد العمل .

وفي ١٧ من آب عقد المجلس النيابي جلسته الاولى من الدورة الاستثنائية وسعى كمال جنبلاط وكميل شمعون بان ينالا من الحكومة فخذلتهما اكثرية النواب . فصرفا نشاطهما الى خارج الندوة، حتى انهما سعيا للعمل مع عناصر لا يرضى عنها الرأي العام الوطني !

انقلاب ثالث في سورية :

أُوقظتُ من النوم في الساعة الثالثة من صباح الاحد في ١٤ من آب لاستمع الى محطة دمشق تذيع البلاغات الرسمية عن اعتقال المشير حسني الزعيم ومحاكمته مع محسن البرازي رئيس وزارته في مجلس حربي، والحكم عليهما بالاعدام ! وقد ترأس المجلس الحربي الزعيم سامي الحناوي الذي كان ألصق الضباط بحسني الزعيم ونادى بنفسه قائداً عاماً ورئيساً للحكومة .

ونُفّذ حكم الاعدام على الفور ، فسبحان من يغيّر ولا يتغير :

ما بين طرفة عينٍ وانتباهتها   يغيّر الله من حالٍ الى حال !

ولا غروَ من ان تكون هذه الاخبار قد أقلقت بالنا ونحن جيران ، فدعوتُ باكراً رئيس الوزارة ورئيس المجلس النيابي والقائد العام والنواب الذين تيسّرت دعوتهم ، واتخذنا بعض تدابير على الحدود ، لا بد منها في

مثل هذه الظروف . وبقيت الحالة في لبنان هادئة والحمد لله ، ومع ذلك فالسهر امر ضروري لتلافي كل حادث مخلّ بالامن .

وبلغنا ان القائد السوري الجديد ترك الاحكام لارباب السياسة ، وحسناً فعل ، ودعاهم لتأليف وزارة برئاسة هاشم الاتاسي فتألفت في اليوم الثاني صباحاً (١) .

ودار البحث بيني وبين الوزراء عن الاحداث السورية ، وهل تقتصر على جارتنا او يتعدى تأثيرها الى بعض البلدان العربية خصوصاً وان الحالة في الشرق العربي غير مستقرة ، وقد يعقب الانقلابين ثالث ، بعد ان انقسم الجيش السوري شيعاً واحزاباً .

وقيل ان بين الانقلابيّين الحاليين ضباطاً يوالون الحزب القومي السوري .

من المدهش ان ألِفت سورية الانقلاب الثاني ، كما ألِفت الانقلاب الاول ، بسرعة غريبة !

نشاط نوري السعيد :

مضى على هذا الانقلاب الجديد اسبوعان وظاهر الامور حسن في حين ان الافكار قلقة ... وقد زادها قلقاً عدم انسجام الوزراء السوريين الجدد فيما بينهم ، وعدم تمثيل حزب الرئيس القوتلي في الوزارة ، ونزعة العهد الجديد الى الهاشميين .

وتأخرت مصر والمملكة العربية السعودية فلم تعترفا بحكومة الانقلاب . وعلّقت حكومة القاهرة اعترافها على اجتماع اللجنة السياسية للجامعة . وأصرّت حكومة بغداد على عقد الاجتماع بصورة مستعجلة اي قبل نهاية شهر آب .

(١) — ١٥ من آب .

وفي الخامس والعشرين مرّ نوري السعيد ببيروت عائداً من القاهرة الى بغداد ، ولم يتوقف اكثر من ساعة ، فقابله رياض الصلح وألحّ نوري عليه بضرورة استعجال اجتماع اللجنة السياسية وقال له ان مباحثاته في القاهرة مع حسين سري رئيس الوزارة المصرية جلت الجوّ ، وان العراق لن يثير مسألة امانة سر الجامعة ولا إعادة تنظيمها . وأضاف نوري السعيد : ان علائق العراق بحكومة لوندرة قد تحسّنت تحسّناً محسوساً ، وقد تتحسّن العلائق ايضاً بين مصر وبريطانية ، الامر الذي يرفع كابوساً ثقيلاً عن كاهل الشرق العربي . وأكّد نوري لرياض صحة التصريحات التي افضى بها الى الصحف المصرية عن انه يسعى دائماً لوحدة الاقطار العربية برضاها دون اي ضغطٍ او إكراه .

نقل اليّ رياض الصلح هذه الاحاديث فقلت له : ما رأيك في اقتراح تُدلي به أنت في اجتماع اللجنة السياسية فتدعو الدول العربية جمعاء الى مهادنة حقيقية بينها مدّتها عشر سنوات على الاقل، يكظم فيها السياسيون وأصحاب الغايات غيظهم ومطامعهم ليواجهوا الخطر الصهيوني مجتمعين متكاتفين ؟

عاد حميد فرنجيه من اوربة فاستقبلته طويلاً ، وأكد لي انه ظل مرتبطاً بنا فكراً في الفترة العصيبة التي مرّت علينا في غيابه . وقد أطلعته ورياضاً على تقريرٍ ذي قيمة ورد علينا من شارل مالك وزيرنا المفوض في واشنطن يشرح فيه رأيه في مستقبل العرب بعد دخول اسرائيل عنصراً جديداً مخيفاً في الشرق العربي ، واقترحت على وزارة الخارجية ان تشكر ممثّلنا في واشنطن برقياً على درسه القيّم المعتنى به .

مباحثات مع سورية :

اظهر ناظم القدسي وزير خارجية سورية الجديد رغبته بالاجتماع برئيس وزارتنا ، فتناولا الغداء في فندق شتورة وتبادلا وجهات النظر

في الحالة الراهنة ، وكذلك تناول البحث النشاط المتجدد للحزب القومي السوري ، وضرورة مبادرة لبنان الى الاعتراف بالوضع الجديد ، وان تسعى حكومته لحمل الدول العربية على الاعتراف به . وقد وعد ناظم القدسي رئيس وزارتنا بتحسين العلائق الاقتصادية بيننا .

وانعقد مجلس الوزراء في ٢٥ من آب وبحث الشؤون العادية وأنهى قسماً منها . وأهمّ ما بحثه ذهاب وزيرَي المال والاقتصاد الوطني الى بلودان للاجتماع بزميليهما السوريين في ٢٧ من آب ، شرط ان لا يسلّم المفاوضون اللبنانيون بمبدأ التعادل بين النقدين ، ولا بالمبدأ الرامي الى ان تشتري الحكومة في دمشق قمح الموسم لحسابها ولحساب لبنان ، وهكذا يبقى كل بلد حرّاً في ادّخار مؤنته .

العود الى نشاط المعارضة :

تُبدي المعارضة نشاطاً ملموساً في هذين اليومين للتعكير على الرئاسة وعلى الحكومة قبل ابتداء الولاية الجديدة ، ويظهر ان المعارضين لا يلقون تأييداً ، حتى إن جريدة « البيرق » ، وهي ابرز صحفهم ، قالت : « على اننا نعتقد ان إطلاق مثل هذا القول (التجديد) **ليس اكتشافاً، فالرئاسة الاولى مستقرّة للرئيس الاول المنتخب منذ عهد بعيد ، وليس بين المعارضين من يثير الجدل حول هذا الامر الواقع لان المعارضين في مقدمة جميع اللبنانيين يريدون اتحاداً واستقراراً** » [١] .

واجتمعت كتلة التحرر الوطني اجتماعاً جديداً لبحث موضوع التعاون مع الكتلة الوطنية ، ولكن اجتماعها لم يُسفر عن نتيجة ايجابية لان عبد الحميد كرامي ابى ذلك التعاون على الرغم من محضر وضعه كميل شمعون على اثر زيارته الرئيس اميل اده في صوفر باشراك تلك الكتلة بالمعارضة .

(١) — جريدة « البيرق » ، في ٢٨ من آب .

وإزاء هذا الخلاف في وجهات نظر المعارضين اراد كميل شمعون ان يخفّف وطأة الفشل فسافر الى جدّة لمقابلة الامير فيصل بن سعود .

واستقبلتُ رياض الصلح وهنري فرعون (المعارض المستقل) وباحثاني في خصومة اهالي راس بعلبك والدنادشة، ثم اظهر هنري رغبته بتفاهمي مع عبد الحميد كرامي فأبديتُ استعداداً حسناً لمثل هذا التفاهم ووافقني رياض .

اجتماع بلودان :

لم يكن هذا الاجتماع ناجحاً لان الاتفاق لم يتم بين الفريقين الا على امور بسيطة ، كتصفية الحسابات المعلّقة ، وتدابير عملية لادارة المصالح المشتركة ، اما القضيتان المهمتان اي معادلة النقدين وشراء القمح لحساب الحكومتين فأرجىء الى اجتماع آخر .

الانتقال الى بيت الدين :

في ٣ من ايلول ، ووفقاً للتقليد، غادرتُ عاليه نهائياً الى بيت الدين طلباً لراحة نسبية وتهيئةً لاحتفال الـ ٢١ من ايلول ، فسلكتُ طريق الدامور . وقام الاهلون خصوصاً في دير القمر وبيت الدين بالاستقبال اللائق ، على رغم من التعليمات الرسمية بعدم إجراء استقبالات للتقليل من مشقّة الاهلين . ووفَد للسلام عليّ والترحيب بي ساعة وصولي مطرانا صيدا الماروني والروم الكاثوليك والهيئات الرسمية .

وفي اليوم الثاني تفقدتُ اعمال الترميم في ارجاء القصر ووجدتها قد قربت من النهاية وانصرفت الى إعداد رسالة الى الشعب اللبناني بمناسبة بدء الولاية الثانية .

آخر سهم في كنانة المعارضة :

عقدت كتلة التحرر الوطني اجتماعاً في صوفر في ١٥ من ايلول وقررت الاتصال بجميع الاحزاب توحيداً لكلمتها للمطالبة بحل المجلس، وفوجئتُ في اليوم الثاني بطلب من عبد الحميد كرامي لمقابلتي .

وزارني عبد الحميد فاستقبلته بالترحاب ، ورغبت ان يجري الحديث بحضور هنري فرعون الذي مهّد للزيارة فدعي بالهاتف . وعقدنا جلسة طويلة اختلفت فيها نظرية عبد الحميد عن نظرية هنري، فالاول لا ينفك عن المطالبة بحل المجلس، والثاني يُلحّ بتعديل قانون الانتخاب قبل الحل ! كما اختلفنا في موضوع تأليف وزارة ائتلافية واسعة يدخلها عبد الحميد بعد ٢١ من ايلول ، فمانع هذا كل الممانعة باشتراكه فيها او باشتراك اي عضو من كتلة التحرر . وكان رأي هنري فرعون ان يقبل عبد الحميد الاشتراك شخصياً او ان تتمثّل كتلته على الاقل في الوزارة المنشودة ، ولكننا لم نصل الى نتيجة حاسمة . فوعدت زائريّ بدرس مستعجل لتعديل قانون الانتخاب ، وقبل ان نفترق قال لي عبد الحميد بأن كل خلاف شخصي بيني وبينه قد زال ، ولكنه سيبقى على معارضته لاننا لم نجد له مخرجاً يمكّنه من الانفصال عن كتلة التحرر .

حفلات في بيت الدين :

عادت الحياة الى القصر والى بيت الدين ، وأقام المطران بستاني القداس التقليدي في عيد شفيعة كرسيّه ودعاني اليه ، فلبّيت وكانت حفلة حماسية صادقة ، حاكت الحفلات السابقة في مظهرها للتأييد الكامل .

وكذلك دعَت قرينتي الى استقبال رسمي في قاعات القصر وحدائقه في ١٠ من ايلول حضره افراد السلك السياسي وضباط الجيش وكبار

الموظفين والوجوه وعائلاتهم وانتشروا في الباحات ، وانتهز المدعوّون المناسبة ليظهروا شكرهم وتأييدهم للرئاسة قبل بدء ولايتها الثانية .

وفي الحادي عشر من ايلول استقبلتُ وفود القرى المجاورة وشيخَي عقل الطائفة الدرزية ، وعبّروا عن ولائهم للعهد وتكلّم بعضهم نثراً وشعراً . وكان بين الوفود كثيرون ينتمون الى الحزب الجنبلاطي مما دلّ على ان السيدة نظيرة جنبلاط ارادت ان تخفف من معارضة نجلها كمال . ثم زارتنا في القصر بعد ظهر الثاني عشر من ايلول فاستقبلناها بمزيد الحفاوة .

آخر مجلس وزراء من الولاية الاولى :

عُقد مجلس الوزراء يوم الثلاثاء في ١٣ من ايلول وهو الاخير من الولاية الاولى . وكان جدول الاعمال حافلاً بالمواضيع المهمة : تلوت على الوزراء رسالتي الى الشعب اللبناني بمناسبة بدء الولاية الجديدة ، فأقرّوها بالاجماع . وأقرّ المجلس المشروع الانشائي الجديد ، ومن أبرز ما فيه جرّ مياه بيت الدين الى اقليم الخروب الذي وُعد اهلوه بالماء منذ سنوات . ثم بحثنا مشروع عفو عام بمناسبة ذكرى ٢١ من ايلول ووضعنا له الاسس الكبرى على ان تضع وزارة العدل نصّه .

ودعوت الوزراء الى الغداء . وقبل ان ينصرفوا جاءنا نبأ بان لجان الاحزاب المعارضة اجتمعت وطلب مندوبو الكتلة الوطنية اتخاذ قرار بعدم الاعتراف بشرعيّة المجلس وشرعية الولاية الثانية فلاقى طلبهم معارضةً قوية من مندوبي حزب الاتحاد اللبناني (الكتائب) ، وكذلك تردّد كمال جنبلاط مندوب كتلة التحرر في قبوله ، وأُرجىء الاجتماع الى وقت آخر .

وفي ٢٠ من ايلول اجتمعت الاحزاب المعارضة الموحّدة ، بعد انفصال

حزب الاتحاد اللبناني (الكتائب) والحزب الجمهوري (نعمه ثابت) عنها ، وأعلنت عدم اعترافها بشرعية الاوضاع اللبنانية [١] . ولم تمتنع الصحف من نشر قرار المعارضة ، وذلك لندلل على مدى الحرية التي يتمتع بها المعارضون في لبنان .

---

(١) ـ كان النائب كميل شمعون في مقدمة الذين وقعوا على قرار المعارضة ، على الرغم من انه قد سبق له يوم كان وزيراً للداخلية ان اكد شرعية المجلس النيابي الجديد وحذر الصحف من التعرض لتلك الشرعية . راجع : ص ٤٩

الولاية الجديدة

الاحتفال ببدء الولاية الثانية

ختمت إقامتي في بيت الدين باستقبال وفود القرى الشوفية وبدعوات متتابعة على الغداء وُجّهت الى البطريرك الكاثوليكي والمطران ايليا صليبي والمطران اوغسطين بستاني وبعض الرسميين والوجوه . ورجعتُ الى عاليه استعد لحفلات الواحد والعشرين من ايلول .

كان يوم العيد مشهوداً ومن أغرّ الايام .

في منتصف الساعة الثامنة صباحاً نزلتُ من عاليه بموكبٍ رسمي يرافقني رئيس الوزارة ، وقد وقفت الجماهير في مفارق الطرق تحت أقواس النصر تحيّي الموكب وتظهر ابتهاجها ، ودخلنا بيروت من جسر النهر الى ساحة الشهداء مارّين بالجمّيزة التي برزت في اجمل معالم الزينة واستقبلتنا الجماهير المكتظّة في الشوارع وعلى الشرَف والسطوح بالتصفيق الشديد والهتافات . ووصلنا الى المجلس النيابي في التاسعة فاستقبلنا رئيسه والنواب في باب الندوة ، ودخلتُ القاعة فوقف النواب واعضاء السلك الدبلوماسي والحضور وعلا التصفيق من كل جانب، فحيّيتُ الجميع وصعدت الى

المنصّة وأقسمت اليمين الدستورية ووجّهتُ رسالتي الى النواب، وكان المذياع يُسمعها الجماهير المحتشدة امام البرلمان، والاذاعة تنقلها الى جميع الانحاء [١] . وتقبّلتُ التهاني في غرفة رئيس المجلس وبعد استراحة قليلة ذهبت في الموكب عينه يرافقني رئيس النواب الى ساحة الشهداء فوضعت إكليلا على النُصُب ، ومررت بالبسطة وسط تظاهر ولائي لا يقلّ حماسة عن تظاهرة الجميزة ، ونفذتُ الى شارع الحرج لبدء العرض العسكري الكبير الذي شهدته ألوف من السكان وقد هتفوا لي بحماسة عزّ نظيرها . وجرى العرض على اصوله المعروفة .

مررتُ بالسيارة امام الجنود يرافقني وزير الدفاع ووضعت اكليلا على نُصُب الجندي المجهول، وعدت الى المنصّة حيث اعضاء السلك الدبلوماسي وجميع الهيئات الرسمية ، ومرّت أمامنا فرق الجيش مع موسيقاها وأعلامها في نظام بالغ لفت الانظار . وأطلقت حمامات السلام . وكان العرض كله رائعاً جداً تحمّست له الجماهير وصفّقت طويلا .

وبعد انتهاء العرض ذهبتُ الى السراية الكبيرة واستقبلت مع الوزراء رئيس مجلس النواب والنواب وأعضاء السلك السياسي وكبار الموظفين من مدنيين وعسكريين والرؤساء الروحيين والنقابات والوجوه وفقاً لترتيب المراسم . ولم يسبق لهذا الاستقبال مثيل من حيث الابَّهة وعدد المشتركين فيه .

وعدت الى البيت وأخذت راحة قصيرة ثم انتقلت الى قصر الاونسكو وفيه استقبلتُ ألوفاً من اللبنانيين من جميع المناطق والطوائف ، يتقدّمهم نوابهم وزعماؤهم ولفت النظر وفد الجنوب بزعامة احمد الاسعد ، ووفد الشوف الدرزي بزعامة مجيد ارسلان ، وبضعة آلاف من مسيحيي

(١) — واذيعت ايضاً رسالتي الى الشعب اللبناني وطبعت الرسالتان ووزعتا على المواطنين .

الشوف بتوجيه من اخي سليم ، وزحفت وفود كسروان بزعامة جورج زوين وفيليب تقلا وسليم الخازن ، وقس على ذلك وفود الشمال وعكار والبقاع . واستمر الزحف اربع ساعات متواصلة . ورجعت الى عاليه وقد ملأت الزيناتُ البلاد ، والجنود يطوفون بالمشاعل وبدا الجبل كله شعلة من نار .

واختتمت الحفلة بألعاب نارية امام مقر الرئاسة . وسَجّل هذا اليوم اكبر استفتاء عرفته الجمهورية لتأييد رئيس يفتخر (اذا افتخر بشيء) بحبه للبنان وتفانيه في سبيله .

وقد شكرتُ الله على نعمته هذه، وطلبت منه عزّ وجل ان يقوّيني ويسدّد خطاي لاقوم بالمهام الجسام الملقاة على عاتقي والتي زادها عبءاً ثقة اللبنانيين المجددة .

تخفيض الجنيه الاسترليني :

ما انتهى الاحتفال ببدء الولاية حتى وصلت الانباء الرسمية بتخفيض قيمة الجنيه الاسترليني تخفيضاً يقارب ثلاثين في المائة . وكان الامر منتظراً . وسبق لنا ان تداولنا مع وزير المال ومدير بنك الاصدار وميشال شيحا وأجمع الرأي على ان نحافظ على قيمة عملتنا بجميع الوسائل التي نملكها وفي مقدمتها تعزيز التغطية . اما غير المنتظر فكان ان حكومات عديدة قرّرت تخفيض عملتها تنسيقاً مع العملة الانكليزية ، وهذا ما جعل ميشال شيحا يرجع عن رأيه الاول ويشير عليّ باتباع خطة تخفيض عملتنا اسوة بسواها . ولما كان رأي ميشال شيحا محترماً لدي ، فقد هالني الامر ودعوت وزير المال ومدير بنك الاصدار وطرحت عليهما الاقتراح الجديد فناقشاه ورجحت كفة عدم التخفيض فثبتنا عليه نهائياً . وقد برهنت الايام على اننا كنا على حق بحفظ قيمة عملتنا كاملة

غير منقوصة ، وعزّ عليّ ان خالفتُ في ذلك الظرف العصيب رأي نسيبٍ احترم علمه ونزاهته وتجرّده .

استقبال الملك عبدالله :

كان المفروض ان تستقيل الوزارة في بدء الولاية إلا أنني استأخرت الاستقالة مرور زيارة الملك عبدالله بن الحسين عاهل الاردن بعاصمة لبنان في طريق عودته بحراً من اسبانية . وقد استقبلته على رصيف المرفأ وصعدنا بموكب رسمي الى عاليه ، وأوصلته الى بيت فرنسيس كتانه وهو من احسن قصور الاصطياف ، فحلّ ضيفاً على الرئاسة . وقد ردّ لي الملك الزيارة ، وتحدّثنا بشؤون مختلفة وتناول العشاء على مائدتي فبالغنا بالحفاوة به ، وخلونا طويلا وتحدّثنا عن الجامعة العربية فأيّدتُ وجوب وجودها وتقويتها على الرغم من موقف الملك السلبي منها .

بات الملك ليلته في قصر الضيافة وفي اليوم الثاني صباحاً [١] رافقته في موكب رسمي الى المطار فأقلّته طائرة لبنانية الى المفرق (حدود الاردن) وقد تلقّيتُ منه برقية يشكرني فيها على الحفاوة والضيافة اللتين لقيهما في الربوع اللبنانية .

واقول بأسف ان بعض المعارضين ، وفي مقدمتهم المطران بولس عقل والشيخ كسروان الخازن ، انتهزوا زيارة الملك ليشكوا اليه حالتهم ! غير ان الضيف المهذّب تحاشى الخوض معهم في السياسة الداخلية .

وفاة الرئيس اميل اده :

ثم أخّر ايضاً استقالة الوزارة وفاة الرئيس اميل اده بعد مرض دام

(١) – الاحد في ٢٥ من ايلول

بضعة ايام ، ودعانا داعي اللياقة والمروؤة الى ان نقوم مع الحكومة بواجب التعزية إلا ان عائلة الفقيد والكتلة الوطنية اظهرتا رغبتهما بعدم قبول هذه التعزية . وعلى الرغم من ذلك أوفدنا الى صوفر فوآد عمون امين سر وزارة الخارجية ، وهو يرتبط بآل اده بقربى المصاهرة ، كي يقدّم التعازي باسمنا ويجسّ النبض لتقرير الواجب الرسمي ، فأبلغ موفدنا الموقف السلبي الذي اشرنا اليه ، وعاد يخبرني ويخبر رياض الصلح بما كان ، فتشاورنا وقرّ رأينا على احتياطات ضرورية اقتضتها الحال ، فأشير على الدرك ان يحافظ على الامن دون ان يتعرّض الى احد ، وان يؤدّي التحية العسكرية عند مرور الجنازة .

ونُقل الجثمان من صوفر الى بيروت في حشد كبير ، وأراد بعضهم ان يجعلوا من المأتم تظاهرة سياسية ضد العهد ، دون ان تردعهم حُرمةُ الموت !

وساعد على سير الامور سيراً طبيعياً حكمة السلطات التي شاءت ان لا تتدخل في شيء طوال الحفلة تحاشياً للاصطدام . وكانت الخطابات في المدفن معتدلة إلا الكلمة التي لفظها المطران بولس عقل ، فجاءت عنيفة لا تلائم المقام ، ولا تراعي الكرامات على اختلاف اصحابها .

وانقضى النهار دون ان يختلّ الامن .

تشكيل الوزارة :

خير تدبير كان في تلك الظروف ان اعهد الى رياض الصلح بتشكيل الوزارة الجديدة ، فكلّفته وابتدأ استشاراته ، ثم صدرت المراسيم باسماء الوزراء وهم : جبران النحاس ومجيد ارسلان وحسين العويني وشارل حلو وفيليب تقلا وأحمد الاسعد والدكتور رئيف ابي اللمع والدكتور الياس الخوري وبهيج تقي الدين [١] . وعُيّن باسيل طراد عضو المجلس الاعلى للمصالح المشتركة اميناً عاماً لوزارة التموين .

(١) – انظر جدول الوزارات في قسم الوثائق .

وقبل ان تتقدّم الوزارة الجديدة بطلب الثقة تعكّر جو المجلس فسعينا السعي الحثيث لتخفيف حملة المستوزرين الناقمين ، وتأمنت الاكثرية النيابية في جلسة السبت ١٥ من تشرين الاول .

وقفلت الدورة الاستثنائية لتفتح الدورة العادية بعد اسبوع، فيُنتخب رئيس المجلس وهيأة المكتب ويُبدأ درس الموازنة .

مشروع الهلال الخصيب ايضاً وابضاً :

عادت الى البحث مسألة الهلال الخصيب فدعوت وزراء الولايات المتحدة وانكلترة وفرنسا وطلبت منهم ان يتصلوا بحكوماتهم ويطلعوها على رأينا في هذه المسألة الخطيرة ويعودوا الينا بالجواب .

وفي ١٣ من تشرين الاول استقبلتُ وزير فرنسا المفوض يحمل اليّ جواباً برقياً من باريس فحواه ان الحكومة الفرنسية متفقة معنا على إبقاء الوضع الراهن في الشرق العربي على حاله ، وعلى المحافظة على استقلال لبنان وسلامة اراضيه ، وأنها تستعين بالطرق الدبلوماسية لتأمين ذلك كله ، وهي تطلب منا مداومة الاتصال بهـــا . فاعطيتُ الوزير جميع المعلومات التي لديّ عن الموضوع وشكرتُه وكلّفته ان يشكر حكومته على موقفها هذا المتلائم مع موقفنا ومع ضرورات الحال .

وتأخر جواب الولايات المتحدة الاميركية وجواب انكلترة . . .

اما الحكومة المصرية فأخذت عدّتها لمقاومة مشروع الهلال الخصيب ومشروع اتحاد العراق وسورية . واتصل وزيرنا المفوض في القاهرة برئيس الوزارة المصرية وأبلغه رأي لبنان فيهما، فكان الرئيس والوزير متفقين اتفاقاً تاماً في هذا الصدد .

المعارضة تسعى الى تدخيل الجامعة العربية في شؤون لبنان :

افتتحت الدورة العادية للجامعة العربية في السابع عشر من تشرين

الاول وعُيّن وفدنا اليها برئاسة رئيس الوزارة وعضوية وزير الخارجية وامينها العام ووزيرنا المفوّض في القاهرة ، وسافر الوفد ووافانا بالاخبار الاولى وهي غير مطمئنة ، الا ان مصر اقترحت ضماناً مشتركاً بين الدول العربية لتقف دون الاتفاق الثنائي المنتظر بين دمشق وبغداد . وقبل البت بالامر دعونا وزير خارجيتنا للمشاورة في مبدأ هذا الضمان وفي فروعه .

وجاءتنا الانباء المزعجة من دمشق تنذر بان الجوّ قاتم هناك .

وسعت المعارضة اللبنانية للحطّ من كرامة الحكومة اللبنانية فطيّرت برقية الى جامعة الدول العربية تحتج فيها على الاوضاع القائمة في لبنان ، زاعمة انها غير شرعية ولا تقيّد لبنان ! ولم يُسمح بارسال البرقية لما فيها من تجاوز حتى ان صحفاً موالية للمعارضة انتقدتها انتقاداً قاسياً وعدّتها عملاً لا يتفق مع اللياقة ، ناهيك بأنه يُضعف مركز لبنان عربياً ودولياً .

وصل وزير خارجيتنا الى لبنان في الخامس والعشرين من تشرين الاول للتشاور في مشروع الضمان الجماعي الذي اقترحته حكومة القاهرة في افتتاح دورة الجامعة . وقد استقبلت وزيرنا استقبالاً طويلاً وأشبعت معه الاقتراح درساً ، ثم دعوت مجلس الوزراء للاجتماع ودعونا اليه ايضاً رئيس المجلس النيابي ورئيس اللجنة الخارجية ومقرّرها ووزيرَي الخارجية السابقَين . وعرضنا الحالة من جميع وجوهها وقرّر المجتمعون تأييد ما قام به وفدنا في مباحثات الضمان الجماعي وأظهروا رغبتهم في ان تُزاد على الاتفاق الجديد المقترح فقرةٌ صريحة تتعلق بالتعاون الاقتصادي بين دول الجامعة ، فأقرّ مجلس الوزراء هذه الفقرة وزوّد وزير الخارجية بالتعليمات الاخيرة ليبلّغها رئيس وفدنا .

وكان لهذا العمل اثره الطيب ، كما ان رجوع وزيرنا الى مصر مزوّداً

بوجوب تأييد الضمان الجماعي وتوسيعه اقتصادياً كان له احسن وقع في اوساط الجامعة عامة والاوساط المصرية خاصة ، وقد اشترك لبنان هذه المرّة ايضاً مشاركة فعالة في تمتين هذه المؤسسة .

اما ما سوف يُسفر عنه الضمان الجماعي ففي طيّ الغيب، وهو رهن بنيّة الدول العربية الكبرى وبصدق عزمها على التقيّد به وتنفيذه .

ان ما عملته الحكومة في استشارتها الشخصيات التي ذكرتها قد أرضى الاكثرية الساحقة من المهتمين بالشؤون السياسية ، ولم يُرضِ كميل شمعون الذي تولّى قيادة « لجنة احزاب المعارضة » ، فأصدر بياناً طعن فيه على « الصحف المأجورة » – على زعمه ، وهو يريد الصحف التي انتقدت لجنة الاحزاب تلك – ثم طعن فيه « المعارضة المزيّفة » – وهو يقصد المعارضة التي لم تنضم الى لجنته – . وقد سكتت الحكومة عن هذا البيان ، ولكن لهجته بلبلت صفوف المعارضين وفي مقدمتهم عبد الحميد كرامي وألفرد نقاش وعمر بيهم . ولم يرضَ هؤلاء عن بيان شمعون ولكنهم لم يستنكروه علناً لئلا ينفردوا عن رفقائهم فتبدو المعارضة مقسّمة ضعيفة، ورأوا ان يبتعدوا شخصياً عن الميدان ليتركوا لكميل شمعون وحده مسؤولية العمل .

عودة وفد لبنان من القاهرة :

عاد وفدنا من القاهرة في ٢ من تشرين الثاني واستقبلته فوراً ، وعرضنا قضية الضمان الجماعي والاقتصادي ، فوجدنا اهمّ ما كان منها ان الجامعة انتدبت لجنةً من اعضائها لتقرير فروع هذا المشروع على ان تجتمع اللجنة قبل العاشر من الشهر .

ثم تطرّق حديثنا الى الحالة الداخلية والى ضرورة استعادة هيبة الحكم بممارسة الاحكام ممارسةً حازمة وجدّية ، ضد مثيري الشغب ، وبعدم محاباة احد .

ازمة بين رئيس الوزارة ووزير العدل :

لم يرض شارل حلو وزير العدل عن اطلاق النار في المطار والساحات العامة احتفاءً بعودة رئيس الوزارة من القاهرة فاستقال من منصبه إظهاراً لاستيائه . ونصحتُ له بالتريّث وأقنعت رياضاً بضرورة الملاحقات القانونية وتوقيف مطلقي النار لعل الازمة تُحلّ ، فانتصح الاثنان . وفي اليوم الثاني [١] صدرت مذكرات التوقيف والاحضار ولكنها ظلّت بدون تنفيذ الى منتصف الشهر ، فأعاد وزير العدل الكرّة واستقال . فجمعته ورياض الصلح وفيليب تقلا واستأخرناه وبقي مصرّاً ، وقلت له انني غير مقتنع بصحة عمله في هذا الظرف ، وان استقالته ستسبّب لنا جميعاً متاعب جمّة، وتركته دون ان يتخذ قراراً نهائياً . ولم تُحلّ الازمة الا في العشرين من تشرين الثاني بعد ان أُوقف بعض مطلقي النار ولاذ الآخرون بالفرار .

عنايتي بالمطار :

سارت اشغال المطار بسرعة وكنت الاحظها بنفسي ، وطالما تفقدّتها وشجّعت القائمين بها وأسديتُ اليهم المساعدات لتنفيذ الاستملاك وشقّ البولفار وتسهيل المعاملات المالية والادارية ، وأملي كبير بان هذا المطار سيصير بعد قليل مطاراً دولياً ، صالحاً لاستقبال الطائرات الكبرى .

وفاتان :

في ٤ من تشرين الثاني تُوفـّي عمر الداعوق وكانت تربطني به علائق ودية قديمة . فشخصتُ الى داره وقمت بواجب التعزية لاولاده وذويه . واقترحت على مجلس الوزراء إقامة مأتم رسمي له تقديراً للمناصب الكبرى التي شغلها، ولا سيما يوم الجلاء التركي عن بيروت اذ تولّى رئاسة الحكومة

---

(١) – ٣ من ت ٢

الموقتّة فيها[١] ، فوافق الوزراء على اقتراحي . ونزلت الى قاعة الجامع العمري وقت الصلاة على جثمانه ووقفتُ بجانب افراد عائلته اتقبّل معهم التعازي فكان لهذه المجابرة اثرها الطيب في اوساط كثيرة .

وتُوفـّي في اليوم عينه الاب نعمة الله مبارك [٢] بعد مرض طويل، وكنت قد ارسلتُ مَن عاده باسمي . وتمثلتُ في مأتمه . فانتهز سيادة شقيقه هذه الفرصة وطلب مقابلتي في زيارة شكر ولم يسعني الرفض . ان مرور الزمن في الشؤون السياسية اقصر منه في الشؤون القضائية ... واستقبلت المطران بحضور الوزير شارل حلو ولم يتنـاول الحديث الا مجاملات الحاضر دون الرجوع الى عواصف الماضي . وأخبرني المطران انه قبل زيارته لي قصد الى فرن الشباك وعاد والدتي وجرى له حديث ودّي مع اخوتي .

المعارضة داخل المجلس وخارجه :

بينما كان المجلس النيابي يتابع في دورته العادية درس المشاريع ويحرج الحكومة من حين الى آخر ، اخذ مجلس الوزراء يوالي اجتماعاته للاصلاح الداخلي، وبحث غير مرة في طلب حق إصدار المراسيم الاشتراعية لتنظيم الادارات العامة وشؤون التموين والاقتصاد الوطني ، وذلك لان تعديل القوانين بالطرق البرلمانية يحتاج الى وقت طويل، إلا ان الوزارة احجمت عن طلب حق التشريع خشية إحداث ازمـــة ، خصوصاً وان فئات المعارضة المؤتلفة وزّعت ردًّا على رسالتي الى الامة اللبنانية يوم تجديد الولاية جاء ضعيفاً في جوهره ولكنه أحدث بلبلة .

وانهالت الاسئلة على الحكومة في داخل المجلس واكثرها بامضاء كميل شمعون . وفي احدى الجلسات طلب كميل شمعون تلاوة سوآل قدمه في

---

(١) – اول ت ١ ١٩١٨

(٢) – اخو المطران اغناطيوس .

اليوم عينه ، فأجابه الرئيس ان « النظام الداخلي ينص على انه لا يُدرج اي سوآل في جدول الاعمال ما لم يكن قد ورد قبل اربع وعشرين ساعه للمجلس » . ووقف رياض الصلح وقال : « ليعترف معالي كميل بك شمعون بشرعية هذا المجلس وبشرعية الحكومة لنجيبه على سوآله هذا . انا لا افهم كيف ان معاليه يطعن بشرعية هذا المجلس ثم يأتي ويقبض معاشه كل شهر . « يعدّدُ اياماً ويقبض راتباً !.. » [١]

وسكت كميل شمعون ولم يردّ على هذا التعنيف القاسي !

ثم أعدّ الوزراء بعض المشاريع للتنظيم الاداري والعدلي للشؤون الانشائية وأحيلت الى المجلس ، فعزّزت شأن الحكومة بعض التعزيز في الرأي العام .

وفي تلك الفترة ، اي في النصف الآخر من تشرين الثاني بحث مجلس الوزراء موضوع الضمان الجماعي مرة جديدة، وكان في رأس جدول اعمال الجامعـــة العربية ، فصدّق على الخطط التي وضعتها وزارة خارجيتنا ، ولكن مفوضيتنا في القاهرة ابرقت الينا بان اتجاه اعضاء الجامعة يخالف رأينا في الضمان الاقتصادي . فتشبّث مجلس الوزراء بمـــا قرّره وأرسل التعليمات اللازمة بهذا الشأن .

وصمّم رئيس الوزارة الردّ في المجلس على اعتساف المعارضة وتطاولها على مقام الرئاسة وعلى المجلس وعلى سياسة الحكومة عامة .

وأعدّ رياض ردّه وتلاه في مجلس الوزراء فوافق جميع زملائه عليه .

وانعقد المجلس النيابي في اول كانون الاول ودارت مناقشات مهمة وطالت الجلسة حتى عُدّت من اطول الجلسات . ولم تكن الوزارة موفقة في القسم الاول من الجلسة لعدم الاستعداد الكافي لشتى عناصر المفاجأة في الهجوم ، ولكنها لم تلبث ان بـــدت اكثر توفيقاً في القسم الثاني

---

(١) محضر جلسة ١٤ من تشرين الثاني ، ص ٢٦

فدحضت التهم المنسوبة الى الوزراء والى المجلس . وسادت الفوضى في البحث واختلط الحابل بالنابل . ولما نوقش في الضمان الجماعي تغلب منطق وزير الخارجية على انتقاد كميل شمعون وعلت كفّة الحكومة . ولوحظ ان رياض الصلح لم يكن في احسن ايامه في مجمل المناقشات ، وعيّب المنصفون تساهله مع كمال جنبلاط عندما تعرّض لمقام الرئاسة . وكذلك « انسبق » في تصريحين ، فأكّد في اولهما ان المجلس لن يُحل ، وقال في الثاني انه قد يكون هو السابق الى نقض الميثاق الوطني فيما اذا كان النائب الماروني كميل شمعون يسعى الى نقضه . . . كذلك لم يكن من الحكمة في شيء ان يحتكم رئيس وزارة الى الشارع في مثل هذا الظرف ! (١)

وانصرف مجلس الوزراء بعد تلك الحوادث المؤسفة الى درس المشروع الانشائي فأقرّه مبدئياً على ان يعيد وزيرا المال والاشغال العامة النظر فيه بإشرافي . وقد استقبلتُ الوزيرين وتابعنا العمل في المشروع المذكور حتى وُضع النص النهائي ، وأحيل الى المجلس النيابي .

مخالفة اتفاق القمح واتفاق النقد :

منعت حكومة دمشق إخراج القمح من اراضيها الى لبنان على رغم من صراحة الاتفاق المعقود بين البلدين ، واستنكفت وزارة المال فيها عن تنفيذ الاتفاق المتعلق بالاربعة واربعين مليون ليرة سورية التي دخلت الخزانة اللبنانية يوم استبدلنا النقد المتداوَل ، فعالج مجلس الوزراء هاتين المخالفتين من اخواننا حكام سورية وقرّر فتح ميناء بيروت لاستيراد القمح والدقيق من الخارج دون استيفاء اي رسم جمركي عليهما . واما عدم تنفيذ اتفاق النقد فبعثت وزارة الخارجية باحتجاج الى زميلتها في دمشق ، واستقبل الرأي العام هذه التدابير بالارتياح .

وصادفت الحكومة فوزاً على المعارضة يوم تدشين مطار القليعات .

(١) – محضر جلسة اول كانون الاول ، ص ١٠٨

وقد منعتني حالتي الصحية من رئاسة الحفلة فانتدبتُ رياض الصلح اليها فلقي حفاوة بالغة في مدينة طرابلس معقل المعارضة ، وكذلك في ارض المطار حيث توافدت الالوف من اهالي المدينة والمنطقة الشمالية للترحيب برجال الدولة وحضور الحفلة . ثم دشّن رياض المصفاة الجديدة في محلة الطعطور ولم تقل حفلتها حفاوة عن الحفلة الاولى ، فعاد رئيس الوزارة وعلامات الحبور بادية على وجهه .

ازمة وسام مع التشريفات الملكية المصرية :

بلغني ان في نية ملك مصر ايفاد بعثة لاهدائي الوشاح الاكبر لوسام محمد علي الكبير – في حين ان القلادة هي التي تُهدى الى الملوك ورؤساء الدول لانها فوق الوشاح مرتبة – فأبرقت وزارة الخارجية الى وزيرنا المفوض في القاهرة تقول له :

« ... بعد المذاكرة مع فخامة الرئيس ودولة رياض بك . نرى ان تقابلوا رئيس الديوان الملكي وتبينوا له الحيف المعنوي الكبير الذي يلحق بمقام رئاسة الدولة اللبنانية من جراء وضعها في مرتبة لا تليق بها ، خصوصاً وان البروتوكول المصري وكتاب المراسم يؤيدان صراحة وجهة نظرنا . لا بأس ان تفهموه بلباقة اننا لا نستطيع قبول الوشاح الاكبر في اية حالة ، وكرامة الدولة تأتي عندنا قبل اي اعتبار آخر . اذا لم تنجح المساعي نرى تأجيل مجيء البعثة الى ان يسوى الامر على مذهبنا . فان تعذر نهائياً يجب صرف النظر عن الوسام مع المحافظة على احسن علاقات الود والصداقة، الخ ... » اه.

قلت : أضف الى ذلك ان الوسام المصري يأتي مبادلةً متأخرة للوسام الاعلى الذي اهديناه الى ملك مصر عام ١٩٤٤ .

فكان ان الوسام المصري لم يُهدَ ، ولم تحضر البعثة !

وساطة للمعارضة :

قابلني شارل حلو وهنري فرعون وقالا لي ان المعارضين لا يستهدفون

الرئاسة الاولى بمعارضتهم ، وان مقترحاتهم تنحصر في طلب الاصلاح . فرحّبت بالفكرة ، ويقيني ان المسعى لن يسفر عن شيء عملي سوى إضعاف الحكومة . وقد صدق ظني اذ استعجل اركان المعارضة فضح الوساطة واستنكارها (!) في مقال رئيسي في جريدة « النهار » فوقفت المساعي حالاً .

توقيف صاحب « الاوريان » واستقالة وزير العدل :

حملت جريدة « الاوريان » على فيليب تقلا وزير الخارجية ونسبت اليه خيانة المصالح اللبنانية في التوقيع على اتفاق القمح الاخير ، فتقدّم فيليب تقلا بدعوى شخصية على جورج نقاش صاحب الجريدة أحالها رئيس الوزارة الى وزارة العدل ، وأحالها شارل حلو وزير العدل نفسه الى النيابة العامة ، وما ان تسلّم المستنطق الشكوى حتى أصدر مذكرة بتوقيف جورج نقاش ، فأوقف حالاً دون استشارة وزير العدل . والامر هنا معنوي اكثر منه قانوني ، لانه يستحسن في قضية صحفية ان لا يوقف صحفي دون الرجوع الى وزير العدل . وقد تمّ ذلك التدبير ولم يكن للرئاسة ولا لرئاسة الوزارة اي علم به .

وطلب شارل حلو مقابلتي في الدقيقة التي بلغه فيها التوقيف، وقابلني محتجاً عليه، فقلت له بحضور رياض الصلح : « الحقّ معك ، وانا ورئيس الوزارة متّفقان على قبول اقتراحك أية عقوبة ضد الموظفين الذين يرتبطون بوزارتك ، وقد عملوا هذا العمل » . ففكّر قليلاً وقال : « يخطىء النائب العام اذا كان يعتقد انه دولة ضمن الدولة » .

وودّعنا شارل حلو وانصرف .

وظننت ان الحادث قد انتهى، وان الوزير سيوجّه الى النائب العام لوماً شديداً، أو انه يعطيه امراً كي يوافق على طلب إخلاء السبيل الذي

قدّمه جورج نقاش . ولكن الوزير لم يفعل ما قد حسبته فاعلاً ، وفوجئتُ في الخامس عشر من كانون الاول ، وفي الصباح الباكر ، بكتاب استقالته مشفوعاً برسالة اليّ يقول فيها ان كرامته لا تسمح له بالبقاء في الوزارة .

وكان رئيس الوزارة غائباً يومها في منطقة صيدا فوضعتُ الكتابين في الدرج حتى عودته ، وبعد قليل بلغني ان وزير العدل عقد في مكتبه بالسراية مؤتمراً صحفياً لتبيان اسباب استقالته . فدهشتُ دهشةً كبيرة ودعوت شارل حلو ولمته ، لا على استقالته ، بل على الطريقة التي لجأ اليها قبل ان يتصل بي ، ورددتُ على ذلك بان جورج نقاش قد أُخلي سبيله في الوقت الذي كان هو يعقد فيه مؤتمره الصحفي . فأظهر الوزير اسفه لكدري وقال لي : « ان جورج نقاش خصمي ولكن ملاحقته وتوقيفه مسّا كرامتي ، ولذلك قدّمتُ استقالتي . وقد اكون على خطأ بعقد المؤتمر الصحفي فأقدّم عذري ! »

ورجع رئيس الوزارة الى بيروت فدعوته وأطلعته على ما كان، وصدر المرسوم بقبول استقالة وزير العدل .

انقلاب ثالث في سورية :

قبل ان تنقضي تسعة اشهر على كلا الانقلابين اللذين قام بهما بعض ضباط الجيش السوري ، وفي الواحد والعشرين من كانون الاول ، تمّ انقلاب عسكري ثالث في دمشق اسفر في الظاهر عن تنحية القائد سامي الحناوي ، ولكنه في الواقع كان اعمق غوراً ، وقد هدف الى عرقلة المساعي للاتحاد بين سورية والعراق ومنع رئيس الدولة من حلف يمين يتضمن هذه العبارة : « وأعمل لوحدة الاقطار العربية » .

وبقي هاشم الاتاسي رئيس الدولة ورشدي كيخيا رئيس الجمعية التأسيسية متشبّثَين بوجوب تأدية هذا القسَم بحرفيته ، ولكن جلسة

اليمين أُرجئت الى ما بعد يومين ، فاذا لم يقع حادث مفاجىء يكون الانقلاب قد اخطأ هدفه الاول، اي اداء اليمين .

ان حكومتي القاهرة والرياض تتبّعان تطوّر الاحداث السياسية في القطر الشقيق بكثير من الاهتمام . وقد اوفد البلاط المصري ضابطين مرّا ببيروت الى دمشق لاستطلاع الحالة فيها .

اما حكومة لبنان فلا تعرف من يجب مخاطبته من المسؤولين السوريين في الظرف الراهن !

ولا يزال تصدير القمح السوري ومشتقاته ممنوعاً منعاً باتاً . وقد سلّمني القائم باعمال مفوضيتنا في جدّة رسالة خطية من الملك عبد العزيز يقول فيها انه مستعد لخدمة لبنان في حل هذا الخلاف ، ولتحسين العلائق بيننا وبين جارتنا . وهـذا جل مبتغانا ، ولكن ما العمل ونحن نصطدم بتعنّت كلما حاولنا الى التفاهم سبيلا .

ان بالنا مشغول بشؤون الانقلاب قبل كل شيء : فالجيش السوري مُصرّ على وجوب عدم حلف اليمين ، وهاشم الاتاسي ورشدي الكيخيا مصرّان على الحلف . وقد تأزّمت الحالة الى حدّ حمل الرئيس الاتاسي على الاستقالة لعـدم تمكنه من تأليف وزارة وفقاً لرغباته ، ورفضت الجمعية التأسيسية في ٢٧ من كانون الاول قبول الاستقالة باجماع الاصوات . وكُلّف خالد العظم تكراراً تأليف الوزارة ، ونجح بعد إخفاقه الاول لكنه يُخشى ان تضطر وزارته الى الاستقالة .

يدور على الالسن ان الرئيس شكري القوتلي دُعي او سيُدعى من الاسكندرية للعودة الى الحكم بسعي من الجيش، على ان يعد بعدم الانتقام من الذين اشتركوا في انقلاب حسني الزعيم ضدّه .

وفي نظري ان مجمل الاحداث يستبعد – ويا للاسف ! – هذا الاحتمال .

تصفية السنة بصفاء القلوب :

زارني ليلة الميلاد عبد الحميد كرامي فرحّبتُ به واستقبلته بالكثير من اللطف ، وتبادلنا احاديث الود ، ووجدته لا يزال على رأيه بضرورة حل المجلس . ثم ألمّت به وعكة صحية فأوفدتُ من يعوده باسمي وكان ممتنّا .

أرسلت ايضاً من يعود المطران مبارك الذي أصيب بداء عصبي في المفاصل، فأبدى شكره وارتياحه واظهر للرسول تعلّقه بالميثاق الوطني ونبذه فكرة الوطن المسيحي في لبنان والوطن اليهودي في فلسطين .

ما من امنيةٍ اعزّ على قلبي من جمع الصفوف ، فعسى ان تصفو النيّات عند المعارضين ليروني مستعداً لكل تضحية في سبيل التفاهم الوطني !

قررنا زيارة البطريرك عريضه بين عيدَي الميلاد ورأس السنة وفقاً للتقليد الذي انقطع من سنتين بسبب تعيين اللجنة الرسولية (١) . وقـد داوى الوقت الجراح ، وصفا الجو بين البطريرك من جهة وبين السفير البابوي واللجنة الرسولية من جهة اخرى . وما ان انجلت الغمامة حتى أعادتُ الحالة الى سابق عهدها فاقترنت زيارتي بتناول الغـداء على المائدة البطريركية ومعي رئيس الوزارة والوزراء ولفيف من المطارنة وبعض الوجوه . وصدحت موسيقى الدرك في مدخـل غرفة الطعام وتبادلنا والبطريرك الانخاب الودية في القاعة الكبرى . ورحّب شيخ بكركي برئيس الجمهورية وصحبه ترحيباً حاراً .

واختتمت السنة في جوٍّ صافٍ فشكرت المولى عزّ وجل على عنايته التي حفظت وتحفظ لبنان على الرغم من مشاكل عديدة ، فاستقر وضعه الدستوري استقراراً يغبطه عليه اخوانه وجيرانه .

---

(١) – راجع : ص ١١٥

١٩٥٠

رأس السنة والمولد النبوي :

وقع رأس السنة والمولد النبوي في يوم واحد فدعت الحكومة الى استقبال في السراية الكبيرة حفل بالمهنئين وامتاز بوفرتهم . ونزلتُ بعد نهايتها الى الجامع الكبير فهنأت الطائفة الاسلامية بعيد المولد واستمعت الى مفتي الجمهورية في خطاب ألقاه تكريماً للرئيس وللحكومة وصفقت له الجموع الغفيرة المكتظة في الباحات والشوارع تأييداً للعهد الحاضر . وألقى ايضاً قاضي بيروت خطاباً بالمعنى نفسه . وأجبتُ على الخطابين بكلمة أثرتُ فيها ذكريات الجلاء وذكرى المولد النبوي فأثيرت حماسة الجماهير وضجّ المكان بالهتاف .

وفي الثاني من كانون الثاني أقام رئيس الوزارة حفلة استقبال فخمة في النادي العسكري تكريماً للعيدين فحضرتها وأظهرتُ فيها عناية خاصة بالهيئة السياسية الاجنبية .

حملة الهرمل :

قرّرت القيادة العسكرية إرسال حملة الى الهرمل لاعادة هيبة الحكم

الى تلك المنطقة النائية ، وللاحقة المطلوبين قضائياً من عشيرة الدنادشة والعشائر الاخرى . ووصلت الحملة في ١٢ من كانون الثاني واستُقبلت بحفاوة . وعسى ان تُتمّ عملها لان الامل بمصالحة عشائرية بين اهالي راس بعلبك والعشائر قد انقطع تماماً بعد الموقف السلبي الذي وقفه منها بعض وجوه الطائفة الكاثوليكية ، وقد أصبح القولُ الفصل للقضاء دون سواه .

العفو عن بعض الجرائم :

قانون العفو الاخير اعطى الحكومة حقّ إصدار مراسيم بالعفو الشامل عن الجرائم المخلّة بامن الدولة، كالتعدّي على افراد الجيش وافراد الدرك ، وكمقتل كامل الحسين ، وسواها من مثل هذه الجرائم ، على ان تصدر المراسيم عن مجلس الوزراء . واقترح رئيس الحكومة مشروع عفو عن بعضها فجاراه مجلس الوزراء وصدرت المراسيم بذلك .

استقبالات الرئاسة (١٥ و ٢٠ من ك ٢) :

رست في ميناء بيروت الدارعة « ليفربول » وعليها الكونت مونتباتن[١] القائد الاعلى للاسطول البريطاني ، ونزل الكونت الى اليابسة وقام بالزيارات الرسمية المألوفة . فدعوته مع اركان حربه الى الغداء ورأيت فيه الرجل النبيل الذي يبدو في منتهى البساطة ككبار القوم وأبناء البيوتات الكبيرة عادة . ودعاني بدوره الى الغداء على الدارعة ولبّيتُ، واستُقبلت بالتحية العسكرية وعرض حرس الشرف واطلاق المدافع . وجاوزت الحفاوة المراسم الرسمية الى التكريم الشخصي فاحاطني به القائد العام للاسطول وعمل الضباط عمله .

(١) — من العترة المالكة في انكلترة وابن عم الملك جورج السادس ، وآخر انكليزي تولى نيابة الملك في الهند ، وهو الذي اعلن استقلالها مع بقائها في اسرة الكومونولث .

وأقمتُ حفلة استقبال اخرى على شرف الدكتور پاستور ڤاليري رادو احد اساتذة مدرسة الطب في باريس وحفيد العالم پاستور الشهير ودعوته الى الغداء وقلّدته وساماً تقديراً لعلمه .

ولا شك ان مثل هذه الاستقبالات تمتّن علائق لبنان الدولية .

زيارة كبار الضباط السوريين :

تألفت الوزارة السورية بعد الانقلاب الثالث الذي اشرنا اليه ولم يُمنع رئيس الدولة والنواب من حلف اليمين التي تتضمن صيغتها « السعي لتحقيق الوحدة العربية » . وقد أدّوها في بدء هذا العام .

وسافرت على الاثر بعثة من كبار الضباط السوريين الى مصر والمملكة السعودية لتطمين حكامها الى ان أداء اليمين على الشكل المذكور لا يبدل شيئاً في علائق سورية بهاتين المملكتين . وبعـــد عودة البعثة الى دمشق اتصلت القيادة السورية بالزعيم الاول فوآد شهاب وطلبت منه ان يهيء زيارة للبعثة عينها في لبنان ، فأعدّ لها المطلوب . ووصلت البعثة الى بيروت في ١٧ من كانون الثاني وهي مؤلفة من صاحب الانقلاب الحقيقي اديب الشيشكلي ومن رفيقيه العقيد عبد الحفيظ والزعيم شوكت شقير من اركان الجيش السوري . وهذا الاخير لبناني الاصل وضابط سابق في الجيش اللبناني .

استقبلتُ البعثة استقبالاً لائقاً بها . واقتصرت الاحاديث على ضرورة التعاون بين الجمهوريتين من الوجهة العسكرية ، ومنع المتآمرين على الوضع الجمهوري السوري من إبراز نشاطهم في بيروت ، وذلك لان بعض العاملين لوحدة سورية والعراق قد لجأوا الى لبنان . ووعد الوفد بدوره بأن يحدّ من نشاط الحزب القومي السوري ضد لبنان والقائمين على الامر فيه، وقد أقسم لي العقيد الشيشكلي بشرفه العسكري انه غير منتمٍ الى هذا

الحزب ، وان المساعدات التي قدّمها له سابقاً قد فُرض عليه تقديمها بأمر من حسني الزعيم ... وانتهزت الفرصة لأسأل زائريَّ عن تجهيز الجيش السوري وتنظيمه تنظيماً حديثاً ، وأشرت الى فائدة التعاون مع الجيش اللبناني . ثم تطرّق الحديث الى اتصال بعثتهم بحكومتَي مصر والمملكة السعودية فأجاب العقيد الشيشكلي بانه ورفيقيه عادوا مسرورين من اتصالهم بهما ، ولم يزد . وظهر لي من اقتضاب الجواب ان النتائج لم تكن وفقاً لرغباتهم .

وزار الوفد رئيس الوزارة ووزير الدفاع والقائد العام . وتناول الغداء بدعوة من العقيد سالم باسم الجيش اللبناني في فندق النورمندي ، واتصل بعض الصحافيين بالضباط الضيوف فأظهر هؤلاء تحفّظاً بالغاً .

شؤون عربية :

يشاع ويذاع في هـــذه الآونة ان مفاوضاتٍ للصلح دائرة بين الملك عبدالله واسرائيل ، فأقلقت تلك الاخبار بال الحكومة ودعوتُ وزيرَي اميركا وانكلترة المفوضين الى القصر وأفضيت اليهما بما يساورنا من جزع، وشدّدتُ عليهما في ضرورة درء خطر التعدي على الحـــدود اللبنانية ، فأعطياني تطمينات بهذا الشأن وأكّدا لي ان المفاوضات الدائرة مع الملك عبدالله تقتصر على مسائل القدس دون سواها .

اما المباحثات المصرية العراقية فهي تستهدف مبـــدأ اتحاد سورية والعراق، ويتولاها وزير خارجية بغداد مع الوزارة الخارجية في القاهرة . والذي علمناه ان المبدأ المذكور قد اصطدم برفض حكومة مصر له لانها تصرّ على المحافظة على استقلال سورية بوضعها الجمهوري . فعاد الوفد العراقي دون نتيجة .

وحدت هذه المباحثات كثيرين من السوريين الى ان يوجّهوا انظارهم الى شكري بك القوتلي فسافر وفد منهم الى الاسكندرية لاقناعه بالرجوع الى

دمشق ، وكاد الوفد ان يُفلح في مهمته ، وحجّته الكبرى ان الاستقرار مفقود ولا يعود الا بعودة الرئيس السابق . ولكن شكري بك أحجم في آخر دقيقة لان خالداً العظم رئيس الوزارة صرح ان الموفدين الذين ذهبوا الى الاسكندرية لا يمثّلون سوى انفسهم !

لا تزال الغيوم متلبّدة في افق السياسة العربية ، وها هي الوزارة العراقية تقدم استقالتها بسبب فشلها في حقل هذه السياسة، ولا سيا بعد ان سافر رئيسها الباجه جي الى القاهرة لينقّي الجو بينها وبين بغداد باستبعاد مشروع الاتحاد السوري العراقي ولم ينجح .

وتناول المجلس النيابي بحث السياسة العربية في جلسة ١٣ من شباط، وخطب حميد فرنجيه وكان صريحاً جداً الى درجة قد تكون اساءت الى بعضهم ... ومما قاله ان لبنان لن يبقى على حياده تجاه الدول العربية فيما إذا هُدّد استقلاله ، وان مصلحة العرب مفضّلة عندنا على مصالح سواهم اية كانت ، اما اذا اصطدمت مصلحتهم بنا فنؤثر مصلحتنا على الجميع . وقال ان سورية لا تسير على خطة مثلى بحق لبنان ، خصوصاً وهي في حالة ضعف وعدم استقرار . وطلب اخيراً ان يتم تمثيل دبلوماسي بين الحكومتين اللبنانية والسورية للوقوف على الحالة الحقيقية عند جيراننا في هذه الايام الصعبة .

ومما زاد في الطين بِلّة تذمّر التجار والصناعيّين اللبنانيين من معاملة سورية . ناهيك بالقرار الذي اتخذته حكومة دمشق بانشاء مرفأ في اللاذقية يزاحم مرفأ بيروت، وتصريح مسؤوليها بالانفصال الجمركي عن لبنان كلما سنحت لهم الفرصة بذلك . وقد ساء الحكومة اللبنانية ان خالداً العظم رئيس الوزارة السورية زار اللاذقية وطاف في مينائها ومرّ في لبنان بطريق عودته وتوقف في شتورة لتناول الغداء دون ان يعرّج على بيروت، لياقة على الاقل ! ولم يمنع تصرّفه شرطتنا من مواكبته رسمياً عبر الاراضي اللبنانية، قياماً بواجب الضيافة وللمحافظة على راحة هذا الضيف الاشبه بالطيف .

وفي هذه الازمات التي نعانيها نرى الدول العربية واقفة، ويا للاسف، مكتوفة الايدي كأن المسألة لا تعنيها ، بل انها تعطي جيراننا تسهيلات مختلفة من اتفاقات تجارية وقروض مالية دون ان تُفهمهم وجوب تعديل سياستهم الاقتصادية مع لبنان .

في ٢٧ من شباط اقامت الحكومة دعوى على صاحب جريدة « النهار » لنشره تصريحاً للنائب الدمشقي عصام محايري القومي السوري على اثر إصدار المحقق اللبناني مذكرة باحضاره . وقد احيل صاحب « النهار » الى المحكمة .

عبد الحميد كرامي تسوء صحته :

ساءت صحة عبد الحميد كرامي ، فأشار عليه الاطباء بالسفر الى لوندرة لاجراء عملية جراحية ، وقد آلمني هذا التطوّر المفاجىء في المرض فدعوت طبيبه الدكتور يوسف حتي واستطلعته حقيقة الامر ، وشجّعته على ان يرافق المريض العزيز الى عاصمة الانكليز ، فأظهر كل استعداد حسن . وأوفدت من عاد عبد الحميد من قِبلي ثم ودّعه في المطار مندوبو رئاسة الجمهورية ورئاسة المجلس النيابي ورئاسة الوزارة . وأعطيت جميع التعليمات اللازمة لتسهيل سفره وسفر ذويه ، وأرفقته باصدق الدعاء .

المعارضة تتصل بخارج لبنان :

وصلنا الى الخامس عشر من شباط والموازنة لم تزل قيد الدرس في المجلس ، وقد نصل الى الدورة العادية في منتصف اذار ولما يُصدّق عليها . وعرضت موازنة الرئاسة واراد كمال جنبلاط ان ينقص اعتماداتها — في حين انها ضرورية ومقنّنة — فاصطدم باجماع المجلس وأُقرّت موازنة الرئاسة كما وردت .

ودار البحث حول التظاهرات الشيوعية التي جرت في اوائل شباط

وقمعتها الشرطة بالقوة . واعترض بعض النواب على التدابير التي استعملت ! فدافع رئيس الوزارة عن الشرطة لانها قامت بواجبها وختم كلامه بقوله : « ان المحافظة على الامن لا تدل على انحياز الحكومة ، وان الوزارة تعلن حيادها التام بين الشرق والغرب . »

المعارضة لا تني . وحملات الصحف متواصلة . والاحكام على الصحفيين خفيفة . بل ان صاحب « النهار » قد بُرّىء من دعوى أقيمت عليه بمادة التعرض للجيش !

سافر كميل شمعون فجأة الى بغداد معرّجاً على عمـــان ، ويقال انه يؤيّد الاتحاد السوري – العراقي ! والذي يراه المراقبون ان اعماله السياسية امتدّت الى خارج لبنان . ورمت الكتلة الوطنية على غِراره ووسّعت نطاق عملها بالتقرب من الملك عبدالله (صاحب مشروع سورية الكبرى !) وهي تدفع الى إضعاف الرئاسة والحكومة .

هذا ، والايام تمضي سراعاً لا يوقفها احـــد ، الثانية تلو الثانية ، والدقيقة تلو الدقيقة، فلا تدري إلا انك بلغت الاسبوع فالشهر فالسنة . حلقات صغيرة لا تنفصل ولا تنقطع، والعمر بيد الله . تتعاقب الحوادث فلا يسع المرء ان يُلقي مِرساته في الخضمّ . وعلى الانسان ان يُحدّد وضع نفسه من الاحداث .

ان الوضع الداخلي مُسمَّر على ما يظهر ، والاصلاح يصطدم بعقبات شتى ، منها عدم التجديد في اساليب الوزارة ، ومنها الصعوبة في هزّها هزاً عنيفاً او الاستغناء عنها بنزع الثقة . والموازنة لم تزل قيد الدرس . والمفاوضات جارية بـــين وزارة المال وبنك الاصدار لعقد قرض بأربعة وعشرين مليون ليرة تنفق على الاعمال الانشائية في بلدية بيروت . والمعارضة لا تنام . وليس من برهان قاطع على ان من يتوّلى الحكم بعد هذه الوزارة يصل الى نتائج حاسمة . إن العادات السيئة متأصلة في النفوس والشفاعات والوساطات تعكـّر على الحاكم وتُفقده اعلى ميزاته .

لا يزال لدى الدولة مشاريع كثيرة ، منها المشروع الانشائي لستّ سنوات ، والتنظيم القضائي الذي يقيم الحاكم الفرد مقام المحكمة ، وتعديل قانون الانتخاب – وهناك البكاء وصريف الاسنان – ان المعترك لعلى غاية الخطورة ، بين القائمة الكبرى والقائمة الصغرى ، وهذه تحدّ من سلطة اصحاب النفوذ الواسع في الانتخابات .

كأنه كلمة سر تهمس :

لا يجوز التفكير بحل المجلس وبعض المعارضة ينادي باللاشرعية .

ولمست تطوّراً جديداً في تصاريح بعض الوزراء وبعض كبار الموظفين، كأنّ هناك كلمة سرّ تُهمَس لإعداد الناس الى الظن بان الرئاسة مسؤولة عن كل عمل في الدولة في حين ان الرئاسة قد تكون على غير علم به . واذا عوتب الوزير او الموظف على عمل، نفض ثوبه وغسل يديه وأشار الى « فوق » ، كأنه يقول : « لا شأن لي بهذا فهو من المراجع العليا ، ولا حيلة لنا امام ارادتها ! » .

وهكذا أخذت تتحوَّل النقمة اليّ ، وانا لا يسعني ان ادافع عـــن نفسي ما دمتُ اجهل ما قيل ، ولا يليق بي ان ادخل جدلاً فيما اذا عرفتُه !

ومما خفـّف مرارة تفكيري في هذه الايام تصريح للمستر بيار دودج رئيس الجامعة الاميركية في بيروت سابقاً والمولـّج حالياً بشؤون اللاجئين، نقلته جريدة « العمل » عن جريدة نيويوركية ، وقد قال في تصريحه : « لا شك عندي في ان رئيس جمهورية لبنان رجل عظيم ، إنْ بذكائه ام بدهائه السياسي ، ولا خوف على لبنان ما دام هو رئيسه . »

ومع ان « لا نبيّ في بلده » فان كلام الرئيس دودج ، وهو حسن ظن بي ، لا يخلو مـــن تشجيع رجل مسؤول يلاقي صعوبات جمة في الحـــكم .

القطيعة الاقتصادية بين لبنان وسورية

في الثامن من اذار استقبل الوزير فيليب تقلا مديراً من وزارة الخارجية في دمشق وتناول منه مذكرة بامضاء خالد العظم رئيس الوزارة السورية يخيّر فيها لبنان بين وَحدة اقتصادية شاملة او انفصال تام يستتبع إلغاء المجلس الاعلى للمصالح المشتركة وتصفية هذه المصالح . ومطلوب من الحكومة اللبنانية ان تجيب على مذكرة خالد العظم قبل العشرين من اذار .

فعقدنا اجتماعاً اوّلياً لبحث هذا « الانذار ! » الخطير، وقررنا الاتصال ببعض ذوي الاختصاص، على ان نعقد مجلس وزراء في القريب العاجل لاتخاذ موقف حاسم ، مع العلم ان الوحدة الاقتصادية الشاملة هي غير موضوع بحث لدينا .

محاولة اغتيال رياض الصلح :

دار على الالسن ان مؤامرة تُدبّر في الخفاء لاغتيال رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة بسبب إعدام زعيم الحزب القومي السوري وبعض رفقائه

الذين حوكموا امام القضاء العسكري بسبب فتنتهم التي ذكرناها في ما تقدّم (١) . فاتخذت احتياطات في اول الامر ثم تُروخي في الاحتياط .

وفي ٩ من اذار دعي رئيس الوزارة الى حفلة في بيت الغلاييني في راس بيروت، وما ان نزل من السيارة حتى أطلق عليه احد الواقفين على الرصيف عدّة طلقات نارية اخطأته، والحمد لله، وفرّ الجاني، فتبعه مرافقو الرئيس وألقوا القبض عليه وعُرف انه من الحزب القومي السوري واسمه توفيق رافع حمدان من عين عنوب .

وعاد رياض الى مقام رئاسة الجمهورية على الفور وأنبأني بالحادث فكدت لا اصدّق .

وانتشر الخبر بسرعة البرق وشمل الاستياء جميع الاوساط . وتوافدت الناس من جميع الاحزاب والطوائف، وفي مقدمتهم شيخ العقل، على بيت رئيس الوزارة، تهنئه بالسلامة . واردت ان اظهر استيائي من الحادث وتقديري لرياض فزرته في داره وقابلني الجمهور بالهتاف والتصفيق .

واجتمع مجلس الوزراء مساء وقرر بعض اجراءات شديدة تضمن الامن الداخلي . وأحيلت دعوى الاعتداء على المجلس العدلي وبوشر التحقيق بسرعة .

الجواب على المذكرة السورية :

انعقد مجلس وزراء ثانٍ للاطلاع على الجواب الذي أعدّته وزارة الخارجية على مذكرة خالد العظم ، وفي الجواب عرض عام وملخّص تاريخي للعلائق الاقتصادية منذ نشأتها ، وهذا الجواب يفتح باب المفاوضة على غير اساس الوحدة الشاملة ، او القطيعة، ويقترح تعديل الاتفاقات المعمول

(١) — راجع : ص ٢٣٧ وما يليها .

بها بسبب نواقص فيها دلّ عليها الاختبار . والارجح ان دمشق سترفض البحث على هذا الشكل .

ونحن سائرون الى القطيعة حتماً ولكننا غير مسؤولين عنها .

اما الروح في البلاد فهي غير ما كانت عليه يوم الاتفاق النقدي مع فرنسا ، ففي فئات اللبنانيين إجماع على استنكار الطريقة التي لجأت اليها الوزارة العظمية بالانذار المرسل ، وعلى تقدير الموقف السليم الذي وقفته الحكومة اللبنانية وتقدير تساهلها اثناء قيام المصالح المشتركة .

إن ضميرنا لمرتاح ، ونرجو ان يزول هذا الوضع الشاذ ، خصوصاً وان جامعة الدول العربية تجتاز صعوبات داخلية وخارجية خانقة ، وقد جاءت هذه الازمة ضِغثاً على إبّالة .

اعلان القطيعة :

اعلنت سورية القطيعة قبل انتهاء المهلة ، وبطريقة غير مألوفة، عرفتها الحكومة اللبنانية من اذاعة دمشق في ١٥ من اذار ، وأمرت حكومة دمشق بمنع المسافرين والبضائع من اجتياز الحدود الى لبنان .

وجمعنا مجلس الوزراء حالاً وقرّرنا تقديم مشروع قانون معجّل باعطاء الحكومة حق اتخاذ مراسيم اشتراعية في جميع الشؤون الجمركية ، لنقابل الانفصال بحماية الاقتصاد اللبناني ونلغي الرسوم المفروضة على القمح ومشتقاته والالبان والمواد اللازمة للاعاشة . غير اننا لم نمنع المسافرين والبضائع من السفر الى سورية . واتخذنا جميع الاستعدادات لمجابهة الحالة .

وعقد رئيس الوزارة مؤتمراً صحفياً تلا فيه بياناً خطياً عما جرى ، وزاد عليه تعليقاً شفوياً ردّاً على بعض الاسئلة ، وارفقه بالوثائق المتبادلة بين العاصمتين تنويراً للرأي العام عن مدى تسامح حكومة لبنان وتعنت جارتها .

ودعوت قائد الجيش وبحثت معه بعض التدابير الضرورية لحماية الحدود من كل اعتداء ممكن . وسألته معلوماته عما يقال عن ان الحكومة الجارة اعترفت بالحزب القومي السوري ولمّا يمضِ اسبوع على محاولة احد اعضائه اغتيال رئيس حكومتنا .

اذا صح هذا النبأ كانت بادرة السلطة الدمشقية عملاً من الاعمال غير الودية نحونا .

هل هناك انفراج ؟

اقترب انعقاد الجامعة العربية في دورتها العادية ، وشاع ان الملك عبدالله مدّد الهدنة مع اسرائيل خمس سنوات مقدمةً لصلح دائم ، ولم يثبت الخبر . اما العلائق بين الدول العربية فلم تتحسن .

وفي هذا الظرف الراهن اتصل خالد العظم برئيس حكومتنا (١) راغباً الاجتماع به لبحث الشؤون العربية قبل انعقاد مجلس الجامعة . وشاورني رياض في الامر فقلت له بان يدعو رئيس الوزارة السورية الى بيروت على رغم من الحملات الصحفية المتبادلة بسبب القطيعة .

وحضر خالد العظم الى بيروت وقيّد اسمه في سجل تشريفات الرئاسة فور وصوله، وزار رياض الصلح في السراية وردّ له رياض الزيارة ودعاه الى الغداء مع بعض الوزراء اللبنانيين في النادي العسكري وبحثا الشؤون العربية .

وفي الساعة الرابعة زارني خالد العظم في القصر واقتصر بحثنا على جدول اعمال الجامعة . وقرّ الرأي على ضرورة تشجيع الدول العربية على الضمان الجماعي استبعاداً للاتحاد بين سورية والعراق .

واخبرني رياض بعد انصراف زميله السوري انه (رياض) فاتحه

(١) – في ١٧ من اذار ، اي بعد يومين من اعلانه القطيعة !

بالوضع الاقتصادي الجديد وأفهمه ان البلاد اللبنانية تجارية اولاً ، ولا يسعها منع استيراد البضائع من الخارج والانقياد للسياسة الاقتصادية السورية التي تتعارض مع وضعها . وانه يجب ، على كلٍ ، ان يصفّي البلدان الامور المعلّقة على احسن ما يمكن وأهمّها مسألة الاربعة والاربعين مليون ليرة التي سيأتي خبرها (١). فوافق خالد العظم على ذلك كله مبدئياً ووعد بان يتابع البحث في القاهرة اثناء اجتماعات مجلس الجامعة .

وتساءلت مع رياض عما قد يكون القصد من تلك الزيارة وقطيعة خالد العظم في إبّان التهابها ، فترآى لنا ان علائقه غير حسنة مع زملائه في دمشق فأراد ان ينقّي الجو السوري — اللبناني بقدر الامكان . اي ان غايته أنانيةٌ محض .

واخذنا الامور على ظاهرها ، وكذلك اظهرناها ، ليطمئن اللبنانيون الى ان عداء بعض سياسيّي دمشق لنا لم يبلغ الى استحالة تبادل المنتجات وإنْ أُعلن الانفصال الجمركي .

نشاط وفدنا في الجامعة :

سافر وفدنا الى القاهرة للاشتراك في أعمال الدورة العادية للجامعة . وما أقبل شهر نيسان إلا ووردت علينا اخبار نشاطه ، وهي اخبار حسنة من حيث التقدير لعمله ، فقد وقف بجانب مصر فيما يتعلق برفض الصلح المنفرد مع اسرائيل ، واضطر الوفد الاردني لان يجاريه ويوافق على القرار الذي تتخذه الجامعة بمنع الصلح المنفرد . ومهما يكن من نيات غامضة فان قراراً من هذا النوع يحفظ الظواهر ويقوّي المؤسسة العربية .

وتناول البحث الضمان الجماعي من الجهة العسكرية . ويرى المراقبون انه سطحي جداً ولن يتعدّى المظهر الى الجوهر ، وذلك لان مصر لا تسلّم اسرارها الى قيادة مشتركة . ومن المرجّح عندي ان هذا الذيل العسكري ،

(١) — انظر : ص ٢٩٠

والذيل الاقتصادي الذي يصرّ عليه لبنان إصرار حق ، سيكونان حجر عثرة في طريق الاتفاق ، وقد يُرجأ كل بحثٍ بهما .

ادلى خالد العظم ، غفر الله له ، الى الصحف المصرية بتصريح جديد عن القطيعة مع لبنان هو أشد وأزعفُ سمّاً مما صرح به سابقاً !

هل يلجئنا خصام دمشق الى القضاء ؟

قضي الامر ، واصبحت القطيعة واقعاً مؤلماً . واضطر لبنان لان يمنع تصدير منتوجاته الى سورية لان حكومتها اخذت تسمح بتصدير ما يوافقها تصديره الى لبنان ، ومنعت عنا ما نحتاج اليه من عندها . فأصبح ضرورياً ان تصير المعاملة بالمثل ، الى ان نُنظّم سياسة الداخل والخارج من المنتوجات على اسس معقولة .

وكنا قد ذكرنا (١) ان خزانتنا استبدلت بليرات لبنانية جديدة اربعة واربعين مليون ليرة سورية كانت قيد التداول في اسواقنا ، وقد عمدنا الى هذا التدبير لنضمن للّبناني قيمة النقد الذي يحمله سواءً اهو نقد لبناني ام سوري ، يوم نفّذنا الاتفاق مع فرنسا ويوم فقد النقد القديم قوته الابرائية . (٢)

اما مبلغ الاربعة والاربعين مليون ليرة سورية فقد جمّدناه ديناً لنا على حكومة دمشق حتى نتّفق معها على كيفية تأديته .

وفي ٨ من تموز ١٩٤٨ تعهّدت لنا الجارة بدفع هذا المبلغ فرنكات فرنسية من حساب تغطية عملتها التي تملكها في باريس . ولكنها ، بعد القطيعة ، نقضت — لسوء الحظ ! — تعهّدها وطلبت الينا ان نسلّم بنك الإصدار الاربعة والاربعين مليون ليرة دون ان تدفع لنا مقابلها حالاً ،

(١) — راجع : ص ٩٢
(٢) — في ١٣ من نيسان ١٩٤٨

وان يظل هذا المبلغ مقيّداً دَيناً لنا في حساب مجمّد في المصرف المشار اليه (بنك سورية ولبنان)، ريثما يُتّفق على طريقة جديدة لتأديته .

ان هذا المطلب من جيراننا غير قانوني، ولا يمتّ الى حسن المعاملة . ولكن ما حيلتنا وليس لدينا وسيلة قانونية تُلزمهم بتنفيذ تعهّدهم ؟

ولما كان النقد السوري الذي جمّدناه قد فقدَ قوته الابرائية بسبب إلغائه من التداول فقد طلبت وزارتنا المالية من بنك الاصدار المذكور ان يُسلّم المبلغ الى فرعه في العاصمة السورية دَيناً لنا في حساب «غير مقيم»، واحتفظنا بحقوقنا كافةً لمقاضاة حكومة دمشق امام هيئة دولية، فيما اذا قضت الحاجة، لاستيفاء هذا الدَين .

ضرورة خلق اسواق لنا جديدة :

تأزّمت السوق اللبنانية بسبب القطيعة . ووقف التصدير الى سورية . وكان التأزّم نتيجة حتم منتظرة، ولكن تجارنا الذين رفضوا الوَحدة الاقتصادية، لانها تحدّهم عن الاستيراد من الخارج، بدأوا يتذمّرون من الحالة !.. فحيّرنا امرهم، وأخذت وزارة الاقتصاد تتّصل بهم وتحثّهم على ضرورة التريّث والمحافظة على رباطة جأشهم حتى نصل الى تثبيت مركزنا الاقتصادي، وإلاّ فان قلّة صبرهم تُضعف وضعنا كثيراً في المفاوضات المقبلة . وبعد ان تشدّدت عزائمهم هدأ الروع في السوق .

واتخذت وزارة الاقتصاد احتياطاتٍ كثيرة لحماية تجارتنا فسعت الى فتح مدى اقتصادي جديد مع العراق لتبادل المنتوجات . وكذلك سعت الى مبادلات تجارية ومالية مع دول اخرى . وظهرت بوادر هذا المسعى في تبادل رئيس وزارتنا ورئيس وزارة العراق كتابين بهذا الخصوص[1]

(١) – وضع الكتابان في القاهرة في ٣ من نيسان ونشرتها في بيروت وزارة الانباء .

وانعقد مجلس وزراء خاص بُحثت فيه مسألة إعادة الرسوم الجمركية الى من يُخرج بضائع من لبنان كان قد سبق له ان دفع عنها المكوس . فتقرر مبدأ إعادة الرسوم المذكورة وصدر بيان به .

وبتلك التدابير انتعشت الاسواق انتعاشاً معنوياً، وعسى ان تنفرج الازمة المادية .

اضراب عمال « الاي بي سي » :

اعلن عمال «الاي، بي، سي،» إضراباً عاماً لتحسين حالتهم المادية، ثم احتل قسم منهم محطة الضخّ في الطعطور (بجوار طرابلس) وحالوا دون شحن النفط بالبواخر الراسية امام المحطة . ولم يكتفوا بذلك بل هدّدوا باتلاف إنتاج المصفاة . . . وتأزمت الحالة . ولكن الحكومة أصرّت على ان تعامل المضربين بالصبر فلم يرعووا، فاضطرت الى إنذارهم باخراجهم عنوةً من مراكزهم فيما اذا لم يضعوا حدّاً للشغب . واجتمع مجلس الامن بحضوري وحضور نائب رئيس الوزارة ووزير الداخلية وأقر استعمال القوة لانهاء الحالة الشاذة، فانتهى الاضراب دون اي اصطدام، وأثبت الحزم انه خير وسيلة لفرض هيبة الدولة .

صدمتان للمعارضة :

يظهر ان المطران مبارك أدرك انه لم يكن منصفاً في سياسته العدائية للدولة، وأنه اخطأ في أمور كثيرة لم تكن لتتلاءم مع مقامه الديني ولا مع كرامة طائفته، فعاد الى الطريق السوي . وكان عيد الفصح قد اقترب فرأى المجلس الماروني ان يُرجَع الى التقليد الذي وضعه عهد الاستقلال بأن يحضر رئيس الجمهورية القداس الاحتفالي الذي يقام في هذه المناسبة، بعد ان كان ذلك التقليد قد انقطع سنتين متواصلتين بسبب موقف رئيس الابرشية . وراجعني اعضاء المجلس الماروني بالموضوع فلم امانع مبدئياً

بالقبول ، واشترطت ان تأتيني الدعوة من المطران نفسه في زيارة يقوم بها للقصر ، فوافق الاعضاء وزارني المطران وعمدة المجلس ودعوني الى الحفلة ودعوا الحكومة اليها فقبلنا الدعوة . وكان هذا كله صدمة عنيفة للمعارضة آلمتها ، وهي التي عرفت مواضع الضعف في المطران فاستغلتها الى أبعد حد ، وصارت تبني الآمال الجسام على سلبية صاحب السيادة .

وتلقّت المعارضة صدمة اخرى بما رافق رجوع عبد الحميد كرامي من لوندرة : فقد عـاد من طريق دمشق وأوفدتُ مدير التشريفات ليستقبله باسمي في الحدود اللبنانية ويرافقه الى بيروت . ووصل رئيس الوزارة الاسبق توّاً الى القصر الجمهوري وقيّد اسمه في سجل التشريفات واستقبلته على الفور ، وعانقته مرحّباً وهنأته على سلامته وتحسّن صحته ، فأبدى امتنانه لهـذه الظاهرة . وهكذا قطعت سياسة الحسنى على المعارضة سبيلاً طالما لجأت اليه لاظهار نقمتها على الحكومة عامة وعلى الرئاسة خاصة .

« قطيعة ما اردناها وما خشيناها » :

وقع عيد الفصح في التاسع من نيسان واحتفل المطران مبارك بالقداس الرسمي في كاتدرائية مار جرجس وفقاً للمراسم المقررة، وألقى موعظة عن العيد ومعانيه وتطرق الى القطيعة فشجبها . ثم دعا الى المحبة بين جميع الطوائف، وذكر رئيس البلاد بالخير وقال بتأييده . وكانت جماهير لا تحصى تملأ الكنيسة والشوارع وساحة الشهداء فحمّستها اقواله فصفّقت طويلاً وهتفت للرئيس وللحكومة وللمطران ! ولم يطلق الرصاص ولكن الاسهم النارية دوّت كالمدافع .

ولما انتهت الذبيحة الالهية دُعيتُ مع اركان الدولة الى القاعة الكبرى المجاورة ووقف المطران خطيباً للمرة الثانية مؤيّداً مواقفي ومواقف الحكومة في هذا الظرف وهنأنا بالعيد . ورأيت ان أردّ اليه مجاملته بأحسن منها فبدأت شاكراً مهنئاً وانتقلتُ الى التآخي اللبناني الذي وطّده

الميثاق الوطني فحيّيتُه، وباركت ارض لبنان، ارض الحرية والسلام، والمحبة والوئام، وقلت ان رياض الصلح الغائب اليوم متفق معي على هذا، وهو مساعدي الاكبر على انتهاج السياسة اللبنانية السليمة في ظل الميثاق الوطني . وانتقلت الى موضوع القطيعة فقلت : « اننا وإيمِ الحق ما اردناها ، وإذ وقعت أسفنا لها وما خشيناها » . وراحت الجماهير تتحسّس مقطعاً بعد مقطع فتصفّق وتهتف حتى كدت لا اسمع ما اقول . وبدا اشدّ المؤيدين حماسة بيار الجميّل رئيس حزب الاتحاد اللبناني (الكتائب) وما ان خرجت من قاعة الاستقبال حتى استقبلتني الجموع المحتشدة في الباحة والشارع بحماسة لا توصف ، وذهبت كلمتي عن القطيعة مثلاً .

ويوم الاثنين في ١٠ من نيسان أقيم الاحتفال بالقداس الرسمي في كاتدرائية مار الياس للروم الكاثوليك وامتلأت الكنيسة والساحات بالمؤيّدين، وألقى سيادة المطران نبعه خطاباً طيّباً جداً، فيه كثير من عواطف الولاء والتأييد والتهانىء على « المواقف المجيدة التي وقفها فخامـة رئيس البلاد وحكومته دفاعاً عن استقلال لبنان وكرامة لبنان » .

وفي قاعة الاستقبال رددتُ على خطابه بكلمة لطيفة كان لها الوقع الحسن .

وبهذا انتهى القسم الاول من الاحتفالات الفصحية ، وقـد لمستُ إقبالاً عظيماً عليها من مختلف الطبقات . وقال لي كثيرون من عقلاء المسيحيين ان كلمتي عن رئيس الوزارة في الكاتدرائية المارونية عُدّت سبيلاً التقت فيه الطوائف المحمدية ، بشخص رياض الصلح، بالطوائف المسيحية .

وبدأ القسم الثاني من احتفالات الفصح في كاتدرائية السريان الكاثوليك يوم الاحد في ١٩ من نيسان، وترأس القداس نيافـة الكردينال تبوني وألقى في القاعة الكبرى خطاباً امتدح فيه الحرية الدينية في لبنان وروح التقوى التي ظهرت بها الاعياد الدينية ، وشكر رئيس الجمهورية وحكومته على مواقفها وخدماتها الوطنية .

وامتدحتْ الطائفة السريانية ورئيسها الديني على ما ابدياه من تأييد للعهد . وكانت الحفلة جميلة ، وحماسة الجمهور بالغة .

وكذلك بدا رائعاً القداس الذي احتفل به نيافة الكردينال اغاجانيان في كنيسة كرسيه في ضهور الاشرفية . وقد مرّ موكب الرئاسة في الاحياء الشرقية فقوبل بالتصفيق والهتاف . وبعد انتهاء الذبيحة الالهية ، ألقى نيافة الكردينال خطاباً بليغاً فيّاضاً بشعور عرفان الجميل نحو لبنان ، ومشيداً بالحرية الكاملة التي تتمتع بها عناصر هذا البلد وطوائفه المختلفة على السواء .

وأوحى لي كلامه وشعوره واستقباله ردًّا صادقاً ، فأبديت له شكري على ما فاه به عن لبنان وعن رئيسه وحكومته ، وصوّرت وجه وطننا الصغير المساحة ، الكبير الرسالة ، انه وجه انساني لانه وجه ديني يتطلع نحو السماء .

وأراد سيادة المطران ايليا الصليبي متروبوليت بيروت للطائفة الارثوذكسية ان يقيم حفلة دينية ومدنية معاً على شرف رئيس الجمهورية والحكومة فاحتفل بالقداس في الكاتدرائية ودعانا الى الغداء في دار المطرانية ، وبلغت الحفاوة منتهاها سواءً أفي الكنيسة ام في الدار . وقد خطب سيادته معلناً تأييده الخالص وتأييد طائفته للوضع اللبناني وللعهد الاستقلالي والميثاق .

فأجبته على المائدة بخطاب جعلت كل كلمة فيه موزونة ، فاستفز السامعين وحرّك مكامن الطيب في نفوسهم ، خصوصاً في مقطعه الاخير حيث قلت :

« خشيت الله في ايام الرخاء ، وفزعت اليه في الليالي الكوالح ، واجتهدت ان اكون إنساناً قبل ان اكون رئيساً » .

فدوّت القاعة بتصفيق الاستحسان والتأييد عدة دقائق وأجمع الرأي على ان الحفلة أيّدت العهد ووطّدت رسالته في الميثاق الوطني من جميع الوجوه.

انقسام بين العرب بسبب فلسطين

عاد من القاهرة فؤاد عمون الامين العام لوزارة الخارجية واستقبلته بحضور وكيل وزير الخارجية في ١٠ من نيسان مقابلة دامت ساعتين، عرضنا فيها جميع ما جرى في الجامعة العربية عن ميثاق الضمان الجماعي والمسألة الاردنية وقضية فلسطين . واتفقنا على التوجيهات التي يجب ان تُرسل الى وفدنا لكل ما هو معروض في الباقي من جدول الاعمال .

وساءَنا ان حكومتي الاردن والعراق اختلفتا رأياً عن حكومتي مصر والمملكة العربية السعودية في ضمّ الجزء العربي من فلسطين الى الاردن . وقد يؤدّي الخلاف الى ازمة بين الدول الشقيقة . فنصحت بحل رأيته موافقاً للجميع، وهو ان يُضمّ الجزء العربي المذكور الى الاردن بتفويض من الدول العربية بحيث يحفظ حق اهالي فلسطين باختيار مصيرهم النهائي عندما يتسنّون في إبداء رأيهم حراً في ذلك ، سواءً أكان برجوع وطنهم الى حاله السابق او بسلخ الجزء العربي منه سلخاً نهائياً . ولعل هذا الحل يكون مخرجاً للمأزق الحاضر الذي تخوضه الدول الشقيقة، وبه تكون الاردن مندوبة عن دول الجامعة في ضمّ الجزء المشار اليه .

ودرستْ هذا الحل ووثقت بصوابه فكلفت فؤاد عمون ان يحمله الى رياض الصلح في القاهرة . ثم أبديت له بعض الملاحظات على الذيلين ،

العسكري والاقتصادي، الملحقين باتفاق الضمان الجماعي وأرجأت اجتماعي به الى اليوم الثاني .

وفي الليل وردت على الامين العام لوزارة الخارجية برقية مستعجلة من رئيس الوزارة تحمل التعديلات التي ادخلت على الذيلين المذكورين وتدعوه للعودة سريعاً لحضور مجلس الجامعة في الساعة الحادية عشرة قبل الظهر، فاضطررتُ لاستقباله في الساعة السادسة صباحاً لاطّلع على التعديلات الاخيرة فدقّقتها معه وودّعني وركب الطائرة حالاً، وأملي ان الحلّ الذي اقترحته يوصل العرب الى التفاهم فنتلافى ازمة لا يعرف مداها الا الله .

وفي ١٢ من نيسان استقبلت المسيو بوازنجه رئيس لجنة التوفيق الفلسطينية ومعه معاوناه وبحثنا في ما آلت اليه مهمة اللجنة بعد تعنّت الاسرائيليين في جميع الشؤون الطارئة . فأشرت على بوازنجه بان يوافي مجلس الجامعة في القاهرة على جناح السرعة قبل انفراط عقده، وهكذا تسهل له المحادثات مع مندوبي الدول العربية لحل المشاكل المعقّدة التي تواجهها اللجنة الدولية .

القسم العربي ينتخب مع شرقي الاردن :

أجرت حكومة عمان الانتخابات في شرقي الاردن والقسم العربي المضموم من فلسطين، فما تراه يكون ردّ الفعل في اوساط الجامعة ؟ وهل اقتراحي الذي حمله فوآد عمون الى رئيس وزارتنا يحل المشكلة ؟ اننا سنعرف الجواب قريباً فجدول اعمال الجامعة في طريق التصفية، وقد تظل الدورة مفتوحة فيما اذا حدث طارىء .

وكذلك اتساءل عما يكون من أمر الضمان الجماعي الذي تتناقش فيه الدول العربية في هذه الآونة فيما اذا لم تدعمه القوة ؟ واين هي هذه القوة ؟ وعلى فرض انها وجدت، فكيف يمكن توحيد اعمالها العسكرية

في الحاضر وفي المستقبل ؟ هذه الاسئلة كلها، وتلك الشؤون المكبوتة في صدور الملوك والامراء، وتلك المشادة بينهم، تُعكّر على لبنان العيش وتُحرج حياده وهو بعيد وغريب عن الخلافات والمطامع التي تفرّق بينهم .

وما علينا الا الاعتصام بالصبر الى ان ينجلي الموقف ...

وفي ١٣ من نيسان عاد رياض الصلح من القاهرة وقابلني فور رجوعه واستعرضنا الادوار التي مرّت بها الجامعة، وعقدنا مجلس وزراء فأطلعه رياض على ما نقله اليّ واتضح لنا اننا لن نستطيع ان نغيّر كثيراً في ماجريات الامور .

ولم يمض نصف شهر حتى أعلنت عمان رسمياً ضمّ الجزء العربي من فلسطين، فدعيت اللجنة السياسية للجامعة العربية للاجتماع في القاهرة في ٣ من نوار . ثم أرجىء الاجتماع الى السابع منه بطلب من حكومة القاهرة . وقد ذاع ان مصراً تمانع صُراحاً في هذا الضم، في حين ان الدول العربية الاخرى تعدّ قرار الاردن نوعاً من السياسة العملية . فطلبت من رياض الصلح ان يعتدل في موقفه ولا يدلي بتصريحات بهذا الشأن، انسجاماً مع رأي لبنان المعتدل .

منطقة حرة في طرابلس :

اتاحت لنا عودة رئيس الوزارة ان نجدّد الاهتمام بالمسائل الداخلية المعلّقة، وأهمها تلافي الحالة النفسية في طرابلس بعد القطيعة مع سورية واستغلال بعض العناصر تلك الحالة المؤسفة لتعكير الجو هناك . فانعقد مجلس الوزراء وأقرّ إحالة مشروع قانون الى المجلس النيابي بقرض مالي لبلديتَي طرابلس والميناء تكفله الحكومة وينفق على الاعمال الانشائية البلدية .

وكذلك عرض على المجلس النيابي مشروع « المنطقة الحرة » في مدينة طرابلس، وهو في راس المشاريع المطلوبة لتفريج الازمة، وقد أقرّه المجلس .

وحدث في تلك الجلسة النيابية أن مشادةً كلامية نشبت بين حبيب ابي شهلا وحميد فرنجيه كادت تبلغ بهما الى الاشتباك . وكان للحادث وقع سيء ، وما ان بلغني الخبر حتى دعوت النائبين المتنافسَين الى القصر ودعوت رياض الصلح وعالجنا موضوع الخلاف بينهما ثم طلبت منهما ان يتصالحا ، فنزلا عند رغبتي وتبادلا القبلات ، وأملي ان تصفى القلوب ايضاً .

عيد الليمون في انطلياس :

اعتاد اهالي إنطلياس وجوارها ان يحتفلوا في فصل الربيع بعيد الليمون . وقد بدأ الاحتفال في اول امره محلياً ثم تعدّاه الى المنطقة ثم الى الدولة . وفي اول عيد رأسته [١] صحبني كمال جنبلاط وزير الزراعة آنذاك ، وكان في نفسه توافق والعهدَ عزّ نظيره . اما في هذه السنة ففي الحكومة وزير هو خليل ابو جوده نائب المنطقة، فجعل من مهرجان الليمون تظاهرة تأييد للرئاسة وللعهد، أصابه منها نصيب وافر .

اصطف السكان على جانبي الطريق لتحية الموكب بمزيد الحفاوة والحماسة وتقيّدوا بعدم إطلاق الرصاص . وألقى الوزير ابو جوده خطاباً ترحيبياً فيه الكثير من العواطف . وألقيتُ بدَوري كلمة مختصرة قلتُ في استهلالها :

« جدير بكم وايم الحق يا سكان هذا الوادي الاخضر والشاطىء الفضي ان تقيموا للربيع عيدا وللزرع مهرجاناً وللصنع عرضاً وللماضي استعراضاً . » الى ان قلت : « ... اما التاريخ فلكم فيه يد . اولستم الجيران الادنين لمضيق النهر الذي شاهد الفاتحين يوم دخلوا ، وشاهدهم يوم جلوا ليبقى لبنان بلدا مستقلا كريماً بفضل جهود ابنائه اجمعين ؟ اولستم اصحاب تلك الكنيسة التي نراها من هذه المنصة والتي سجل فيها المحمديون والمسيحيون الميثاق الوطني ليضعوا حجراً من حجارة الاساس في بنيان لبنان الحديث ؟.. » [٢]

(١) — نيسان ١٩٤٧ .
(٢) — اشارة الى العامية اللبنانية ضد ابرهيم باشا المصري وحليفه الامير بشير سنة ١٨٤٠ — «مجموعة خطب» : ص ٢٣٧ و ٢٣٨ .

وكان الجمهور يقاطع هذه العبارات بالتصفيق والهتاف .

الحجر الاول في كلية سيدة جمهور لليسوعيين :

بلغت الكلية اليسوعية يوبيلها الماسي فدعتني لارئس الحفلات التي أعدّتها لتلك المناسبة واوّلها القداس الحبري في كنيستهم في بيروت . فلبّيت الدعوة ومعي اركان الحكومة وحضرنا الذبيحة الالهية . ثم توجه الموكب الى محلة الجمهور لوضع الحجر الاساسي لبناء الكلية الجديدة . وصلّى على القاعدة السفير البابوي وألقى رئيس الآباء اليسوعيين خطاباً اجبته عليه بخطاب كان له اجمل التأثير في النفوس ، وانتهت الحفلة بارساء الحجر الاساسي للمعهد .

رفع الستار عن تمثال رئيس عينطوره :

ورأست حفلة عينطورة لازاحة الستار عن تمثال الاب سارلوت . وقد استُقبلتُ استقبالاً حافلاً والاجراس تقرع في ساحل كسروان كله ، والجو ملؤه التأييد للعهد . وحضر الحفلة الوزراء والنواب ووزير فرنسا المفوض وبيار بنوا عضو المجمع العلمي الفرنسي ، ولجنة الطلبة القدماء وفي مقدمتهم رئيسها الشيخ كسروان الخازن وجمهور كبير من الاكليروس والاعيان . وقد صافحت الجميع فرداً فرداً ولاطفتُ الشيخ كسروان ردّاً على لياقته، وهو رئيس الكتلة الوطنية والخصم التقليدي للدستوريين . وبعد ان ازحت الستار عن التمثال ألقيت خطاباً يناسب المقام، ذكرت فيه الخدمات التي ادّاها معهد عينطورة للبنان والشرق في حقل التعليم والتربية، فارتاح السامعون ارتياحاً عظيماً لما قلته وطرب بعضهم . وقرأتُ في اليوم الثاني « ان الكاتب الكبير پيار بنوا قال للمحيطين به إن الخطاب هو من ابلغ ما سمعه من خطب، وانه ليتساءل من هو « الاكادمسيان » بيننا ؟ .. »

قلت : ولعلّه بالغ في اللطف والثناء !

صلاة على نفس المونسنيور لويس زوين :

تُوفّي المونسنيور لويس زوين في المهجر بعد غياب طويل في خدمة رعية كبيرة . ونقل جثمانه في حفل حافل الى غزير مسقط رأسه . ودعاني صديقي القديم شقيقه النائب جورج لحضور الصلاة على نفس الفقيد برئاسة غبطة البطريرك الماروني فلبّيت الدعوة . وأظهر آل زوين وأهالي كسروان عامة والفتوح خاصة امتنانهم لمشاركة الرئيس لهم احزانهم ، كما يشاركهم في افراحهم ، ولما ودّعت البطريرك عند الانصراف ظهرت لي علامات التعب بادية على محياه بالرغم من بنيته الجبّارة .

حادث اليمونة :

دخلنا شهر نوار وحالة البلاد هادئة في جميع نواحيها ، وفي ٦ من نوار وفي منتصف الليل ، فوجئت بوصول قائد الدرك الى القصر ، وألحّ بمقابلتي لاعلامي بشجار دموي وقع في محلة اليمّونة بين عائلة شريف الشيعية وعائلة يونس المارونية ، سقط فيه قتلى عديدون . واعتذر القائد عن اضطراره الى إزعاجي في مثل هذه الساعة فرئيس الوزارة غائب عن داره ، فقلت له : لا إزعاج في امور مهمة .

ونهضت من فراشي وجمعت حالاً مجلس الامن ولم يلبث ان حضر رئيس الوزارة فاتخذنا جميع الاجراءآت ، من عسكرية وسياسية ، لحصر القتال في محله ومنع الجيران من إنجاد أيٍّ من الفريقين ، وفي الفجر وصلت القوّة الى اليمّونة ورابطت بين المتقاتلين وملكت ناصية الحال . وانحصرت الحادثة ضمن نطاقها . وبتكليف مني اسرع صبري حماده رئيس المجلس الى القرى الشيعية وتوجّه الشيخان ندره وقبلان عيسى الخوري الى القرى المارونية ونصح كلٌّ منهم ابناءَ طائفته بالهدوء والاذعان لاوامر الحكومة على امل ان تداوى الحالة باسرع ما يمكن من الوقت .

التنظيم العدلي الجديد :

أقرّ المجلس النيابي القانون الجديد لتنظيم الدوائر العدلية فنُشر بمرسوم . وتوالت اجتماعاتي برئيس الوزارة ومدير وزارة العدل للبحث في التشكيلات على اساس هذا القانون ، ولم تكن التشكيلات بالامر الهيّن وقد قضى التنظيم الجديد بإحداث محكمة تمييز ، ومحاكم استئنافية في كلٍّ من المحافظات ، وبإلغاء المحاكم البدائية والاستعاضة عنها بحكام منفردين . وقد تمّ ذلك كله تلبيةً لمطالب الملحقات التي طالما شكت من استئثار العاصمة بالمراجع القضائية ، فجاء التنظيم الجديد يسهّل على الاهلين المراجعات العدلية . وفي ٨ من نوار عُرضت التشكيلات على مجلس الوزراء فأقرّها وصدرت منطبقة على الاصول على الرغم من تضارب المصالح ، وعدد القضاة ، والتفاوت في رتبهم ومرتّباتهم ، ونحن في بلد شرقي صغير تعوّد « المسايرة » وضيق العين . . .

وعقب تلك التشكيلات تعيينات جديدة اقتضاها القانون في صفوف المساعدين القضائيين .

أزمة جديدة تهدد الجامعة العربية :

سافر رئيس الوزراء الى مصر لحضور اجتماع اللجنة السياسية في ١١ من نوار، وجدول اعمالها مخصّص بضم القسم العربي من فلسطين الى شرقي الاردن . وقبيل سفره قال لي انه سينتهز فرصة اجتماعه بخالد العظم ليفاتحه بتبادل سياسي بين لبنان وسورية ، وقد شعرنا بضرورة هذا التدبير بعد المشاكل التي قامت بين البلدين ، ولم يكن لنا يدٌ فيها ، بل أثارها سوانا .

وجاءتنا اخبار اجتماعات اللجنة تنذر بالخطر يهدّد حياة الجامعة : فقد وقفت حكومة مصر موقفاً عدائياً علنياً من حكومة الاردن وخيّرت

مندوبي الدول في واحد من امرين ، إما إخراج الاردن ، او خروجه ، من الجامعة . وأبرق رياض يستشيرني فأجبته بضرورة كسب الوقت . وكان ان أشار بعض مندوبي الدول بفصل الاردن ، واستمهل آخرون للجواب، وأرجىء اجتماع اللجنة الى ١٢ من حزيران لعل الفرج يداوي الازمة .

واحتفلت حكومة عمان في ٢٤ من نوار بعيد استقلال شرقي الاردن ودعت الحكومة اللبنانية الى العرض العسكري الذي يجري في هـذه المناسبة ، فتمثـّلنا بضابطين كبيرين . ولكن الملك عبدالله لم يقتصر على الدعوة الرسمية بل دعا بعض المعارضين اللبنانيين وفي مقدمتهم كميل شمعون (!) فلبّوا الدعوة مغتبطين . وتكشـّف للعيان جاذب يشدّ بالمعارضة اللبنانية الى السياسة الهاشمية ...

وكان رياض قد عاد الى بيروت في ١٦ من نوار فتبرَّم بما كان ، ولكن لم يكن لنا من حيلة في الملك الهاشمي ! وخلوت برياض غير مرة واخبرني انه اجتمع في القاهرة بزميله خالد العظم ، وان هذا يرغب بعقد اجتماع بـين حكومتي بيروت ودمشق لتقرير العلائق الاقتصادية والمالية بين القطرين ، على اساس اتفاقات ثنائية تسهّل تبادل المنتجات الزراعية والصناعية . وتلقينا من المفوضية اللبنانية في القاهرة برقية تفيد بان خالد العظم قد عاد اليها من الرياض بعد ان قابل الملك عبد العزيز، وانه سيبحر من الاسكندرية في ٢٥ من نوار ويصل الى بيروت في اليوم الثاني، وهو يرغب في مقابلتي ومقابلة رئيس الحكومة . فرحّبنا بنيّته .

في ٢٦ من نوار استقبلت رئيس الوزارة السورية . وتناول حديثنا شؤون الجامعة والازمة التي تتخبّط فيها ، وانتقلنا الى بحث الاقتصاديات فاتصل ضيفنا من القصر ببعض وزرائه في دمشق . والارجح انهم استعجلوا رجوعه ، فقد قال لي انه مسافر الى العاصمة السورية حالاً وسيعود الينا على عجل لفتح باب المفاوضات على مصراعيه، وانه يأمل بها خيراً . وما ان وطئت قدماه دمشق حتى بلغني نبأ استقالته .

الظاهر ان الازمة الوزارية السورية معقـّدة وسوف يتأخر حلـّها .

في اليوم الذي وصل فيه خالد العظم الى بيروت بحراً وصل اليها جواً صالح جبر رئيس الوزارة العراقية السابق وطلب مقابلتي، واخبرني انه عائد من عمان ، وانه ذهب اليها بمهمة إقناع الملك عبدالله بتبنـّي اقتراحي باعتبار القسم العربي الذي ضمّه من فلسطين وديعة بين يديه ريثما تُقرَّر الحلول النهائية للقضية الفلسطينية . وأكـّد لي الزائر ان مصطفى النحاس قد رحـَّب بهـذا الاقتراح ، ووافق عليه ، وان الملك عبدالله كاد يقتنع به ولكنه لم يرتبط بجواب حاسم .

حلم رياض الصلح :

حكمت المحكمة العسكرية باعدام الجاني الذي حاول قتل رياض الصلح ، واحيل ملف الدعوى الى لجنة العفو لابداء الرأي في تنفيذه او لاستبدال العقوبة ، ولا شك بأنني اهتدي برأيها ولكني أقيم وزناً كبيراً لرأي رئيس الوزارة في الموضوع ، فما ان رفضت اللجنة طلب العفو حتى بعث اليّ رياض بكتاب يطلب فيه الابقاء على حيـاة الشاب وتخفيف العقوبة الى الاشغال الشاقة . فأجبته على كتابه مثنياً على حلمه ووقـّعت على مرسوم بإبدال العقوبة . ولقي الحكم وتخفيفه قبولاً حسناً في الرأي العام .

غيوم في الجو السياسي . تلزيم التلفون الآلي :

أعلنت وزارة البريد والبرق عن مناقصة تجري لتلزيم التلفون الآلي في العاصمة بموجب دفتر شروط دُرس بمنتهى الدقـّة ، فتنافست عليه شركتان ، احداهما شركة « أريكسون » والاخرى شركة « ارلب » لاصحابها ابناء سليمان عريضة . ورست الإحالة على الشركة الثانية فأقرّتها اللجنة المخصوصة على ان يقترن قرارها بموافقة من مجلس الوزراء . ووضعت القضية في جدول اعمال هذا المجلس في اوائل نوار . وبما ان رئيس

الوزارة كان في ذاك الحين في القاهرة فقد أُخّر النظر في المناقصة الى بعد عودته . ووصـــل رياض في ١٦ من نوار وُطرحت القضية بحضوره للتمحيص وطال درسها ثلاث ساعات . واستعانت وزارة البريد والبرق بذوي الخبرة لتدقيق المعاملة ، فاتضح انها قانونية وان الاحالة صحيحة من حيث الشكل . إلا ان مجلس الوزراء ، صاحب القول الفصل في الموضوع ، تأكد من تقرير الخبيرين ان الالتزام الذي يبلغ عدداً كبيراً من ملايين الليرات يدرّ على الملتزمين ارباحاً باهظة جداً ، ويمكن تنزيل قيمته لمصلحة المكلّف اللبناني بما لا يقلّ عن مليون ليرة فأصدر قراراً بوجوب إعادة المناقصة .

ولم يستهدف مجلس الوزراء سوى التخفيف عن خزانة الدولة، فغضب اولاد عريضة من إجراء قانوني وراحوا يطلقون ألسنتهم بالقدح والطعن بالرئيس والوزراء والادارة اللبنانية ، ينادون بالويـــل والثبور وعظائم الامور ... ولم يكتفوا بذلك بل ارتادوا المفوضيات الاجنبية للنيل من الوضع اللبناني ! فمررنا بذلك مرور الكرام الذين قاموا بواجبهم، ولكن اكثر الناس سيئو الظن ، والطعن له تأثيره فيهم وإن لم يرتكز الى حقيقة ، وكان مصدره طمعاً في النفس .

وفي تلك الآونة اصدرت حكومات الولايات المتحدة وبريطانية وفرنسا بياناً مشتركاً عن سياستها في الشرق عرف باسم « البيان الثلاثي » . وقد خصصنا به فصلاً في الصفحات التالية .

مذكرة البطاركة :

دار على الالسنة ان الحكومة ستُدخل تعديلاتٍ جوهرية على قانون الانتخاب ، منها زيادة عـــدد النواب وتصغير اللوائح الكبرى . فأراد هنري فرعون ان يبتسر الامور وطاف ببطاركة اكثر الطوائف المسيحية في الايام الاخيرة من شهر نوار يحثّهم على تبنّي رأيه .

وصادف ان احتفل غبطة البطريرك مكسيموس صائغ بتذكار مار يوحنا الدمشقي ودعاني رسمياً الى قداسه في الكاتدرائية فلبّيت الدعوة واجتمعت به بعد الحفلة الدينية فلم يتطرق الى بحث قانون الانتخاب .

وفي الرابع من حزيران زارني هنري فرعون وفاجأني بمذكرة وقّع عليها صاحبا الغبطة البطريركان عريضة والصائغ ووكلاء الكاردينالين تبوني واغاجانيان وكاتوليكوس الارمن الغريغوريين [1]، فتلوتها ورأيت ان من حق السادة رؤساء الطوائف ان يُبدوا رأيهم في قانون الانتخاب ، ولكني اخذتُ عليهم مسحة طائفية في ما شرحوه وكتبوه ، وانهم « سوف يضطرون الى اتخاذ تحفظات صريحة إزاء الحالة الحاضرة » فيما اذا لم يلبّ طلبهم . ولكنهم استدركوا بقولهم إن لهم « الثقة بحكمة الرئيس ان يلبي طلبهم الذي يُعربون فيه عن اماني الجميع » .

ولمتُ هنري فرعون، وهو سياسي مطّلع على مزالق اوضاعنا ، كيف انه لم يطلب حذف التحفظ من المذكرة قبل تقديمها اليّ وقبل ان يطّلع عليها الرأي العام ، وهذا مما يؤدّي الى بلبلة لا تحمد عقباها .

اما صاحب الغبطة بطريرك الروم الارثوذكس فلم يوقّع على المذكرة .

وفي ١٢ من حزيران زارني غبطة البطريرك الكسندروس يرافقه مطرانا بيروت وجبل لبنان وأعلن لي ان الطائفة الارثوذكسية تؤيد الرئاسة والحكومة في سياستها، وفي تعديل قانون الانتخاب، وانه وطيد الامل بان القانون الجديد سيُراعى فيه الانصاف . وقال غبطته ان المسألة سياسية محض فليس من الحكمة ان ترتدي طابعاً طائفياً، وان تؤدّي السياسة المعارضة الى انشقاق في صفوف اللبنانيين . فشكرت الزائرين على عاطفتهم ووعدتهم خيراً .

---

(١) – ان تاريخ المذكرة هو ٢٢ من نوار .

مدرعة فرنسية ، ثم مدرعة بريطانية :

حرصت الرئاسة والحكومة على الصداقة اللبنانية الفرنسية بعد ان زال كل خلاف بيننا وبين باريس حول اوضاعنا الاستقلالية ، فما ان طُلب الى وزارة الخارجية السماح للمدرّعة الاميرالية « مونكالم » الرسو في مياه بيروت حتى اعطت الوزارة الاجازة مع الترحيب . وفي اول حزيران وصلت المدرعة وعليها قائد اسطول البحر المتوسط واطلقت المدافع تحية لرئيس الجمهورية وللمدينة . وجرت المراسم المعتادة من تبادل زيارات ودعوات ووضع اكليل من الازهار على ضريح الجندي المجهول، فدعوت الاميرال وأركان حربه ووزير فرنسا المفوض وأعضاء الحكومة اللبنانية وقائد الجيش اللبناني وأركان حربه الى مأدبة غداء، وبسطنا على الحفلة جوّاً من اللباقة والايناس استرعى نظر الضيوف فانصرفوا شاكرين . وتبرّعت الرئاسة بمبلغ من المال لارامل البحّارين الفرنسيين ولايتامهم فقوبلت العاطفة بالتقدير .

ودعاني الاميرال الى مأدبة غداء على الدارعة فلبيت ، وقد بالغ المضيف وضباطه واعضاء المفوضية الفرنسية بالحفاوة برئيس الجمهورية وصحبه ، وأطلقت المدافع عند الوداع ، وأدّيت المراسم العسكرية باجمعها يرافقها كثير من الاعتناء الخاص .

وقبل ان تغادر المدرعة مرفأ بيروت بعث اليّ قائدها بكتاب شكر على المعاملة الكريمة التي لقيها هو وضباطه وبحّاروه في المياه اللبنانية .

ولم ينقضِ شهر حزيران إلا وزارتنا مدرعة انكليزية تنقل القائد العام لاسطول البحر المتوسط ، فاتّبعت المراسم عينها التي رافقت زيارة المدرعة الفرنسية . (أطلقت المدافع وتبودلت الزيارات والمآدب . وتبرع الرئيس بمبلغ من المال لارامل البحّارين البريطانيين ولايتامهم) .

ولم يغادر الاميرال بيروت الا بعد ان كتب اليّ شاكراً الحفاوة التي لقيها في لبنان .

الدوق اوف ادنبرغ في بيروت :

وصل دوق اوف ادنبرغ ، زوج ولية عهد انكلترة ، الى بيروت على مدرعة بريطانية ، وهو في سياحة لزيارة الاماكن الاثرية . وعلى الرغم من الطابع الخاص الذي رافق وصوله فقد استقبل بالحفاوة الكاملة . وزار بعلبك وبيت الدين وتناول الغداء على مائدة الرئاسة (١) وقُدّمت له بعض الهدايا الرمزية، فشكرني ممتناً شكراً حاراً وسافر يحمل من لبنان اطيب الذكريات .

وبعد ان سافر الدوق زارني وزير انكلترة المفوض واخبرني ان ولدي خليلاً وزوجته دعيا الى حفلة راقصة في قصر بكنغهام وقُدّما الى الملك والملكة بصورة استثنائية . وكان عطف من جلالة الملك ان قال لخليل انها لمصادفة جميلة ان يوافق سياحته الى لندن استقبال صهره فيليب والحفاوة به في لبنان . وزادت الملكة : ان في ذلك لدلالة على صداقة البلدين وخير ضمان لتوطيدها . فطلبت من الوزير ان يوصل شكري الى الديوان الملكي على تلك المؤآنسة الكريمة .

حرية التعامل بالنقد النادر :

مُنحت شركة التابلين إجازة لانشاء محطة لتكرير النفط الخام على شاطىء صيدا ، وفي اللحظة الاخيرة من المدة المحدّدة لبدء العمل طلبت الشركة تمديدها فانعقد مجلس الوزراء وأقرّ طلبها .

واستأذن وزير المال بالسفر الى فرنسا بغية الاستجمام ، فوقّعنا قبل مغادرته العاصمة على المراسيم اللازمة لاستكمال شروط حرية التعامل بالنقد

(١) — في ٣٠ من حزيران .

الاجنبي في لبنان وأملنا ان تجني منه البلاد خير الفوائد، وتصبح بيروت احدى القواعد العالمية لتبادل النقود الاجنبية .

جلسة اللجنة السياسية :

سافر رياض الصلح الى الاسكندرية للاشتراك في اعمـــال اللجنة السياسية للجامعة العربية ، وفي رأس مهامها مسألة فصل الاردن بسبب ضمّها القسم العربي من فلسطين (ضفـــة الاردن الغربية) الى اراضيها . ولا يخفى ما في هذا الموقف من حرج ، وقد ُترك تدارك الامر الى رئيس وزارتنا منعاً لانهيار الجامعة .

وبعد يومين جاءتنا اخبار مطمئنة عن مقدّمات اجتماع الاسكندرية . ثم بلغنا ان رئيس الوزارة اللبنانية تلافى بحكمته الانشقاق ، فقد اشار على ممثّل عمان بالتغيّب عن الجلسة فأرجىء البحث في موضوعه الى الدورة العادية ، اي الى تشرين المقبل . وزال التوّتر المحرج .

وقد أُرسل الى حكومة شرقي الاردن مشروع بيان يتضمن اعترافها بصفة الوديعة للجزء العربي من فلسطين ريثما ُتسوّى المسألة نهائياً ، وكان الامل بأن العراق يقنع الملك عبدالله بقبول التوقيع عليه فاذا قبل فبـِه، واذا رفض صار لكل حادث حديث .

وفي ذلك الاجتماع وقـّع اكثر المندوبين على ميثاق الضمان الجماعي بين الدول العربية ، واستنكف ممثلا بغداد وعمان . والامل بأن يوقـّعا عليه في الايام المقبلة ، وإلا بقي هذا الميثاق بدون أثر ، وكأنه لم يكن .

البيان الثلاثي

رد اللجنة السياسية على البيان الثلاثي :

أجمع اعضاء اللجنة السياسية على موقف موحّد في الرد على « البيان الثلاثي » ، وهو البيان الذي اعلنته حكومات الولايات المتحدة الاميركية وانكلترة وفرنسا مشتركات [1] وأحدث ضجةً كبيرة في جميع البلدان العربية . وملخّص هذا البيان الخطير أن الدول الثلاث ترفع الحظر عن إرسال السلاح الى الدول العربية واسرائيل ، ولكنها تشترط عدم اعتداء فريق على آخر ، وتشترط المحافظة على خطوط الهدنة الحالية كما أُقرّت في رودس وفي التي عقبتها . وأهم ما جاء في ذلك البيان ان الدول الثلاث تنذر بالتدخل العسكري في حالة وقوع الاعتداء كي ُتبقي القديم على قدمه او لاعادة القديم الى ما كان عليه .

وقد تولـّت كل من الدول الموقـّعة على البيان تبليغه الى واحدة ، او اكثر، من الدول العربية . فما أن ذاع خبره حتى تشوّشت الافكار، وقد استكبرنا مراميه إذ بدت الغاية من وضعه واضحة في النص وضوحاً كاملا .

---

(١) – أعلن هذا البيان في ٢٦ من نوار ١٩٥٠ (انظر قسم الوثائق) .

وبدهي ان تتوحّد الصفوف جميعها تجاه هذا البيان ، فدرسته اللجنة السياسية في اجتماع الاسكندرية درساً قانونياً مسهباً ، وردّت عليه في احتجاج رصين ، معتدل اللهجة ، أذاعته في ٢١ من حزيران ، (١) وتولّت وزارة الخارجية في كل دولة عربيـــة تبليغه الى وزراء الدول الثلاث ، المعتمدين لديها . وقامت وزارتنا بهذا العمل .

وفي ٢٢ من حزيران عاد رياض الصلح الى بيروت بعد ان قام بمهمته التوفيقية في اجتماع اللجنة السياسية خير قيام .

ويجدر القول ، على هامش المسائل العربية ، ان وزارة جديدة تألفت في دمشق برئاسة ناظم القدسي ولم يدخلها خالد العظم . وقد اقتصرت الاتصالات بـــين وزارتنا وبينها على مجاملات سطحية . ولم نبحث معها العلائق الاقتصادية التي كنا قد اتفقنا مع خالد العظم على تنسيقها باتفاقات ثنائية ، فبقيت على وضعها .

غيوم في السياسة الداخلية :

ظهرت الغيمة الاولى يوم مرّ بلبنان السياسي العراقي صالح جبر في منتصف شهر نوار ، فدعاه بعض من اعضاء حزب النداء القومي الى عشاء في احدى مقصورات الشاطىء ودعوا المطرب الشعبي عمر الزعني للترفيه عن الضيف وعن اصحاب الدعوة . وقد سبق لهذا الشاعر ان وضع منظومات شهيرة في مدح العهد وصاحب العهد . ولكن قريحته « المجدّدة » تفتّقت له في الزمن الاخير عن قصيدة مستغربة منه عنوانها « جدِّدْلو . . . » وفيها مطاعن كثيرة ، وطلب منه بعض اصحاب الدعوة ان يغنّيها فلبّى وصفّقوا له . وكانت اساءة مزدوجة : القدح والذم بمقام الرئاسة ، وإنشاد الاغنية أمام ضيف غير لبناني .

وبلغ الخبر رياضاً قبل ان يبلغني فأمر بملاحقة المطرب الشعبي امام القضاء

(١) — انظر قسم الوثائق

فأوقف الزعني وأحيل الى المحاكمة . وغضب الداعون وأخذوا يراجعون رياضاً في أمره ورياض لا يلين . ولم يبلغني الحادث من اوله الى آخره ، إلا بعد توقيف الرجل . وقد حكمت عليه المحكمة بالسجن ستة اشهر .

ومن غرائب بعض الذهنيات في بلادنا أن إجراء الحق والدفاع عن كرامة رئيس الجمهورية قد اوغرا صدور الداعين الى الحفلة فنقموا عليّ . وعتبوا على رياض وأرادوا ان يفرّقوا بيني وبينه ! ولكنهم لم يُفلحوا ، فانتظروا فرصة اخرى اكثر ملائمة . والايام امامهم ...

وقد شكرت رياضاً على تحسّسه بكرامة الرئاسة، فقال لي : « ان هذا من أخصّ واجباتي ! » .

انقشعت تلك الغيمة وما لبث ان ظهرت في الافق غيمة اخرى . وسببها حادث طفيف في بدئه كان من الخير ان لا يقع . فقد نشرت مجلة « الصياد » مقالاً قاسياً جداً ضد الرئاسة بامضاء محمد النقاش، ورأيت ان استمرّ في سياسة الإغضاء على القذى فلم اطلب مقاضاة الكاتب ولا فاتحت رياضاً بالموضوع . وبعد ثلاثة اسابيع فوجئت بان ناصر رعد مدير الشرطة دعا سعيد فريحه صاحب المجلة ودعا محمد النقاش كاتب المقال وتولى بنفسه استجوابهما ! ولم يسبق ان تعرّض مدير الشرطة لمسائل الصحف، بل كان يحقق فيها النائب العام وحده بعد اخذ رأي السلطة ، فكان الاحرى ان يتحاشى ناصر رعد مثل هذه المبادرة دون استشارة السلطة ومقام الرئاسة . وشاع ان اخي سليماً اوعز بهذا الاستجواب ردّاً على الذين دعوا الى مأدبة صالح جبر .

راجعني رياض الصلح بالامر وقال لي ان عمل مدير الشرطة غير العادي قد أثار الضجة ، فوافقته على ان المدير قد تجاوز حد المألوف وفرضنا عليه بمرسوم جمهوري إجازة جبرية مدة شهر .

وما ان اتـُخذ هذا التدبير حتى تأزّمت الحالة الداخلية وراح انصار

اخي سليم يلوّحون بتظاهرات فيما اذا لم تُلغَ الاجازة واذا لم يلاحق الصحافيان . وزاد في الطين بلّة ان الصحافيين لم يكتفيا بمقالها الاول بل اكملاه بحملة عنيفة على الرئاسة وتماديا فيها ، حتى كادت النار تلتهب في الجانب الآخر ، فاضطررت الى التدخل شخصياً ، ومنعت الغاضبين والمجروحين من ان يحرّكوا ساكناً ، ودعوتُ قادة قوى الامن وبلّغتهم ارادتي فاتخذوا التدابير اللازمة لمنع جميع التظاهرات . وكان موقف الرئاسة مدعاة للتقدير والاحترام ، ومع ذلك لم تضع الحكومة حدّاً للمهاترات الصحفية ولا لاحقت الصحافيين المخالفين .

وبما اني بدأت بفرض ارادتي على اقرب الناس اليّ فقد وجب على رياض ان يكمل عملي برد بعض المقرّبين منه الى محجّة الصواب . ومن دواهي الدهر في تلك الفترة ان ظهر رياضيون اكثر من رياض وخوريون اكثر من الخوري ، وهؤلاء واولئك هم الآفة .

ولم تحرّكني اهواء التحدّي ، ولا اخذتني النزَعات ، بل تصلّبت في موقفي ، وقصدي كل قصدي ان احافظ على هيبة الحكم ، فظلّ مدير الشرطة في إجازته الجبرية، وأمر رياض بملاحقة مجلة « الصياد »، فأوقف محمد النقاش كاتب المقال وتوارى سعيد فريحه عن الانظار . وشاع وذاع ان رئيس الوزارة هو الذي تولّى إخفاءه عن عيون التحري (١) !

وزاد في الطنبور نغمةً أن جريدة « النهار » نشرت خطاباً ألقاه النائب كميل شمعون في قرية بدادون سيراً مع غايات المعارضة فملأه قدحاً وذماً بالسلطات العامة ، فلوحق غسان تويني امام القضاء وتوارى بدوره عن الانظار !

وبُذلت المساعي لرجوع الحكومة عن التدابير القضائية التي لجأت اليها ، ولإجراء تسوية عامة لقضية الصحف الملاحَقة ، وقد تعوّدت

(١) – قيل ان احد باعة الحلوى العربية خبأه في داره . ولم يسبق لهذا البائع ان رأى من الرئيس وموظفيه الا كل مساعدة ، وكل جميل !

البلاد على مثل تلك المساعي التي لها حكمتها في بعض الظروف ، ولكن الجوّ المحموم لا يساعد على التساهل .

لعلّ موقفي الحكيم يمنع « الجبهتين » معاً من التجاوز .

ولمّا تمضِ ايام قليلة ودخلنا شهر رمضان ، فثابرتُ على التقليد المستحبّ الذي وطّدتُ في رئاستي معالمه وقوّيتُ مراميه ، ودعوتُ الى حفلة إفطار كبرى في عاليه (١) لفت اتقانها الانظار ، وقد اسهبت الصحف في وصفها وتصويرها وتقديرها وإطرائها . ولكن هذه المجاملة لم تحل دون غيمة ثالثة تلبّدت في جو العلائق الاخوية بين اللبنانيين، وقيل انها « ردّة رجل » ... ففي يوم وقفة العيد اراد بعض اصحاب الدكاكين في محلة البسطة ان يُظهروا – وقيل : انه أريد لهم ان يُظهروا – استياءهم مما وقع في خَلَدهم من أوهام وظنون ، فرفعوا اعلاماً اجنبية (٢) على واجهات دكاكينهم ! وبلغ الخبر حبيب ابي شهلا فأسرع الى المحلة وسعى باقناع اصحاب الدكاكين بنزع الاعلام ولم يُفلح ، فاستعان عليهم رئيسَ الوزارة ودعاه لموافاته الى البسطة فلبّاه وطُويت الاعلام بعد لأي .

وحُمل اليّ خبر ما جرى فتأثّرت تأثراً شديداً ، وزاد في ألمي ان يكون بعض اصحاب الدكاكين في البسطة هم الذين يرفعون ، او يُدفعون الى رفع الاعلام الاجنبية ، في عهد الاستقلال . وقد ابديتُ استيائي لرياض الصلح بحضور حبيب ابي شهلا من تلك السابقة الخطرة فشاركني حبيب رأيي في خطورة العمل وخطورة الموقف ، وقلت لرياض بأن يُفصح عن فكره ، فأجاب بانه مستاء مثلنا مما جرى، ويرى ان هذا العمل الطائفي سببه موقف ناصر رعد والتظاهرة التي كادت تحصل على أثر الاجازة الجبرية التي اعطيت له .

فأجبت : ان مدير الشرطة قد نفّذ العقوبة الادارية بكاملها، والتظاهرة

(١) – في ١٠ من تموز ،
(٢) – كانت اعلاماً اميركية وفرنسية وانكليزية .

الولائية لي قد منعتها . فكان على رياض ان يكبح جماح مريديه بالشدة التي وقفت بها في وجه اقرب المقرّبين إليّ ، وهم قد عزّ عليهم وآلمهم ان ينال صحافيون ينتسبون الى رياض من مقام رئاسة الجمهورية .

فقال رياض : « يؤسفني ان يكون قد حصل ما حصل، وعلى كل فالذي مضى قد مضى ، وسأبرهن على احترامي الخالص لمقام الرئاسة ، معترفاً بموقفها الكريم ولا سيما تجاهي شخصياً » .

وفي اليوم الثاني احتفل المسلمون بعيد الفطر ، ولم يقع اي حادث سوى ان بعض المتهوّسين افرطوا في اطلاق العيارات النارية اثناء الصلاة فذهبت « فشّة خلق » .

وما ان انتهت الصلاة حتى وصل الى مقر الرئاسة في عاليه ناظم عكاري مدير غرفة رئاسة الوزارة ونقل اليّ ان رياض الصلح ومفتي الجمهورية ووجوه الطائفة يرغبون بزيارتي في بيتي في عاليه قبل ان يباشروا تقبّل التهاني ، وأنهم الآن في القاعة . فذهبتُ اليها ووجدتها قد مُلئت بالزائرين فحيّيتهم اطيب تحية ورحّبت بهم وهنأتهم بالعيد ، فقالوا لي : « هذا عيدك ايضاً يا فخامة الرئيس، وما هذه الزيارة المبكرة الا عربون الولاء والتأييد . ونحن المسلمين، اذا كنا « نتدلّع » احياناً فلاعتبارنا انك والد لنا . اننا نطلب لك من الله التوفيق لتحيا البلاد سعيدة في ايامك ! »

شكرت الزائرين على المفاجأة السارة . وكانت تظاهرتهم هذه بمثابة شجب صارخ لرفع الاعلام الاجنبية التي دعا الى رفعها بعض اصحاب الطيش والدس في اليوم السابق .

وقمت بالزيارات التقليدية يوم عيد الفطر وجرى لي استقبال ولائي حافل في بيت رياض الصلح وبيت صبري حماده وفي بيت المفتي حيث كان الاعيان والشبان المسلمون يقومون بواجب المعايدة ، فحيّوا الرئيس تحية طيبة وصفقوا له مراراً كثيرة .

وانقشعت الغيوم !

واحة في قفر

تدشين المطار :

لاحقتُ بنفسي إتمام أشغال المطار ، وتردّدتُ الى المهندسين القائمين بالاعمال اشجّعهم وأحثّهم على إنجاز العمل في اقرب وقت حتى تمكنت وزارة الاشغال العامة من الاحتفال بتدشين المطار في اليوم الاول من تموز . وكانت الحفلة شائقة رأستها وحضرها رئيس المجلس ورئيس الوزارة والوزراء والنواب وكبار الموظفين والوزراء المفوضون الاجانب وممثلو شركات الطيران . وصدحت موسيقى الجيش بالنشيد الوطني عند قطع الشريط امام المدرج الاكبر ، ومنه انطلقت الطائرات تيمناً بالافتتاح .

وتبادلت الانخاب والحاضرين وطفت بأرجاء المطار وبدا لنا جميعاً ، لبنانيين وأجانب ، مفخرة المطارات في الشرق ، ولم أغادره قبل ان تحطّ فيه طائرتان كبيرتان إحداهما اميركية والاخرى فرنسية . وبلغت الحماسة أشدّها عندما تقدّم مني الطيّارون ووكلاء الشركات وقدّموا لي ساعة تذكارية ، لها قيمتها المعنوية في هذه المناسبة .

وشكرت المولى على ما حقّقته الادارة اللبنانية في هـذا العمل

الباهر ، فمطار خلدة الدولي ذو شأن في مواصلات العالم مع لبنان ومع الشرق .

زيارة الفتوح :

لبّيت دعوة جورج زوين الى منطقة الفتوح وتناولت الغداء على مائدته . وافاضت الصحف بوصف تلك الزيارة التي حفلت بجماهير القرى ، وقد جاءت بعفو الخاطر تؤيد العهد ، فامتلأ صدري سروراً بتجلي عواطف اللبنانيين نحو العهد ونحوي . وقد لاطفت المستقبلين على اختلاف طبقاتهم، وخصوصاً « أبناء الشعب » . ورافقني في تلك الزيارة الوزراء وجميع نواب المنطقة وكبار الموظفين . وعلى طول الطريق ، من انطلياس ونهر الكلب والذوق وصربا وجونيه وغزير والجديدة وعرمون الى جورة الترمس انتظرتنا الجماهير لتحيّينا بحرارة وولاء وإخلاص . وفي الجورة احتشدت جموع لا تحصى يتقدمها الكهنة ورؤساء الدين ، تدفّقت من قرى الفتوح وكسروان ، حتى صار يصعب على الانسان ان يخطو خطوةً إلا بعناء . وزُيّنت القرية ، بل زُيّنت الطريق كلها التي مرّ بها الموكب فنشرت الاعلام اللبنانية وصور الرئيس ونُصبت أقواس النصر .

وما أن دخلنا جورة الترمس وقربنا من مكان الاستقبال حتى دوّت الارض والسماء بالطلقات النارية ، وعبثاً طلبنا من القوم ان يكفّوا عن هذه العادة فما كان أحد ليستجيب ! وترجّلنا فتعالى الهتاف والزغردة ، واشتدّ التصفيق وشاهدنا أناساً يدمعون .

وبعد الغداء ألقى مضيفنا جورج زوين خطاباً طويلاً أطرى فيه « لبنانية رئيس الجمهورية ، وشاد بمواقفه الوطنية وسهره على كرامة البلاد وعلى توطيد استقلالها . وانتقل الخطيب الى منطقته فأظهر ما بذله رئيس الجمهورية من الايادي البيض عليها ، على كسروان عامـــة وعلى الفتوح خاصة ، ولا سيما في شق الطرق ووصل القرى النائية بالحياة ، وتأمين المياه لمحلات كان يقتلها الظمأ » .

وراحت ألوف الناس تقاطع نائبها وخطيبها تصفيقاً وتأييداً إذ سمعته ينطق بشعورها ورأيها . وما أن وقفتُ لاقول كلمة حتى عادت الجماهير كأن سلكاً كهربائياً قد مسّها ، واشتدّ صراخها وزغردتها وتصفيقها ، فانتظرتُ طويلاً حتى هدأت الحماسة . ورأيتني في قلب حصنٍ ماروني بحت فبدأت موضوعي بالميثاق الوطني والوحـــدة اللبنانية ، ووجوب التآخي والتعاطف بين جميع الطوائف ، فصفـّق ألوف السامعين وهتفوا للوحدة الوطنية . ثم شكرتُ المنطقة على جميل ولائها وكريم استقبالها ونوّهتُ بما لمضيفنا جورج زوين من فضل على المشاريع الحيوية لعمران الفتوح وكسروان، وذكرت زيارتي لهذه الجبال اللبنانية يوم كنت رئيساً للوزارة قبل ثلاثة وعشرين عاماً ، اي سنة ١٩٢٧ ، فأظهرت الفارق في وضعها العمراني بين الزيارتين، يوم لم يكن فيها الا طريق واحد، ترابي، ضيق ، صعب المراس ، ويوم صارت الطرق مزفتة تصل الى كل قرية ، فبدت المنطقة وحدةً مترابطة . ونسبتُ هذا كله الى بركة الاستقلال في ظل الميثاق الوطني، فتحمّست الجماهير واستقبلت ختام كلامي بالدعاء .

وانتقلت الى يحشوش، على حدود منطقة جبيل ، فرحّبت بنا ترحيباً حاراً . وعدت الى جديدة غزير وتناولت الشاي على مائدة آل زيادة الذين رحّبوا بالرئيس وصحبه ترحيباً حاراً .

وكان لزيارة الفتوح أثرها الطيب في جميع النفوس . وقال لي بعض الاساقفة والاعيان ان المنطقة لم ترَ مثل ذلك اليوم المشهود .

كورية وكورية !

يوم دشّنا مطار بيروت شاهدنا الوجوه تطفح بشراً ، ولكن الافكار بدَت قلقة متشائمة من جراء الحرب التي نشبت في كورية، وقسمتها اثنتين : كورية الجنوبية وكورية الشمالية . وقد ظاهرت حكومة واشنطن كورية الجنوبية مالياً وعسكرياً لقمع النفوذ الشيوعي، وساندت موسكو،

ومن ورائها الشيوعيون في العالم ، كورية الشمالية حتى ثبّتت قدمها . واضطرب الخلق اضطراباً شديداً خوفاً من شرارة الاصطدام الدولي، واهتمت هيئة الامم المتحدة اهتماماً بالغاً بالامر وأصدر مجلس الامن قراراً بشجب اعتداء كورية الشمالية (الشيوعية) على كورية الجنوبية . وأبلغتنا أمانة سر هيئة الامم هذا القرار وطلبت الى لبنان ان يساعد كورية الجنوبية المعتدى عليها بما يستطيعه . وقد ُفهم جلياً ان المساعدة المطلوبة إنْ هي الا رمزية ، ولكن الصعوبة كانت في قبول مبدأ الاعتداء . فنحن نريد تأييد قرار مجلس الامن ولكننا نريد ان يكون الصف العربي واحداً ، فقد عارض مندوب مصر في مجلس الامن (وهو مفروض فيه ان يمثل الدول العربية) قرار الشجب باعتبار ان دولته على الحياد ، واستعمل عبارات جافة في شرح اسباب مخالفته . فكان لزاماً علينا ان نتدبّر المسألة بالحكمة والدراية ، وعقدنا اكثر من اجتماع مع رئيس الوزارة ووزير الخارجية وطلبنا من الحكومة السورية ان نتشاور في الامر فحضر ناظم القدسي رئيس وزارتها الى عاليه واجتمع برياض الصلح وفيليب تقلا وهيأوا رداً الى امين الامم المتحدة أدخلتُ عليه بعض التعديل . وفيما نهمّ بإرساله استوقفنا ناظم القدسي حتى يعود الى دمشق . ولما وصل بعث الينا باضافة جديدة الى مشروع الرد ترمي الى لوم مجلس الامن ، فلم نرَ من المناسب ادخالها على ردّنا . وأرسلنا برقية تختلف عن جواب الحكومة السورية . وهذا نصّها :

« ان الحكومة اللبنانية تأخذ علماً بقرار مجلس الامن الصادر في ٢٥ من حزيران سنة ١٩٥٠ ، وهي اذ تؤكد حرصها على السلام وتأييدها الاعمال التي تستهدف حفظه في العالم ضمن نطاق ميثاق الامم المتحدة الذي وقعت عليه ، ترى لزاماً عليها الاعراب عن املها بان تنفذ بروح العدالة والحق جميع مقررات الامم المتحدة التي اتخذت في الماضي وتتخذ في الحاضر والمستقبل تحقيقاً لاستقلال جميع الشعوب وضماناً لحرياتها . والحكومة اللبنانية تعلن انها ستمتنع دوماً عن بذل اية مساعدة للمعتدي اياً كان » .

وصدر بلاغ رسمي بجوابنا هذا فانتقدته الصحف المتطرفة ولكنه

صادف قبولاً عند جميع المنصفين والمعتدلين والعقلاء ، ولم يتبرّم به معتمدا دولتي اميركا وانكلترة ، ولا هو جرح السياسة السوفياتية .

وزعمت الحملة الصحفية المتطرفة عدم وفاق الجواب اللبناني وموقف ممثل مصر في مجلس الامن . غير أن نهجنا بحد ذاته كان سليم المبدأ ، ناهيك بان حكومتي بغداد والرياض قد أيّدتا قرار مجلس الامن تأييداً اصرح . واعلن عبد الرحمن عزام امين الجامعة ان موقف لبنان لا يتعارض مع موقف القاهرة .

ثم عزّز وجهة نظرنا ان وزير خارجية مصر نفسه اضطر بعوامل لا مجال للتبسّط فيها ، وفي اثناء اجتماع صحفي عقده خصيصاً ، الى عدم التشبث بموقف حكومته السابق . وقد يكون للدبلوماسية الاميركية نصيب في ذلك التبدّل .

تعديل قانون الانتخاب :

أُكملت المساعي لتعديل قانون الانتخاب وارتكز التعديل على مبدأين ، احدهما : زيادة عدد النواب من خمسة وخمسين الى سبعة وسبعين [1]

---

(١) — لم يكن لطائفة الارمن الكاثوليك مقعد خاص بها ، وانما كانت تمثل مع الاقليات . والتعديل الجديد خصها بمقعد في بيروت . فكان لهذا العمل اثره الطيب في الطائفة المذكورة ، ولا سيما في نفس رئيسها الروحي نيافة الكردينال اغاجانيان ، وقد بعث نيافته الي في ١٩ من تموز بكتاب قال لي فيه : « ... وكذلك علمت بملء عرفان الجميل بتصميم نية فخامتكم على تخصيص طائفتنا الارمنية الكاثوليكية بمقعد في المجلس النيابي . واني لاعتمد بكل احترام على استعدادكم العطوف والفعال لتصبح هذه النية حقيقة تمكن طائفتنا الامينة للبنان ولرئيسه الفذ ، والمتعلقة به وبكم ، من الشعور باعتزازها المشروع في اشتراكها بالحياة الوطنية في المجلس الاعلى للبلاد .

« ان الارمن الكاثوليك ، وبطريركهم في المقدمة ، المرتبطين بكل اخلاص بفخامتكم، والمعترفين اعترافاً عميقاً بجميلكم ، يأملون الامل الوثيق بان يجدوا في مثل هذه المناسبة ايضاً سبباً جديداً من الامتنان من شخصكم الاسمى . وارجو ان تتفضلوا يا صاحب الفخامة بقبول الخ ... » .

الامضاء : غريغوريوس بطرس الخامس عشر
الكردينال اغاجانيان » اه .

والآخر : عدّ المحافظة منطقة انتخابية ، إلا اذا زاد عدد نوابها على خمسة عشر نائباً فتجزّأ عندئذٍ الى اقضية . وعلى هذا الاساس ُقسمت محافظة الشمال ثلاثة اقضية هي طرابلس وعكار والضنية . وقسمت محافظة جبل لبنان ثلاثة : هي كسروان وقضاءا بعبدا والمتن وقضاءا الشوف وعاليه .

وأعد التمهيد اللازم للاقتراع، وصادف المسعى قبولاً لدى العموم ما عدا بعض الغلاة المطالبين بالدائرة الصغيرة .

وُنظّم المشروع تنظيماً كاملاً واحيل الى المجلس النيابي . ونوقش فيه في جلسة ٨ من آب مناقشةً هادئة ومهذبة رفعت مستوى المجلس، وُقبل المشروع باكثرية محترمة وأذيع في مرسوم ُنشر في الجريدة الرسمية واصبح معمولاً به .

مشاكل لبنانية سورية :

انتقلتُ الى قصر بيت الدين في اول آب ، وبدأنا العمل باجتماع مجلس الوزراء للبحث في سياسة لبنان الاقتصادية مع سورية ، فاتضح لنا اختلاف بيّن في رأي الحكومتين ، ووجدنا انفسنا مضطرين الى شراء القمح من الكوتا الدولية ريثما يحدث التقارب في وجهات النظر . وقد يحدونا موقف دمشق السلبي في قضية الـ ٤٤ مليون ليرة لبنانية على ان نرجع الى التحكيم الدولي بشأنها بعد ان قطعنا كل امل بالتسوية الحبية . هذا ، والحالة عند جيراننا غير مستقرّة وقد حاول بعض العسكريين قتل العقيد اديب شيشكلي ، المحرك الاول للانقلابات الاخيرة ، ولكنهم أخطأوا السيارة المقصودة وأصابوا العقيد ناصر قائد الطيران العسكري وقتلوه ، فعمّ الحزن عليه جميع اصدقائه وأقيم له مأتم وطني .

وبقيت الحالة شديدة الاضطراب حتى شعرت الاحزاب السورية بالخطر المحدق بها من الداخل ومن الخارج ، فحزمت امرها وفرضت على ممثّليها

في الجمعية التأسيسية ان يضعوا حدّاً للحالة الشاذة التي تتخبّط بها بلادهم منذ اكثر من ثمانية عشر شهراً ، فاستعجلت الجمعية التأسيسية نصوص الدستور واتخذت صفة المجلس النيابي وانتخبت هاشم الاتاسي رئيساً للجمهورية (وكان رئيساً للدولة) . ودُعي لبنان لحضور جلسة الانتخاب فلبّى ، وقام وفد باسمي وباسم الحكومة اللبنانية بتهنئة الرئيس الجديد القديم .

مؤتمر المهندسين ومؤتمر الاحلاف اللبنانية السورية :

انعقد في بيروت مؤتمر المهندسين العرب ، ودارت فيه أبحاث قيّمة . واتخذ المهندسون مقررات مهمة . وقبل ان ينفرط عقدهم دعوتهم الى غداء في حدائق قصر بيت الدين، ورحّبت بهم وحفِيتُ بجميع المدعوّين وقد بلغ عددهم جميعاً ما يناهز ألف شخص . بارك الله بالقصر الذي اتسع لمثل هذا العدد العديد !

وانعقد ايضاً في بيروت مؤتمر الاحلاف، وهو مؤتمر الجمعيات اللبنانية السورية في المغترب الاميركي قد عقد لاول مرة في ارض الوطن الاصل ، وازدحمت قاعة الاونسكو الكبرى بالوفود اليه وبالمدعوين ، فافتتحته بكلمة ترحيب وتمنٍّ ، وكذلك القى وزير الخارجية والمغتربين خطاباً موفّقاً ، عقبه رئيس المؤتمر وشكر حفاوة لبنان بمغتربيه . وبعد انتهاء الحفلة زرنا المعرض الصناعي في قاعات الاونسكو الاخرى فأجمع الزائرون على تقدير الاتقان العظيم الذي رافق تنظيمه على الرغم من قصر الوقت لانجازه ، وابتهج المغتربون كثيراً بجميع هذه المظاهر .

وتمثلت الجمهورية السورية بناظم القدسي رئيس وزارتها في هذه الحفلة الافتتاحية .

واقمنا على شرف مؤتمر الاحلاف حفلة استقبال في قصر بيت الدين دعونا اليها أقارب المؤتمرين والوزراء والنواب والوجوه وكبار الموظفين

وعلية الاكليروس . وحرصنا على ان يرى المغتربون بعض العادات اللبنانية في تلك الحفلة : فَمُدَّ لهم مقصف سخي بأطيب المأكولات الشهية، وعزفت لهم موسيقى الدرك الحانها القديمة ، وسمعوا القول اللبناني (القرّادي والنشيد) ، وكمنجة سامي الشوا . وشاهدوا اللعب بالسيف والترس (١)، والالعاب النارية ، والشعَل على الجبال وإبّالات البلاّن التي انتهت بها الحفلة . فبلغ السرور أشده في هؤلاء اللبنانيين وارتسم الارتياح على وجوههم، وقد فتنهم ترميم القصر والعيش في بعض تذكارات الجدود ، وراحوا يتنافسون في التقاط الصور لتذكـّرهم في مهاجرهم روعة الحفلة . وفي انصرافهم شكرونا كثيراً ، ولعلهم ادركوا أننا اكرمناهم ولاطفناهم ليحفظوا من هذه الزيارة للبنان بعد غياب طويل اجمل الذكريات واعذبها، وأملنا بان تزداد الروابط والصلات بين شطرَي لبنان المقيم والمغترب .

مؤتمر في الديمان :

لم يُرضِ تعديل قانون الانتخاب جماعة المغالين في طلب الدائرة الفردية، فتنادت الكتلة الوطنية وبعض الناقمين واستنجدت غبطة البطريرك الماروني لعقد مؤتمر اكليريكي على الصعيد العالي في الديمان بغية الاحتجاج على القانون المذكور والمطالبة بتعديله مجدّداً . ولكن البطاركة لم يكونوا مجمعين على هذا . وقد زارني في بيت الدين نيافة الكردينال اغاجانيان بطريرك الارمن الكاثوليك مجدّداً ليّ شكره وشكر طائفته لان القانون الجديد نصّ على مقعد لها في المجلس المقبل . ومن غرائب المصادفات ان يجتمع في القصر بهنري فرعون الذي زارني هو ايضاً في ذلك اليوم ليظهر امتنانه من القانون المذكور الذي نصّ ايضاً على مقعد كاثوليكي في بيروت وصغّر الدائرة الانتخابية . وقد دعوت الزائرَين الى الغداء فلبّيا، وكان ذلك قبل يوم واحد من موعد المؤتمر .

(١) ـ لعب هذه اللعبة الرياضية الرائعة شابان من آل السبع من برج البراجنة وسر بمهارتهما جميع الذين شاهدوهما .

وفي ذلك اليوم عينه اوفدت الحكومة الى الديمان الوزير رئيف ابي اللمع لينبّه غبطة صاحب الصرح الى نية الدافعين الى عقد المؤتمر .

وفي اليوم التالي (١) انعقد المؤتمر ولم يتـّخذ صبغة الخصومة ضدّ الحكومة . واكتفى المجتمعون من بطاركة واساقفة بتدوين ملاحظاتهم على قانون الانتخاب الجديد لتقدّم الى رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة .

وفي ١٢ من آب جاء بيت الدين وفد من اصحاب السيادة المطارنة عبد وحيقاري وبتانيان وقدموا لي مذكرة بالملاحظات التي أخذها المؤتمرون على تعديل قانون الانتخاب فقرأتها ووجدت ان اهم ما ورد فيها طلبهم قيد المغتربين اللبنانيين في لوائح الشطب الانتخابية . فعرضنا الوضع الانتخابي في لبنان بمختلف وجوهه وناقشتُ مطالبهم مطلباً مطلباً، وكان الحوار صريحاً جداً من الجانبين فكان بدهياً ان يسوده روح تفهـّم . ولاحظت ان اجوبتي لقيت عندهم قبولاً .

ثم وصل الى القصر المطران البستاني وهنري فرعون وشارل حلو فاشتركوا في الحديث وايّدوا وجهة نظري ، وبعد بحث طال حتى الظهر دعوتُ الجميع الى الغداء فلبّوا وساد المائدة جو مفعم بالود الخالص .

ولا بد لنا، وقد أشرنا الى مذكرة مؤتمر الديمان والى مؤتمر الاحلاف، من ان نلخّص قضية قيد المغتربين في سجلاّت النفوس ولوائح الشطب ، بعد ان تداولتها الالسن وأُبديت فيها آراء لا تتفق مع الواقع :

١ ـ ان الاغلب الساحق من المغتربين، خصوصاً في الولايات المتحدة، قد اعتنق الجنسية الاميركية فلم يبق لهم حق بان يكونوا ناخبين او منتخَبين في لبنان ولا ان يُحسبوا في معدل التمثيل الطائفي .

٢ ـ ان القانون اللبناني راعى مصلحة هؤلاء المغتربين بأن عدّهم

(١) ـ ١٠ من آب .

لبنانيين حال رجوعهم نهائياً الى لبنان، وأجاز منحهم تذكرة هوية لبنانية، وخوّلهم ممارسة حقوقهم الانتخابية جميعها .

٣ — ان المغتربين الذين حافظوا على جنسيتهم اللبنانية او اختاروا هذه الجنسية بحكم معاهدة لوزان ، او الذين سيختارونها بعد تمديد المهلة المعطاة لهم في المعاهدة المذكورة (ويبلغ عددهم اكثر من مائة وخمسين الفاً) — واكثرهم في اميركا الجنوبية اي في البرازيل والجمهورية الفضية وجوارهما — إن هؤلاء مقيّدون مبدئياً في السجلات الخاصة بهم رقم (ب) ، وليس من مانع قانوني يحول دون نقلهم الى سجلات (أ) اي سجلات المقيمين . فاللبناني لبناني سواءً أكان في الوطن ام في المهجر . وهذه هي الحالة في جميع البلدان .

٤ — اما حق هؤلاء في الانتخاب فلا يمكن ممارسته الا بحضورهم فعلاً محل الانتخاب في مناطقهم . وأما القول بان لهم حقّ الاقتراع وهم غائبون، اسوة بما يجري في دول اخرى، فهو رأيٌ لا ينطبق على حالتهم، لان الاجانب الغائبين عن بلدانهم والذين يحق لهم ممارسة الانتخاب في ذلك الغياب إنما هم الموظّفون وأفراد الجندية والبحرية المعروف محل اقامتهم من حكوماتهم، والذين ترسل اليهم صناديق الاقتراع في وقت الانتخاب. وهذا لا يمكن تحقيقه في حالتنا .

٥ — بقي حقّ المغتربين اللبنانيين في ان يُحسَبوا في المعدل الانتخابي، وقد عمل لهذا الحساب المرحوم ايوب ثابت يوم وزع المقاعد النيابية على الطوائف في سنة ١٩٤٣، فقامت الطوائف الاسلامية على عمله وطالبت بالاحصاء العام . فحلّت سلطة الانتداب الخلاف بتوزيع المقاعد النيابية بنسبة ٦ للمسيحيين و ٥ للمحمديين ، وعلى هذا القرار سارت الحكومة في الزيادة الحاضرة .

ويجب ان يُتبع هذا المبدأ حتى يتمّ الاستقرار اللبناني ويترسّخ الميثاق .

والنتيجة : انه يمكن قيد المغتربين في سجل المقيمين وإبقاء الحالة على ما هي عليه في نسبة التمثيل الطائفي .

وفي هذا ما يكفي لانارة الاذهان .

عفو خاص :

قبل ٢١ من ايلول صدر مرسوم يعفو غسان تويني من المدة الباقية عليه في السجن . وقد علقت جريدته « النهار » على هذه البادرة بقولها :

« ... ان يعفو فخامة رئيس الجمهورية عن غسان تويني ، فانما عفوه النبيل هذا يقوم حقاً ، ما كاد يلتوي ... وأخشى ما نخشاه نحن في هذا البلد ان يلتوي الحق فيصبح قصبة في الريح ...

« وان عفو فخامة رئيس الجمهورية عن غسان تويني ، انما هو عفو عن القلم الحر ليس في يد غسان تويني وحسب بل في يد كل فتى لبناني يعرف ان الحق وحده يحرر الانسان ولا شيء غير الحق .

« وان لبنان كله لا مبرر لوجوده لولا هذه الحرية ...

« سيدي فخامة الرئيس

« لقد شاء غسان تويني ان يعيش ضمن جدران السجن طوال اشهر الصيف ... واصر غسان تويني على ذلك بعناد

« وابيتم يا فخامة الرئيس الا ان يخرج غسان تويني من السجن لانكم تأبون ان يبقى لبنان في الارض دائما بلدا لا يلتوي فيه حق ولا تنام القلوب فيه على مغاور الحقد البغيض ...» اه

وازيد على ما تقدم : إن الرئيس ما رعى الصحافة إلا بعاطفة ابوية دائماً ، وكان اول من احترم حرية القلم شرط ان لا تتجاوز الحدود المفروضة .

حفلات واستقبالات :

لبّيت دعــوة بلدية حمّانا لرفع الستار عن تمثال النائب الياس عاد

إحياء لذكراه وقد احتشدت جماهير عديدة من ابناء المنطقة ومن اصدقاء الفقيد يتقدمهم الوزراء والنواب وكبار الموظفين ، وألقى اميل لحود خطاباً رائعاً أخذ بمجامع القلوب ، ولكن اطلاق النار من انصار المقدّمين آل مزهر ومن انصار آل الاعور عكّر وقار الحفلة، والفريقان متنافسان في الانتخاب المقبل ، وأحرِ بهم ان لا يتخذوا مثل هذه المناسبة لمثل ذلك التنافس !

* * *

اعتاد الصليب الاحمر ، الذي لبننته الرئاسة والحكومة وتعهّداه منذ فجر الاستقلال ، ان يقيم حفلته الراقصة الخيرية في شهر آب من كل سنة بحضوري، وكذلك جرت عادة جمعية مقاومة السل (مصح ضهر الباشق) واقيمت الحفلتان الواحدة تلو الاخرى في فندق صوفر الكبير ، واشتدّ الاقبال عليهما وبلغ ريعهما مبلغاً لا يستهان به ، فجاء غيثاً ينعش المؤسّستين في حاجتهما الى المال لاتمام عملهما الانساني .

واقيمت حفلتان اخريان في حدائق قصر بيت الدين في شهري آب وايلول . ارتدت الاولى طابعاً رسمياً تقليدياً وحضرها الوزراء والنواب والوزراء المفوضون وكبار الموظفين المدنيين والعسكريين واعيان طبقات البلاد ورجالات منطقة الشوف بنوع خاص . وقد طاف المدعوون في القاعات التي تمّ ترميمها فسُرّوا بما شاهدوا ، ولم ينصرفوا إلا بعد المغيب والقصر يتلألأ بالانوار ويُرى من القرى البعيدة كأنه كوكب ينير الجبال.

وفي ١٢ من آب اقيمت في الحدائق عينها مأدبة غداء على شرف الاسطول الاميركي الراسي في ميناء بيروت دعونا اليها قواد المدرعات ووزير اميركا المفوض وعدداً من الوزراء اللبنانيين فأظهر الجميع امتنانهم.

ورأى امير البحر أن يبادلنا بهذه المجاملة الولائية قبل مغادرته مياه المدينة فأمر طائراته بان تقوم بألعابها الجوية ففعلت ، وكان طيرانها رائعاً حقاً . وقد مرّت فوق بيتنا بعاليه وفوق قصر بيت الدين محيّية لبنان ثم رجعت فانضمّت الى حاملات الطائرات في عرض البحر .

وكتب إليّ قائد الاسطول يشكرني على الحفاوة التي استقبلهم بها لبنان .

وفي شهر ايلول رست في بحرنا مدرعة ايطالية هي مدرسة بحرية لتعليم صف الضباط ، فدعوت وزير ايطالية المفوض وقائدها ومعاونيه الى غداء في بيت الدين ولاطفت الضيوف فكانوا جدّ مسرورين .

شؤون داخلية وخارجية في مجلس الوزراء :

انعقد مجلس الوزراء غير مرة في فترة الصيف وجدول اعماله مثقل بشتى الشؤون : فهناك المفاوضات الاقتصادية مع سورية — ولا نهاية لها ! — وهناك مباحثات اللجنة السياسية المنوي عقدها في الاسكندرية ، وهناك المشروع الانشائي للعمران ، وطلب الامانة العامة لهيئة الامم المتحدة تخصيص مبلغ رمزي من المال لمساعدة المتطوعين في جيش كورية الجنوبية، وقد تبرع مجلس الوزراء بخمسين الف دولار للترفيه عنهم وقوبلت بادرته بالشكر .

واهتم ايضاً المجلس لتوطيد الامن في جهات بعلبك وأشرك في بحثه قائد الجيش وقائد الدرك فأرسل الى المنطقة قوة مشتركة للقبض على اللاحقين من القضاء واعادة هيبة الحكومة . وعالج المجلس ايضاً موضوع اجتماع المعارضة في صوفر وقد دعا كمال جنبلاط افراد حزبه لحضوره فقرر الوزراء ان لا تتعرّض له الحكومة ، وهكذا عقد الاجتماع وانفضّ بدون حادث .

وفدنا الى هيئة الامم :

وعين مجلس الوزراء الوفد اللبناني الى الدورة العادية في هيئة الامم المتحدة برئاسة فيليب تقلا وزير الخارجية وعضوية بهيج تقي الدين وزير الزراعة على ان ينضم اليهما وزيرنا المفوض في واشنطن ، وكان لهذه

الدورة اهميتها في نظرنا لان لبنان مرشح لعضوية مجلس الامن ، ناهيك بما شعرناه من ضرورة اتصال وفدنا بالجاليات اللبنانية لاطلاعها على الحقائق التي تجهلها .

وجهاد يغيبان :

في اواخر آب ، وبعد مرض شديد الوطأة ، تُوفي الصديق الشيخ ابرهيم المنذر البحّاثة واللغوي والنائب القديم ، فزرت عائلته في ساقية المسك وعزيتها وأبديت أسفي على فقده فقوبلت عاطفتي بالشكر .

وفي ٥ من ايلول فوجئت بوفاة الصديق والنسيب ، النائب ابرهيم عازار ، على اثر انفجار في الدماغ لم يمهله اكثر من ثلاث ساعات فبكيته بكاء مرّاً ، وزرت عائلته في بجمدون معزّياً وحضرت مأتمه في جزين يرافقني رياض الصلح وبعض الوزراء . ومن اغرب الحوادث ان احد اخصاء الفقيد جاء معزّياً ، وبكى وانتحب امام جثمانه وسقط ميتاً بالحال من عظيم تأثره .

زيارات : بخور في المتن ونسف جسر في كسروان :

وقع في ٨ من ايلول عيد ميلاد السيدة العذراء شفيعة كرسي بيت الدين فحضرت قداس المطران بستاني .

وقمت بزيارة المتن الشمالي ولاحظت ان الاستقبالات حفلت بجماهير غفيرة في جميع القرى التي مرّ بها الموكب ، وخصوصاً في برمانا وغابة بولونية والخنشارة . وجرى الاستقبال الرسمي في ضهور الشوير وفيها تناولت الغداء على مائدة الوزير جبرائيل المر .

وانتهزت الفرصة لاتفقد مصح بحنّس الذي تتولى ادارته راهبات المحبة ، فاصطف المرضى والاطباء والراهبات في مدخل المصح للاحتفاء

بالرئيس ، وهنأت القائمين على العمل مقدّراً التفاني في الخدمة الانسانية التي يحقّقها هذا المصح . وختمت الرحلة بزيارة دير مار يوحنا الخنشارة للرهبان الملكيين الشويرين فخرج الجميع بالالبسة الكهنوتية حاملين الصليب المقدس والمباخر ، يتقدمهم سيادة الاب العام وسيادة المطران ديونيسيوس كفوري ، واستقبلوني في الباحة الخارجية ، ثم دخلنا الكنيسة وارتفعت الادعية بالانغام الشجية على نيّة الجمهورية اللبنانية ونية رئيسها . وركعتُ خاشعاً وصلّيت ان يحفظ الله لبنان ، ويرعى جميع ابنائه .

ولما انتهت أدعية المستقبلين وانتهت صلاتي انتقلنا الى القاعة الكبيرة فلفظ الرئيس العام خطاب « تأييد مطلق للعهد ، وامتنان صارخ على الخدمات التي قام بها المسؤولون للنهوض بلبنان » . فشكرت الرئيس العام على خطابه وشكرت الجميع على كريم استقبالهم ، وقد لمسوا في كل كلمة قلتها لهم شديد تأثري من صادق حفاوتهم بي .

ثم ودّعتهم وشجّعتهم ، ورافقني عطر البخور الذي حرقه الآباء الاجلاء عنوان وفاءٍ وتقدير لعهد الاستقلال، رافقني ساعاتٍ، وأياماً ، وأنا اسأله تعالى ان يقوّيني على خدمة اللبنانيين ، جميع اللبنانيين، وان يوطّد معالم الاستقلال حتى يشعروا بكرامة الوطنية وعزتها، ويقطفوا ثمارها .

ولكن العطر ، وآسفاه ، لا يدوم ، وإن تأرّج من بَخُور كنسي . وللقلب نزوات ليست كلها الى الخير : ففي ٨ من تشرين الاول تأهّبت لزيارة كسروان ، لارفع الستار عن تمثال نائبه السابق المرحوم فريد الخازن في غوسطا ، وقبل ان أغادر عاليه تلقيت نبأ بأن يداً نسفت جسراً صغيراً في محلة « محقان المظلوم » بين ميروبا وفاريا ولكنها لم تهدمه . وقد ظنّ الذين أوحوا بالنسف لقطع الطريق ان مثل هذا العمل الارهابي يثنيني عن زيارة منطقة عزيزة عليّ ويحول دون اشتراكي في تكريم ذكرى نائب غيور خدم قومه بكل همة . ولكن طاش سهمهم في الظن والنسف ، وما أن عرفت الخبر حتى اشرت على رئيس الوزارة باصلاح

الجسر حالاً ، إصلاحاً موقتاً ، كي تتمّ الزيارة في موعدها، وهكذا كان.

وقد تحدّى ذلك العمل الصبياني كرامة المنطقة على اختلاف نزعات ابنائها ، فهو ليس من شيمة ابناء الجبال، ولم يسبق للبنانيين ان استقبلوا ضيفاً بنسف طريقه مهما بلغ الخصام بينهم وبينه ، فكيف بهم وهذا الزائر رئيس بلادهم . فهبّت كسروان على بكرة ابيها تستقبل الرئيس استقبالاً رائعاً منقطع المثيل، حمل جريدة « البيرق » الناطقة باسم الكتلة الوطنية المعارضة على الاعتراف بان « رئيس الجمهورية هو رئيس الدولة والامة ، ولن يكون لفئة ولا لحزب » وان « الشعب الكسرواني مقدّر للرئاسة الاولى ، التي هي لجميع اللبنانيين ، جهادها ومتاعبها . . . » .

ومما لفت الانظار ايضاً تهافت الاكليروس الماروني على الاشتراك في استقبال الرئيس وتكريمه ، مُعلناً تقديره لجهاد العهد في سبيل الاستقلال وفي السعي للعمران والنهوض بجميع مناطق الوطن نهوضاً خيّراً . ولوحظ ان الكهنة استأثروا باكثر كلام الترحيب والتكريم اذ كان معظم الخطباء منهم ، فأعربوا عن تعلقهم بالرئيس وبحكومته ، ونادوا بولائهم لهما بالاصالة عن انفسهم وبالوكالة عن ابنائهم الروحيين . وبدا السادة الاساقفة والرؤساء العامون لجميع الرهبانيات في مقدمة الجماهير ، فأثبت هذا الاستقبال الحافل ان نسف الجسر عمل صبياني فردي تستنكره التربية والعادات والاخلاق اللبنانية .

مستشفى تل شيحا في زحلة ومستشفى المعلقة :

في ١٤ من ايلول زرت مستشفى تل شيحا (١) في اعالي زحلة ، فتلقاني أبناؤها بحماستهم المعروفة ، وبطيب قلبهم الذي لا يحمل الحقد ، ولاحظت ان ممثّلي العائلات الكبرى المعارضة ظهروا في مقدمة المحتفين،

(١) — ان الاموال التي ارسلت من المهجر لبناء هذا المستشفى وتجهيزه بأحدث الآلات قد تبرع بها محسنون كرام ينتمي اكثرهم الى الاسر التي كانت تعارض العهد.

وشاهدت بينهم الصحافي شكري البخاش المعارض الاكبر ، الذي كان ينسب الى العهد القائم كل فريّة ، حتى صار ينسب الينا شدّة الحرّ وقساوة البرد ! وقد جاء شكري بابنته الصغيرة حاملة لي باقةً من الازهار وألقت كلمة ترحيب طيبة، فشكرتها وشكرت الجميع وتفقّدت قاعات المرضى والغرف الخاصة ومحل العمليات الجراحية .

وانتقلت بعدها الى المعلقة ، الى المستشفى الذي بنته الحكومة لمداواة ابناء محافظة البقاع . فاستقبلني الاطباء والراهبات والممرضات يتقدمهم الدكتور الياس الخوري وزير الصحة، وفيما انا اجول في أرجائه ولدت زوجة حبيب قعزان من الفرزل وهو من الجنود القدماء ابناً ذكراً اعطاه والده اسم بشاره تيمّناً بزيارتي ، فأشرت بمساعدة الوالدَين وبان توالى العناية بالمولود في المستقبل .

وتناولت الغداء مع جميع المرافقين في حوش الامراء ، في البيت الجميل الذي بناه فيها يوسف شربل النائب العام، وقد بالغ صاحبه بحسن الضيافة والوفادة .

وفاة السفير البابوي :

مات في روما المنسنيور مارينا اول سفير للكرسي الرسولي في لبنان، وقد عانى مرضاً عُضالاً فتك ببنيته الجبّارة ، فأسفنا عليه لانه كان يتحلى بصفات كريمة ، لمسناها في جميع اعماله الرسمية والخاصة اثناء سفارته . وأقيمت حفلة صلاة على نفسه دُعيتُ اليها رسمياً فلبّيت، لان الراحل كان بحكم وظيفته عميداً للسلك الدبلوماسي ، وبعد القداس والجناز في كنيسة الآباء اليسوعيين علّقت على مسند من مخمل شارات وسام الارز من رتبة الوشاح الاكبر تكريماً له بعد الوفاة ، وخرجت من الكنيسة وعن يساري نيافة الكردينال تبوني يرافقنا غبطة بطريرك الطائفة الكاثوليكية والسادة أحبار الطوائف الاخرى ، وقدّمتُ واجب

التعزية لوكيل السفارة البابوية ، فلقيت مجاملتي هذه اطيب الوقع في نفوس الرؤساء الروحيين .

كلوفيس الخازن دفع لنسف الجسر :

اثبت التحقيق ان كلوفيس الخازن عضو الكتلة الوطنية هو الذي دفع الى نسف جسر محقان المظلوم ، فقد اعترف الذي نقل الديناميت الى « المقلعجي » بأن الذي سلّمه هذه المادة للعمل المعلوم هو كلوفيس الخازن . وأوقف جميع المتهمين واخذ التحقيق مجراه القانوني ، فبدأت المساعي لانقاذ الدافع ، سواءٌ أكان الانقاذ بنكران نسبة الجريمة اليه او بالشفاعات به . وحكم عليه المجلس العدلي بالسجن ستة اشهر . وبقيت الرئاسة بعيدةً عن كل تدخّل ولكنها رأت الحكم رحيماً جداً ، ولم تـرَ مجالاً الى نقده بعد ان قال القضاء كلمته في الجريمة .

زيارة امير برازيلي :

في ١٤ من تشرين الاول وصلت الى بيروت طائرة برازيلية تقلّ مندوباً عن وزارة خارجية البرازيل والبرنس دون خاوه حفيد دون پادرو الثاني الذي كان امبراطوراً على البرازيل، يرافقهما يوسف السودا وزيرنا المفوض في تلك البلاد ، فاحسنت وفادة الزائرين الكريمين وتوالت الدعوات على شرفهما بدافع الولاء لبلدهما المضياف الذي اكرم مغتربينا اليه، وحفاوتنا بالضيفين مما يزيد علائقنا بالبرازيل ارتباطاً وثيقاً يعزّز مركز الجالية اللبنانية فيها .

اضراب في طرابلس :

في ٢٨ من تشرين الاول اعلن الطرابلسيون الاضراب لمدة ثلاثة ايام . وأُخذت جميع الاحتياطات لجعل الاضراب سلمياً وحذّرنا السلطة المحلية من استعمال العنف . واتصلت الرئاسة ببعض وجوه المدينة للحيلولة دون

تأزّم الحالة ، ولنخفّف من الحدة . والاضراب في الواقع لم يكن إلاّ « فشّة خلق » ، فمطالب اللبنانيين عامة والطرابلسيين خاصة لا تختلف عن رغبة حكومتهم بفض كل خلاف مع حكومة دمشق ، ولكن الحكام السوريين رفضوا دائماً مجاراتنا الى التفاهم ، فصرنا ولا لوم على لبنان ولا تثريب ...

وقد أثبت لنا إضراب الفيحاء ضرورة سعي وزارة الاقتصاد عندنا لايجاد اسواق خارجية جديدة وخلق تسهيلات مالية للمزارعين بعد ان كسدت الاسواق الداخلية ووقف تبادل المنتوجات الزراعية مـع سورية من جراء اعلان القطيعة . وعلى هذا الاساس قرّر مجلس الوزراء فتح اعتماد قدره مليون ليرة لتشجيع تصدير انتاجنا الزراعي ، والقيام بأعمال عمرانية داخل طرابلس تساعد على تفريج الازمة ، فأحدث ذلك أثراً طيباً .

وكان رياض الصلح اثناء الاضراب غائباً في القاهرة لاعمال خصوصية، وعاد بعد اسبوع ونسبت اليه الصحف المصرية نشاطاً ينال من سياسة دمشق ويعزو اليها عدم الاستقرار . فقلت له بان يُدلي بتصريح يضع فيه الامور في نصابها فينجلي الجو بيننا وبين سورية ونتمكن من متابعة مفاوضتها على الشؤون المعلّقة بيننا ففعل .

عودة وزير خارجيتنا من الامم المتحدة :

عاد فيليب تقلا وزير خارجيتنا من رحلته الى اميركا وزيارته لمكسيكو ولوندرة ، وقد بسط لي بالتفصيل مراحل ترشيح لبنان لعضوية مجلس الامن وسبب فشلنا فيه . وذلك ان الوعود كانت قد قُطعت من اكثر من سنة لتركية باعطائها هذا المقعد ، ولكن الاصوات التي حازها لبنان على رغم من تلك الوعود قد تُحسب فوزاً معنوياً . وزاد فيليب تقلا على ذلك ان معركة ترشيح لبنان لعضوية مجلس الامن لم تنتهِ الا

باتفاق قضى بتنزّل لبنان لتركية تلك السنة لقاء تعهد الدول بانتخابه بدلاً من تركية بعد سنتين [١] .

ونقل إليّ وزيرنا حديثه مع ناظر خارجية الولايات المتحدة عن الخطر من اسرائيل على حدود لبنان وحدود اكثر من دولة عربية ، وأن ممثل الحكومة الاميركية أكد له ان البيان الثلاثي له معنى عملي يمنع كل تعدّ على تلك الحدود منعاً باتاً، ولو اضطرّت حكومات البيان الى استعمال القوة، وان في ذلك ضماناً كافياً لحدود لبنان . ثم بحث الوزيران في المعونة الفنية والمالية التي يمكن ان ينالها لبنان من البنك الدولي بفائدة مخفّضة بغية تحقيق بعض المشاريع العمرانية شرط ان تكون مستوفاة الدرس .

ولقيت زيارة فيليب تقلا وبهيج تقي الدين الى المكسيك حفاوة بالغة من الحكومة ومن الجالية اللبنانية وعزّزت العلائق بين لبنان وتلك الدولة الصديقة ومتّنت روابطنا بمغتربينا فيها .

فيليب تقلا في لوندره . طلائع الدفاع المشترك :

وفي طريق عودته الى لبنان لبّى فيليب تقلا دعوة المستر بيفان وزير خارجية بريطانية العظمى ومكث في لوندرة بضعة ايام ضيفاً على حكومتها . وجرت له محادثات فيها على جانب عظيم من الاهمية ، ظهر منها :

اولاً ، ان الدول الغربية مهتمّة كل الاهتمام بوضع الشرق الاوسط فهو في نظرها يؤلف نقطة مهمة في الدفاع ضد الهجوم الروسي . وعليه فان حكومتي اميركا وانكلترة تأخذان على عاتقهما الدفاع عن دوله .

ثانياً ، ان الدول الغربية ترى خطر الحرب موجوداً ، وان لم يكن مُلحّاً ، وهذا ما يدعوها للتمسك بمنطقة قناة السويس لانها في نظرها نقطة ارتكاز لجيوشها في الدفاع المشترك .

ثالثاً ، ان بين القناة المذكورة وتركية وايران منطقة حساسة خالية

---

(١) – وهكذا كان ، وانتخب لبنان خلفاً لتركية .

من كل دفاع ، فيجب النظر في الطريقة الواجب اتباعها لصون هذه المنطقة وللحؤول دون اجتياحها .

رابعاً ، ان الدول الغربية غير مُسلحة التسليح الكافي بينما روسيا لم تخفض سلاحها ولم تنقص شيئاً من قوتها ، وعليه فان جميع المصانع الغربية ستتحوّل الى عمل السلاح .

وكل ما تقدم يدل على ان تجنّب الحرب غير مضمون ، ويدلّ على ان الاتفاق مع مصر على اخلاء البريطانيين قاعدتهم في القناة مستبعَد الآن لسوء الحظ .

خامساً ، **قد تطلب حكومتا الولايات المتحدة وبريطانية من دولتي لبنان وسورية غير المرتبطتين بمعاهدة مع بريطانية ، خلافاً للعراق والاردن ومصر ، ان تفاوضا في عقد مثل هذه المعاهدات . . . وهذا هو بيت القصيد ، وانه لعلى جانب عظيم من الخطورة ، خصوصاً وقد سبق لي ان اعلنت غير مرة عدم استعداد لبنان للارتباط بأي تعاقد من هذا النوع مع أية دولة كانت .**

استمعتُ الى فيليب تقلا بمزيد الانتباه وفكّرت في نفسي أن الحرب العالمية الثالثة قد تقع، او انها لا تقع ، غير ان العقبة التي سيصطدم بها لبنان واقعة حتماً وهي دعوتنا الى عقد احلاف تربطنا وتشدّنا الى غيرنا وتربط مصيرنا بمصير سوانا . وهذا أمر أبيناه في الماضي وسنرفضه في المستقبل .

وطلبت من رياض الصلح ان يوافيني ووزير الخارجية ، فاجتمعنا وقلّبنا الوضع من جميع النواحي وأجمعنا على ان لا نحيد قيد شعرة عن الخطة التي رسمها لبنان لنفسه في السياسة الخارجية مهما كلّفنا موقفنا السلبي .

ولقد اطمأنّت قلوبنا الى هذا القرار الوطني العاقل الذي أجمعنا

عليه ، وإنه لراحة لوجداننا ، ولكنه قرار يغضب من هم اقوى منا ...

ترى ، هل يكون لي بعد الآن « اطمئنان شخصي » ؟

وهل تعفّ المآرب عن تحريك المطامع ، واستغلال الظروف ضدنا ؟

ان حكمة الله تعالى لا تدرك !

وفاة عبد الحميد كرامي :

لم ينفع الداءَ الدواء وقضى عبد الحميد مبكياً عليه ، ونُقل جثمانه من المستشفى الى بيت انسبائه آل سلام . وما ان بلغني النبأ المحزن الذي اسال دمعي حتى قمت بواجب التعزية وجمعتُ مجلس الوزراء وقررنا إجراء مأتم وطني للفقيد في طرابلس . وفي ٢٣ من تشرين الثاني مساءً واكبت الجثمان قوى الحكومة وقامت على حراسته طوال الليل تكريماً له ، بينما الجماهير تنوح وتبكي داخل المنزل وخارجه .

وفي اليوم الثاني اقيم المأتم الوطني بأبهى المراسم واجلّها ، فمشيتُ مع رئيس الوزارة والوزراء والنواب وكبار الموظفين المدنيين والعسكريين في جنازة الفقيد الى الجامع المنصوري . وبعد الصلاة ابّنته في قاعة الجامع الكبرى ونقلت مكبّرات الصوت خطابي الى الجماهير المحتشدة . ولم يكن من السهل تأبين الراحل الغالي وقد عاش في سلبية عنيفة ، فوقف من الكيان ومن الدولة ومن اكثر حكوماتها مواقف غير ناعمة ، وعارضها معارضاتٍ صاخبة . وفي عهد الاستقلال خاصم الرئاسة بغير إنصاف على حين إنصافها الدائم له ، رحمات الله عليه .

ولكن المولى أعانني على الخروج من ذلك المأزق بكلام نفذ الى قلوب السامعين ، فقلت في رثائه :

« ايها الراحل الكريم

« ربك الذي خلق السموات والارض فجعل من هذه الفانية التي بسطها موطناً لقدميه ومسكناً عابراً لبراياه ، ومن تلك الخالدة جنات لمختاريه، تبارك اسمه وتعالى

في السراء والضراء ، في النكبة والعزاء ، في الحياة وفي الممات ، هو الذي اصطفاك ودعاك لجواره، وسخر القدر ليصرعك في ذكرى الاستقلال لتتحد يومك بيومه ويمتزج ذكرك بذكره ، انا لله وانا اليه راجعون » .

وورد في التأبين ذكر الميثاق والمعارضة فقلت :

« ... ودار الزمان دورة قصيرة فعدت الى الندوة راضياً بعد ان تخليت عن الحكم مختاراً ، ثم رأست المعارضة ومع ذلك فلم تعد يوماً الى الموقف السلبي ، وكم صرحت وجاهرت ان ميثاقاً وطنياً خطته يـدك ووقعت عليه يمينك واخترته لنفسك عن رضى ، لا ولن ترضى ان يتغير منه حرف او يتبدل معنى من معانيه . فاحترمت الحكومة معارضتك كما احترم الشعب حكمك ، والحكم والمعارضة يتمم احدهما الآخر عندما تحسن المقاصد وتستقيم النيات وتتحد القلوب عند مصلحة الوطن العليا » .

وختمت قائلاً :

« اللهم انه سمج لمثلنا ان نستثني عليك اي حبيب ، وأن نمنع عنك اي قريب ، وأن لا ندع اجسادنا وأنفسنا وكل ما وهبت بين يديك .

« اللهم اخذت منا وطنياً مثالياً ، وعلماً من الاعلام ، وركناً من الاركان ، فاصطفيته لجوارك فليكن لديك جل جلالك ، هو ومن سبقه من لبنانيين اماثل واستقلاليين افاضل سفراء لبنان ، فهم ان ستروا وجوههم مهابة امام وجهك يفتحون قلوبهم ليضرعوا امام عرشك ، لتجنب لبنان المصائب والويلات ورأسها الانشقاق والخلاف والحقـد والضغينة ، ولتكسوه حلة لا تنزع من الوئام والسلام والحب والتساهل ، وانت السميع المجيب، وعلى كل شيء قدير » .

وواروا الفقيد العزيز في جدث الرحمة ورجعت الى بيروت . وانهالت عليّ برقيات الامتنان والتقدير ، للمأتم الوطني وللتأبين ، وصدرت الصحف في اليوم التالي تحمل صدى ذلك كله ، وفي مقدمتها صحف المعارضة . قالت جريدة « بيروت » :

« كان خطاب فخامة الرئيس في تأبين المغفور له عبد الحميد كرامي فقيد الوطن العظيم آية من آيات البيان وقطعة رائعة من البلاغة ووثيقة خطتها يد جليلة الشأن، فقد وفى فيها فخامته الزعيم الراحل حقه ، وانتزع اعجاب الجميع بعمقها وروعتها وجمال اسلوبها ، ولا شك ان الطرابلسيين كانوا وهم يستمعون الى كلمات فخامة الرئيس في رثاء الزعيم المفدى يشعرون ببلسم يمسح جرحهم الدامي ويؤكد لهم ان فخامته لن ينسى طرابلس ومطالبها الحقة ولن يدعها تكتوي بنار اليتم .

« ... وقد صلي عليه في المسجد المنصوري واشترك في الصلاة علماء الدين ومشايخ المولوية والمشيعون حتى اذا انتهت الصلاة القى صاحب الفخامة خطاباً رائعاً نبع من اغوار قلبه الكبير ، فاذا كلنا خاشع لهذه العظات البليغة ولهذا السرد الجميل المتسق لحياة الفقيد، يقصها علينا فخامة اللبناني الاول وهو الذي خبره عن كثب طوال سنين ، وقدر ما تنطوي عليه نفسه الكبيرة من فضائل ومكرمات » .

وقالت « البيرق » لسان الكتلة الوطنية المعارضة :

« بلغ تأبين فخامة الرئيس للفقيد الكبير المغفور له سماحة عبد الحميد افندي كرامي في طرابلس منتهى روح الادب والبلاغة، بما تضمنه من آيات رائعة وتأملات روحية واستسلام للمشيئة الالهية وحث على التآلف والاتحاد ، في اسلوب رفيع وانشاء متين وديباجة سامية . وسرنا ان يكون فخامته ، وهو رجل الدولة الكبير الذي رفعه الدستور فوق الاحزاب وجعله الحكم بين مختلف عناصر الامة ، قد اعار المعارضة كقيمة توجيهية في حياة الامة ما تستحقه من الاهمية بحيث انها والسلطة صنوان متعاونان، في معرض التحدث عن قائد معارض كبير .

و« البيرق» وهو يردد اصداء الراي العام لا يسعه الا ان يبدي تأثره لهذا النداء ، مؤكداً ان المعارضة وقد حركتها الرغبة الصادقة في العمل المخلص الجدي من اجل لبنان ، حريصة على التآلف الوطني القائم على تحقيق المطالب القومية . والله ولي التوفيق .» اه.

تمهيد لاستقالة الوزارة :

اقتربت الانتخابات ودخلت الناس مرحلة التحضير لها ، وكان قد مضى على رياض الصلح اربع سنوات وهو رئيس للوزارات المتتابعة ، فاتفقتُ معه على ان يتخلى عن الرئاسة برضاه وان يفسح المجال لتأليف حكومة ادارية بحت تؤمّن الحياد في الاستفتاء المقبل . وهـذا الحديث بيننا يرجع الى ما يزيـد على السنة ، وقد حرصت فيه على ان يطمئن صديقي رياض الى المستقبل والى حبي له . ناهيك بخدماته الوطنية ، ولباقته وسداد رأيه ومواهبه الجمة ، ولكن هناك عوامل بسيكولوجية وسياسية تضطرنا الظروف الى مراعاتها ، فاتفقت إذنْ وصديقي على ان تأتي وزارة حيادية للانتخاب يرئسها الحاج حسين العويني . ثم يخلفه بعدها

كلٌّ من عبدالله اليافي فصائب سلام فسواهما على التتابع، ليأخذ كل سني كفوء قسطه من تحمّل المسؤوليات، ثم يعود رياض الى الحكم فاختم رئاستي ، كما افتتحتها ، برفقته ، ونسعى كلانا الى تكليل عملنا باصلاح شامل يوّطد وضع لبنان ، وعندها أردّ الامانة الى اصحابها وأرتاح من عناء الرئاسة ويكمل رياض دوره — اذا شاء — مع الرئيس الذي يخلفني .

اتفقنا على هذا قبل سنة ، ولما حان اجل التنفيذ غصّ الرفيق وعزّ عليه ان يغادر الحكم ويبقى بعيداً عنه اثناء الانتخابات وبعدها . وشعرت بتردّده فراعيتُ جانبه وعالجت الامر بالتأني ، فكان اجتماع اول بيني وبينه ، واجتماع ثانٍ حضره حبيب ابو شهلا، واجتماع ثالث حضره حبيب ابو شهلا ، وصبري حماده وأحمد الاسعد ، حتى أسفرت تلك الاجتماعات عن قبول رياض الصلح برغبتي ووعدني بان يقدّم استقالة وزارته في مطلع العام الجديد على ان يعيّن موعد الاستقالة فيما بعد .

تمّ ذلك كله بالرضا المتبادَل وجاء عيد المولد النبوي فظهرت الطفرة من « الانصار » جماعة رئيس الوزارة تعبّر عن استيائها ، وعن عدم رضاها ، ولعلع الرصاص ليلة العيد وفي ثاني يوم العيد حتى خُيّل الى الناس ، ولا سيما للاجانب ، اننا في ساحة حرب ! و « الانصار » هم هم في كل زمان ، معظمهم في الباب دائماً ليستقبلوا الرئيس الجديد . . .

ونشكر الله على ان الاحتفال انقضى بدون حادث . ولكن الالسن انطلقت تنسب الافراط باطلاق العيارات النارية الى ايعاز من رياض .

وقع عيد المولد في الثاني والعشرين من كانون الاول وعقبه عيـد الميلاد ، وكانت « ردّة رجل » شديدة في جوار كاتدرائية مار جرجس المارونية حيث احتفل بالقداس الرسمي ، واكثر شدة منها في الاحيـاء الشرقية ، وانبرى « الانصار » الآخرون ، وهم هم زملاء الاولين في طينهم وعجينهم ، يفرطون في اطلاق العيارات النارية والاسهم المفرقعة ؛

ولكن العيد انقضى بسلام وعدنا الى اعمالنا بعد انشغال بال طال اسبوعاً كاملاً .

مفاوضات مع سورية :

مرت مدة طويلة على المذكرة التي بعثت بها حكومة لبنان الى دمشق بشأن إعادة العلائق الاقتصادية بين البلدين، ولم تجب الحكومة الجارة على مذكرتنا الا في آخر السنة . وقد هدف جوابها ، لسوء الحظ ، الى تعكير الجو السياسي عندنا اذ اقتصر على تبادل المنتجات الزراعية وحدها تحبباً الى اهالي طرابلس وصيدا وإثارةً لهم، وأما تجار بيروت وصناعيّوها فظلوا محرومين فائدة التبادل . وأنكى ما في ذلك التعكير المقصود ان دمشق ارسلت جوابها في موسم الحمضيات التي يُشحن معظمها الى سورية، متجاهلة ان كل تعكير بين الطوائف اللبنانية لا يضر لبنان وحده، وإنما هو يضرّ سورية ايضاً، ويضرّ جميع البلدان العربية، ويعود عليها بأوخم العواقب . . . وقد تحمّس اللبنانيون الذين ينتفعون من الاقتراح السوري وأرادوا الضغط على حكومتهم لتقبله ، غير مراعين مصالح مواطنيهم الآخرين من تجار وصناعيين ، ولكن الحكومة ثبتت في موقفها وأبت إلا حلاً يراعي منافع الجميع ، ولذلك أوفدت وزير المال الى دمشق مرتين متواليتين في اسبوع واحد، علّه يصل الى تبادل مختلف منتجات البلدين على اسس معقولة ، وهمّنا ، كل همنا ، أن يصفو جوّ الاخاء والجوار بيننا ، فالحالة الدولية غير مرضية ، وشبح الحرب يخيّم على العالم من جديد .

وفي ١٨ من كانون الاول اجتمع مجلس الوزراء للاطلاع على نتيجة مساعي وزير مالنا في دمشق فأعلمنا انه توصّل الى حل الازمة موقتاً بواسطة التبادل الزراعي والصناعي على اساس تعرفة جمركية، وأرجىء البحث في سائر الامور الى العام الجديد . ووافق المجلس على ان يكتب وزير المال الى زميله السوري كتاباً هذا نصه :

« معالي السيد شاكر العاصي وزير مالية الجمهورية السورية الافخم

تحية خالصة وبعد :

جواباً على كتابكم الكريم المؤرخ في ٦ كانون الاول سنة ١٩٥٠، وعطفاً على المباحثات التي جرت بيننا في دمشق يومي الخميس في ١٤ كانون الاول ١٩٥٠ والاثنين في ١٨ كانون الاول ١٩٥٠، يسرني ان احيط معاليكم علماً بان الحكومة اللبنانية توافق على ان يجري تبادل منتوجات البلدين الزراعية ومصنوعاتهما الوطنية بينهما اعتباراً من نصف ليل الاربعاء — الخميس الواقع في ٢١ كانون الاول ١٩٥٠ في نطاق حاجة كل منهما للاستهلاك، على ان يخضع هذا التبادل للتعرفات الجمركية والقوانين والانظمة في كل من البلدين .

كما ان الحكومة اللبنانية ترحب بعقد اجتماع في بيروت بين ممثلي الحكومتين في الساعة الحادية عشرة من يوم الاربعاء الواقع في ١ كانون الثاني سنة ١٩٥١ وذلك لتصفية الديون وكافة الامور الناشئة عن الانفصال الاقتصادي الجمركي . »

وتفضلوا يا معالي الوزير بقبول فائق الاحترام .

بيروت في ١٩ كانون الاول ١٩٥٠ وزير المالية . الامضاء :

حسين العويني »

وفي ٢٠ من كانون الاول لم يتلقّ حسين العويني جواباً من زميله، ولم تفتح بالتالي الحدود في منتصف ليل ٢١ ، فخاب املنا . واتصل رئيس الوزارة السورية بوزير مالنا واستمهل للجواب حتى يوم الاثنين في ٢٥ . وحدث رد فعل عنيف في طرابلس ، وبدلاً من ان نجد فيها سنداً ومشاركة في استنكار موقف الحكومة السورية تظاهر الاهلون وسدّوا الطريق العام بشاحنات الليمون وامتنع السير مدة من الزمن ، فاحتاطت الحكومة لمنع الشَغَب ، واشترت الليمون المُعَدّ للشحن الى سورية ووزّعته على المستشفيات ، وهي تأمل بان تنفرج الازمة ، ورأت ان تتذرّع بالصبر والانتباه الشديد . . .

واخيراً ، تـمّ الاتفاق الجزئي مع حكومة جيراننا وفتحت الحدود بين البلدين في منتصف ليل ٢٧ / ٢٨ من كانون الاول ، وقررنا إرجاع رسوم الجمارك الى مصدري الحمضيات الى سورية .

ان هذا الحل الموقّت لا يفي بالمقصود كله ولكنه خير من لا شيء، وسترتاح اليه الاوساط الزراعية والصناعية .

ختام السنة بمصالحة :

في ٣٠ من كانون الاول تمّت المصالحة بين اهالي العاقورة واليمّونة، وقد جرى الاجتماع في بيت صبري حماده رئيس المجلس النيابي وتصافت القلوب ، وأسقط كل فريق حقّه الشخصي وتعاهدا على ان يسيرا يداً واحدة في سبيل المصلحة المشتركة .

وبعد الاجتماع جاءتني وفودهما يتقدّمها صبري حماده والمطران عبدالله نجيم ووقفت في مدخل القصر ، فخرجتُ الى الشرفة وحيّيتها ، وانبرى المطران نجيم والخطباء شاكرين عناية الرئيس بقضيتهم ، وبتمهيده للمصالحة . فشكرت الوفود على تصافيها .

ورفعت الحمد لله عزّ وجلّ على جعله خاتمة العام مباركة بعودة الوئام الى منطقة عزيزة من مناطق لبنان . وخلوتُ الى نفسي طالباً اليه إمدادي بالمعونة لمجابهة الصعاب التي تنتظرنا في العام المقبل !

١٩٥١

رفض الدفاع المشترك

مشاكل في الجو السياسي :

تذلّلت صعوبة استقالة الوزارة . ولن تُقدَّم الاستقالة الا بعد حضور رياض الصلح اجتماع اللجنة السياسية للجامعة في العشرين من كانون الثاني وعودته من القاهرة .

وواجهت الحكومة مصاعب عالجتها الواحدة بعد الاخرى : تصريف حمضيات طرابلس ، تهديد الصحف بالاضراب ، تهديد عمّال سكة الحديد بالامتناع عن العمل . ووفّقت الوزارة في تلك المعالجة وبقيت الحالة هادئة .

وواجهتنا في الشؤون الخارجية مسألتان خطيرتان :

الاولى : قرب وصول القائد العام للقوى البريطانية في الشرق الادنى لمباحثة الحكومة بشؤون الدفاع عن هذه المنطقة .

إن للمباحثة المذكورة اهميتها الكبرى في الحاضر والمستقبل . ورأينا

ان يسهم لبنان بهذا الدفاع ضمن نطاق مصلحته الخاصة دون اي ارتباط يقيّد استقلاله او ينتقص منه .

والثانية : الموقف الواجب اتخاذه بالاتفاق مع الدول العربية في معضلة الصين الشيوعية ، وفيما اذا كانت تُعتبر معتدية في حرب كورية ، دون انحياز لبنان الى معسكر دون آخر . وقد استجمعنا لذلك مختلف الافادات الواردة علينا من جميع الانحاء ، ولا سيما من المفوضية اللبنانية في واشنطن ، ولم تشأ الحكومة ان تنفرد برأيها في الامر فاقترحتُ عليها ان يجتمع مجلس الوزراء ويُشرِك في دراسته رئيس اللجنة الخارجية البرلمانية ومقرّرها ، ووزيرَي الخارجية السابقَين .

وتمّ الاجتماع وأبدى الحاضرون تفهّماً للظرف، وعدّوا الصين الشيوعية معتدية على الرغم من الحياد الذي تفرضه حالة لبنان الخاصة .

وتطرّق البحث الى شؤون الدفاع المشترك عن الشرق . وبعد ان ابدى كلٌّ من المجتمعين رأيه في الموضوع تكلمتُ قائلاً :

« إن الحاضرين متفقون ، اذنْ ، على اعتماد المقررات التالية :

١ — تأييد السياسة التي اتّبعها لبنان الى جانب الدول الديمقراطية .

٢ — إرسال برقية الى مندوب لبنان في الامم المتحدة بان يؤيّد ، بالاتفاق مع الوفود العربية ، مطالب اميركا (اعتبار الصين الشيوعية معتدية) ، هذا فيما اذا فشلت المساعي السلمية . وله ان ينفرد في موقفه فيما اذا اضطُرّ الى ذلك .

٣ — تفويض دولة رئيس مجلس الوزراء بان يستأنف مسعاه لجمع كلمة العرب حول السياسة التي اوضحت في هذا الاجتماع .

٤ — مفاوضة الدول الكبرى للحصول على ضمان لاستقلال لبنان وعلى ما يلزم من مساعدات شتى .

٥ – **التأكيد بان الدفاع عن الشرق العربي لا يكون منوطاً الا بالدول العربية** من دول الشرق ، فلا ندع سبيلاً لآخر للتدخل فيه » .

فوافق جميع الحاضرين[١] .

واتفقتُ ورئيس الوزارة ووزيرَي الخارجية والدفاع الوطني على مخطّط شامل لبحث هذا الموضوع مع القائد العام للقوى البريطانية في الشرق الادنى .

اجتماع اللجنة السياسية في القاهرة :

سافر رياض الصلح الى القاهرة في ٢٠ من كانون الثاني لحضور اجتماع اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية ورافقه المدير العام لوزارة الخارجية ، ولمّا يعرف موقف الدول العربية إزاء الصين الشيوعية في مسألة كورية . ويدل ظاهر الحال على ان اللجنة المشار اليها قد توصي دولها بالامتناع عن إقرار المشروع الاميركي بوصم الصين بالمعتدية . ولكن هذا لا يتفق مع قرار مجلس الوزراء اللبناني في هذا الشأن ، ولن يشترك رئيس وزارتنا فيه . وستظل التعليمات التي ارسلت الى وزيرنا المفوض شارل مالك على حالها فيقترع ضد الصين الشيوعية .

ان لبنان سيقف عند هذا الحد ، ولن يشترك في اللجنة الثلاثية المنوي تشكيلها في الامم المتحدة سعياً لوقف القتال في كورية ، وللجوء الى الطرق السلمية في حل الخلافات القائمة بين جزءَيها . وقد اشارت وزارة الخارجية على شارل مالك بالاعتذار عن عدم قبول المهمة المذكورة فيما اذا عُرضت عليه .

موقف مشرف لرياض الصلح :

أنهت اللجنة السياسية اعمالها في ٢ من شباط ، وكنا نتلقى اخبارها

(١) – تسجلت مباحثات هذا الاجتماع في محضر خاص (١٥ من كانون الثاني) وقع عليه فيليب تقلا وزير الخارجية وفوآد عمون مديرها العام .

ساعة بعد ساعة ، وقد أصدرت بياناً غامضاً عن حيادنا في علائقنا الدولية . . .

والاهم من ذلك أن رئيس وزارة سورية قدّم اثناء الاجتماع مشروع وحدة شاملة للدول العربية ، وأحالت اللجنة السياسية المشروع الى لجنة خاصة لدرسه فأبدى رياض الصلح تحفظاً صريحاً بما يتعلق بكيان لبنان . وورد النبأ في جريدة « الاهرام » على الشكل الآتي :

« ... **المشروع المقدم ينقص من السيادة .**

« القى رئيس وزراء لبنان بصدد المشروع الكلمة التالية :

ان لبنان يرحب بكل مشروع من شأنه توثيق الاخوة بين الدول العربية ، ولكنه يعارض في كل ما ينقص من السيادة الوطنية . اني اعرف ان لكل دولة الحق في تقديم اي مشروع للجامعة ، ومن حق الجامعة ان تحيل هذه المشروعات الى لجان . ولا اريد من جهة ثانية ان اسبق الحوادث وادعي ان هذا المشروع سينقص من سيادة دولة من الدول الاعضاء ، وهذا لا ترضونه انتم ، انما رايت من واجبي ان اعلن منذ الآن تحفظاً صريحاً على هذا المشروع واعلن هذا لمجلسكم الكريم .

« ومضى دولته يقول :

« **ان لبنان قد ارتضى لنفسه وضعاً لا يريد عنه بديلاً . فنحن نفضل في لبنان ان نبقى على عهدنا الذي قطعناه بعضنا لبعض معتصمين باتحادنا ، معتزين باتفاق كلمتنا حول هذا الوضع .**

« **لهذا اكرر تحفظي الصريح على المشروع ، معلناً تمسك لبنان بالوضع الذي أقرّته عليه الدول العربية اثناء مباحثات الاسكندرية ودُوّن في ملحق بروتوكول انشاء جامعة الدول العربية ، وأقرّني عليه العرب في ديارهم جميعاً . واننا نعلم جميعنا أن المحافظة على اوضاعنا ليست هي في مصلحة لبنان وحده بل في مصلحة البلدان العربية قاطبة .** »

ورجع رياض الصلح الى بيروت في الرابع من شباط واستقبلتُه حال وصوله وهنأته على موقفه من المشروع السوري وقلت له ان موقفه

مُشرّف وكان له الوقع الحسن في طول البـــلاد وعرضها ، ولا سيما في نفوس العقلاء المخلصين .

عدّت الصين الشيوعية معتدية :

أقرّت الجمعية العامة اقتراح مجلس الامن فعدّت الصين الشيوعيـــة معتدية في حرب كورية ، وامتنع عن الاقتراع ممثّلو الدول العربية ولكن ممثلي لبنان والعراق أقرّا الاقتراح منفردَين .

واتفق موقف مندوبنا مع قرار مجلس الوزراء .

محادثات الجنرال روبرتسون :

في ٥ من شباط وصل الجنرال روبرتسون القائد العام البريطاني للقوى المرابطة في الشرق الادنى ، وسجّل اسمه في سجل التشريفات ، وقام ببعض الزيارات البروتوكولية . ثم زارني ومعـــه وزير انكلترة المفوض وعرض عليّ مهمته .

وإني لانقل هنا ملخص الحديث الذي جرى بيني وبينه :

استعرض الجنرال الموقف الدولي من نواحيه كافة ، وبين خطورة الحالة واحتمال وقوع حرب عالمية ثالثة . وعين مناطق الخطر فقال ان اوروبة الغربية هي المعرضة للهجوم الروسي الاول . وان الحكومة البريطانية وقادة الجيش يعتقدون ان الشرق الاوسط سيكون ميداناً ثانياً للحرب ، كما انهم يرون ضرورة الدفاع عنه خلافاً لبعض نظريات معاكسة لا يسلمون بصوابها . وقـــد انيط الدفاع عن هذه الرقعة من الارض بالجيوش البريطانية التي لها قواعدها في مصر وافريقية الشمالية . وان مهمة الجنرال الخاصة الاتصال بالدول العربية افرادياً ليعرف ميولها ، ومدى استعدادها للاشتراك بالدفاع عن اراضيها ، والمساهمة في رد العدوان السوفياتي . وختم القائد العام حديثه بانه آت من عمان ومتجه نحو دمشق بعد زيارته للبنان . وهو يرغب في الاستماع الى رأي رئيس الجمهورية .

فأجبته بما موجزه : «ان لبنان يميل بحكم مبادئه الدينية والفلسفية والاجتماعية الى معسكر الدول الغربية ، وقد اظهر هذا الميل باقتراعه على المشروع الاميركي بوصم الصين معتدية في كورية . وكان بوده ان تقف الدول العربية الاخرى موقفه

وموقف العراق . غير ان ذلك لم يتحقق لاسباب عديدة . هذا من جهة الميل النظري . اما من جهة النتائج العملية لهذا الميل فانا مطلع تمام الاطلاع على ما جرى من الاحاديث بين المسؤولين البريطانيين ووزير خارجية لبنان اثناء زيارته لوندرة بين ٥ و ٩ من تشرين الثاني ١٩٥٠ . وقد فهمت آنذاك من الوزير ان بريطانية كانت تعد خططاً للدفاع عن الشرق . فهل وضعت هذه الخطط ؟ وهل يطلب بموجبها من دول الشرق العربي مساهمتها فيها ؟»

فاجاب الجنرال : « ان الخطط قد وضعت . وانا لا اريد ان اشغل وقت فخامتكم بها ، فسوف ابحثها مع قائد الجيش اللبناني ، غير اني اود معرفة استعداد لبنان لاعطاء تسهيلات للجيوش الغربية في حالة وقوع هجوم سوفياتي على تركية » .

وقد ذكر القائد العام في جملة التسهيلات المنتظرة : امرار الجيوش الحليفة ، واستعمال بعض قواعد بحرية وجوية ، وذلك في حالة وقوع الحرب فعلاً .

فاجبته : « ان هذه التسهيلات ممكن اداؤها اذا انتفت المخاوف التي تساور اللبنانيين والتي تحدد على الوجه الآتي :

١) الخطر الاسرائيلي :

فقد يخشى ان يشرك جيش اسرائيل بالدفاع عن الشرق ، وحينئذ يستفيد هؤلاء من هذا الاشتراك ليدخلوا الاراضي العربية وهناك الطامة الكبرى .

فأجاب الجنرال : سوف يطلب من اسرائيل تسهيلات مرور للجيوش الحليفة في اراضيها ولكنه لم يخطر على بال احد ان يشترك الجيش الاسرائيلي بالدفاع عن الشرق في اراضي الدول العربية وبجانب جيوش تلك الدول .

٢) خطر تغيير الوضع السياسي في البلدان العربية :

وقلت : يخشى ايضاً ان التسهيلات التي سوف تعطى قد تغير الوضع السياسي في الدول العربية . فلبنان لا يرغب في ذلك . وهو ، بسبب وضعه الخاص واتفاق جميع عناصره للمدافعة عن كيانه بشكله الحاضر ، يطلب تأميناً على ذلك .

فاجاب الجنرال : ان المستقبل البعيد ، من الآن مثلاً الى اثنتي عشرة سنة (كذا) ، هو قيد الغيب ، غير ان مثل هذه التسهيلات المرتقبة لا يغير شيئاً في وضع الدول العربية .

٣) الخطر على الاستقلال :

وقلت : قد يخشى ان بعض اصحاب المطامع من الدول الاجنبية يستفيد من هذه

التسهيلات المعطاة لظرف معين فيغير الوضع الاستقلالي في لبنان، خصوصاً وان الماضي القريب شاهد على هذه المطامع، وعلى العراقيل التي وضعت في طريق الاستقلال، وعلى صعوبة جلاء الجيوش الاجنبية عن البلاد، بعد دخولها إياها.

فاجاب الجنرال: ان ذلك غير ذي موضوع، اذ ان الجيوش التي يخشى منها ليس بامكانها الاشتراك مع الحلفاء خارج ميادين اوربة الغربية.

فرددت عليه: ان التقاليد والعاطفة ستؤدي حتماً الى طلب اشتراكها في الدفاع عن دول الشرق الادنى. وان التطمين من هذه الجهة ضروري جداً.

وعندها تدخل الوزير البريطاني وقال انه سيراجع حكومته بهذا الشأن ويعطي التطمين اللازم.

ورأيت ان اصرح بنقاط ضرورية حتى لا يكتنفها الالتباس في المستقبل فقلت:

١ – ان هذه التسهيلات المنتظرة لا يمكن ان تدوّن باتفاق عسكري او معاهدة مشابهة لمعاهدتي الاردن والعراق، لان لبنان، وقد استقل استقلالاً تاماً، لا يريد ان يعود القهقرى ويستبدل انتداباً بانتداب.

٢ – ان تهيئة هذه التسهيلات، فيما لو اضطر اليها، لا يمكن ان تجريها سوى القيادة اللبنانية، فهي التي تتولى وحدها تنظيم القواعد كلها، باعتبار انها لبنانية بحتة.

٣ – ان القيادة تبقى لبنانية في كل حال. حتى في حال الحرب.

فاجاب الجنرال: ان هذا كله متفق عليه، خصوصاً وانه لا يطلب اي تسهيل من لبنان الا في حالة نشوب الحرب فعلا والهجوم الروسي على تركية.

وقد اغتنمتُ هذه الفرصة السانحة وقلتُ لزائريَّ بأن تسعى حكومتهما السعي الجدّي لانهاء مشاكلها مع دول الشرق عامة ومع مصر خاصة، لان ذلك من شأنه ان يحسن العلائق مع الدول العربية، ويمهد السبيل الى تفاهم عام يعود بالخير على المصلحة المشتركة بينها وبين الحلفاء. اه.

ملاحظة:

اطلع على نص الحديث الآنف الذكر رئيس الوزراء رياض الصلح ووزير

الخارجية فيليب تقلا ووزير الدفاع مجيد ارسلان، ووافقوا عليه.

وفي اليوم الثاني[١] قابل الجنرال روبرتسون كلاً من رئيس الوزارة ووزير الخارجية فأيّد كلاهما ما كان بيني وبينه.

الدفاع المشترك ايضاً وايضاً:

جرى لي حديث في اواسط شباط مع وزير اميركا المفوض فقال لي ان الولايات المتحدة قرّرت الدفاع عن الشرق، وانها تدرس الوسائل لتأمين هذا الدفاع بمساعدات فنية وعسكرية واقتصادية وسواها. فأبديت له التحفظات عينها التي سبق لي ان ذكرتها **فيما يتعلق بعدم مساس الاستقلال اللبناني والسيادة الوطنية.**

واعلمني الوزير المفوض انه في الخامس والعشرين من الشهر سيشخص الى اسطمبول لحضور مؤتمر الدبلوماسيين الاميركيين.

وفي اول اذار رجع الوزير الاميركي المفوض من المؤتمر، يرافقه المستر جونس معاون وكيل وزارة الخارجية الاميركية فزارا فؤاد عمون الامين العام لوزارة خارجيتنا وأفضيا اليه بحديث طويل حول المؤتمر، وهذا هو المحضر الذي نُظّم في حينه:

الموضوع: **ابحاث مؤتمر الدبلوماسيين الاميركيين الذي عقد في اسطمبول في شهر شباط ١٩٥١.**

«زار وزير اميركا المفوض مستر بنكرتون، يصحبه مستر جونس معاون وكيل وزارة الخارجية الاميركية، في اول اذار سنة ١٩٥١ المدير العام لوزارة الخارجية والمغتربين على اثر قدومهما من اسطمبول حيث اشتركا في مؤتمر الدبلوماسيين الاميركيين في الشرق الاوسط.

كان طابع المجاملة غالباً على هذه الزيارة. فقد وضح منذ البدء ان الزائرين غير مكلفين الافضاء بتفاصيل مؤتمر اسطمبول. وانما اتى مستر بنكرتون حسب العادة المألوفة بعد غيابه مدة عن مركز عمله. وصحبه مستر جونس بمناسبة

(١) – ٦ من شباط

مروره في بيروت، وقد سبق التعارف بينه وبين المدير العام (لوزارة الخارجية اللبنانية)، حيث اعتزم زيارة البلاد التي تدخل في نطاق عمله والاجتماع بمن يعرفهم فيها .

حرص الزائران على ان يكذبا في بادىء الامر مـا نشرته وكالات الانباء والصحف حول زيارة مستر جونس لناظم بك القدسي ، فصرح معاون وكيل وزارة الخارجية انه ، خلافاً لما اذيع ، لم يبلغ رئيس الوزارة السورية شيئاً عن ابحاث المؤتمر ، بل اقتصر على الاصغاء الى حديث ناظم بك نفسه .

على ان المحادثة بين المدير العام وزائريه جرت في جو ملؤه الثقة والاطمئنان المتبادل ، فتطرقت بطبيعتها الى اعمال المؤتمر . ويمكن ان تلخص المحادثة بما يلي :

١ – لم يتخذ المؤتمر مقرّرات ، بل اقتصر على تبادل وجهات النظر بين المؤتمِرين ، ودراسة المبادىء العامة لسياسة اميركا في الشرق . وقد بعث بهذه الدراسة الى واشنطن حيث تبُتُّ فيها الهيئات العليا المختصة من عسكرية وسياسية واقتصادية .

٢ – فيما يتعلق بالموقف العسكري : كان معظم البحث في المؤتمر دائراً حول تركية لانها تؤلف مركز الدفاع المركزي المعوّل عليه في الشرق الاوسط .

اما التعاون العسكري مع البلدان العربية ، والذي كان له نصيب اقلّ في المباحثات، فقد اعتُبر موقوفاً على رغبة تلك البلدان فيه .

وستُعرض الدراسة على هيئة اركان الحرب العامة التي يرئسها الجنرال برادلي ، وهذه الهيئة ستنظر في امر تقديم الاهم على المهم في شتى ميادين الدفاع في العالم الحر .

٣ – يغلب على الظن انه لا يمكن الاهتمام بلبنان دون سواه مـن البلدان المجاورة ، نظراً لامكاناته المحدودة .

٤ – ان إقصاء اسرائيل عن اي مشروع للتعاون بين الدول الغربية والبلدان العربية هو امر مفروغ منه .

٥ – لم يبدُ أن امر إقصاء القوات الفرنسية عن الدفاع في الشرق الاوسط قد بُحث فيه ، او أجمعت الكلمة في شأنه على موقف معيّن .

وقد اثرتُ هذه المسألة فظهر مستر بنكرتون متفهّماً لها ، اما مستر جونس فسألني عما اذا كانت معارضتنا لاشتراك فرنسا في الدفاع عن هذه المنطقة تقتصر على رفض اشتراك القوات الفرنسية ام اننا نذهب ايضاً الى المعارضة في قبول ضباط فرنسيين .

اجبته بان هذه المعارضة شاملة ، نظراً للاسباب التي أوضحت سابقاً .

فسأل : ألم توقعوا اتفاقاً مع فرنسا لحماية شواطئكم .

اجبته : ان هذا شيء لم يحصل ولن يحصل . وغاية ما في الامر اننا اوفدنا بعثة من بعض العسكريين لتتلقن (في فرنسا) علوم الملاحة الحربية وفنونها لانه لم يكن يوجد بين المرشّحين من يجيد الانكليزية .

٦ – ان التصريح الثلاثي يبقى قائماً مهما تقلّبت الاحوال الدولية ، فاذا لم تشأ انكلترا او فرنسا يوماً ما تطبيقه **فان اميركا تعمل وحدها بموجبه لحماية لبنان وتأمين سلامة اراضيه .**

وأضاف مستر بنكرتون : ان الحكومة الاميركية ، وفقاً للرغبة التي ابداها له فخامة رئيس الجمهورية قبـل سفره الى اسطمبول ، مستعدة لارسال مذكرة الى الحكومة اللبنانية ، عندما يُطلب منها ذلك ، **تؤكد فيها عزمها على حماية لبنان من اي اعتداء .**

٧ – ان اميركا لم تكن موضع ضغطٍ من قِبل انكلترا ، خلافاً لما ذهب اليه بعض مراسلي الصحف ، للموافقة على اتحاد سورية والعراق او على مشروع الهلال الخصيب .

انما سياسة اميركا قائمة على احترام رغبات الشعوب ، فاذا شاءت بعض الدول الاتحاد فيا بينها فأميركا لا ترى في ذلك حرجاً .

على ان المفهوم ان لبنان لا يدخل في نطاق هذين المشروعين

ولا بد من الملاحظة ان اميركا على الرغم من نفي الضغط عليها قد تكون متأثرة بالسياسة البريطانية في الشرق حيث تتولى بريطانيا الدور الاول في الدفاع . فقد كان حديث بنكرتون يرمي الى اشاعة الاطمئنان على مصير لبنان ولو تحقق الاتحاد او مشروع الهلال الخصيب .

... واخيراً ان اميركا ماضية في خطة المساعدة الاقتصادية لبلاد الشرق الاوسط .

وان مستر بنكرتون يأمل ان بلاده ستبذل المساعدة للبنان فيما هو عازم عليه من مشاريع عمرانية . وسيكون هذا الامر موضوع بحث لاحق .

بيروت في ١ اذار سنة ١٩٥١

المدير العام لوزارة الخارجية والمغتربين » اهـ.

وكيل وزارة الخارجية الاميركية يقابلني :

في ٢٤ من اذار زارني المستر جورج ماك غي وكيل وزارة الخارجية الاميركية يصحبه المستر بنكرتون وزير الولايات المتحدة المفوض وجرى بيننا حديث طويل ، انقل هنا معظمه :

« استهل المستر ماك غي حديثه بشكر لبنان على مواقفه عامة وعلى موقفه بشأن وصم الصين الشيوعية معتدية في حوادث كورية بصورة خاصة، وقال ان الفضل في ذلك يعود الى السياسة الحكيمة التي تقود هذا البلد منذ بداية عهد الاستقلال الحالي..

واثنى على شخصية الدكتور شارل مالك وزير لبنان المفوض في واشنطن كسياسي وفيلسوف ومحاضر .

وقد طلب المستر ماك غي ان يدلي الرئيس بما عنده من ملاحظات في سياسة الشرق العربي حتى يستفيد هو من معلوماته وخبرته في تلك الشؤون .

فاجاب الرئيس انه يرغب بعرض الموقف من اساسه دون الدخول بالتفاصيل والفروع ، فهذا يعني غيره .

قال الرئيس : ان موقف لبنان من الدول الغربية امر معروف . وقد اتخذ

مجلس الوزراء اللبناني قراراً اشرك فيه وزراء الخارجية السابقين ورئيس ومقرر لجنة الشؤون الخارجية في المجلس النيابي يعبر عن اتجاه السياسة اللبنانية في الصراع العالمي القائم . وعلى اثر ذلك انعقدت اللجنة السياسية للجامعة العربية واصدرت بياناً فيه أثر ظاهر للموقف اللبناني وبعد ذلك ايضاً وصم ممثل لبنان الصين بالمعتدية ، منفرداً عن الدول العربية ما عدا العراق .

غير ان موقف لبنان من الدول الغربية لا يفيد وحده تلك الدول ، بل يجب ان يساهم معه ممثلو الدول العربية مساهمة فعالة . مع العلم ان شيئاً من ذلك لم يحصل لحد الان لاسباب عديدة . فالمبادىء الدينية والاجتماعية تدفع دول العرب نحو مبادىء الغرب بقدر ما تبعدها عن الافكار الشيوعية . ولا يقف حاجز تجاه هذا الاندفاع الا المشاكل القائمة بين بعض الدول العربية واميركا وانكلترا وهذه تلخص بما يأتي :

لا يعتبر العرب ان الولايات المتحدة تضمر سوءاً للشرق او ترغب فيه استعماراً ، الا ان مساعدة اميركا للصهيونية جعل هوة بين العرب والاميركان . انما مسألة اللاجئين التي لم تحل بعد ، ومسألة التعويض عليهم بدلا عن املاكهم واموالهم التي اصبحت في قبضة اسرائيل، ومسألة تدويل القدس التي يرغب فيها العرب (ما عدا الاردن) — كل هذه المسائل تشكل معضلات شائكة في سبيل التفاهم التام مع دول الغرب .

والعرب يعتبرون ايضاً ان انكلترا بوجودها في مصر وسيطرتها على شرق الاردن والعراق تهدف الى الاستعمار ، ولذلك فانهم ينفرون من التفاهم التام معها .

ويلخص الموقف بما يأتي : ان لبنان حكومة وشعباً يميل الى الغرب . ان مصر حكومة وشعباً تبتعد عن الغرب . اما الاردن والعراق فالحكومتان فيهما تؤيدان الغرب والشعب فيهما يبتعد عنه . وسورية في حالة عدم استقرار لا يعرف لها موقف صريح في هذا الصدد .

وعليه اذا حلت هذه المشاكل تباعاً يمكن لدول العرب ان تنضم قلباً وقالباً الى الجانب الغربي .

وعندها اظهر المستر ماك غي استحسانه لهذا التفصيل ، وقال : انه من الضروري ان يسعى الى تسوية المشاكل وخصوصاً مشكلة اللاجئين والقضية المصرية .

ثم تطرق الحديث الى امكان وقوع الحرب . فأعاد الرئيس على مسامع محدثه جميع ما حصل من المباحثات مع فيليب تقلا في لونده ومع الجنرال روبرتسون في بيروت (يراجع الحديثان) . فصادق المستر ماك غي على الملاحظات والتحفظات التي ابداها الرئيس، وقال انها معقولة جدا .

وبعد ذلك صرح المستر ماك غي عن موقف اميركا من الدفاع عن الشرق، وان الخط الاول في هذا الدفاع هو تركية واليونان وايران .

... وسأل المستر ماك غي عن علائق العرب بتركية بعد ان بين ان نقطة ارتكاز الدفاع الاميركي هي في تركية . فاجابه الرئيس : ان العرب ما كانوا يضمرون للاتراك الا كل خير بعد ان غادروا هـذه البلاد من ثلاثين سنة ، غير انهم (العرب) استاؤا فيما بعد من سلخ لواء الاسكندرونة ومن مساندة تركية لاسرائيل ومن تموينهم اياها فهم جافلون منها اليوم .

ثم اخذ البحث بعض فروع، كالتموين في حالة الحرب والتسلح والمساعدة الاميركية .

وكرر المستر ماك غي شكره للرئيس .

وقد سمع الحديث وزير اميركا المفوض ، وكان الترجمان خليل بشاره الخوري (ابن الرئيس) » اهـ.

وبعد انتهاء هذا الاجتماع دُعي الزائر ووزير اميركا المفوض وبعض الوزراء الحاليين والسابقين لتناول الطعام في القصر الجمهوري في جو من التفاهم والارتياح .

جنبنا الله الحرب ، وعندها تقتصر مساعدة اميركا على اقتصاديات البلاد والسلام .

انتخابات مثالية

الحاج حسين العويني يرئس الوزارة :

في ١٣ من شباط استقالت الوزارة برضا الجميع . وتحاشينا ، بالصبر وطول الاناة ، هزة عنيفة .

وتألفت الحكومة الجديدة من حسين العويني رئيساً وبولس فياض وادوار نون وزيرين لتأمين حرية الانتخاب [١] .

واني لاشعر ان الجميع يتّجهون بأنظارهم نحوي، وقد خُيّل اليهم ان الوزارة الحيادية ستار لي ليس إلا . وستُثبت لهم الايام عكس ما يظنون، وتثبت ايضاً اني مصمّم على إجراء التجربة مهما كلّفني الامر .

وأخذت الحكومة الجديدة بعض تدابير استقبلها الرأي العام بالرضى، وبدأت اسهمها ترتفع بعد ان كانت قد قوبلت ببرودة . وانعقد مجلس الوزراء وأقرّ دعوة الناخبين الى الدورة الاولى في ١٥ من نيسان ، والى الثانية في ٢٢ منه .

(١) – انظر قسم الوثائق

واستأنس اللبنانيون اذ ايقنوا ان الوزراء الجدد لن يرشحوا انفسهم .

واما المرشحون فلم يتفقوا نهائياً، ولوائحهم قد تعلن في الاسبوع المقبل .

وادلى الرئيس الحاج حسين العويني بتصريحات اطمأنّ اليها المواطنون . ووجّه الى الشعب رسالتين تؤكدان حياد الحكومة فقوبلتا بالاستحسان وزادتا من مكانتها . ثم اختير الموظفون لادارة الاقتراع من خارج مناطقهم الانتخابية والمناطق التي هم مستخدمون فيها ، فأبعدت عنهم الشبهات . ولقيت الوزارة في انيس صالح مدير العدل ومدير الداخلية بالوكالة ، في آن واحد ، خير عون في تدابيرها الحكيمة وفي سهرها على الحياد الكامل فيها .

وعلى الرغم من وقوع حادثة مؤسفة في الباروك اصطدم فيها الدرك بحزب كمال جنبلاط ، ووقع فيها قتلى من الجهتين ، لم يشك احد بنزاهة الحكومة لانها اعطت برهاناً على صيانة الامن دون الانحياز لجهة . وربحت المعارضة من حزم الحكومة فامتنعت عن التمادي وجُنبت البلاد اصطدامات منتظرة يوم الاقتراع . ورويداً رويداً زال الوهم بان الحكومة الحيادية انما هي حجاب يستر تدخل الرئاسة لمخاصمة المعارضة ، وهي المعارضة التي سعت بشتى الطرق كي تنال من مقام الرئاسة ...

وأردت ان أقضي على الدعايات الغَرَضية وأبرهن على حيادي الكامل قولاً وفعلاً ، فانتهزتُ اول فرصة سنحت لي ، وهي الاحتفال بعيد الفصح في بطريركية الارمن الكاثوليك [1] . وألقيت خطاباً أكّدت فيه عزمي الحازم على ان تكون الانتخابات حرّة بكل معنى الكلمة، ودعوت الشعب لممارسة حقه والقيام بواجبه باختيار الاصلح من المرشحين . فكان لهذه البادرة أثرها الفعّال في جميع الاوساط . أضف الى ذلك بعض

(١) – في ٨ من نيسان .

تدابير اقتضتها الظروف، اتخذت ضد انصار بعض المرشحين الموالين . وقد عمّمت الحكومة على الموظفين المدنيين وعلى قوات الامن، بواسطة المديرين العامين والقادة ، وجوب التزام الحياد النزيه وإنصاف المعارضة إنصافاً تاماً في مطالبها المشروعة ، وإلا نال العقاب مخالفي هذه الاوامر ، وإنْ بعد انتهاء مهمة الحكومة الموقتة .

جرى ذلك كله فسادت الطمأنينة النفوس، وأطلّ يوم الاقتراع وجوّ الانتخاب صافٍ صفاء شاملاً .

الاقتراع :

بقيتُ يوم الانتخاب في القصر اتتبّع الحوادث ، وتركت للوزارة ان تتولى ادارة الاعمال وتأمين الحرية والحياد والنزاهة ، جاعلاً من هذا اليوم يوماً للحكومة مجيداً . وما بدأ النهار حتى آمن الناس بكل ما قيل لهم ، وأقبلوا على صناديق الاقتراع يضعون اوراقهم بملء الرضا والاختيار ، وعمّت جميع المحافظات موجة غبطة وحبور واعتزاز، وسطع نجم لبنان وسجّل نصراً باهراً في الحقل الوطني والحقل الدولي .

ويعود الفضل بذلك الى الله اولاً ، والى ايمان الرئيس بالله والى حسن نيته ، والى عمل رئيس الوزارة وحكومته ، والى وعي الشعب اللبناني الذي استعاد بالتدابير الحكومية الموفّقة الشعور بكرامته ومسؤوليته .

وقد ثبت ما قلته للبنانيين يوم ٨ من نيسان : « ان ورقة الاقتراع بيدكم هي سلاح يهون دونه كل سلاح ، وهو قانوني دستوري فاحسنوا استعماله » .

نتائج الانتخاب :

دلت النتائج دلالة صريحة على الحياد والنزاهة وصحة الاقتراع والفرز :

١) **منطقة عكار** : الطريقة السهلة المعبّدة ان يأتلف محمد عبود عبد الرزاق وسليمان العلي ويستصحب كل منهما نائباً من انصاره . وجرت محادثات لهذا ومرّت بكثير من المدّ والجزر ولم تنجح .

وكان المفروض ان تساعد الحكومة ، ولو مساعدة معنوية، محمد العبود ولائحته ، لان سليمان العلي معارض سابق انضم الى كتلة التحرر الوطني . والواقع ان الحكومة لم تتدخل ففازت قائمة العلي بكاملها .

٢) **منطقة طرابلس** : شكلت قائمتان الاولى يتزعمها رشيد كرامي والثانية بقيادة مايز المقدم ، واستقلّ الشيوعيون وحلفاؤهم بنواة قائمة ثالثة ، وفازت قائمة كرامي بأجمعها على الرغم من وجود بعض الموالين في القائمة الاخرى . وكل مرشح نال الاصوات التي رجحها بقوته الشخصية .

٣) **مثلث الزاوية البترون الكوره** : ابتدأت المعركة وحميد فرنجيه المرشح المفضل عند اكثر الناس ، ولكنه تأخر باعلان قائمته ، وتردّد كثيراً باختيار رفقائه ، مُعتدّاً بقوته . ولم يأبه للتنبيهات المخلصة التي أبديت له . وقد افتقرت قائمته للرجال وللمال ففاز وحده ، وفازت قائمة خصومه .

٤) **منطقة كسروان** : فازت القائمة الدستورية بكاملها ، وبوسائلها الخاصة ، بعد عراك عنيف . ونالت الكتلة الوطنية ما لا يستهان به من الاصوات لانها قامت بدعاية واسعة بملء الحرية . ونُظر في شكاوى اعضائها فوراً وبعدل ، حتى ان المعارض الاول ريمون اده شهد بنزاهة الانتخاب .

٥) **منطقة بعبدا المتن** : اكبر دليل على حياد الحكومة فوز الفريقين مشتركين ، ووقوع البالوتاج على احد المرشحين الموارنة . فالدستوريون لم يفوزوا فوزاً كاملا ، وكذلك المستقلون ، اما الكتلة الوطنية فخسرت

المعركة ونجا من اعضائها من رُشح في قائمتها وفي القائمة المستقلة في آن واحد .

٦) **منطقة الشوف** : احسن صورةٍ للنزاع الحزبي الحر تمثّل في هذه المنطقة، فكانت المعركة فيها حامية الوطيس . ولم يقع حادث مخلّ بالامن لان الحياد تأمن في جميع الاقلام . وفاز المعارضون بخمسة مقاعد وفاز الدستوريون باربعة . ووردت شكاوٍ عديدة من اخصام المرشح لاول مرة اميل مرشد البستاني . وكان بالامكان الاخذ بها حين الفرز واسقاط الاصوات المعترض عليها غير ان الحكومة ارادت ان تظهر تجردها التام فتركت البت في هذه الشكاوى الى المجلس النيابي المقبل .

٧) **منطقة البقاع** : تردّد صبري حماده كثيراً في تأليف قائمته واضطر في الساعة الاخيرة الى الائتلاف مع خصومه دون اية مداخلة حكومية ، فكان له مرشحون ستة ، ولمنافسيه خمسة ، وفازت القائمة المؤتلفة بقوتها . وعارض الائتلاف في لائحة اخرى منافس شديد المراس غني بالاصوات والمال هو جوزيف السكاف فقد اقصى نفسه عن قائمة الائتلاف ونالت قائمته اصواتاً لا يستهان بها . ولم يعكر الامن .

٨) **منطقة الجنوب** : لم يفكر رئيس القائمة الفعلي احمد الاسعد بالاتفاق مع خصمه عادل عسيران . وكان اتفاقه تاماً مع رياض الصلح ففازت قائمتهما بأكثرية ساحقة . ونال عادل ورفقاؤه عدداً وافراً من الاصوات ولكنه لا يكفي ليؤمن فوز احد منهم . ولم تقع حوادث تذكر ولا شكاو جدية . وصحيح ان قائمة الاسعد كان لها افضلية ناتجة عن تولّيه الوزارة مدة طويلة وخدماته المتواصلة فيها للناس ، غير ان ذلك وحده لم يكن كافياً لو لم تدعمه شعبية لا منازع فيها . وقد ترشح ، وهي المرة الاولى في تاريخ لبنان، اسقف ارثوذكسي في قائمة عادل عسيران ولم ينجح مع انه نال اصواتاً عديدة . وحميت المعركة جداً ولكن نتائجها كانت متوقّعة .

٩) **منطقة بيروت** : ارتكبت القائمة الكبرى اخطاء عديدة، ولكنها فازت في النهاية . وقد نالت القائمة التي نافستها اصواتاً عديدة ولم تؤمن الفوز لاحد اعضائها . واشتدت المزاحمة بين حبيب ابي شهلا ونسيم المجدلاني، ولم ينجح الاول على الثاني الا بفرق قليل مما أثبت للجميع ان الحكومة بقيت على الحياد .

وكان الفرز في بيروت وجميع المناطق مضبوطاً جداً مما أثار الاعجاب في مختلف الاوساط ، ومن اول لحظة ، حتى ان المناوئين انفسهم أقرّوا بنزاهة الانتخاب . وأجمعت الصحف على الاشادة بحياد جميع السلطات من سياسية وادارية ، وقد نال الرئيس بعض هذا التقدير .

لعبت الحزبية دوراً كبيراً . وخاض المعركة الحزب القومي يساند الحزب التقدمي الاشتراكي ، واسترعى هـذا الاتفاق انتباه المراقبين السياسيين .

ولكن المال لعب دوراً اكبر خصوصاً في نقل الناخبين ، ولم تُشترَ الاصوات علناً ولا بالنسبة التي اعتادت عليها بعض الانحاء ولا سيما بيروت !

ونشكر الله اننا حققنا الحياد تحقيقاً كاملاً .

وفاة الوالدة :

في ليل الاثنين الثلاثاء ١٦ / ١٧ من نيسان لاقت والدتنا الحبيبة وجه ربها بعد ان تقبلت الاسرار الالهية غير مرة . وكنت مع اخوتي واختيّ محيطين بسريرها حين اسلمت روحها الطاهرة الى باريها ، فبكينا عليها بكاءً مرّاً .

وقد شيّع جثمانها في حفل حاشد اشترك فيه الوف من الناس على اختلاف الطبقات والمناطق . وصُلّي على نفسها في كاتدرائية مار جرجس برئاسة البطريرك الماروني وحضور جميع البطاركة والاساقفة المسيحيين .

ودُفنت بجوار الوالد في رأس النبع بين الدموع والحسرات . اسكنها الله في اخداره السماوية ونفعنا بصلاتها وشفاعتها .

دورة الاقتراع الثانية :

في ٢٢ من نيسان جرت دورة الاقتراع الثانية في منطقة بعبدا — المتن ففاز بيار اميل اده على بيار الجميل بأصوات ضئيلة على رغم من ائتلاف الدستوريين والكتائب . وقد ساند الحزب القومي السوري بيار اده ، وأذيع يوم الاقتراع هذا البيان :

« من عصام المحايري الى القوميين السوريين .

نهار الثلاثاء الواقع في ١٧ ابريل سنة ١٩٥١ استقبل نائب رئيس الحزب القومي السوري في مكتبه في دمشق حضرة السيد كمال جنبلاط رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي الذي غادر بيروت قاصداً بلاد الشام لهذه الغاية .

بعد ان عرض السيد جنبلاط الحالة الحاضرة في « المقاطعة الشقيقة » (كذا !) وبعد ان تناول البحث نتائج الانتخابات النيابية، عبر السيد عصام المحايري للرئيس جنبلاط عن ارتياحه التام .

وتباحث الرئيسان في مواضيع شتى تختص بمصلحة الحزبين .

وكان البالوتاج الذي اعلن اجراؤه نهار الاحد القادم في المتن (لبنان) موضوع درس ، فتحدث السيد جنبلاط الى نائب رئيس الحزب القومي السوري عن برنامج وعقائد السيد بيار اده المرشح الماروني في تلك المنطقة السورية (كذا !) في البالوتاج ، فارتاح السيد عصام المحايري الى هذا الحديث الذي إن دل على شيء فعلى أفكار ناضجة للسيد اده ذات طابع قومي تقدمي ، بعيد عن كل نعرة طائفية متأخرة اراد حزب معروف ان يبثها في تلك المنطقة .

لهـذا السبب يأمر رئيس الحزب القومي السوري جميع القوميين الساكنين في المقاطعة الشقيقة (كذا !) ان يبذلوا كل ما لديهم من جهود جبارة لكي يوصلوا الاستاذ بيار اده الى الندوة النيابية اللبنانية .

التوقيع : **عصام المحايري** » اهـ.

وادعى كمال جنبلاط ان هذا البيان مزوّر، وقد يكون التزوير مادياً اكثر منه معنوياً .

استقبال تريغفلي ومعاونيه :

استقبلت المستر تريغفلي الامين العام لمنظمة الامم المتحدة ودعوته الى العشاء مع معاونيه . ودار حديثنا على الظروف العالمية وعلى مساهمة لبنان في منظمة الامم المتحدة ، وتوّلى فؤاد عمون الترجمة .

علّقتُ على صدر الامين العام وشاح الارز ، وقلت له كلمة نشرتها الصحف ، وهذا نصها :

« لقد حرصنا يا حضرة الامين العام على ان نكرمكم بمناسبة زيارتكم للبنان، وان نكرم في شخصكم مبادىء هيئة الامم المتحدة .

الى هذه الهيئة ترنو انظار العالم المتلهف على مستقبل السلام وعلى الحرية الانسانية . ولنا وطيد الامل بان زيارتكم للبلدان العربية وللشرق الادنى ، على قصرها، تفسح لكم في الوقوف مباشرة على مشاكل هذا الجزء المهم من العالم المتمدن .

وعندما تعرضون لهذه المشاكل وجهاً لوجه ، لا يحجبها ستار كثيف من البعد ، قد تبدو لكم في آن واحد ، أعقد وابسط .

وكونوا على يقين بان لبنان كان وسيبقى وفياً للمبادىء النبيلة التي تقوم عليها مؤسستكم ، وبانه سيستمر ضمن نطاق وسائله على التعاون في سبيـــل حفظ القيم المعنوية والروحية وتحقيق مستقبل افضل للشعوب يكفل لها العزة والكرامة .

ان الجهود التي تبذلونها في الامم المتحدة يا حضرة الامين العام من اجل تحقيق مبادئها النبيلة وبلوغ اغراضها لا تنسينا الدور الذي لعبتموه في تأسيس هذه المنظمة ، ولا سيا في وضع الفصل الخاص بمجلس الامن في ميثاقها .

واني اود ان اسجل لكم هذه المأثرة اليوم بمنحكم الوشاح الاكبر من وسام الارز الوطني . » اهـ.

رسالة رئيس الوزارة :

في ٢٥ من نيسان وجه رئيس الوزارة نداءً الى الشعب اللبناني بمناسبة الانتهاء من الانتخابات ، استهله بشكر الله والثناء على الشعب ومعاوني الرئيس للنتائج التي وصلت اليها البلاد في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخها

السياسي ، وخصّني بمقطع منه جاء شهادة بريئةً للعبء الذي قمت به في هذه الفترة ، قال :

« ... واما الشكر ، فلصاحب الفخامة رئيس لبنان وقائده وربانه الحكيم ، الذي لا ينضب معين حكمته ، والرئيس الساهر على راحة شعبه ومصلحة بلاده ، العامل بلا تعب ولا كلل على وحدة الصفوف وتصافي القلوب ، ورفع شأن لبنان واسم لبنان في الداخل والخارج ، بقيادته الحكيمة وما يفيض به قلبه الكبير من صلاح وحب وخير ، فقد مدنا الرئيس بنصحه ، وأخذ بيدنا في احرج الساعات وادقها ، فكل عون اعوزنا وجدناه عنده ، او تأييد احتجناه أغدقه علينا ، واذا كانت معركة الانتخابات في لبنان قد انتهت الى ما انتهت اليه من تبديد الشكوك في سلامة لبنان وصحته ، وبروزه كبلد مثالي في الديمقراطية والحرية ، فالفضل في ذلك يعود الى قيادة الرئيس الواعية ، وحكمته المتناهية ، ووطنيته المتأججة ، وتشبع نفسه الكبيرة بمبادىء العدل والتجرد والصلاح . » اهـ.

وأذاعت وزارة الخارجية تعميماً على مفوضياتها في الخارج عن الانتخابات النيابية ختمته بالعبارات الآتية :

« وهكذا انتهى هذا الاستفتاء الشعبي على خير ما يرام ، وأظهر لبنان انه يتمتع بنظم ديمقراطية لبنانية حرة لا تشوبها شائبة . وقد جرى كل ذلك بتوجيه من حضرة صاحب الفخامة الشيخ بشاره الخوري رئيس الجمهورية ، الذي سهر بنفسه كي يجعل هذه الانتخابات نموذجاً من الحرية والنزاهة والتجرد . » اهـ.

رسالتي الى الشعب :

وفي ٣٠ من نيسان نشرتُ على الشعب اللبناني رسالة كانت مسك ختام للانتخابات ، وتقبّلتها الاوساط جميعها تقبلاً حسناً ، ونشرتها جميع الصحف وعلقت عليها بمزيد التقدير(١) .

وارسل إليّ غبطة البطريرك الماروني كتاب شكر هذا نصه :

« حضرة صاحب الفخامة الشيخ بشاره خليل الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية المعظم .

(١) - راجع نصها في « مجموعة خطب » : ص ٢٦٧

بعد اهدائكم البركة الرسولية من صميم الفؤاد

لم يساورنا شك بوعد قطعتموه وحكومتكم الكريمة باجراء انتخابات نيابية نزيهة حرة تكون مثالية وترفع رأس لبنان في الداخل والخارج . وها ان الاعمال جاءت مصداقاً للقول ، وظهرت النتائج على ما كنا نتمناه ويتمناه الشعب اللبناني باجمعه . فجئنا بخطابنا هذا نهنىء فخامتكم والحكومة التي اشرفت على الاستفتاء الشعبي بهذا النجاح الذي نعده دعامة جديدة لاستقلال لبنان الذي رعيتموه .

ومما زاد في اغتباطنا توجيهكم تلك الرسالة الى الشعب اللبناني وبها ترحبون بالنواب الجدد على اختلاف نزعاتهم وميولهم واحزابهم ، وبها تدعون اللبنانيين دعوة كريمة الى توحيد الصفوف وجمع شتات الكلمة .

فاملنا ان يلتف الجميع حول فخامتكم في مطلع هذا العهد الذي نرجو الله ان يجعله عهد مصالحة وطنية شاملة لخير لبنان وتركيز استقلاله .

« ونكرر اهداء بركتنا الرسولية لفخامتكم داعين بتأييدكم بالعز والاقبال .

الحقير انطون بطرس

بطريرك انطاكية وسائر المشرق » اه.

رئيس الوزارة السورية في بيروت :

وصل الى بيروت خالد العظم يرافقه وزير المال والاقتصاد وبدأت المفاوضات لحلّ المشاكل المعلقة ، وأملنا ان نصل الى نتائج مُرضية .

ودعوت الوفد السوري الى عشاء مع وزرائنا فسمر الجميع سمراً مشبعاً بروح ودية . وتقرر عقد اجتماع آخر في دمشق في الثاني عشر من نوار .

وفي الموعد المضروب رجعت نقطة الخلاف الى ما كانت عليه : فجيراننا يريدون إنهاء المسائل الزراعية قبل سواها ، ونحن لا يسعنا الا الاتفاق على جميع الشؤون التجارية والزراعية والصناعية معاً ، وعلى تبادل المنتوجات كافة كوحدة لا تتجزأ . وبعد جدل ونقاش ، تدخّل في الامر العقيد اديب الشيشكلي رئيس الاركان السوري وتبدّل الجوّ وأصبح الاتفاق قريباً .

وفي ١٤ من نوار اجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في دمشق ، وفي رأس جدول اعمالها الاعتداء الصهيوني على الحدود السورية . وبعد ان انتهت اللجنة من عملها انعقد مجلس الجامعة في دمشق بدلاً من القاهرة ، وجاء اليها وزير خارجية مصر ووافاه اليها رئيس وزارتنا . وكان للمسعى اللبناني اثر طيب في بلوغ هذه الغاية بعد ان كانت مصر قد مالت الى ان يمثلها في الاجتماع وزيرها المفوض .

الملك عبدالله في لبنان :

قبل ان يسافر الملك عبدالله الى انقرة في ١٥ من نوار دعا وزيرنا المفوض لديه لتناول العشاء ، وأبلغه رغبته بالرجوع الى عمان بطريق لبنان في الخامس من حزيران ، مشيراً الى انه حين مروره في المرة الاولى في اراضينا مُنع من زيارة دار مفوضيته في بيروت (!) ولم يسمح لموكبه ان يمر بالساحات العامة بل سار في طرق فرعية ... ولكنه يشكر ، مع ذلك ، ما لقي من حسن الضيافة لديّ .

وفور وصول كتاب وزيرنا ابرقت اليه بما يلي :

« هذه الرسالة من الرئيس الى جلالته .

نرحب بمقدم جلالة الملك العربي الجار والصديق ، وارجوكم ان تبلغوه اسمى التحيات والتمنيات ، وان ترجوه باسمي ان لا يحرج موقفنا بتصريحات في تركيا من الشكل الذي اشارت اليه الصحف والاذاعات ، من تزعم هذه الدولة الصديقة للدول العربية ، لما يعرف جلالته من دقة الموقف ، خصوصاً مع سوريا ... الى آخر ما هنالك .

ويؤسفني ان يعتقد جلالته ان لبنان انتقص من قدره عند مروره باراضينا راجعاً من اسبانيا ، اذ ان قائد جيشه طلب الينا اتخاذ الحيطة حتى انه الح علينا ان ينتقل جلالته من الباخرة الى المطار رأساً خشية التعدي على حياة جلالته الثمينة . فمانعت بذلك بصورة جازمة وامرت ان تؤخذ الاحتياطات الضرورية فاتخذت من قبل قيادتنا بالاتفاق مع قائد الجيش الاردني .

اقتضى ايضاح الامر لجلالته . اعلمونا عن يوم وساعة الوصول لبيروت لنهيء البرنامج اللازم بالاتفاق مع الامن العام الاردني .

واحملوا رسالتنا كاملة الى جلالته بلطفكم المعهود وتفضلوا بالافادة . »

قران ملك مصر :

احتفل بقران ملك مصر في السادس من نوار فأرسلت برقية تهنئة ولم ارسل هدية . وتعجّب البلاط المصري من عدم ارسالي هدية . وأوفد كريم ثابت الى مفوضيتنا مستعلماً عن سبب ذلك، وسألتنا المفوضية رأينا في الجواب، فأجبناها بالبرقية التالية :

« وجهة نظر الرئاسة بالمسألة المعلومة : كان لبنان يود من صميم الفؤاد ان يكون اول من اهدى هدية بمناسبة القران ، غير ان عدم اعلامنا بالامر (الذي عرفناه من الصحف) وعدم معاملتنا سابقاً بما يقتضيه نظام التشريفات ، وعدم مقابلتنا بالمثل من حيث الاوسمة ، بعد الذي اظهرناه للبعثة المصرية من التكريم ، قولاً وفعلاً، سنة ١٩٤٤ ، وبعد الذي قامت به بعثتنا في السنة نفسها من مراسم، كل ذلك يمنع الرئاسة ان تلبي طلبكم .

الكرامة لا تقاس بالمساحات . وهذا لا يمنع ان نستمطر على مصر ومليكها اعم الخيرات والبركات لهذه المناسبة السعيدة، مما عبرنا عنه ببرقية صدرت عن القلب رغم خيبة الامل في شؤون عديدة تعرفونها . » اهـ.

سينتهز رئيس وزارتنا وجود محمد صلاح الدين وزير الخارجية المصرية في دمشق ليؤكد له وجهة النظر هذه مبيناً الاساءة الى علائق البلدين من جراء إهمال الملك واجبات اللياقة نحونا ومعاملتنا بالمثل .

عودة الى الغبطة التي رافقت الانتخابات :

احد الكتاب المنتمين الى الكتلة الوطنية علّق على رسالتي، في مجلة تعتبر لسان حال الاساقفة الكاثوليك ، بمقال طويل يجدر ان نقتطف منه بعض المقاطع :

« اصغى اللبنانيون بمزيد الغبطة والرضى الى صوت فخامة الرئيس الشيخ بشاره الخوري اثر انتهاء العمليات الانتخابية يدعو مرة اخرى امته وبلاده الى التسامح والصفح والتعاون ، ويعاهدهما على ان يظل الحكم العادل بين الجميع ، اذ قال :

« ... اما نحن فاننا نرحب بنواب الامة وممثليها على اختلاف نزعاتهم وميولهم واحزابهم، ونعاهد الشعب اللبناني على ان نظل الحكم العادل بين الجميع . وسنعمل

وسعنا وبقدر امكاننا على تلطيف الجو بعد هذه المعركة الانتخابية ، وعلى تصفية الخلافات الانتخابية التي نتجت عن المنافسة الحزبية ليعود الجو الى صفائه والماء الى مجراه ، محافظة منا على الوحدة الوطنية وجمع شتات الكلمة ... »

ان في هذا الكلام المشرف دعوة صريحة خيرة الى نبذ الخصومات السياسية والمنازعات الشخصية الناشئة عن العمليات الانتخابية ، وما سبقها وما تلاها من مناظرات . »

وعلقت جريدة اخرى على موقف الحكومة بما يلي :

« اجمع الرأي على ان الحكومة الثلاثية المتواضعة التي يرئسها دولة حسين العويني تستحق الشكر والثناء على ما قدمت للبلاد من خدمات منذ تولت الحكم حتى اليوم ...

وعدت الحكومة الثلاثية باجراء انتخابات حرة في لبنان في وقت كان التحدث فيه عن الحرية يثير كل علامات التساؤل والاستفهام فجاءت انتخابات حرة بشهادة الفاشلين قبل الناجحين .

وارادت ان تدلل للناس على انها تستطيع ان تذهب بعيداً وان تدق ابواب المشكلات التي يشكو منها الشعب فاعادت الامن الى قواعده وحققت كثيراً من المطالب الاساسية ... الى ما هنالك من اعمال تتعلق في صميم الاصلاح الذي ظلت تطالب به البلاد اربع سنوات كاملات ...

ان هذا النوع من الحكم هو ضالة لبنان . وما ينشد لبنان غير الاخلاق والذمم ليستطيع ان يبقى دولة ويحلو فيه العيش وتطيب الحياة ... »

وعلق اميل مرشد البستاني احد نواب المعارضة على الانتخابات بما نصه :

« اما فخامة الرئيس فكان وما يزال موضع احترامنا وتقديرنا، وهو في نظرنا فوق الجميع، فلا يجوز ان يكون له حزب لانه فوق الاحزاب » .

وتناول النائب الجديد باللوم بعض اقرباء الرئيس واردف بقوله :

« اني اقول هذا لمصلحة فخامة الرئيس ، فلم تبق هناك لا شرعية ولا مشكلة رئاسة ، بل اننا نريد ان نعمل في المجلس الجديد من غير ان تكون افكارنا مشوشة ، وبكل تعاون ... »

حديث مع رئيس الوزارة السورية :

وصلت وفود الدول العربية من دمشق الى بيروت في ٢٠ من نوار، وبعد ان سجلت اسمها في سجل التشريفات استقبلتها وأقمت على شرفها مأدبة غداء وسعيت ان اجعل الجو مرحاً دون ابتذال . وسافرت اليوم بعض هذه الوفود الى بلادها والبعض الآخر على اهبة السفر .

في ٢١ ، استقبلت خالد العظم بحضور حسين العويني .

ابتدأتُ الحديث فأظهرتُ سروري باجتماع الجامعة واللجنة السياسية في دمشق في هذه الظروف، وهذا تأييد معنوي قوي لسورية في الازمة التي تجتازها على الحدود . وهو ايضاً توفيق شخصي لخالد بك . فشكرني الزائر وقال : ان للبنان اليد الطولى في الوصول الى هذه النتيجة .

وأخبرت زائري اني دعوت وزير فرنسا المفوض الى القصر الجمهوري وطلبت منه ان يبرق الى حكومته بعدم توقيف إرسال السلاح الى سورية . فاجاب خالد العظم شاكراً ولكنه تعجب مثلي من عدم وصول الجواب، واستطرد قائلاً : هل من الموافق ان اطلب مداخلة المسيو بويسون مدير البنك السوري اللبناني المسافر الى فرنسا في الامر ، واقول له ان مصالح مؤسسته (التي تطلب تحويلها الى بنك مركزي في سورية) تقضي بذلك ؟ فاجبته : ان للرجل اصدقاء لا يستهان بهم ، وقد سبق له ان تدخّل لمصلحة سورية ولبنان في مفاوضات الجلاء ونفعنا ، فلا بأس من تحريك وتر المنفعة عنده للوصول الى الغاية ، مع التذكير بانه لا يجوز التمادي معه في بعض المشاريع المعروضة من قِبله، حتى لا تصبح مؤسّسته أخطبوطاً يسيطر على مرافق البلاد الاقتصادية ، فيعود الانتداب ، وعلى اسوأ حال ...

وختمنا الحديث بضرورة الاسراع في الاتفاق الاقتصادي بين سورية

ولبنان، فارتأى حلولاً جديدة في التبادل التجاري وانتقال الاشخاص ، فاجبته بان النظرة السياسية يجب ان تسيطر على علائقنا ، ومركز لبنان في الداخل حرج فيما اذا عومل دون سواه من الدول العربية ، ناهيك بحرج مركزي الشخصي بعد السياسة العربية التي وجّهتُ لبنان اليها، دون اقتناع كثيرين من ابنائه بصحة هذا التوجيه ...

وسادت اجتماعنا الروح الطيبة .

أمراض الجامعة

حديثي مع عزام :

واستأذن رئيس الوزارة السورية وانصرف . واستقبلت في اثره عبد الرحمن عزام الامين العام لجامعة الدول العربية وهنأته بتجديد الامانة له لسنتين جديدتين ، فأبدى شكره للبنان ولي ، وباح بمرارته « من تصرف بعض الدول العربية معه ، على رغم مما اسداه لها من خدمات » ، وزاد قائلاً : « ان العرب أتعبوا الرسول فليس عجباً ان يتعبوني انا ايضاً ، وان ينسبوا اليّ فشل الجامعة ، في حين ان المسؤولية تعود بالحقيقة على الشعوب العربية ... »

وتركته يبوح بكل ما في قلبه ... وانتقل الى تبيان منافع الجامعة ونواقصها ، فاختصرتُ وجهة نظري في موضوع الجامعة وقلت ما موجزه .

« اني لا ارى ان المسؤولية تقع على الشعوب العربية ، ولكن الدول العربية مقسومة قسمين ، وعلى هامشهما صفّ ثالث :

١ – مصر ، والمملكة السعودية ، من جهة

٢ – الاردن ، والعراق ، من جهة اخرى

٣ – لبنان وسورية على هامش الجبهتين .

فالمنازعات الحاصلة بين القسمين الاول والثاني تعرقل جميع الاعمال ، واخواننا ، كلهم ، يُظهرون ما لا يُبطنون ، فهم في وفاق ظاهر واختلاف مستتر ، ووضعهم هـذا يبرز احياناً في صورة تلقي الشكوك في قلوب الجميع وخصوصاً في قلوب العرب انفسهم ، ومن شأن هذا ان يقضي على كيان المؤسسة المذكورة .

والدواء الوحيد هو ان يتهادن زعماء العرب مدة لا تقل عن سنوات عشر ، حتى يشتدّ ساعدهم وتصبح جامعتهم أداةً محترمة . ثم يجب بعد المهادنة ان يسعوا الى حل مشاكلهم مع دول الغرب باسرع ما يمكن ، فتصير الجامعة في حالة معنوية تمكّنها من اداء رسالتها في الشرق والدفاع عنه على أتم حال . وليُبدأ بمصر وانكلترة . وعندي ان حل المعضلة المصرية يفرج « الازمة العربية » . وعلى دول الغرب ان تنصف فلسطين ، خصوصاً في قضية اللاجئين وتدويل القدس . ومتى وقع ذلك اصبح التعاون مع تلك الدول سهلاً ، لان مبادئنا الدينية والاجتماعية تلاقينا بالاهداف الغربية . وبذلك يتسنّى لنا ان نشترك بمجموعةٍ عربية مرفوعة الرأس في الدفاع عن شرقنا ، فيما اذا هوجمنا ، رجالاً احراراً لا مرغمين على امرنا ودون ان تُغتصَب علينا ارضنا بالاحتلال العسكري ودون اي حلف .

صادق عبد الرحمن عزام على جميع ما قلته له . واردفت بقولي : ان احاديثي مع رجال الغرب من الذين امّوا هذه البلاد كانت جميعها ترمي الى نصحهم بانتهاج خطة مسالمة لحل قضية مصر وقضية فلسطين بعد الكارثة التي وقعت فيها ...

وانتقلت الى الموضوع الشخصي فقلت لزائري ان صفاته وتفانيه في خدمة العرب ليست بموضوع بحث ، والجميع يقدّرونها ، غير ان المأخذ الكبير عليه هو انه يتسرّع بالتصريح باسم الجامعة في كل مناسبة ، مما

جعل رؤساء الوزارات العربية ينحون عليه باللائمة الشديدة إذ يُدخلهم، وهم اعضاء في الجامعة ، مآزق حرجة ...

قلت ذلك لعبد الرحمن عزام بلطفٍ لا مزيد عليه فاعترف بصواب الملاحظة . واظن انه انتصح بها ...

وقلت له ايضاً : ان شعراء العرب اطربونا بجميل اشعارهم غير انهم اساؤوا الينا من حيث لا يقصدون، فترديدنا الكثير من حِكَمهم جعلنا نعتقد ان آية من آياتهم تمكننا من حل المشاكل المستعصية ... وكذلك أغوتنا دواوين حماستهم حتى صرنا نردّد ابيات فخر لم يعد لها من تأثير ضد التسلح الحديث ، فالرماح العوالي والخيول المضمّرة ، مثلاً ، لا تقاوم القنابل العادية فكيف بالذرية منها ؟

وقد ضحك عزام كثيراً وانصرف شاكراً .

مُعارضة جديدة

وزارة جديدة :

على إثر اجتماع المجلس النيابي وقبل ان تقدّم الوزارة استقالتها ، اردت ان ابدأ بالاستشارات في الشخصية السنية التي يوافق ان تسند اليها رئاسة الوزارة . وقد اخذت مفكرات بآراء النواب السبعين الذين دعوتهم الى مقابلتي . وأبرز مـا حصل ان سامي الصلح طلب لنفسه الرئاسة ! وحجته في مطمحه انه بقي خمس سنوات يرفع اصبعه ، او يخفضها ، تأييداً للحكومات القائمة ، وانـه عيل صبره ... ووجدت طريقة لبقة لاستشارة النواب السبعة الذين وصفوا نفسهم بالمعارضين ، فكلفت حسين العويني رئيس الوزارة ان يستمزجهم فيما اذا كانوا يرغبون ان يسمعوا رأيهم في الموضوع ، وفي حالة الايجاب فالرئيس مستعد لان يسمع آراءهم أفراداً ، او جملة ، او بواسطة من ينتدبونهم عنهم . فانتدبوا كميل شمعون وكمال جنبلاط لابداء الرأي ، وجاءني الاثنان وصرّحا إصالة ووكالة، بان اشخاص رئيس الوزارة والوزراء لا تهمّهم ، وان لديهم برنامجاً ، وانهم سيعيّنون موقفهم من الوزارة بنسبة ما تطبّق، او لا تطبّق ، من برنامجهم المذكور . وقد شكراني على البادرة الدستورية التي ظهرت مني

فرحّبتُ بهما وبالرأي الذي ابدياه ، وأضفت ان برنامجهم واسع ، فهل عندهم لبعض النقاط افضلية على البعض الآخر ؟ فاشارا الى بعض مواد مقدّمة على سواها في خطتهم ، فأخذت مفكـّرة بها لاعرضها على رئيس الوزارة المقبلة .

زيارة الملك عبدالله :

ما كدنا ننتهي من استشاراتنا مساءً [١] حتى بدأنا بوضـع برنامج لاستقبال الملك عبدالله عاهل الاردن والامير عبد الاله الوصي على عرش العراق . فهما آتيان لعيادة الامير طلال ولي عهد الاردن المريض بانحطاط عصبي حاد والمقيم في بحمدون .

وصل جلالة الملك يرافقه سمو الوصي والحاشية في الساعة الثامنة من صباح الجمعة في اول حزيران واعددنا لهما استقبالاً حافلاً على الرغم من ان للزيارة صفة شخصية .

عاد الملك والوصي مريضهما الامير طلالاً وتناولا الغداء في قصر الرئاسة فاجتمع حولهما رجـال السياسة اللبنانية وملأوا جوّ المأدبة انشراحاً . واستراح الملك ومرافقوه راحة قصيرة ورجعوا الى عمان فجرى لهم وداع رسمي في المطار .

وأبدى الملك والامير عبد الاله امتنانهما للحفاوة البالغة التي احطناهما بها وأبرق إليّ الملك باسلوبه الخاص فور وصوله بما يلي :

« بعد ساعة وخمس دقائق من حركتنا من بيروت وصلنا عمان انا وصاحب السمو الامير الوصي سالمين حامدين شاكرين . وانني لن انسى ابداً كرمكم الحاتمي ، ووددكم الاخوي ، وترحابكم الودي ، فتقبلوا تحياتي مع الاحترام . وتفضلوا بابلاغ سلامي الى كل من حظيت بسلامه اليوم على يدي فخامتكم .

الامضاء : **عبدالله** » اهـ.

---

(١) – الخميس في ٣١ من نوار .

رئاسة المجلس :

احدث انتخاب رئيس المجلس الجديد هزّة عنيفة ، اذ انقسمت الكتلة الدستورية بسببه ، فأيّد بعض اعضائها ترشيح صبري حماده وأيد البعض الآخر ترشيح احمد الاسعد (حميه ، ابي زوجته) وكان لهذا الاخير الحظ الاوفر .

وحدث ، على اثر المشادات الانتخابية في منطقة البقاع ان اغتنم رياض الصلح السانحة وأشار على مجيد ارسلان وصبري حماده بالانسحاب من الكتلة الدستورية فانسحبا فعلاً دون ان يراجعاني بالامر ، وأعلنا انسحابهما في جريدة « النداء » التي تنتسب الى رياض . وكان القصد من ذلك إحراج الرئاسة . فقـد ادرك رياض ان رئاسة الوزارة ذاهبة الى سواه في هذه الدورة ، فتألم وضاق ذرعاً ، ولم يكن على حق في تبرّمه وسلوكه هذا لانه سبق لي ان اتفقت معه على ان يعتزل فترة من الزمن، ثم يعود بعدها الى الحكم .

ولا شك في ان انسحاب ركنين من الكتلة الدستورية اضعفها في وقت كانت احوج فيه الى المحافظة على وحدتها .

وتمّ انتخاب رئاسة المجلس في الخامس من حزيران ففاز احمد الاسعد بالاكثرية (٦٧ صوتاً على ٧٧) .

استقالة الوزارة :

على اثر انتخاب رئيس المجلس النيـابي قدمت الوزارة استقالتها ، بالكتاب التالي :

« حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية المعظم حفظه الله .

يا صاحب الفخامة

عندما تفضلتم وندبتموني لرئاسة الحكومة ، وكنت قد اعتزمت اعتزال المناصب

السياسية ، لم ار بدا من النزول عند رغبتكم الكريمة لاني وجدت في المهمة التي وكلتموها الي داعياً وطنياً البيه ، وواجباً قومياً اؤديه ، ولقد كان في رأس المهام الملقاة على عاتقنا القيام باجراء انتخاب نواب الامة في جو من النزاهة والامانة والحياد يطمئن اليه جميع اللبنانيين ، ويتفق ورغبتكم السامية في الابقاء على وحدة اللبنانيين ، وحرصكم على تأمين العدالة والنظام ، لا سيا في هذا الظرف الدقيق . وقد وفقنا بنعمة الله وبفضل توجيهاتكم السديدة ونصائحكم الرشيدة ، وبفضل الوعي الكامل الذي بلغه الشعب اللبناني العزيز ، وبفضل نشاط وتجرد وامانة الموظفين كباراً وصغاراً ، سواء الذين هيأوا عمليات الانتخاب او الذين اداروها واشرفوا عليها ، وبفضل الموقف المشرف الذي وقفته قوات الامن من جيش ودرك وشرطة، ويقظة قوادها ورؤسائها ، حتى جاءت هذه الانتخابات مثالية على صورة تقرب من الكمال .

يا صاحب الفخامة

اما وقد ادينا هذه المهمة على الوجه الذي يرتاح اليه ضميرنا وضمير بني وطننا ، فاننا ليسعدنا ان نسلم بدورنا الامانة التي تلقيناها من حكومة عرف رئيسها واعضاؤها بنضالهم الطويل في سبيل سيادة البلاد وعزتها ورفاهها الى حكومة ستتابع ان شاء الله بفضل توجيهاتكم الحكيمة مهمتها باخلاص ووفاء ، لانها حكومة منبثقة ايضاً عن ارادة الشعب صاحب تلك الامانة الغالية .

واني اذ اتشرف بتقديم استقالة الحكومة لفخامتكم يطيب لي ان اعرب بلساني ولسان زميلي عن خالص شكرنا وعظيم امتناننا للرعاية الكريمة التي احطتمونا بها طيلة وجودنا في الحكم ، فكانت خير معوان لنا على مغالبة الصعاب وتذليل العقبات في سبيل خدمة وطننا العزيز لبنان .

راجياً ان تتفضلوا يا فخامة الرئيس بقبول اسمى عواطف الولاء والاحترام .

بيروت في ٥ حزيران ١٩٥١

الامضاء : **حسين العويني**

الامضاء : **ادوار نون**   الامضاء : **بولس فياض** » اه.

وقد اجبت على كتاب استقالة رئيس الوزارة بما يلي :

« دولة السيد حسين العويني رئيس مجلس الوزراء الافخم .

لا يسعني ، وانتم تغادرون الحكم مع زميليكم الكريمين معالي بولس فياض وادوار نون ، بعد ان توليتموه في هذه الفترة الدقيقة ، الا ان اكرر لكم جزيل شكري وتقديري على جميع الاعمال التي قمتم بها ، وخصوصاً على تأمينكم الامن

العام والحياد والنزاهة في الانتخابات النيابية الاخيرة ، كما شهده اللبنانيون جميعهم وشهدوا بها ، فجاء الاستفتاء الشعبي معبراً عن آراء الناخبين الذين اقترعوا بملء حريتهم واختيارهم .

واني اطلب منه تعالى ان يحفظكم وزميليكم بمنه وكرمه، وان يسبغ عليكم نعمه وان يجزيكم خيراً . وتفضلوا بقبول الاحترام .

صدر عن القصر الجمهوري في بيروت ٧ حزيران سنة ١٩٥١

الامضاء : **بشاره خليل الخوري** » اه.

عبدالله اليافي يرئس الوزارة الجديدة :

كلفتُ عبدالله اليافي بتشكيل الوزارة الجديدة فقضى يوماً كاملاً يستشير النواب ، وجاء ليـلاً بمجموع استشاراته فتباحثنا بحضور الحاج حسين العويني وتقررت الخطوط الكبرى للتشكيل الوزاري .

وتغلبنا على المصاعب وصدرت (١) مراسيم تشكيل الحكومة المرتقبة على ما يرضي الرأي العام بوجه اجمالي .

حادث مع دمشق :

وقع خطأ في تنفيذ تعليمات على غير واقعها القانوني بترحيل عدد من العمال السوريين الى الحدود، ولم اكن لاعلم به، ولم يعلم به احدٌ من الوزراء السابقين واللاحقين ، فلم يمكن تداركه . وأوفدنا مدير الخارجية العام الى دمشق واجتمع بخالد العظم وسُويت المسألة بنشر بلاغين من الحكومتين . واستدعى رئيس الوزارة الصحافيين ليعطيهم بياناً عما حصل منعاً للاستثمار الرخيص الذي قامت به بعض الصحف في بيروت ودمشق ، واضطر شارل حلو وزير خارجيتنا الى عقد مؤتمر صحفي بيَّن فيه حقيقة سياستنا الخارجية على اثر الحملة المدبَّرة التي قامت بها صحف تنتمي الى رياض الصلح ، منها « النداء » و « الهدف » و « الديار »، للايهام بان سياسة لبنان

(١) – في ١٠ من حزيران .

الخارجية لم تعد عربية . وفي الوقت عينه ادلى مجيد ارسلان ببيان فيه استثارة نعرة مؤسفة ، ونحن في هذا الوقت الحرج ، فتلافينا الامر بقدر الامكان .

البيان الوزاري في المجلس :

عرض عليّ عبدالله اليافي البيان الوزاري الذي أعدّه بالاتفاق مع زملائه ، فعقدنا له مجلس وزراء وأبدى الوزراء، وأبديت ، بعض الملاحظات عليه ، وأدخلت التعديلات اللازمة وصيغ البيان بصيغته النهائية .

وفي ١٩ من حزيران ألقاه اليافي في المجلس النيابي . عقبته جلسة برلمانية بكل معنى الكلمة ، دامت ست ساعات متوالية ، وتعاقب على المنبر ثلث اعضاء المجلس تقريباً ، من مؤيد ومعارض ، وتبسّطوا في خطبهم وجاءت بالاجمال مهذّبة ، إلاّ ما ندر . وقد ردّ رئيس الوزراء على الخطباء جميعهم بلهجة مقنعة فصفّق له النواب والحضور . ونالت الحكومة الثقة باكثرية ٥٣ صوتاً ضد ٢٢ ، وغاب نائب واحد وامتنع نائب آخر عن الاقتراع .

في زيارة بعض القرى :

قضيتُ نهاية الاسبوع في فندق صوفر، قبل افتتاحه، وخصصت يوماً لزيارة القرى المجاورة : مجدل بعنا وبدغان وشارون ، زيارةً مفاجئة فتجمّع الاهلون حول السيارة شاكرين داعين مؤيدين . وقد سألتهم عن احتياجاتهم فطلبوا تحسين الطرق وزيادة المياه . ورأيت في الواقع ان الطرق تحتاج الى الاصلاح العاجل . وعلى اثر رجوعي نبّهتُ وزير الاشغال الى اصلاحها باسرع ما يمكن .

وقمتُ بجولات اخرى ، واحدة منها الى حمانا، وسرت في البلدة ماشياً

فتسابق الاهلون الى الترحيب بي وتقديم المرطّبات والكرز « المقطوف عن امه » .

ثم قمت بجولة أخرى عبر نبع الصفا الى كفرنيس فمجد المعوش فرشميّا دون إعلام احد، ولم يعرف الاهلون بوصولي إلاّ من الدرّاجات البخارية فتجمهروا وحيّوا الرئيس تحيّة الحب ، والسرور مرتسم على وجوههم . واستوقفني رهبان دير مار مارون برسنيه في المعوش ورهبان دير مار يوحنا في رشميا للتحية والترحاب . وجمع اهالي رشميا صفوفهم في الساحة واستقبلوني استقبالاً حاراً منقطع النظير، فتعالت اهازيج النساء وزغاريدهن ونُثرت الازهار ورُشّت الروائح العطرية على الجماهير . فلاطفتُ الجميع وسألتهم عن حاجاتهم . وزرت كنيسة مار تقلا وصلّيتُ صلاةً حارة لحفظ لبنان وجميع ابنائه .

« قرانه » المطران مبارك بالعهد :

الاحد في ٢٤ من حزيران دُعيت الى القداس الحبري الذي احتفل به المطران مبارك بمناسبة مرور خمسين سنة على سيامته كاهناً . فلبّيت الدعوة بعد انقطاعي عن سيادته انقطاعاً طويلاً للاسباب التي عرفها القارىء . واتيحت لي فرصة الكلام بشؤون الساعة فدعوت الى المسالمة والى مصالحة وطنية شاملة على اسس الميثاق، وأضفت : « ان قلبي وذراعيّ مفتوحة لهذه الغاية » . وأهديت المطران صاحب اليوبيل خاتماً فقال لي وللمحيطين بنا : « هذا عربون القران بيني وبين العهد » . وأجابه حبيب ابو شهلا : « على شرط ان يكون قراناً مارونياً غير قابل الانفصام ... » وكان المطران اول الضاحكين .

لجنة الطعون تبطل نيابة انور الخطيب والمجلس يصدقها :

اجتمعت لجنة الطعون غير مرة وانتهت باقرار الانتخابات المعترَض

عليها إلا انتخاب انور الخطيب لمصلحة مزاحمه حسين الجسر وعُرض تقرير اللجنة على المجلس فلم يوافق النواب على إبطال نيابة انور الخطيب وأقرّ صحة جميع الانتخابات . وكان الامر متوقّعاً لان رياض الصلح واصدقاءه ضموا اليهم نواباً دستوريين منشقّين ، ونواب طرابلس ، وهؤلاء يبغون إقصاء مواطنهم حسين الجسر عن الندوة النيابية كي لا يحدّ من استئثارهم بالنفوذ الرسمي ، ولا يلمع نائباً كما لمع موظفاً فتنفتح الابواب امام نشاطه وذكائه .

اتصال مباشر بالمقامات الدينية الدرزية :

لم يكن انقطاع كمال جنبلاط عنا وفتور مجيد ارسلان نحونا ليمنعنا من الاتصال مباشرة بالطائفة الدرزية الكريمة . وكان صاحبا الفضيلة شيخا عقل الدروز الشيخ محمد ابو شقرا والشيخ محمد عبد الصمد قد بسطا لي بعض المطالب التي تهم طائفتها ، فاهتممت بها وانتدبت المدير العام للرئاسة لزيارتها ومباحثتها بشأنها ، فكتب اليّ صاحبا الفضيلة معربين عن الشكر والثناء وأطيب التمني والدعاء .

وأوفدت قائم مقام عاليه لتمثيلي في الحفلة السنوية التي اقامتها الكلية الداودية في عبيه بمناسبة انتهاء السنة المدرسية . فأخبرني القائم مقام انه تناوب على الكلام عــدد من الخطباء وختم الحفلة وسيم النكدي مدير الكلية بخطاب اعلن فيه انني اهديت المؤسسة الداودية خمسة الاف ليرة لبنانية لمأوى العجزة ، وعشرة الاف ليرة لبنانية مساعدةً للكلية ، وشكر باسم المؤسسة رئيس الجمهورية « الذي اضاف مأثرة جديدة الى المآثر العديدة التي تصدر عن فخامته في كل ظرف ومناسبة ، وهذه المؤسسة كانت وما تزال تكنُّ لفخامته الولاء والاخلاص وعرفان الجميل » .

وبعث اليّ قائم مقام عاليه بالبرقية التالية :

« حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية المعظم .

كلفت رسمياً من قبل عارف بك النكدي وكيل الاوقاف الدرزية بان ارفع

لفخامتكم باسم اوقاف بني معروف ومؤسساتها الخيرية اصدق عبارات الشكر على العطف الكريم الذي شملتم به معاهدهم راجين ان تستمر هذه العناية الخ ... »

حفلة معهد العمال :

في ٢٦ من حزيران ترأست حفلة افتتاح معهد العمال الفقراء الذي انشأه الاب قرطباوي في الحازمية ، وجلس عن يميني غبطة البطريرك عريضه وعن شمالي نيافــة الكردينال تبوني ، وحولها الوزراء والسفير البابوي والاساقفة والنواب والوجهاء . وغصّت الباحة الخارجية بالجماهير. وهذه اول مرة حضر البطريرك الماروني حفلةً مدنية أترأسها وفيها مثل هذا العدد الغفير من امراء الكنيسة الكاثوليكية .

وأُعدّت الحفلة بكثير من الاتقان ومثّل اولاد المعهد ادوارهم على المسرح بلغة عربية فصحى ، ونطقت الابنــة التي قامت بدور البدوية بلهجة البداوة ، ولقّن الجميع ادوارهم بكلمات الولاء والاحترام لرئيس الجمهورية مما لفت الانظار في هذا المجمع الاكليريكي .

ووجّه البطريرك كلمته « لفخامة الرئيس المعظم المحبوب » حاوية عبارات الشكر ، وعلّقتُ على صدر الاب قرطباوي وسام الاستحقاق اللبناني فألقى خطاب شكر وتقدير . ثم القيتُ كلمة جمعت فيها بــين الآيات القرآنية والآيات الانجيلية تيمّناً بالميثاق الوطني الذي يشدّ اللبنانيين بعضهم الى بعض منذ عام ١٩٤٣ .

ممن تتألف المعارضة الحالية :

١ – ثمانية نواب من كتلة جنبلاط شمعون اده ، لا يعترضون على شرعية الاوضاع ، ولكنهم يعلنون انهم غير موالين لسياسة الرئيس . ولهم شكوى تقليدية لا مبرّر لها ، فأخي سليم الذي خاصموه وخاصمهم منقطع عن جلسات المجلس، وهو يغادر بيته باكراً كي لا يستقبل احداً ولا يتدخل في شؤون احد .

٢ – رياض الصلح وصبري حماده ومجيد ارسلان وبهيج تقي الدين ، وحجتهم انهم أبعدوا عن الحكم وفقاً لخطة مدبّرة ، والحقيقة ان تغيير الوجوه في الوزارات ضرورة ماسة ، ولا سيما في بلد صغير الحجم ، كثير المستوزرين ومن الملائم ان يجربوا كفاآتهم . وان لمعارضة هؤلاء الاصدقاء دواء ، فهي آنيّة وتزول مع الوقت، وأما معارضة الاولين فلا دواء لها .

٣ – سليمان العلي ، وهو يرغب في ان يعامل أسوة برشيد كرامي ، في ممارسة الوزارة ، ولهذه الرغبة اعتبارات سياسية تتعلق بالشمال عامة وبطرابلس خاصة . وسليمان العلي مهذب في معارضته .

٤ – حميد فرنجيه ، وهو يتذمّر من نتيجة الانتخابات في منطقته ، إلا انه لا يزال حتى الآن معتدلاً ، وله اصدقاء كثيرون في الوزارة وانا اكنّ له كل تقدير .

اما الرأي العام فغير مندفع في تيار المعارضة ، ومعلوم ان هـذه المعارضة ترتكز في اكثرها الى شهوة الحكم وتتحرك بها ، فعلى الوزارة ان تحسب لها حساباً بعد ان قويت .

ان المعارضة تظهر نشاطاً ملموساً وتشنّ حرب اعصاب في صحفها على الحكومة . والانكى ان المعارضين يحمّلون الوزارة ما هم عنه مسؤولون في شؤون كثيرة ! ...

والحكمة في الثبات والصبر الى المنتهى .

مع سورية ايضاً :

في ٨ من تموز زارني خالد العظم رئيس الوزارة السورية ومعه عبدالله اليافي رئيس وزارتنا ، وعدنا الى حديث كله شجون . وقد أعربت له عن استيائي من الحالة التي أوصلنا اليها تعنّته بالمسائل الاقتصادية ، وكان

قد مشى شوطاً بعيداً نحو التقرب من لبنان ووعدني بأنه سيقبل الصيغة التي اقترحتها للتبادل التجاري والصناعي ولكنه أخلّ بوعـده ، ويا للاسف !

واضطرني ما نقاسيه الى ان اقول لخالد إن علائقنا الاخوية ساءت جداً حتى صار من الافضل مداواتها بتبادل التمثيل السياسي كي لا نبقى تحت رحمة اخبار الصحف . واقترحت اخيراً ان يجتمع وزيرا المال السوري واللبناني ويضعا جدولاً للاعمال قبل المباشرة بمفاوضة جديدة خشية فشل قد لا يعوّض عنه ولا سيما ان لبنان قد ارسل مؤخراً الى الحكومة السورية مذكرة يطلب فيها استئناف المفاوضات الاقتصادية .

وعدني خالد العظم بان يدرس هذه الامور جدياً ويعطينا جواباً عليها . وقد شعرت بانه لم يزل على تشدّده فيما يتعلق بالتبادل التجاري . وأخشى ان تنقطع شعرة معاوية بيننا ، فكثيرون من اللبنانيين يجعلون من الوَحدة الاقتصادية قميص عثمان للشغب ، بالرغم من انهم مقتنعون بان الحكومة تحافظ على حقوق جميع الفئات اللبنانية دون تحيز ، وبأنها بذلت جهدها في سبيل الوصول الى حلّ معقول لا يضيع على العباد ارزاقهم ، وبأنها غير مسؤولة عن تعنّت الجيران ...

ولكن ما العمل امام الغرض الاعمى ؟

مد وجزر :

ما زالت دورة المجلس مفتوحة . وفي ١٠ من تموز انعقدت الجلسة فحاول بعض نواب المعارضة عرقلة البدء بجدول الاعمال ، وذلك بطرحهم الاسئلة بعضاً في اثر بعض ، وعملوا لتعطيل النصاب ولكنهم لم ينجحوا . ولقد أقرّت المشاريع المعروضة وبقي على الحكومة ان تتحسّب الامر بتأمين النصاب للسير بالاعمال قِدماً وان شاغب المشاغبون .

وانعقد مجلس الوزراء في الحادي عشر من تموز مساء وبحث في مشاريع

انشائية مهمة رُبطت بطلب اعتمادات إضافية واحيلت الى المجلس . وأقر الوزراء نقل اعتمادات مرصدة لاشغال عامة لم تنفق في العام الماضي ولكنها ستنفق في هذا العام دون الرجوع الى مجلس النواب استناداً الى قانون الموازنة الجديد .

وتناول البحث الطويل علائقنا الاقتصادية مع سورية وأطلع رئيس الوزارة زملاءَه على مباحثاتنا مع خالد العظم .

الحالة الداخلية آخذة بالتحسن على رغم من حملة الصحف وتعدّد اسئلة نواب المعارضة . وباشرت اللجان النيابية عملها فظهر لها ان هدف « القيامة » المصطنعة ، سياسي بحت ولا يمت بصلة الى الاصلاح المنشود ، خصوصاً وان مثيري هذه الحملات ينتقدون اعمالاً قانونية قاموا بها هم انفسهم يوم كانوا في الحكم ، وصاروا الآن ينتقدونها ويلصقون التهم بسواهم لعلّهم ينالون من مقام الرئاسة . وقد خابوا فألاً فالاعمال المنتقدة لا غبار على قانونيتها ، إلا اذا كان من نقص في بعضها فهم وحدهم المسؤولون عنه ، دون سواهم .

توسّط لديّ الكثيرون بشأن المعارضين الجدد فسألتُ الوسطاء : هل من المفروض ان يبقى هؤلاء الاصدقاء في الحكم طوال مدة رئاستي، واذا تركوا الحكم لوقتٍ وفسحوا لمن هم مثلهم اصحاب حق في الولاية فهل يجوز ان يحملوا هذه الحملات الطائشة للنيل من كرامة الرئاسة ؟

وكان الجواب في الحالين سلبياً .

وعسى ان يقتنع الرأي العام بما اقتنع به الوسطاء !

وزير انكلترة الجديد يقدم اوراق اعتماده :

عُين المستر شابمان اندروس وزيراً مفوضاً لصاحبة الجلالة ملكة

بريطانية العظمى ، وقدّم اوراق اعتماده في عاليه وفقاً للمراسم المعتادة الا انه اصطحب معه عدداً كبيراً من معاونيه لفت الانظار . وخلوت به بعد الحفلة وبعد الغداء التقليدي وتبادلنا الاحاديث الودية ، وتناولتُ في جملة ما تناولت تصريحاً ادلى به في واشنطن ماك غي وكيل وزارة الخارجية الاميركية وجدتُ فيه صدى لحديثي السابق معه، وتمنيتُ وتمنى الوزير المفوض الجديد ان تحسّن حكومة الولايات المتحدة سياستها مع العرب .

وقبل ان يودّعني شابمان اندروس امتدح عهدي وسياستي وأيّد عهد الاستقلال ودعا باطالتها . ولم أُعطَ علم الغيب لأدري ما كان يتمخّض به المستقبل القريب .

حفلة في رشميا :

دعاني المطران مبارك لحضور القداس [1] في كنيسة رشميا بمناسبة عيد شفيعتها القديسة تقلا فلبّيت . واستقبلتني بلدتنا والقرى التي مرّ بها الموكب استقبالاً رائعاً . وأعلن المطران انه يقدّم الذبيحة الالهية على نيتي «كابن بارٍ لرشميا وكرئيس يفتخر به كل لبنان» . وتكلم عن ائتلاف المحمديين والمسيحيين منذ مئات السنين قبل الفتن الطائفية التي اثارتها سياسة المطامع في القرن التاسع عشر ، وقال ان لبنان يعود اليوم الى هذا الائتلاف الحميد بفضل الرئيس وسياسته الرشيدة العاقلة الخ ...

وقد تحمس سيادته في الثناء على عهد الاستقلال حتى حمّس الجماهير !

وعقبت القداس حفلة خطابية . وقال احد الخطباء انه يعرف ضابطاً اميركياً كبيراً قال له : « ان رئيساً كرئيسكم حكم لبنان هذه السنوات براحة ، يمكنه ان يحكم اكبر دولة في العالم ! ... »

أجل ، ان الحكم صعب عندنا ، ولكن الخطاب فيه مسحة ظاهرة من الزلفى !

---

(١) – الاحد ، في ١٥ من تموز .

وتكلمت في نهاية الحفلة ، وشكرت المطران والخطباء على كونهم احيوا ذكريات الآباء والاجداد ، الذين استوطنوا هذه البقعة فخدموها وعزّزوا فيها روح الدين والوطن . وزدت قائلاً : إني فخور بخدمة القوى المعنوية والروحية التي بُني ، ويجب ان يبقى مبنياً عليها لبناننا العزيز .

وتكلمت عن رشميا وقلت إن لها عليّ حرمة البلد الاول ، فلي منها الهواء والماء والتراب . واقتفاءً بالآباء والاجداد ساعمل لخيرها ولخير ابنائها . ودعوت ختاماً للتضامن وللوَحدة الوطنية في ظل الميثاق .

وفي رجوعي عرّجتُ على كرسي عين تراز وزرت غبطة البطريرك مكسيموس صائغ وتباحثنا في الشؤون العامة ، وكانت حفاوته بي عنوان الولاء والامتنان . وبعد وصولي الى عاليه دعوت المطران مبارك وبعض الوزراء والاصدقاء الى الغداء على مائدتي فلبّوا .

دعوة من عمان مشؤومة :

في الثاني عشر من تموز زارني الزعيم الاول فوآد شهاب قائد الجيش وأسرّ إليّ بأن رياض الصلح قابله وشكا اليه سوء حظه بعد انتخابات نيسان المنصرم ، وإبعاده عن الحكم ، وأن صدره قد ضاق ، وعيل صبره ، وانه اضطُر للمعارضة ... وقال له اخيراً ان الملك عبدالله دعاه لزيارته في عمان وانه يستعد لتلبية الدعوة .

وأجبتُ زائري : ان رياضاً عزيز عليّ . ومعارضته في نظري عَرَض لا يؤثـر في الجوهر . اما بُعده عن الحكم فأمر قـد اتفقنا عليه يوم استقالته الاخيرة ، وبرضاه ايضاً قد تـمّ الاتفاق على تولية اثنين او ثلاثة من المؤهلين في السنين فلا تكون رئاسة الوزارة احتكاراً له ، وبهذا لا تنفر منه قلوب الاكفاء وانصارهم في طائفته . وكذلك اتفقنا ايضاً على

ان يعود رياض الى الحكم وأنهي برفقته المدة الباقية لي ، فنثبّت وضع البلاد على اساس الميثاق قبل ان أغادر الرئاسة .

وتابعتُ : إنني لا ازال على عهدي مع رياض على الرغم من معارضته العنيفة . واما زيارته الى عمان فلا بأس بها ترويحاً عن نفسه وتفريجاً لكربته . وانا أنزّهه عن ان يكون لها هدف سياسي لاحراج موقفي والتأثير فيّ ، وليثق بأن ما وعدته به ينفـّذ بحذافيره . وختمت قائلاً : ان امام رياض مجالاً واسعاً للعمل في رئاسة الوزارة التي سيُدعى اليها ، فلا يسمح لفقدان الصبر وضيق الصدر بأن يؤثـرا في تعقله وبعد نظره .

تركني الرسول الامين وعاد إليّ قائلاً : لقد اقتنع رياض بما تفضلت به . ولو لم يسبق له ارتباط بقبول الدعوة لزيارة عمان في موعد معين لاعتذر . وهو على كلٍّ سيزور فخامتكم بعد عودته ، وترجع المياه الى مجاريها .

شكرتُ الرسول وودّعني ومضى . ومـا ان بعد عن نظري حتى شعرت بغصّة لم أدرك لها سبباً ... ولم يخطر ببالي أي سوء من تلك الزيارة المشؤومة ، وقلت في نفسي انها طفرة كان رياض صاحب المواهب الكثيرة بغنى عنها ، ومن حقه على نفسه ان يرتفع فوقها .

رياض في ذمة الله :

سافر رياض الى عمان يوم الجمعة في ١٣ من تموز . وبعد ظهر الاثنين[1] دخل عليّ الدكتور جورج حنا الحداد وانا اشتغل في مكتبي في عاليه وبدأ حديث بيننا ، واذا جرس التلفون يرنّ رنيناً قوياً غير مألوف فوضعت السمّاعة على أذني ، وسمعت الملك عبدالله يخاطبني من عمان ، وصوته

(١) — ١٦ من تموز .

ضعيف جداً يكاد لا يصل ، وفهمتُ منه ، بعد جهد ، ان رياض الصلح قد اغتيل في طريق المطار في عمان وكان راجعاً الى بيروت . . . وان احد القتلة قد صُرع على الفور .

سقطت السمّاعة من يدي وانهمرت الدموع من عينيّ . وصمتُّ حائراً موجعاً لا أصدّق ما سمعت . ثم تغلبت على حزني ودعوت قائد الجيش وأعلمته بالامر وطلبت اجراء الاحتياطات اللازمة في العاصمة منعاً لشغب قد يحدث « كردّة فعل » للنبأ المفجع .

ولكن الخبر اذيع وانتشر بسرعة البرق ، قبل ان تبدأ دوريات الامن تجوالها في المدينة . وانسلّت عناصر رديئة تعيث فساداً في الشوارع فجاشت الغوغاء وراحت تقذف واجهات المحلات التجارية بالحجارة لتكسرها وتنهب موجوداتها . وما ان نزلت مفرزات الجيش الى المدينة حتى سيطرت على الموقف بسرعة وتسلّمت قيادة الامن العام .

وطلبت من الرئيس عبدالله اليافي ان يعقد في السراية مجلساً وزارياً لبحث الوضع، واستعداداً لكل طارىء . ودعوتُ اهل الفقيد الغالي لاعلمهم بالفاجعة . ولم يلبث ان تقاطر الرجال الرسميون والوجوه الى مقر الرئاسة في عاليه يتسقطون الاخبار والحزن يشمل الجميع .

اتخذ مجلس الوزراء قراراً باقامة مأتم وطني للفقيد الكبير ، على ان ينقل جثمانه الكريم من عمان الى بيروت في اليوم الثاني (١) ويُسجّى في منزله ، فيتقبّل ذووه وممثل رئيس الجمهورية والحكومة التعازي طوال ذلك اليوم ، ويقام المأتم الوطني والشعبي يوم الاربعاء . وقد حرصت على ان يبلغ المأتم قمة التكريم والتعظيم لرفيق الجهاد الذي قلّت رجاله ، فوضعت الحكومة منهاج الاحتفال كله بمعرفتي الكاملة .

(١) — الثلاثاء في ١٧ من تموز ،

وُطلب من سامي الصلح ان يفتح بيته في بيروت لتقبّل التعازي ، وتردّد . فقلتُ بفتح قصر الرئاسة في بيروت لهذه الغاية ، فتحرّك سامي وزال تردّده !

وصل الجثمان الى بيروت يوم الثلاثاء ، ونُقل من المطار الى داره بالمراسم الرسمية . ونزلتُ الى بيروت وقدمت لاسرته تعازيّ الحارة .

يوم الدفن ، وفي الساعة الرابعة صباحاً ، دُقّ باب الرئاسة في عاليه ودخل بعض الاقارب والاصدقاء واخذوا يُقنعونني بعدم النزول الى بيروت والسير وراء النعش ، « لان الحالة متوترة ويخشى من اعتداء عليّ . فالافضل ان انتدب رئيس الوزارة ، مثلاً ، لحضور المأتم عني . » — ومثل هذه النصيحة اعطيت لي امس ، إذ قدّمت التعازي في بيروت، فتجاوزت عنها — وقد أجبتُ زائريّ : « لا شكّ في ان حبّكم وغيرتكم نحوي يدفعانكم للنصح لي ، ولكنني سأقوم بواجبي مهما كلفني الامر . »

وفي الساعة المعيّنة وصلت الى امام منزل الفقيد ، والموكب يُنظّم التنظيم النهائي قبل السير ، فصافحتُ بنات رياض وابناء عمه وانا شديد الالم ، ثم تقدّمتُ الرجال الرسميين . ومشى الموكب بين البكاء والحسرة والتوجع . ومشيتُ بالغ التأثر حزين النفس كئيباً .

سار كل شيء في هدوء تام وتنظيم ، وما بلغنا آخر طريق البسطة حتى شعرت ببلبلة في الصفوف وزحمةٍ ورائي ، وفي اقل من بضع ثوانٍ احاط بي صبري حماده والزعيم الاول فوآد شهاب وبعض كبار المشيّعين واجمين ، والناس تزحمهم من الوراء . وتوقّف السير ، وعرفتُ ان بعض الجنود الماشين في المأتم « خرطشوا » بنادقهم تحسّباً، فذُعر القوم وتزاحموا، وبقيتُ رابط الجأش ، وقلت للموكب بمتابعة السير ، فمشى وقد عاد كل شيء الى نصابه . ودخلت قاعة الجامع العمري وجلستُ انتظر نهاية الصلاة والدمعة في عيني .

وخرج المشيّعون الى الباحة وعددهم لا يُحصى ، اضف اليهم الجماعات المحتشدة في الشارع وعلى شُرَف المحلات التجارية والمنازل .

ووقفتُ أؤبن رياض الصلح والمذياع امامي ، وعلى مقربة مني بناته يُهمهمن ، ويلتفتن اليّ شذَراً وعيونهن تقدح شرراً كأنني انا الجاني ! فتغاضضتُ عنهنّ ولفظتُ خطاباً خرج من فوآدي قبل ان يخرج من شفتيّ ، وسمعتُ آيات التكبير ، وقد قلتُ فيما قلت :

«يا اكرم الراحلين ، يا فقيد البلاد ، يا رفيق الجهاد !

سبحان من وهبك بغير حساب وادخرك لليوم العصيب ، وتقبلك في اليوم العصيب ، شهيداً خالداً في جنات الخلود .

وهبك سبحانه وتعالى حسباً ونسباً ، ديناً ودنيا ، جاهاً ورتباً ، مالاً ورزقاً ، ذكاء فيه اشعاع من نور ، وقلباً فيه جذوة من نار ، وايماناً عامراً بالله وبالوطن ، براً بالوالدين ، وحناناً بالبنين ، سخاء يد وسخاء فوآد ، عطفاً على المعوزين وحدباً على المحرومين ، يداً للقلم ويداً للزعامة ، بهاء طلعة وسناء وجه ، سرعة في الخاطر ، صلابة في العقيدة ومرونة في التفكير ، وعينين تنظران الى الافق القريب والى الاجواء البعيدة ، وطنية كانت لك جلبابا ودون من تتقي درعا ومجنا .

تحدرت كماء المزن مـا في نصابك كهام ، وحملت سيفاً ماضياً به من قراع الدارعين فلول، فجعلك سبحانه وتعالى من اكبر رجال لبنان قيمة ، وامضاهم عزيمة ، واشدهم شكيمة ، واعزهم بأساً ، واشعهم نبراساً ، والينهم عريكة ، واودعهم خلقاً ، وابهاهم خلقاً .

... وادخرت لليوم العصيب ، فما ان استتب الامر وشع بريق الامل في لبنان حتى انصرفت بكليتك الى هذا البلد الكريم ورضيت ان تدخل المعترك الانتخابي لثاني سنوات خلت ، وكان ذوو السلطة اذ ذاك ينظرون اليك بحذر مقرون بالاحترام العميق ، فتلاقينا بعد ان تاق احدنا الى الآخر ، وكأن العناية الالهية جعلت من هذا اللقاء بداية عهد جمع شمل الوطن ، ووحد كلمة اللبنانيين ، ورص صفوفهم رصاً ، فانبثق الميثاق المقدس الذي هو حياة لبنان ، والذي هو لنا والذي يبقى بعدنا لبنينا ، ولقد اردناه طاهراً لا تشوبه شائبة ، ولا يعكره معكر ، فانبلج الدستور معدلاً ، ودخلنا القلعة سجناء وبعثنا منها احراراً .

... فيا اكرم الراحلين ، ويا فقيد البلاد ، ويا رفيق الجهاد ، ايها اللبناني الخالد والوطني الدائم اللمعان والاشعاع ، باي كلام ترثى وبأية عبارات تبكى .

وايم الحق كان الصمت اجدر في مثل هذا المقام وامام هذه العبر ، ولولا انها عاطفة جياشة تدفع بنا لنتوجه اليك بالوداع الاخير مستمطرين على ضريحك الغالي شآبيب الرحمة والرضوان ، ولنتوجه الى عائلتك المفجوعة بصميم العزاء ، وبالتعزية الحارة الى اقربائك وانسبائك ، واهلك وذويك ، ومدينتي صيدا وبيروت والشعب اللبناني بأسره ، ودنيا العرب باجمعها ، لاكتفينا بان نحني الرأس امام جثمانك الكريم ايذاناً بالفراق الصامت على امل البعث اليقين ، مرددين حكمة الشاعر العربي :

وكانت في حياتك لي عظات   وانت اليوم اوعظ منك حيا .»(١)

ثم وُضع النعش على سيارة عسكرية مكشوفة ، وتبعتها في سيارتي الى مدفن الإمام الاوزاعي حيث أُنزل الجثمان في حجرة . وانتظرت اتمام مراسم الدفن متكئاً على عصاتي ، وخرج المشيّعون ورأيت بنات الفقيد يتّجهن نحوي، وفي لحظة خاطفة تقدّم منهن واحد من ابناء عم رياض ودفعهنّ الى سيارتهنّ ، وأمر ان تنطلق بهن الى المدينة فانطلقت تسابق الريح ! وبقيت في المكان اصافح المشيّعين الى آخر واحد منهم ، وركبت السيارة الى عاليه مردّداً قول أبي الطيب في رثائه محمـداً بن اسحق التنوخي :

خرجوا به ولكل باكٍ خلْفَه   صَعَقاتُ موسى يومَ دُكّ الطورُ
والشمسُ في كَبِدِ السماءِ مريضةٌ   والارضُ واجفةٌ تكادُ تَمورُ ...

وكنتُ في وادٍ ، وبعض الناس في واد . وقد اطمأن ضميري وقلبي الى اني قمت بواجب الرئيس والصديق نحو فقيد البلاد ورفيق الجهاد .

بردّ الله ثراه ، وقرّبه اليه واصطفاه !

كتاب :

في اليوم الثاني بعد المأتم تلقيت كتاباً من احد اصدقاء رياض الخلّص هذا نصه :

(١) – مجموعة خطب : ص ٢٧٥

«سيدي صاحب الفخامة .

لا املك الا قلمي يعبر عما في جناني ، وما تجرأت على تسطير هذه الكلمة لفخامتكم الا لان عاطفتي ، حين القيتم رثاء الفقيد ، تدفقت فلم اجد لها متنفساً الا بهذه الكلمة .

لقد كان الرثاء حديث الناس في الشوارع والمجتمعات ، وفي البيوت الكبيرة منها والصغيرة ، ولم يبق بين الناس من لم يؤخذ بروعة الرثاء فبكوا واستبكوا ، واحتفظت كثرتهم به يتلونه اناء الليل واطراف النهار كالآيات المحكمات اللواتي هن ام الكتاب .

ما تلوتموه يا فخامة الرئيس ، لوحة ناطقة باسمى معاني الوفاء ، وكتاب سجلت فيه ابلغ عواطف الاحسان واصدق شعائر الاخلاص ، لوحة لو اجتمع اقطاب البلاغة وربابنة الصياغة على اخراج مثلها لا يأتون بمثلها « ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً . »

سيذكر التاريخ انكم جعلتم صفحات منه خالدات ، بما قدمتم لبلادكم من خدمات وتضحيات ، وبما أنصفتم بني وطنكم يوم الحساب ، وسيقترن اسمكم — يا فخامة الرئيس — بالوداعة ، والرحمة ، والتجرد ، وطول الاناة ، وبالمبدأ القويم ، والسير على الصراط المستقيم .

لا زلتم ذخراً في الملمات ، وموئلاً في الشدائد ، وقبساً يستضيء بنوره اللبنانيون والعرب ، وهادياً لهم ونصيراً .

أمدكم الله بفيض من قوته ، وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة . » اه.

مصرع الملك عبدالله :

ما مرّت اربعة ايام على مصرع رياض الصلح حتى فوجئنا بمقتل مضيفه الملك عبدالله وهو يدخل المسجد الاقصى في القدس لاداء صلاة الظهر ، اي في الساعة الثانية عشرة من يوم الجمعة في ٢٠ من تموز . وقد ارداه رصاص قاتل من الفدائيين العرب .

جاء هذا الخبر بعد مصرع رياض فوجمت النفوس، وأخذت تتساءل : ما عساه يكون من امر هذين الاغتيالين ؟ وهل هناك يدٌ اجنبية تحرّك

الجناة لبلبلة الشرق العربي ؟ او هــل هو من الاعمال الثأرية الفردية ؟

مهما يكن من الامر فالاثر بالغ في عدم الطمأنينة وعدم الاستقرار في الشرق الادنى ، وقد يُفتح باب اغتيالات اخرى . ومن الواجب اخذ احتياطات لحماية الافراد ولا سيما رجال السياسة .

انا اتكالي على الله وحياتي بــين يديه : « وشعرة من رؤوسكم لا تسقط إلا باذن ابيكم الذي في السماء » .

مركز الانكليز في هذه البقعة من الارض . ويزيد صعوبة على الصعوبات التي تلاقيها هذه الدولة في ايران ومصر .

اما سوريا فالحالة فيها غير مستقرة وقد تتأثر بما حصل لاحداث انقلاب جديد .

اما لبنان فالاستقرار السياسي موجود فيه والحمد لله ، غير ان العوامل الخارجية قد يكون لها مفعولها في سياسته الداخلية . وكل تغيير في الوضع الجغرافي او السياسي العربي سوف يحدث له مصاعب جمة لا تقدر عواقبها .

وقد ينتظر العراق مثل هذه الفرصة السانحة لتغيير الوضع الراهن .

فان كانت فكرة سوريا الكبرى قد استبعدت نوعاً ما بعد مصرع الملك عبدالله ففكرة الهلال الخصيب قد يكون لها نصيب اوفر ان تتحقق في مثل هذه الظروف، رضاء او عنوة .

والضرورة تقضي ان تتعاون المملكة العربية السعودية ومصر ولبنان على تركيز الحالة في الشرق ، خصوصاً وان العالم يرتقب احداثاً خطيرة للغاية . والعلة الكبرى ان علائق مصر ساءت مع الانكليز لدرجة تشغل البال . فعدا عن مطالب مصر الاساسية من جهة الجلاء ووحدة وادي النيل ، نشأت مصاعب اخرى منها مرور ناقلات البترول عبر القنال ، وتفتيش البواخر الانكليزية ، مما قد جعل الانكليز يفكرون جدياً بوقف المفاوضات الاساسية ، كما انهم سيهدفون حتماً الى اضعاف النفوذ المصري على الدول العربية ، وقد يحدو بهم الظرف الى تشجيع او بالاقل الى غض النظر عن تغيير الوضع الراهن في الشرق العربي .

فالاقتراحات التي يقتضيها الظرف الحاضر هي :

اتصال جلالتكم بالانكليز وبمن يلزم من الدول الغربية لابقاء القديم على قدمه في هذا الشرق العربي .

اتصال جلالتكم بجلالة ملك مصر بالطرق التي تراها مناسبة ، وباسرع ما يمكن من الوقت ، وان تظهر له المخاطر الناجمة عن الموقف العمومي ، وضرورة تفادي ازمة حادة بين مصر وبريطانيا بايجاد حلول موقتة للمسائل الفرعية ، كي لا تتوقف المفاوضات او تقطع فيما يتعلق بالمطلب الاساسي . » اه.

اثر المصاب برياض الصلح في الصحف :

استقبلتُ وفداً من آل الصلح زارني شاكراً لي ما قمنا به من تقدير وتكريم وولاء لفقيدهم ، فقيد البلاد ، وقد تخلف سامي الصلح عن الحضور معهم ! لعله يريد ان يصدق فيه قول الشاعر . . .

مشاورات لبنانية سعودية

حديث ورسالة :

في ٢٣ من تموز دعوتُ وزير بريطانية المفوض لمقابلتي وطالت المقابلة ساعة كاملة عرضنا خلالها الاحداث الجسام التي وقعت في العالم العربي في هذه الفترة الاخيرة . وقد طلبت منه ان ينبّه حكومته بضرورة عدم الاقدام على تغيير الوضع الراهن جغرافياً وسياسياً في الشرق العربي ، لان مثل هذا العمل يخلق مشاكل لا يعرف مداها . فوعد بالايجاب ، وقال لي : ان من مصلحة الانكليز المحافظة على استقلال لبنان .

وبعثت الى جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بالرسالة الآتية ، بواسطة احد المقرّبين اليه :

« لا يخفى على جلالتكم ما آلت اليه الحالة في الشرق العربي . ان اغتيال المرحوم رياض الصلح ، وان كانت تنحصر نتائجه المباشرة بالسياسة الداخلية اللبنانية، الا انه سيكون بعيد الاثر غير المباشر في العالم العربي . واول اثر بنظرنا هو تجرؤ الارهاب الفلسطيني على اغتيال الملك عبدالله .

وقتل الملك يحدث مشكلة داخلية اردنية من حيث وراثة العرش ، ويغير

لا تزال الصحف تبكي مصاب لبنان برياض ، وقد ذكر بعضها ضرورة الالتفاف حول الرئيس في هذا الظرف العصيب .

واليك بعض ما قيل في هذا المعنى :

« لا نجد مندوحة من القاء نظرة صادقة على الموقف السياسي في لبنان بعد ان توارت شخصية رياض الصلح التي ان لم تكن اكبر شخصية سياسية فهي ولا شك احدى الشخصيات القليلة العدد البارزة على المسرح السياسي، وقد اوجد فقده حالة خطيرة تستحق الدرس وعناية الوطنيين العقلاء من ساسة البلاد العاملين .

ان الامة ... لا تدع ذاتها تنساق مع تيار الظروف بل تحزم امرها على التفاهم والاتحاد والالتفاف حول الشخصية التي يؤهلها مركزها الرسمي ومزاياها الوطنية لتتولى ادارة السفينة وتكون واسطة العقد ، عقد الاتحاد الوطني ... وقد آتى الله هذه الشخصية من سمو التفكير والقدرة على العمل ومزايا القيادة ، الى جانب الحياد السياسي والترفع عن الحزبية ، ما يجعلها الوحيدة الصالحة للتوجيه وتحويل الاهداف الى ناحية الخير العام . ونعتقد باننا لم نعد في حاجة للتصريح بان الشخص المعني هو فخامة رئيس الجمهورية الذي يعصمه الدستور ويجعله المرجع الاعلى للامة في الملمات ... »

وقال آخر :

« قلما استطاع قلم عربي وان اعطي البيان والاشراق ان يأتينا بمثل الرثاء الذي صاغه قلم فخامة الرئيس الشيخ بشاره الخوري في رفيق جهاده المغفور له رياض الصلح . وقد تناقلت صحف العالم هذه القطعة الادبية النفيسة ولم تزد عليها حرفاً لدقة عبارتها ومتانة اسلوبها واستكفاء موضوعها .

وتجاه عاطفة الرئيس الصادقة نحو رئيس الوزارة الاسبق، وقد بكاه طول الطريق الى القبر، مثلما احبه طول الطريق الى الحكم، راحت الفئات الوطنية الواعية تشكر لفخامة الرئيس هذا النبل الكبير ، وتلتف حوله وتغمره بتأييدها راجية ان يقبض بكلتا يديه على ناصية الموقف كي ينجي لبنان من كوارث ترتقبه . وقد قلنا امس ان طلائع الخطر قد تتجلى في حادث عادي او في مصرع رجل ... »

كتاب آخر بالمعنى عينه :

وردني الكتاب التالي :

« مولاي صاحب الفخامة المعظم

لم اجد بداً ، ولو بعد حين ، ان اظهر لفخامتكم شديد اعجابي بالقطعة القيمة

التي رثيتم بها المرحوم رياض بك الصلح ، فهي والحق يقال كل ما في ارق القلوب من شعور ، واعظم الادمغة من تفكير ، وامضى الاقلام من تعبير، وافصح الالسنة من بيان وبلاغة ، لاخلص الرفقاء من وفاء . فلقد برهنتم بها ، وبما سبق من درر بلاغتكم يا مولاي ، على انكم لستم رأس لبنان حكماً فحسب بل حكمة وبلاغة . عشتم له رأساً سياسة وادباً الى اقصى حدود الحياة ، مؤيدين موفقين بعونه تعالى . »

وأصدرت مجلة « الصياد » عدداً خاصاً باحياء ذكرى رياض وطلبت اليّ كلمة بالموضوع فارسلتُ اليها بما يأتي :

« ايها الراحل العزيز

بكيناك ولا نزال، ونحن لا نصدق انك صرعت وانك فارقتنا فراق الابد، فانت غائب حاضر وميت حي ودفين خالد .

وابرز ما في الامر انك قضيت شهيد لبنان .

وقعت على الميثاق المقدس بيدك ومهرته بدمك ، وهل من ايمان اصدق واشرف وارفع من ان يجود المرء بدمه شهادة لعقيدته ؟ فليكن دمك زرعاً ورياً، وليبق ذكرك خالداً ، وليرصع تاريخ لبنان بتاريخ حياتك ومماتك ايها الرجل بين الرجال . »

وقال البعض : ان هذه الكلمة لابلغ من التأبين .

جواب الملك عبد العزيز :

وردني عن طريق الرسول الامين الجواب التالي :

« اطلعنا في كتابكم على آراء فخامة الرئيس بشاره الخوري السديدة في الوضع الحاضر ، وقد صور الموقف على ضوء الاحداث الاخيرة كما هو . ونحن نقدر لفخامته بعد نظره وحنكته السياسية كما يجب ، ونشترك معه تماماً في خطورة الموقف والمستقبل المليء بالمفاجئات ، كل ذلك نظر واقعي لا مشاحة فيه ، ولكن في الموقف نفسه نرى غموضاً وفترة من الاندهاش والتوقف في الافق ، وهذه الحالة لا بد ان تنجلي بصورة واضحة ، وبعدها يمكن للانسان ان يتجه اتجاهاً يسير فيه بخطى ثابتة .

واذ نذكر له نظرتنا هذه فليس معناه اننا لم نشترك معه في تقدير خطورة الوضع الحاضر ، وان نبقى مكتفي الايدي ، ولكن نعتقد بوجوب ترقب الاحوال

عن كثب الى ان تحدث بعض البوادر التي تنير الاهداف ، وحينئذ يتسنى لنا وجهة العمل ولا نخطي خطوات فاشلة .

هذا ما نرتئيه الآن في الظرف الحاضر ، ومع هذا فان الابن فيصل سوف يسافر الى لندن في هذه الايام ولا بد انه ينتهز الفرصة اذا بدرت له ويتكلم مع الانكليز حسب ما تكون الحالة والظروف في الوقت الذي يكون فيه هناك .

ونحن نشكر فخامة الرئيس على حسن ظنه واعتماده ، ونبادله اطيب الشعور واجمله . كما نرحب بتبادل الآراء من حين لآخر حسب ما تقتضيه الاحوال . وندعو الله ان يأخذ بيد العرب ويقدر لهم ما فيه الخير والصلاح ٢٣ شوال ١٣٧٠ » .

استمهل جلالة الملك العمل ، ولكنه لم يلبث ان شعر بخطورة الوضع فاستعجل ، فألحق رسالته ببرقية هذا نصها :

« اعلموا فخامة الرئيس بشاره الخوري بمضمون هذه البرقية بطريقة سرية وخاصة : الحاقاً لكتابنا والملحق تاريخ ٢٣ شوال المرسل لكم ...

بعد كتابة ما ذكرناه رأينا من الصواب البدء باتخاذ بعض التدابير اللازمة حالاً وعملنا برأي فخامة الرئيس الخوري . واحضرنا ممثلهم هنا وصارحناه بعدم موافقتنا على اتخاذ اي تدبير يخل بالوضع الحاضر، وافهمناه ان من مصلحتهم المحافظة على الاوضاع الحاضرة في البلاد العربية. وطلبنا ليفهم حكومته بذلك. واننا كلفنا الآن فيصل ليبحث معهم مفصلاً عن وجهة نظرنا . ايضاً احضرنا الاميركاني وافهمناه كل ذلك . وزيادة حذرناهم من النتائج وطلبنا ان يبحث مع حلفائهم وينصحوهم ايضاً للسعي بالتفاهم مع مصر . وقد رتبنا المخابرة مع صاحبنا حيث هو (ملك مصر) وافهمناه مفصلاً عن الاخطار . ولكن نحن في شك من قدرته على العمل. خصوصاً ورجال حكومته متطرفون . ولا اعلم اذا كان يقدر علـى اقناعهم بالاعتدال . هدانا الله واياهم لاتباع ما فيه خير العرب .

عبد العزيز » اهـ.

* * *

الشيء بالشيء يذكر :

في تلك الآونة كان بعض الامراء من ابناء الملك عبد العزيز مصطافين في عاليه فدعوتهم الى تناول الطعام على مائدة الرئاسة وآنستهم حتى شعروا انهم في بيتهم .

التحقيق في اغتيال رياض الصلح :

تابعنا التحقيق في اغتيال المرحوم رياض الصلح . وتلطّفت حكومة عمان وقبلت منا ان نوفد لجنة تعمل مع القضاء الاردني في استجواب المتهمين، استيضاحاً لما اذا كان لبعض القوميين السوريين في لبنان اشتراك في الجريمة النكراء . وقد شكرنا لعمان هذه المجاملة ، وأوفدنا اللجنة مؤلفة من قاضٍ كبير وضابط في الجيش وموظف من الامن العام .

وأما دمشق فكان لها موقف آخر : فقد أوفدنا اليها مدير خارجيتنا العام للغرض عينه فوصل وهي في ازمة وزارية . وقد استقبله خالد العظم واعطاه تأكيدات حسنة من حيث مطاردة الجناة . وما لبث مدير الخارجية السورية ان اتصل بزميله فوآد عمون وأبلغه ان يحسب الحديث مع الرئيس خالد العظم كأنه لم يكن ، وقال له ان خالد بك يرغب في ان لا يتحمل ادنى مسؤولية بعد استقالته... وقد آلمنا الجواب، وهو مؤسف حقاً . واذا كان هذا في الاخضر فما الشأن في اليابس ؟

اللهم ليس في اليد حيلة !

المعارضة في المجلس :

المعارضة البرلمانية تختبط خبط عشواء . وفي جلسة الثاني من آب طُرح اعتماد إضافي لاكمال اعمال المطار فسعى المعارضون لعرقلة الجلسة باقتراح إرجاء البحث في طلب الاعتماد ، فتحدّتهم الاكثرية وردّت اقتراحهم ، فانسحبوا ظناً منهم ان يفقد النصاب ، ولكن النصاب ظل قائماً وأقرّ الحاضرون الاعتماد الاضافي بالاجماع ، فعاد بعدها المنسحبون الى الجلسة واجتهد احدهم كميل شمعون بأن يتلو سوآلين سبق له ان نشرهما في بعض الصحف عن عدد سيارات الرئاسة وعن سلطة الرئيس على الجيش ، في قواه البرية والبحرية والجوية ، بوصفه القائد الاعلى له ، فاستعدّ النواب الموالون لمنعه من التلاوة عملاً بالنظام الداخلي ، وأخبرني

الوزراء ان النواب الحكوميين عزموا على إخراجه من المجلس في حالة إلحاحه على تحدّيهم . ولما شعر (النائب السائل) بردّة الفعل هذه ذهب الى رئيس المجلس واتفق معه على صرف النظر عن سوآليه .

ورحتُ افكر : ما هي الحيلة في هؤلاء المعارضين الذين لم اتأخر مرة عن انصافهم، وعن التساهل معهم الى ابعد حد ، وهم لا يرعوون، ويصرّون على ضغينتهم وحقدهم ، فيتمادون في الافتراء وفي تفرقة الصفوف ، ويبنون من الحبّة قبة ، ويصبغون الابيض اسود ، ويثيرون الابرياء لهزّ البلاد ، وهي مجازفة جدّ خطرة .

المطران مبارك ايضاً :

ارسل إليّ رئيس مدرسة الحكمة في ٢ من آب خطابه في كاتدرائية مار جرجس المارونية يوم الاحتفال بيوبيل المطران مبارك وهذا مطلعه :

« ... ولقد شئت يا صاحب الفخامة ان تتصدر هذا الاحتفال في هذا الهيكل المقدس لا لتزيد العيد إشعاعاً بالابهة الكبرى التي تحوط شخصك المعظم ، بل لتكون الشاهد الاكبر على ان النفوس الابية وحدها مترجعة الاصداء الى اقصى تخوم المعمور .

فلقد تردد صوت لبنان بصوتك عندما رفعته عالياً امام حجاج ارضنا الاعلام الذين اجتمعوا عندنا باسم العلم والثقافة ، تشعرهم بذكاء ووعي نادرين الى اي حد يمكن ان يسمو الانسان . وزرعت في العالم رسل هذه الروحانية اللبنانية النبيلة فساهموا اكثر من غيرهم باعطاء البشرية دستورها الاتم .

كما دعوت ابناءك اللبنانيين الى الصداقة الاخوية والصراحة الحق . وأريت الجميع الى اي مدى يبسط هذا الوطن الحبيب ذراعيه ويفتح حدوده ، فيهب رحمة كل من نبت بهم ارض واسودت حياة ، هؤلاء الذين يتألمون ويهملون ، هؤلاء الذين يضطهدون ويسامحون .

فان هذا اليوبيل الذي ترف فوقه روح الله فنزيد اشعاعاً بحضورك يا فخامة الرئيس ، اذ يلهم اتحاداً ، يجب ان يستمر مقدساً . فالروح والجسد لا يفترقان بغير الموت . ولبنان يجب ان يحيا وسيحيا .

فلتكن اذاً مشيئة الله لاتحاد قوى الروح وقوى الدولة فتسعد حياتنا الوطنية . »

وفي ٣ من آب قابلني سيادة المطران في عاليه فقدّمت له بعض إحسانات لمشاريعه الخيرية ولكنه ما أن انقضى اسبوع على زياراته لي حتى عاد سيادته وطلب مقابلتي ثانية . وبدا لي ان علائقه بي قد تجاوزت الصداقة ، حتى صارت ، تحبباً وتعلقاً : وأخبرني سيادته في زيارته الجديدة انه سعى مع النواب المعارضين من ابناء طائفته ليقرّبهم من الرئاسة فلم يُفلح . وأنه مما زاد في ألمه ان اولئك النواب قد وعدوه مراراً بالانضمام الى العهد بلا قيد ولا شرط بعد حصول الانتخابات الحرة .

وزاد سيادة زائري قائلاً : وها هي الانتخابات الحرة قد تمت ، وقد شهد المعارضون انفسهم بنزاهتها، بعد أن اجمعت السماء والارض على ذلك ، فلماذا نقضوا عهدهم لي ، انا الذي وقفتُ أؤيدهم ساعة احتاجوا اليّ ؟

فابتسمت وقلت لسيادة المطران : لعل خير دواء في مثل هذا الحال، ان نضرع الى الله تعالى ليشفي المعارضة من وباء الحقد والحسد . وعلينا ان نكمل رسالتنا ولا يهمنا ما يضمرون ...

أحداث في الدول العربية :

عرضتها في اوائل شهر آب ودوّنت اهمها :

١ – خطاب محمد صلاح الدين وزير خارجية مصر في البرلمان المصري يردّ فيه على تصريح المستر موريسون وزير خارجية بريطانية ، معلناً ان الانكليز قفلوا باب المفاوضات وان المعاهدة ستلغى في دورة البرلمان الحالية . ثم تراجع الوزير صلاح الدين ومدّد مهلة الالغاء الى موعد خطاب العرش المقبل (تشرين الثاني) .

٢ – رد الفعل البريطاني والتصريحات الرسمية في لوندرة بان الانكليز لن يتركوا منطقة القناة ، وكذلك لا يسلمون بضم السودان الى مصر .

٣ – تبلبل الوزارة النحاسية التي تسوء حالةً يوماً بعد يوم ويزيد

في اضطرابها استقالة بعض الوزراء وعدم الانسجام بين البعض الآخر .

٤ – غياب ملك مصر في اوربة ، والفوضى الفكرية السائدة في غيابه . والبلد يفتش عن قيادة ولا يجدها .

٥ – ازمة العرش الاردني بسبب مرض الامير طلال وغيابه في سويسرة للتداوي .

٦ – طمع حكومة بغداد بضم الاردن الى العراق (تحت عرش الملك فيصل) ، وخطورة الحالة التي تنجم عن تغيير الوضع الراهن في الدول العربية ، وردّة الفعل عند الملك عبد العزيز آل سعود (وقد دعا جلالته اليه العقيد اديب الشيشكلي لمفاوضته في هذه الامور جميعها) .

٧ – استقالة الوزارة السورية التي يرئسها خالد العظم ، وتعسّر تشكيل حكومة جديدة ، حتى أدّت الازمة الى تكليف حسن الحكيم ان يؤلف الوزارة ، وهو المعروف بميوله الهاشمية ، فلم يتمكن من العمل إلاّ بعد ان عاد العقيد الشيشكلي من الرياض وتعهّد له حسن الحكيم شخصياً بعدم انحياز حكومته الى اي تغيير في الشرق العربي ، وبعد أن قبل فوزي سلو « ممثل الجيش » بان يشترك في الوزارة على هذا الاساس .

٨ – تشبّث الملك عبد العزيز آل سعود بالوضع الراهن ، واقتناعه بضرورة العمل في هذا السبيل ، فسافر نجله الامير فيصل الى لوندرة لمباحثة اولي الامر فيها في هذا الصدد .

٩ – تربّص الانكليز ، بعض الشيء ، في تغيير الاوضاع خشية « ردة الفعل » ، ويبدو انهم لم يهملوا ما بسطتـُه لهم غير مرة في هذا الموضوع .

وارى ان جميع تلك التيارات المتضاربة التي تعصف بالشرق العربي تجعل التوازن فيه غير مستقر ، وقد تؤدّي الى احداث مفاجئة غير مستحبة ...

لا نزال على اتصال بالملك عبد العزيز بواسطة رئيس الوزارة السابق صديقي حسين العويني وصديق جلالته . وقد زارني حسين وسلـّمني برقية من الملك هذا نصها :

« ... نفيدكم بان معتمدنا بدمشق اخبرنا بان خالد العظم افاده بان ممثل العراق استفسره رأيه (اي رأي العظم) بصورة خصوصية عما (يحصل) اذا كانت العراق تريد ضم شرقي الاردن . فاجابه بانه لا يظن بان ذلك يمر بسلام . قف . وقد قال خالد العظم لمعتمدنا بانه انبأ ممثل العراق بذلك . وفي الوقت نفسه قال له ان سوريا اولى ان تضم شرقي الاردن اليها . وانها تريد القيام بذلك وتستفسر رأينا بهذا الخصوص كما تريد اخذ راي مصر . قف . فنحن امرنا معتمدنا باجابته باننا لا نوافق على اي تغيير يكون في الوضع الحاضر ، وان اي محاولة في هذا الصدد تسبب هزات قوية ، العرب في غنى عنها . وبالاخص ان الملك عبدالله قد ترك اولاداً ليس من الانصاف حرمانهم من حقهم ، ولذلك فنحن لا نوافق على هذا العمل . وقد ابلغنا الحكومة المصرية براينا هذا . كما اننا ابلغنا الحكومة الاميركية والبريطانية ولفتنا نظرهما لهذا الامر . فانتم ابلغوا رسالتنا هذه لفخامة الرئيس بشاره الخوري الذي نعتقد انه معنا في هذا الراي ليكون على علم بذلك ... ٢٩ تموز . »

وقلت لحسين العويني بان يرسل الى الملك عبد العزيز البرقية التالية[1] :

« اطلعت فخامة الرئيس على برقيتكم . قف . انه موافق على كل ما جاء فيها ويراه عين الصواب . ولا شك ان آراء جلالتكم هي السديدة وهذا هو راي فخامته . الرئيس يرغب ان يعلم من جلالتكم شيئاً عن رحلة الشيشكلي ، خصوصاً وقد حصل بعد سفره ان كلف الاتاسي حسن الحكيم بتشكيل الوزارة ، والمذكور معروف بميوله الهاشمية . لبنان يأمل بان يرجع الشيشكلي من عندكم بنفس الراي الذي تفضلتم به .

ويلفت الرئيس نظر جلالتكم الى ان احد علماء الانكليز هنا اخبره ان الانكليز مقررون تأييد ضم شرقي الاردن الى العراق كخطوة اولى وضم سوريا اليه كخطوة ثانية . »

١٤ من آب : ورد من الملك عبد العزيز آل سعود الجواب التالي برقياً :

« ... انا نرى ان وجهة نظر لبنان في البلاد العربية هي وجهة نظر المملكة

(١) – ٧ من آب .

العربية السعودية تماماً . ونرجو الله ان يوفقنا الى ما فيه الخير . ومن طرف الشيشكلي فقد افهمناه وجهة نظرنا التي تعرفونها واتفقنا (معه) عليها . والامور ستسير على ما هي عليه . وقد اعطيناه ما كنا اتفقنا عليه معهم من سابق وهو رصيد القرض وقدره اربعة ملايين دولار .

الامضاء : **عبد العزيز** » اه.

من يخلف رياضاً في النيابة :

طلب حميد فرنجيه مقابلتي وقال لي انه يرجو توجيه الادارة توجيهاً حاسماً لإنجـــاح تقي الدين الصلح في الانتخاب الفرعي خلفاً لرياض . وتبادلنا وجهات النظر فرأيت صعوبات تقوم ضد هذا الترشيح ، ولاسيا من قِبل عبدالله اليافي رئيس الوزارة وأحمد الاسعد رئيس المجلس وصاحب الكلمة النافذة في الجنوب ، ناهيك بشخصيات اخرى لها وزنها . ولكن حميداً لم يشأ ان يقتنع بما رأيته وقال لي : « الامر بيدك وحدك ، وليس لغيرك كلمة في الموضوع ! ... »

ولم تمضِ إلا ايام قليلة وأخذت اشعر بان في الاوساط الصلحية نيّة ترمي الى تحميلي وحدي مسؤولية فشل تقي الدين او أخيه كاظم الصلح !

ولم اكتفِ باستنتاجي ، وراجعت جميع ذوي الشأن في الموضوع ، ولا سيما الذين أشرتُ اليهم في حديثي مع حميد فرنجيه ، لارى مدى استعدادهم لمساعدة تقي الدين (او كاظم) ، فلم يشجّعني واحد منهم على التوجيه ... فكيف يمكن ، والحالة هذه ، ان نضغط على ألوف الناخبين لنصل الى النتيجة المتوخاة ؟

وتمنّيت لو ان بمقدوري ، بصورة استثنائية في مثل هذا الظرف ، ان أعيّن خلفاً للمرحوم رياض الصلح في المقعد النيابي ، لفعلتُ ، وكنت جنّبت نفسي الحملات الصحفية الظالمة التي شُنّت عليّ دون سواي ! واستهدفت مقام الرئاسة بالذات !

ولكن ، « تجري الرياح بما لا تشتهي السفن » .

وجرى الانتخاب الفرعي في الجنوب ففاز صلاح البزري ، وكان بعض اصدقاء المرحوم رياض يؤيدونه .

تلافي ازمة وزارية :

في ليل ٢٤/٢٥ من آب ألقيت قنبلة يدوية على بيت اخي سليم بقصد اغتياله ، لا للتخويف . وذلك ان الجاني سعى ان يوصل القنبلة الى غرفة نومه من النافذة المفتوحة لتنطلق في الداخل وتكون قاتلة . غير ان الله عزّ وجل أقصر يد المجرم فسقطت القنبلة في الممر تحت الغرفة ولم تُحدث الا اضراراً مادية .

وثبت في التحقيق الاولي ان الجاني تتبّع خطوات اخي ولم يُلق القنبلة الا بعد ان دخل (سليم) البيت وأطفأ النور في غرفته .

اهتزّت البلاد من هذه الجناية الفظيعة وانهالت عليّ وعلى الحكومة ألوف برقيات الاحتجاج ، وهبطت وفود عديدة فرنَ الشباك في تظاهرات صاخبة غضبي ، وبعض المتظاهرين يطلقون العيارات النارية احتجاجاً واستنكاراً وتحدّياً !

ونُقل إليَّ الخبر فبلغ استيائي اشدّه وانكرت ذلك التمادي من الانصار ، وأيقنت ان المعارضة ستجعل من إطلاق النار « قميص عثمان » أخرى لتُنسي الناس فظاعة الجريمة وهول التعدّي ، وتتمسّك بما عمله المتظاهرون انصار سليم في مخالفتهم القانون .

وصل المتظاهرون الى مقر الرئاسة في عاليه فخرجت الى الشرفة مع رئيس الوزارة لتهدئة الخواطر . وبدأت الجموع تنسحب بانتظام فأخذ بعض المتهوسين يُطلقون عيارات نارية في الجو ، فانسحبت من الشرفة ولحق بي رئيس الوزارة ، وأطلقتُ يده بملاحقة المخالفين ايا كانوا .

وودّعني عبدالله اليافي في الساعة السادسة مساء وذهب الى مصيفه في

بحمدون وحال وصوله جمع مجلساً وزارياً للبحث في تقديم استقالة الحكومة فأخذتني الدهشة واستأت من هذه المفاجأة . وكان الاولى برئيس الوزارة ان يُطلعني على نيّاته قبل ان يجتمع الى زملائه .

ثم رجع اليافي الى عاليه وقابلني فلمته على هذا التصرف ، فاعتذر بانه كان قد اراد إشراك زملائه في الاستشارة قبل ان يقابلني ، ولهذا لم يذكر لي شيئاً عن نيّته .

ودعوت الوزراء الى عاليه وهم لا يزالون في بحمدون وعقدنا مجلساً قررنا فيه ان نحيل قضية حمل السلاح وإطلاق النار الى المحكمة العسكرية ، وان يُدعى مجلس الامن الداخلي لاخذ التدابير اللازمة في مثل هذه الظروف، وان تشكّل لجنة تحقيق لتحديد مسؤوليات الموظفين الذين لم يقوموا بواجبهم اثناء التظاهرات .

وهدأ روع رئيس الوزارة . وفي ٢٨ من آب صباحاً سافر الى الاسكندرية لحضور جلسات اللجنة السياسية للجامعة العربية .

والمؤسف في كل ما جرى هو ما تيقنته من ان الحكومة فقدت رباطة جأشها امام الصعوبات . أضف الى ذلك مسايرتها المعارضة في هذا الموقف . وقد سبق ان أطلق الرصاص اثناء تظاهرات عيد الفطر في طرابلس امام سراية الحكومة وامام بيت عبد الحميد كرامي فلم يحرك رئيس الوزارة ساكناً ... ومثله سكت رشيد كرامي وزير العدل ! فعلامَ الحرص المفاجىء على القانون وقد أهمل قبل ايام ؟ ألا انه محاولة اكتساب شعبية رخيصة على حساب رئيس الجمهورية ... والدليل الى صحة هذا القول ان محاولة الاستقالة فتحت مجالاً لحملة صحفية ولسوآل وجّهه النائبان كمال جنبلاط وكميل شمعون الى المجلس النيابي بصدد « التجاوز على القانون » – في عاليه فقط !

واستنتجتُ من تلك المواقف يقفها بعض الوزراء وبعض المعارضين ان

هنالك خطة مدبّرة لتصوير رئيس الجمهورية امام الناس انه المسؤول الاول والاخير عن كل ما يجري في البلاد !

وظهر لي ان التدخل الاجنبي اخذ يفعل فعله بطرق خفية جداً ، تكاد لا تراها الاّ الآلات المستعملة للرؤية البعيدة !

شؤون الاردن :

زارني الامير خالد شهاب وزيرنا المفوض في عمان وتناول الحديث بيننا :

اولاً ، **قضية الحكم على قتلة الملك** : ورأى الوزير انه عادل ، وانه أرضى الرأي العام .

ثانياً ، **الانتخابات النيابية الاردنية** : ترغب الاكثرية في اتجاهها باتحاد شريف مع العراق . هذا ، ويبدو ان الانكليز لا يستعجلون الامر . وقد سعت الحكومة السعودية لتحويل تيار الانتخاب ضد الاتحاد الآنف الذكر فلم تُفلح على الرغم من بذلها جميع الوسائل المغرية . وقد ثبت ايضاً ان عمال حكومة بغداد وأنصارها يتدخلون هم ايضاً لمصلحة الاتحاد، ويبذلون نشاطاً منوعاً .

ثالثاً ، **عودة الامير طلال الى الاردن** : صار في حكم المقرر ان ينادى بالامير طلال بن عبدالله ملكاً على الاردن . فاذا عاودته الاضطرابات العصبية ترك العرش لبكره الامير حسين ، وعُيّن الامير نايف بن عبدالله وصياً .

رابعاً ، **قضية اغتيال رياض الصلح** : لم يُعيَّن يوم المحاكمة بعد ، ولجنة التحقيق اللبنانية لمّا تُعطِ رأيها . وهي غير مسؤولة في هذا التأخّر لان الاستنابات التي كلّفت بها حكومة دمشق لم تُنفَّذ، ولم تُعَدْ، لا سلباً ولا ايجاباً ...

ويرى وزيرنا المفوض انه في حالة تأخّر لجنة التحقيق اللبنانية في إرسال تقريرها الى المحكمة في عمان ، فان هذه المحكمة ستحاكم المجرمين استناداً الى التحقيق الاردني الموجود لديها .

الانتقال الى بيت الدين :

امس مساءً ، في ٩ من ايلول ، انتقلت من عاليه الى بيت الدين ، وقد تعمّدنا السفر بعد الظهر حتى نصل على هدوء وبدون استقبال . فنبّهنا السلطات المحلية على ان لا تُعلم احداً بموعد انتقالنا ، ولكن تجوّل رجال الامن على الطرق من المديرج الى بيت الدين لفت سكان القرى فاجتمع هؤلاء على جانبي الدرب ليحيّونا وصفّقوا لنا كثيراً ، وانضمّ اليهم المتنزّهون في السيارات . ووصلنا الى القصر في المغيب ووجدنا الانوار تسطع على سطحه فعرضنا فرقاً من الحرس والجيش . وقد تلألأت بيت الدين وبعقلين وقسم من دير القمر بالانوار الكهربائية وقامت فيها الزينات ابتهاجاً وتأييداً .

وفي اليوم الثاني تناولتْ الغداء على مائدة القصر الملكة جيرالدين زوجة احمد زوغو الاول ملك البانية السابق . اصطافت الملكة في برمانا وهي الآن على أهبة الرجوع الى الاسكندرية محل اقامتها الدائم . وقد أبدت لنا سرورها باقامتها في ربوع لبنان ، وأظهرت إعجابها بالقصر . وبعد ان ودّعتها بالاكرام اللائق بها انصرفت الى تفقّد سير الترميم في الصرح وتقدير النفقات اللازمة لاتمام العمل في السنة الآتية ، بحيث يصل الى درجة الكمال . وخصصت اليوم الثاني بكامله لقراءة التقارير الواردة من مفوضياتنا في الخارج ووضعتُ على هامشها التعليق اللازم ودفعتها الى وزير الخارجية الموجود في ضيافتنا .

شؤون عربية :

في ١٥ من ايلول استقبلت صالح جبر رئيس الوزارة العراقية السابق

فقال لي ان له ملء الثقة بكيان لبنان واستقلاله ما دمتُ موجوداً على رأس الجمهورية ، وانه لا يُقرّ السوريين على معاملتهم اخوتهم اللبنانيين مثل هذه المعاملة الجافة في العلائق الاقتصادية وسواها ، وانه يأسف من ان الجامعة العربية لا تقوم بالعمل المثمر لتحقيق تضامن الاقطار العربية . والجامعة ، في نظر الزائر ، مقصّرة في أداء رسالتها .

وأكّد لي صالح جبر انه يرغب من صميم قلبه بان يطمئن نصارى لبنان الى العرب ، وقال إن مجموع هؤلاء النصارى مثقّف ثقافة عالية ، ومن حقهم ان ينظروا الى فرنسا نظرة الحب بسبب الحوادث التاريخية التي حصلت في ايام الاتراك وعطف فرنسا عليهم . ومن رأي الزعيم العراقي ان على العرب ان يُنسوا النصارى ذلك الماضي المؤلم ، لا بالاقوال فقط بل بالافعال وحسن المعاملة والمساهلة . وزاد على قوله بانه لا يوافق على ما يقوم به بعض شبان يخلطون بين الاهواء والمبادىء ، ويريدون ان يتّخذوا من فشلهم الشخصي سبباً لتوجيه « قومي » خاطىء — وهو يشير بذلك الى حملة حزب « النداء القومي » عليّ .

وختم الزائر حديثه بأنه يرى من الافضل ان ألاطف « بشكل من الاشكال ... » هؤلآء الشبان !

وصارحتُ صالحاً صراحة كاملة فقلت له ان توجيه السياسة اللبنانية لن يتبدّل باذن الله ، فأنا كافل الميثاق وسأمرّ بحملات طائشة يحملها عليّ افراد مضللون ، او مكبوتون ، ويجعلون من انتخاب الجنوب قميص عثمان لمحاربتي شخصياً ، وسأدفع بالتي هي احسن وأتابع السير في الطريق الذي اخترته لنفسي وللبنان لانني مقتنع انه الصراط المستقيم .

اما سورية — سامح الله كرامها وعقلاءَها ! — فقد تُبعد اعمال حكوماتها ، ونكاياتها ، وتضييقاتها ، اللبنانيين عنها ، ولكننا مع عناصر لبنانية وسورية مخلصة صامدة سنحول دون هذا الابتعاد .

امّا عن تضامن الاقطار العربية فاعتقادي ان بامكان مصر ان تعمل في سبيله عملاً هاماً ولكنها متأخرة عن القيام بواجبها ، وما من احد يقدر ان يدفع بها الى الامام سوى العراق ، فارجو ان يتمثّل العراق في اجتماع الجامعة المقبل تمثيلاً قوياً حتى تتأثره مصر في سبيل التعاون العربي .

وقبل ان ينصرف صالح جبر تباحثنا قليلاً في حالة الاردن ، فقال انها غير مستقرة لان ليس من شخصية تملأ الفراغ الذي تركه الملك عبدالله ، وان مرض الملك طلال بن عبدالله لا يساعده على اعباء الحكم ، فجل ما يرغب به هو ان يظلّ الاستقرار سائداً ، ولو موقتاً ، حتى تُداوى الحالة .

المسيو بونسو في بيت الدين :

في ١٦ من ايلول استقبلت المسيو هنري بونسو المفوض السامي السابق وبرفقته الكونت دي شيلا وزير فرنسا المفوض، ودعوتهما الى الغداء .

وقد بسطت في الجزء الاول من هذه المذكرات مهمة المسيو بونسو يوم كان مفوضاً سامياً لفرنسة في المشرق ، وهو الآن متقاعد ومرتبط بعقد مع منظمة الامم المتحدة (فرع اللاجئين) . صادف وجوده في استانبول والمؤتمر البرلماني الدولي منعقد فيها فأظهر رغبته لوفدنا بزيارة لبنان فرحّبنا به .

واستقبلنا الضيف بكل اكرام . ولاحظت ان ملامحه لم تتغير إلا قليلاً غير ان جسمه ترهل، وانه صار يتحدث وينتقل من بحث الى آخر بدون اتصال ... ولعلّه فكّر تفكيري ، واستغرب كم تغيرت الايام !.. هذا الرجل كان الحاكم بامره باسم الانتداب ، والآمر الناهي يجمع سلطات التشريع والتنفيذ وجميع القوانين الاساسية ، وقد علّق الدستور في ٩

من نوار سنة ١٩٣٢ فلم يفكّ أسره الا مدة قليلة . ثم علّق حتى صيف ١٩٤٣ ، فعشنا اكثر من عشر سنوات في ظل الحكم « البلدي » المشوّه والحكم المباشر .

استقبال ونشاط :

وفي ٢١ من ايلول اي في ذكرى انتخاب الرئاسة ، وعلى الرغم من إلغاء كل احتفال رسمي ، توافدت الناس على القصر واضطررت الى مقابلة المهنئين ، وقيّد الكثيرون اسماءهم في سجل التشريفات في عاليه . وبعد غياب الشمس برزت بيت الدين ودير القمر وبعقلين بحلّة من الانوار .

وفي اليوم الثاني عقدنا مجلس وزراء طال نهاراً بكامله لبحث الموازنة .

تناول المجتمعون الغداء على مائدة الرئاسة ثم اتممنا بنود الموازنة ومشروع القانون المرفق بها ، وسيحال الى المجلس في ٢ من تشرين الاول ضمن المهلة الدستورية بحيث يمكن نشره بمرسوم فيما اذا تأخر المجلس باقراره .

ودرس الوزراء بعد ذلك تناقل رجال المحاكم وتعيين قضاة جدد ، وقد عبثت الاهواء بهذا التنظيم فاصبح لزاماً على الحكومة ان تدقّق في المطالب لتستبعد غير المشروعة منها ويأتي عملها مجرداً .

وعقد رئيس الوزارة اجتماعاً ضمّ بعض النواب الموالين وبحثوا في الحالة السياسية العامة وقرّ الرأي على ان توليها الحكومة عنايتها في الدرجة الاولى لتحول دون تطاول المعارضة وصحفها على رئاسة الجمهورية، ولا سيما وهذا المقام لا يمكنه ان يدخل في جدل معها ولا ان يدفع التهجّم بمثله .

ختمنا اقامتنا الوجيزة في بيت الدين في اول تشرين الاول بحفلات ثلاث تركت في نفسي اطيب الاثر ، أولاها : رفع الستار ، وهو علَم

لبناني ، عن تمثال نصفي وضعه لي احد الفنانين وجمع نفقاته سكان بيت الدين ، وقد أرسي على قاعدة حجرية في ساحة البلدة . واقتصرت الحفلة، وقد أصررت على ان تكون « عائلية »، على تأدية التحية العسكرية لي ولزوجتي عند وصولنا امام التمثال ، وصدحت الموسيقى بالنشيد اللبناني والجمهور واقف احتراماً ، فصافحت الحاضرين وشكرتهم على عاطفتهم .

والحفلة الثانية تقليد السيوف للضباط الجدد المتخرّجين من المدرسة الحربية . وقد أطلقتُ اسم « رياض الصلح » على تلك الدورة المدرسية ، ولفظت خطاباً مختصراً . وأدّى المتخرجون اليمين العسكرية وهم راكعون على ركبة واحدة كما تقتضي تقاليد الجيش، ثم جرى عرضهم فمشوا مع اعلامهم بكل انتظام .

وكان خاتمة الحفلات الثلاث تدشين المتحف وقد جمعتُ فيه آثار عهدي الاميرين فخر الدين المعني وبشير الشهابي من اسلحة وملابس ووثائق، وحفر على بلاطة رخام في مدخله انه أُنشىء في عهد رئاستي . وتلا موريس شهاب مدير الآثار خطاباً أشاد فيه بعنايتي بالقصر والمتحف . ثم جال الحاضرون وفي مقدمتهم قائد الجيش والضباط الكبار والضباط الجدد وعائلاتهم في ارجاء البناء وأعجبوا به . ودعي الجميع الى مقصف. وفي المساء برز القصر والمتحف والميدان بحلة من الانوار ووقف الى جانبي رئيس الوزراء وبعض الوزراء والنواب في استقبال المدعوين .

الغاء المعاهدة المصرية البريطانية :

في الثاني من تشرين الاول سافر رئيس الوزارة ووزير الخارجية الى الاسكندرية لحضور اجتماعات اللجنة السياسية ولافتتاح الدورة العادية لجامعة الدول العربية . ولم تطل اقامتهما هناك وعادا الى بيروت [1] وأطلعا مجلس الوزراء على المباحثات العربية وكانت عادية .

(١) – في ٩ من ت ١

وما ان خُتمت دورة الجامعة حتى القى رئيس الوزارة المصرية بياناً امام البرلمان المصري [1] اعلن فيه إلغاء المعاهدة بين حكومتي لوندرة والقاهرة ، وإلغاء المعاهدات المتعلقة بالسودان . وجاءت هذه المشكلة تزيد في ما تعانيه بريطانية من جراء تأميم شركاتها البترولية في ايران . ولمواجهة هذه الازمات استأنفت حكومة لوندره ابحاثها بالدفاع المشترك عن الشرق لعله يحلّ العقدة المستعصية الناشئة عن وجود العساكر البريطانيين في منطقة قناة السويس .

في سبيل الدفاع المشترك :

وردت علينا برقية من وزيرنا المفوض في واشنطن هذا نصّها :

« علمت من اوثق المصادر ان زيارة الجنرال برادلي لانقرة هو لتنظيم الدفاع عما يسمونه هنا الشرق الاوسط ، ويشمل عملياً تركية والدول العربية واسرائيل .

سيزور مصر لاشراكها بهذا التنظيم . يفاوضون مصر وحدها لانها العقدة التي اذا حلت سار العرب وراءها اوتوماتيكياً . والمرجح انها ستحل بدفاع دولي مشترك للقنال .

طلب الي ان ارجوكم ان لا تستاؤوا من اختصاص مصر حالياً بالعناية . تركية ومصر نقطتا الارتكاز ، ولتركية دور اساسي قبلته خلافاً لسياستها الماضية . والمحاولة الآن التوفيق بين دوري مصر وتركية .

يظهر ان اميركا مطمئنة لقبول حزبي انكلترة بهذا الترتيب .

ترتكز سياسة اميركا دفاعياً على تركية فمصر فيما يتعلق بأهل المنطقة، وسياسياً على اللاتحيز بيننا وبين اسرائيل ، واقتصادياً على المساعدات القادمة ، وتعلق عليها اهمية وجود جو ودي تجاهها ومحاربة الشيوعية من الداخل .

اقدر عزم اميركا حالياً على ضبط اسرائيل من الاعتداء لمدة خمس سنوات على الاقل ، ريثما يقوى العرب ويتحول شعورهم نحو الغرب .

اذا توانى العرب ووقعت الحرب فاخشى، بما لدي من معلومات، ان تغتنم تركية لدفاعها عن الشرق تسويات اقليمية من الاراضي العربية المحاذية لها .

الامضاء : شارل مالك »

(١) – في ١٠ من ت ٢

وإذنْ ، فمسألة مصر هي اليوم الشغـــل الشاغل للسياسة الغربية والشرقية . ونقض المعاهدة يُعدّ من اخطر الاعمال .

وردت علينا من وزيرنا المفوض في واشنطن برقية ثانية هذا نصها :

« برقيتي ٤٦٦ ارسلت قبل ورود خطاب النحاس لواشنطن ، لكن الخطاب لا يغير منها شيئاً . فوجىء الجميع هنا بهذا الخطاب خصوصا والحكومة المصرية على علم تام بخطط الدول الغربية لاشراك مصر على قدم المساواة في الدفاع عن الشرق الادنى . سيمضي الغربيون في خططهم برغم من الخطاب . ويوم الاربعاء يعلن ذلك اتشسون ويسلم سفير اميركا في القاهرة مذكرة للحكومة المصرية بهذه الخطط التي وصفتها برقيتي السابقة .

موقف اميركا ان لا حق لمصر باجراء افرادي لالغاء اتفاقات دولية . هذا الامر يعد ادق واخطر من مشكلة ايران .

نتعاون هنا مع السفارة المصرية في كل شيء . ارجو ابراق معلوماتكم وتعليماتكم .

الامضاء : **شارل مالك** »

استقبل اليوم وزير خارجيتنا الوزراء المفوضين لدول اميركة وانكلترة وفرنسة وتركية فأبلغوه شفاهاً ان حكوماتهم قررت انها تدافع، في حالة حرب عالمية ، عن الشرق الادنى بالاشتراك مع الدول العربية وخصوصاً مصر ، وان الدول المذكورة ترغب في ان تكون حكومة القاهرة من مؤسّسات اتفاق الدفاع المذكور . وقبل انصراف الوزراء المفوضين الاربعة سلـّموا وزير خارجيتنا مذكرة بضمون بلاغهم الشفوي .

وعلى الاثر طلب رئيس الوزارة ان يراني وحمل اليّ تلك المذكرة وألحّ عليّ بان ادعـــو وزير انكلترة لمباحثته بالامر ، فدعوتُ الوزير البريطاني وألقيت عليه عدة اسئلة اجاب عليها بما يلي :

« اولاً : ان المذكرة الشفاهية لا تعني ان خطر الحرب زاد عن ذي قبل .

ثانياً : ان اشتراك تركية في هذا الدفاع يُعَدّ خطوة حاسمة في موقفها المقبل ، لانها في الحرب الكونية الاولى وقفت على الحياد .

ثالثاً : ان هذا البلاغ لا يتطلب جواباً من لبنان لانه لا يعني في الوقت الحاضر دعوته للاشتراك في العمل .

رابعاً : ان دخول فرنسا هذا الدفاع ليس من شأنه ان يسبّب في المستقبل خطراً على استقلال لبنان .

خامساً : ان اميركا مستعدة لان تقوم بكل المساعدات للدفاع عن الشرق الادنى » .

فقلت للوزير البريطاني : اني أظن ان هذا الاقتراح لا يصادف قبولاً من الدول العربية عامة، ومن مصر خاصة، وقد اعلنت حكومة القاهرة بلسان وزير خارجيتها انها لا تدخل مثل هذه الابحاث قبل الجلاء عن اراضيها .

فطلب الوزير البريطاني مساعدة من لبنان لاقناع مصر بان تشترك في مباحثات على هذا الاساس الجديد، فبيّنت له الصعوبات الجمّة التي تعترض هـــذه الوساطة قبل ان تعلن لوندرة قبولها بالغاء المعاهدة واتفاقات السودان ، وان تقنـــع مصر بتغييرٍ في احتلال منطقة السويس بحيث يصبح شكلاً دولياً مشتركاً .

وختمت كلامي مع الوزير قائلاً : اذا حسبت الدول الغربية ان مسألة الدفاع المشترك هي حيوية، وانه يجب ان تُقدَّم على سواها، فلا بدّ من ان تعطى مصر التطمينات الاكيدة الجازمة بالوصول الى حقوقها السياسية وتحقيق مطالبها القومية كاملة وشاملة .

شكرني وزير بريطانية المفوض على صراحتي هذه وقال انه سيبرق الى حكومته بموضوع ابحاثنا . ولكنه — غفر الله له — لم يقل لي ان موقفي هذا قد زعزع منزلتي لديهم من اساسه !

وفي ١٦ من تشرين الاول ابلغت حكومة مصر الدول العربية رفضها للمقترحات الآنفة الذكر لانها لم تُستشر فيها قبل وضعها . وطلبت الى حكومة لبنان ان لا تجيب على المذكرة المشار اليها إلا بعد التشاور معها .

وأتمّ البرلمان المصري التشريع المتعلق بإلغاء المعاهـــدة ، وقامت تظاهرات صاخبة في جميع الانحاء المصرية ضد الانكليز . واصطدمت الاهالي بالجنود البريطانيين فسقط قتلى وجرحى من الفريقين ونُهبت مخازن عديدة .

وفي اثناء تلك الاحداث الخطيرة اغتيل رئيس وزارة الباكستان برصاص قاتل . وها هي موجة الإجرام السياسي تصل الى بلدان الشرق !

احتجّت حكومة باريس لوزيرنا المفوض لديها على طلب الحكومة اللبنانية درج المسألة المراكشية في جدول اعمـــال الدورة العادية لهيئة الامم ، فأجاب وزيرنا بان قرار الجامعة العربية قضى بذلك .

عود الى السياسة الخارجية :

وردت برقية من وزيرنا المفوض في واشنطن بأن رفض حكومة القاهرة للمقترحات التي قدمتها لها دول الغرب وتركية عن مشروع اتفاق الدفاع المشترك قد أحدث تأثيراً سيئاً في العاصمة الاميركية . فأبرقنا الى وزيرنا في واشنطن بجواب اشرفت بشخصي على وضعه ، وهذا نصّه :

« ١ – ابلغنا ممثلو الدول الاربع المقترحات الخاصة بالدفاع عـــن الشرق الاوسط على سبيل العلم فقط .

٢ – اتخذت مصر قرارا بشأنها قبل التشاور مع الدول العربية .

٣ – صرح الامير سعود بن عبد العزيز بان المملكة السعودية ستقاتل الى جانب الولايات المتحدة الاميركية في حالة نشوب حرب مع روسية السوفياتية .

٤ – الحكومة السورية تبدي تفهماً للموقف وتود العمل بالاتفاق مع لبنان .

٥ – نتابع بكل اهتمام تطورات الوضع الحالي .

٦ – اسعوا جهدكم لان يظل باب المفاوضة مفتوحاً رغم رفض مصر المقترحات .

٧ – لا تداوي هذه الحالة ، وهي من اخطر الحالات التي يواجهها الشرق

العربي، بتبادل المذكرات وطرح القضايا امام رأي عام ثائر يطلب المزيد من العنف الكلامي، بقدر ما تداوى بالعمل الصامت الذي كانت تستعين به الدبلوماسية في الماضي .

٨ – لا تعدم دول الغرب وسائل عديدة لتحسين الحالة الروحية في مصر وسائر البلدان العربية ...

... ٩ – قد يكون التساهل بمسألة السودان من شأنه ان يحسن الجو السياسي .

١٠ – قد يكون الرجوع الى الملك فاروق ذا فائدة بمثل هـــذا الموقف ، وكذلك الاستعانة بالملك عبد العزيز آل سعود .

١١ – وجوب استبعاد اسرائيل عن هذه الحلقة الدفاعية ...

... ١٢ – وافونا كالمعتاد بكل شاردة او واردة لتتبع الموقف جدياً .

الخارجية » اهـ.

تشاور مع الملك عبد العزيز :

تأزّمت الحالة في مصر . واتصل بي حسين العويني [١] وأبلغني رغبة الملك عبد العزيز آل سعود بمعرفة رأيي ، فدعوت وزير المملكة السعودية المفوض وتحدّثنا عن مطالب مصر القومية وعن قضية الدفاع المشترك ، وسلّمته برقية يرفعها باسمه الى جلالة الملك بمثابة رسالة مني . وقـــد أطلعتُ رئيس الوزارة ووزير الخارجية على نصّها فوافقا عليها وأرسلت بحرفها ، وهذا نصها :

« غير ممكن عدم تأييد مصر في اساس مطالبها القومية .

من الضروري التفريق بين المطالب القومية المصرية وبين الدفاع المشترك عن الشرق الادنى .

استعجال مصر برد المقترحات بهذا الشأن قبل استشارة الدول العربية، وطلب حكومة القاهرة ان لا تجاوب الدول العربية على تلك المقترحات الا بعد استشارة مصر ، فيه غرابة وعدم منطق .

دول الغرب تتريث الآن قبل ان تطلب من الدول العربية الاخرى الجواب على المقترحات المتعلقة بالدفاع المشترك خشية ان يكون الجواب سلبياً ...

---

(١) – في ٢٢ من ت ١

... أليس من الافضل ان يصير التعامل من الند الى الند في ترتيب الدفاع المشترك بالاتفاق مع دول الغرب ، بعد ان تؤخذ الضمانات اللازمة للاستقلال ، وان تحل مشاكل العرب بطريقة مرضية ، وخصوصاً مشكلة فلسطين ، بدلاً من ان يكون احتلال عسكري لا تعرف نتائجه اثناء الحرب وبعدها ...

... هل لجلالة الملك ان يفهم هذه الحقائق لمن يهمهم الامر قبل ان تصل الحالة الى آخر درجة التفاقم ؟

هل بدون وساطة رسمية يمكن لجلالته ان يتصل بمصر ودول الغرب والدول العربية الاخرى لتقرير هذه المبادىء اولاً ، ولبنيان المستقبل على نورها قبل ان يفلت الامر من يد الحكومات ويصبح في متناول الشارع الاعمى ؟

... ارشدنا الله الى ما فيه الخير في اشد ايام العرب حراجة وضيقاً .

٢٣ ت ١ »

يُفهم من هذه البرقية ، ومن مواقف لي اخرى ، ان قضية الدفاع المشترك لم تُطرح على الدول العربية بصورة معقولة . ولم يكن بالامكان ان يفاوَض بها او يسلَّم بها انفراديًّا قبل ان تحقق رغبات البلاد العربية المشروعة . ولكن لا قوة للمنطق — ويا للاسف ! — حينما يصطدم هذا المنطق بمصالح الدول الكبرى ومطامعها .

زار سفير الولايات المتحدة الاميركية الملك فاروق ، ولا تزال تفاصيل الزيارة مكتومة ، فهل تحسنت بعدها الحالة مع مصر ؟

لم يبلغنا علم مباشر بالامر . وليس لدينا سوى استنتاج نشأ عن تصريح سفير مصر في الولايات المتحدة بان حكومته لم ترفض مشروع الدفاع المشترك الا لانه لم يُسبَق بالجلاء ، ولانها لم تُستشر بالصيغة التي ورد فيها قبل عرضه عليها .

عودة الى السياسة الداخلية :

جرى انتخاب رئيس المجلس النيابي بهدوء ففاز بالاكثرية احمد الاسعد ولم ينل عبدالله الحاج منافسه الا تسعة اصوات ترمز الى وجود معارضة . وبدأنا نقرأ من وقت الى وقت مقاطع في الصحف تلامس الانصاف ، وهذا مقطع منها :

« ... اما نحن فقد كان من رأينا دائماً ان هناك سياسة عليا موجهة حكيمة استطاعت بحكمتها وارشادها ان تجنب البلد الهزات ، وتحول دون طغيان السياسات الشخصية على المصالح العامة ، وتعرف عند الاقتضاء كيف تنسل الشعرة من العجين .

... ان للبلد من المشاكل الخطيرة ما يهيب بمحترفي السياسة الى الترفع عن تنازع نفوذ محلي سخيف ، فلطالما ذهبت مصالح الدولة والشعب ضحية هذا النزاع . والنفوذ المحلي يجب ان يقوم على الاخلاق الكريمة والترفع عن الحزبية الضيقة ، وعلى تقديم الخدمات النافعة للشعب لا على ظهر استغلال الادارات الرسمية والمشاريع الوطنية لمصلحة الزعماء ومصالح انصارهم ومحاسيبهم . وهذا ما لا تزال تعمل له السياسة العليا الحكيمة فتستحق شكر الشعب ودعاءه » اه.

جواب الملك عبد العزيز :

تلقيتُ في ٢٩ من تشرين الاول الجواب التالي من الملك عبد العزيز :

« وردتنا برقيتكم التي تتضمن حديث فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية فابلغوا فخامته شكرنا على ما ذكر لكم من ملاحظات قيمة لها موقعها ، والدالة على شعور الصداقة والمحبة التي بيننا ، الامر الذي نقدره ونبادله ذلك .

اما بخصوص موقف حكومة مصر فنحن نجد كل عواطفنا وشعورنا مع الشقيقة في محنتها الراهنة ، ونتمنى نيلها من صميم الفؤاد التوفيق والسداد في خطواتها . وكان بودنا لو توصلت الى غايتها بطريق اكثر سهولة ، ولكن الظروف والحوادث تطورت بهذه الصورة .

ونحن نجد الحالة الآن في دور حاد بين الطرفين لم يظهر فيه اي اتجاه ، ولا نظن اي مداخلة تأتي بنتيجة ايجابية .

كما ان الدفاع المشترك عن الشرق الاوسط، مع علاقته الوثيقة بقضية مصر، لم توجه الدعوة بشأنه الى الدول العربية ، ولذلك يحسن انتظار نتائج الحوادث الى ان تأخذ اتجاهها الطبيعي بدون شك .

ومع هذا، كل ما حصل نعتقده في صالح مصر الشقيقة واصدقائنا البريطانيين والاميركيين ، اذ اننا قد راجعناهم وذكرنا لهم الاخطار والفوائد ، وحذرناهم بما نعتقده في صالحهم وصالح العرب وصالح السلم في الشرق الاوسط ... ونحن نأمل ان تؤخذ ملاحظاتنا بعين الاعتبار .

وعلى كل حال فاننا ، كما ذكرنا سابقاً، نشكر الى فخامة الرئيس عواطفه الودية ونقدر له نظرياته التي تبرهن عن بعد نظره وحكمته في معالجة الامور . مع اجل تحياتنا الطيبة واطيب تمنياتنا الصادقة . » اه.

يظهر ان الملك لا يرى الوقت مناسباً لاي تدخل .

أخطر اجتماع سياسي

بلاغ من الدول الغربية :

لم نكد نتلقى جواب الملك عبد العزيز حتى فوجئنا ببلاغ من الدول الاربع ، يتضمن اسفها لموقف مصر ، وعزم تلك الدول على المضي في تنظيم الدفاع عن الشرق الاوسط دون تردّد او تأخير . ويزيد البلاغ ان ملاحظات الدول العربية ستقابل بارتياح بينا يُنظّم هذا الدفاع .

وقد وُجّه هذا البلاغ عينه في آنٍ واحد الى اسرائيل .

حديث مع وزير بريطانية المفوض :

امام هذه المضاعفات كلها دعوتُ وزير بريطانية المفوض ، بناء على طلب من رئيس الوزارة ، واستوضحته عن مبنى البلاغ الجديد ومعناه، فاحتار في امره وقال انه **يفسره بان الدول الاربع ترغب بعدم إحراج الحكومات العربية في ان تعلن عدم موافقتها على وجهة نظر مصر .**

فلم اقتنع بهذا الجواب وقلت : إن هذا التفسير الدبلوماسي لا ينطبق على الحالة ، بل الواضح هو ان الغرب قد شاء ان يضع الدول العربية امام الامر الواقع لانه مصمم على تنظيم الدفاع المشترك شئنا ام أبينا ،

كما انه سيشرك اسرائيل في هـــذا الدفاع بالرغم من الوعود السابقة ، والاهمّ من ذلك كله ان لا ضمان للاستقلال في ما ذكر . وصفوة القول ان الدول الاربع لم تعامل الدول العربية كما تُعامَل الدول المستقلة . فنحن بين امرين : إما ان نقول : لا ملاحظات لنا على برنامج دفاع لم يوضع بعد ، او ان نقول : إفعلوا ما شئتم فاننا لا نقبل مخاطبتنا بهذا الشكل . واذا كان من مفاوضة فهذه ليست طريقة للمفاوضة . وإن كان من إرغام فلا حاجة للبلاغات ولا للاخذ والرد . والقوة قادرة على ان تعمل ما تشاء ، غير ان ذلك يتنافى مع ميثاق الامم المتحدة ، ونحن اعضاء في المؤسسة ولنا حق المساواة مع الدول الكبرى .

وسجّل الوزير المفوض الخطوط الرئيسية من ملاحظاتي ، ولعلّه سيبرق بها الى حكومته .

لست لارى شيئاً يغيّر ما في هذا البلاغ من نصّ او معنى، ولكني أتوقّع ان موقفي الجازم المكرَّر من مشروع الدفاع المشترك سيفصل بيني وبين دبلوماسية الغرب . وسيوغر عليّ الصدور ... وستشتد المعارضة ... وقد نفاجأ باحداث ترتدي ثوباً بلدياً ولكنه في الواقع ستار للانتقام مني على سياستي في رد الدفاع المذكور ...

يعلم الله اني لا اتوخّى رضى احد ، وإنما يهمّني واجبي كمواطن ، وكرئيس مسؤول . وسأقوم بهذا الواجب مهما كلّفني الامر .

على كلٍّ ، ارى من الحكمة ان لا تتسرّع الحكومة . وسيدعى مجلس الوزراء ويُضم اليــه رؤساء المجلس النيابي ، الحالي والسابقون ، ورؤساء الوزارات السابقة ، ووزراء الخارجية السابقون ، ووزراء الدفاع الوطني السابقون ، ورئيس اللجنة الخارجية البرلمانية ومقرّرها ، لتتسلح الحكومة بآرائهم .

ارى خطراً رهيباً يذرّ قرنه ، والبلاد تجابه حدثاً من اخطر الاحداث بعد ازمة تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ ... اجارنا الله وحرس لبنان !

الاجتماع الخطير :

في ٢٩ من تشرين الاول اجتمع مجلس الوزراء وانضمّ اليه من ذُكرت اسماؤهم ووظائفهم فاطلعتهم على مذكرة الدول الاربع ، وتولّى وزير الخارجية شرحَ المسألة بكاملها من جميع اطرافها وحواشيها .

وبعد ان تناولها المجتمعون بآراء سديدة اوردوها في جوّ مفعم بالتفاهم لخّصتُ الموضوع بما يلي :

« لقد لاحظتم جميعاً ان الموقف دقيق جداً ، وقد ساعدت البيانات والآراء التي ادليتم بها على جلائه . ومن بديهيات الامور انه لا يجوز لنا ان نبتّ في الامر قبل ان نستكمل المعلومات . كما انه لا يجوز للبنان ان ينفرد بالجواب وهو مرتبط بالدول العربية الشقيقة باوثق الصلات .

على انه لا بد من إجابة الدول الاربع ، لان الجواب خير من عدمه بعد الذي بدا لنا من مآخذ على التبليغ الذي وُجّه الينا والى سائر الدول العربية .

ومما ينبغي ان ينطوي عليه هذا الجواب المطالبة باحترام استقلال لبنان وسيادته، سواءً افي الشكل ام الاساس، واعطائنا الضمانات الاكيدة على ذلك ، ومعاملتنا معاملة الند للند ، والتحفظ تجاه اسرائيل الذي سُلّم نفس البلاغ في حين انه لا يزال في حرب مع الدول العربية ، وتحاشي اي تدبير قد يتطور الى احتلال عسكري ، والاستفسار عن مدى مشاريع الدفاع في حالتَي الحرب والسلم .

كل هذه الامور لم تنضج بعد، وهي تحتاج الى كثير من التفكير والدرس ، فجدير بنا ان نتريّث دون ان يحمل الامتناع عن الجواب في هذه الفترة على محمل الرفض او القبول .

وقد وافق الجميع على هذا الرأي [1] » .

---

(١) — المحضر الرسمي الذي وضع للاجتماع . وقد وقع عليه فوآد عمون المدير العام لوزارة الخارجية والمغتربين .

وصدر البلاغ الآتي :

« عقد مجلس الوزراء في القصر الجمهوري بتاريخ ٢٩ تشرين الاول سنة ١٩٥١ برئاسة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية واستمع الى البيان الذي ادلى به وزير الخارجية عن التبليغ الذي تسلمه من ممثلي الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا وتركيا بشأن الدفاع عن الشرق .

وعلى اثر هذه الجلسة عقد اجتماع في القصر الجمهوري برئاسة حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية ضم اصحاب الفخامة والعطوفة والدولة والمعالي : الفرد نقاش واحمد الاسعد وعبدالله اليافي وشارل حلو وفيليب تقلا ورشيد بيضون وصبري حماده وحبيب ابو شهلا وسامي الصلح وسعدي المنلا وحسين العويني والامير مجيد ارسلان وكميل شمعون وحميد فرنجيه وهنري فرعون وصائب سلام .

وقد استمع الحضور الى بيانات الحكومة عن الموقف السياسي ، بمناسبة التبليغ المتعلق بالدفاع عن الشرق الاوسط المشار اليه اعلاه . وبعد تبادل الآراء رئي من الضروري ان تتابع الحكومة استكمال معلوماتها بهذا الشأن ، على ان يستأنف درس الموقف وما يطرأ عليه من تطور في اجتماعات مقبلة .

بيروت ، قصر الرئاسة ، في ٢٩ من تشرين الاول ١٩٥١

الامضاء : **وزير الخارجية والمغتربين** » اه.

الرأي العام يؤيد موقف الحكومة :

وما ان اذيعت انباء هذا الاجتماع ، وقد تسرّبت الى الصحف ، حتى حبّذ الرأي العام موقف الرئيس والحكومة وعلّق عليه الكتّاب بالتأييد .

رسالة خاصة من حكومة لوندرة :

في الاول من تشرين الثاني استقبلت وزير انكلترة المفوض وأبلغني رسالة خاصة من حكومته تتضمن شكراً لموقفي المعتدل في الشؤون العربية ، وتأكيداً ان الدفاع المشترك لا علاقة له بمطالب مصر القومية ، وان قيادة الشرق لا تمسّ الاستقلال ولا تفرض إرغام العرب على التعاون مع اسرائيل ، وان جواب الدول العربية يمكن ان يتأخر ريثما توضع خطط الدفاع المفصّلة .

ولما كانت هذه الرسالة تُطمئن بعض الشيء وتترك الباب مفتوحاً ، فقد دعوتُ رئيس الوزارة ووزير الخارجية واطلعتهما عليها فسُرّا بها وقررنا :

اولاً : ان نقترح اجتماع وزراء خارجية الدول العربية في باريس لمناسبة انعقاد الدورة العادية لهيئة الامم المتحدة في العاصمة الفرنسية ، فهناك يساعد الجو على درس الامور درساً عميقاً .

ثانياً : ان نجمع مجلس الوزراء والمجلس الاستشاري الذي جمعناه سابقاً، على ان يتم هذا قبل سفر وفدنا الى دورة هيئة الامم .

رسالة خاصة من الملك طلال :

في ٥ من تشرين الثاني صباحاً ، وبالمراسم التي تجري في حفلات تقديم اوراق الاعتماد، استقبلت توفيق ابو الهدى رئيس الوزارة الاردنية حاملاً اليّ رسالة من الملك طلال . وبعد انتهاء مراسم تسليم الرسالة خلوت بالموفد الكريم استطلعه رأي حكومته في موضوع الدفاع المشترك ، فبسط لي جميع تفاصيل التبليغ والمحادثات الخاصة التي اجراها مع ممثل بريطانية في عمان ، وصرّح لي بما يأتي :

« ان حكومة الاردن مستعدة لقبول الاشتراك بالدفاع المقترح، غير انها لا تعلن الآن رأيها ، وذلك بسبب المعاهدة التي تربطها بالانكليز ، وبسبب ما تجنيه البلاد من فوائد من هذا الاشتراك . اما الموقف الذي سوف يتخذه مندوبو الاردن في باريس فهو الاستمهال للدرس وعدم الرفض ـ والدول الاربع صاحبة المشروع تكتفي الآن بذلك ولا تستعجل الجواب . . . »

وكان حديث الرئيس ابو الهدى واضحاً وصريحاً . فانتقلنا الى بحث موقف الدول العربية الاخرى، فقال لي : ان الذي يتوقعه هو ان ترفض حكومة القاهرة هذا الدفاع ما دام محمد صلاح الدين يتولى وزارة الخارجية .

وقد أكد لي زائري ان الملك فاروق لم يكن موافقاً على خطة إلغاء المعاهدة لو لم يضعوه امام الامر الواقع . . .

وتابع الزائر قوله : اما سورية فرئيس وزارتها صرّح لي بأنه يقبل الدفاع المشترك ولكن وزير الخارجية والرأي العام يمنعانه من الجهر برأيه في هذه الآونة . والارجح ان فارس الخوري الذي سيمثل سورية في اجتماع وزراء الخارجية في باريس لا يشترك بالرفض بل ينصح بالتريّث .

وقال الزائر : ان المملكة العربية السعودية تميل الى القبول دون ان تجهر برأيها . وكذلك نوري السعيد، فهو مصمم على القبول الا انه يخشى ان يفضي برأيه فيثور عليه الرأي العام العراقي . . . » .

ومهما يكن من الاستنتاجات التي بدت لي من حديث الرئيس الاردني، فاني ارى ان الدول العربية لن تُجمع على رفض المشروع في اجتماع وزراء خارجيتها في باريس ، وانها ستؤثر التريّث .

وفد لبنان الى باريس :

سافر وزير خارجيتنا الى باريس على رأس وفد عيّناه لحضور جلسات الدورة العادية لهيئة الامم ، ولم ينضم اليه مدير الخارجية العام لانه لم يقبل ان يرد اسمه في المرسوم بعد اسم شارل مالك وزيرنا المفوض في واشنطن . وكان وجود هذا الوزير المفوض مع الوفد ضرورياً في مثل هذا الظرف الراهن بسبب علائقه الطيبة مع وفد الولايات المتحدة .

وكان من المنتظر ان يجتمع وزراء خارجية الدول العربية في باريس في الخامس من تشرين الثاني لبحث قضية الدفاع المشترك ولكنهم أرجأوا اجتماعهم بانتظار بلاغ آخر من الدول الاربع . وفي ١٠ من تشرين الثاني صدر البلاغ المنتظر وفيه بعض الايضاح وكثير من الغموض ! وفي ١٠ من تشرين الثاني ، جمعتُ اللجنة الاستشارية التي ضممناها الى مجلس

الوزراء في ٢٩ من الشهر المنصرم، وأعدنا النظر في البلاغ الجديد فاتفق الحاضرون بالاجماع على التريّث الى ان تجتمع اللجنة السياسية العربية في باريس باقرب وقت .

وفي اليوم عينه مرّ الوصي على عرش العراق بدمشق في طريقه الى باريس . ولعل لسفره علاقة بالوساطة التي قيل ان حكومة بغداد قدُ تقوم بها بين مصر وانكلترة .

وعلى هامش هذه الاحداث احتفلت مصر بذكرى يوم الجهاد فبعثت ببرقية تهنئة الى الملك فاروق – بلقبه الجديد : « **ملك مصر والسودان** » – وأيّدت بيروت مطالب مصر القومية فأقفلت المتاجر ولم تجر تظاهرات . وكانت الحكومة قد أعلنت انها تمنعها منعاً باتاً ، فلم يحدث ايّ حادث مقلق للامن .

تقارير من العاصمة الفرنسية :

اخذت ترد علينا التقارير من باريس وفيها ان وزراء خارجية الدول العربية لم يتخذوا اي موقف نهائي على الرغم من إلحاح مصر عليهم برفض الدفاع المشترك .

في ٢٠ من تشرين الثاني بلّغنا مذكرة اميركية جديدة تناشدنا التريّث وعدم الرفض ريثما تسعى حكومة الولايات المتحدة الى حل القضية المصرية . وتقول المذكرة ايضاً ان الرفض قد يكون كارثة على الدول العربية . فما معنى ذلك ؟

في ٢١ اجتمعنا برئيس الوزارة ومدير الخارجية وأبرقنا الى وزير خارجيتنا في باريس بنصّ المذكرة ، وأشرنا عليه بالتريّث الى تعليمات اخرى .

وزراء خارجية العرب غير متفقين :

لا تزال البرقيات ترد علينا من باريس بعدم اتفاق الوفود العربية

على الدفاع المشترك، وآخر ما عرفناه من وزير خارجيتنا ان مشروع مذكرة أعدّها محمد صلاح الدين لتأييد موقف مصر صادف اعتراضاً من بعض الممثلين العرب . وقد صرّح رئيس وفدنا بانه مستعد للتوقيع على اية مذكرة تجمع الدول العربية على اعتمادها وكتابتها .

ولما ينجلِ الموقف . . . فالدول الغربية تحيط مشاريعها بالغموض والحكومات العربية مبلبلة الصف واكثرها يؤثر التريّث على اتخاذ خطة جازمة .

انقلاب رابع في سورية :

لا حول ولا قوة ... وقع انقلاب جديد في سورية وهو الرابع من جنسه ! وتمّ الانقلاب على مرحلتين :

ففي الاولى أوقف معروف الدواليبي رئيس الوزارة وأوقف معه بعض الوزراء وعدد كبير من نواب حزب الشعب ، ثم أكره على الاستقالة ، وعهد الى حامد الخوجا بتشكيل وزارة جديدة فعجز .

المرحلة الثانية : استقال هاشم الاتاسي رئيس الجمهورية وترك دمشق الى حمص . فأعلن العقيد اديب الشيشكلي انه يتولى باسم الجيش زمام الامور التشريعية والتنفيذية . وحلّ المجلس وولّى العقيد سلو رئاسة الدولة ورئاسة الحكومة ووزارة الدفاع ، واحتفظ العقيد الشيشكلي برئاسة اركان الجيش وهو في الواقع الكل في الكل . ثم ألفت هيئة الحكومة من وكلاء وزارات فُوّضت اليهم صلاحية الوزراء .

ويوم الاحد في ٢ من كانون الاول اوفد اليّ العقيد شيشكلي زميله العقيد حبّي حاملاً اليّ رسالة ، فاستقبلته بحضور عبدالله اليافي رئيس الوزراء والزعيم توفيق سالم، وقد جاء في رسالة رئيس اركان الحرب السوري أن الانقلاب الذي تم لا يغيّر شيئاً في علائق الاخوة بين سورية ولبنان .

وأحسنت وفادة الرسول واجبته بان لبنان لا يتدخّل في احداث سورية ، ولا في سياستها الداخلية ، وانه يرجو لها السعادة والاستقرار .

العراق يسعى لعدم الاعتراف بالوضع السوري الجديد :

زار وزير العراق المفوض رئيس وزارتنا وأبلغه ان حكومته لا يمكنها ان تعترف بالوضع الجديد في سورية ، (لان العقيد شيشكلي اتّهم حكومة بغداد بالتدخل مع حزب الشعب لضم سورية الى العرش العراقي) ، وانه اي وزير العراق يطلب الى لبنان (كما ستطلب حكومته الى الدول العربية الاخرى) عدم الاعتراف بهذا الوضع « غير القانوني » في دمشق .

ولم يجبه رئيس الوزارة سلباً ولا ايجاباً .

وعرضت المسألة على مجلس الوزراء فقرر أن ينتظر بلاغاً رسمياً من حكومة دمشق بالانقلاب الذي حصل . مع العلم ان حالة الجوار مع سورية تفرض علينا مراعاتها اكثر ممّا يُفرض على اية دولة عربية اخرى .

وعلى الاثر تلقّينا تبليغاً رسمياً من وزارة الخارجية السورية بالانقلاب الجديد ، وبه ترجونا ان نأخذ علماً بذلك ، مؤكدة عواطف الاخوة بين البلدين واستمرار السياسة الخارجية التي كانت متّبعة في السابق .

وعرضنا التبليغ على مجلس الوزراء[١] فقرر الجواب بأنه « اخذ العلم » بالتبليغ ، وانه يتمنى لسورية السعادة .

وهذا الجواب يُحسب اعترافاً بالوضع القائم .

تأزم الحالة في مصر :

تتأزّم الحالة في مصر يوماً بعد يوم ، وتسير من سيّء الى اسوأ . وقد اخبرني حبيب ابو شهلا الذي اقام اسبوعاً كاملاً في القاهرة مشتركاً

(١) - في جلسة ٤ من ك ١

باعمال اللجنة التنفيذية للاتحاد البرلماني العربي ان اسهم لبنان ارتفعت جداً في القطر الشقيق بعد وصول برقيتي الى « ملك مصر والسودان » . وقد تزداد ارتفاعاً بعد ان كتبنا الى وزيرنا المفوض في القاهرة بان الحكومة اللبنانية اعتمدت رسمياً هذا اللقب الجديد لملك القطر الشقيق . وكنا الدولة الاولى التي اعتمدته[١] .

هدنة حول الدفاع المشترك :

صُرف النظر موقتاً عن مفاوضات الدفاع المشترك ، فقد كفّت الدول الغربية عن تبليغنا المذكرات في صدده . وكذلك ارجأت الوفود العربية في باريس بحث الموضوع منذ وقوع الانقلاب السوري . وكان ان المذكرة التي عرضها محمد صلاح الدين وزير خارجية مصر على الوفود المذكورة ، لتأييد رأي حكومته في رفض المشروع ، لم تلقَ إجماعاً على قبولها .

مواطن ضعف في السياسة الداخلية :

ان الحالة الداخلية مستقرة استقراراً نسبياً ، ولا ريب في ان اكثر السبب في استقرارها يرجع الى ما هو جارٍ في سورية ومصر .

إن عندنا مواطن ضعف ، مردّ اكثرها الى نزعة الحكومة الى التملص من كل مسؤولية وإلقاء جميع التبعات على عاتق رئيس الجمهورية ، حتى وان لم يعرف الرئيس بها ، ناهيك بتهرّب بعض الوزراء من « الانسجام » مع مقام الرئاسة ! وقد قام دليل على هذا في الحفلة التذكارية الاولى

(١) — كان حكم السودان في ذلك الزمان مشتركاً بين المصريين والانكليز ، ولكن هؤلاء قد استأثروا وحدهم به وأخرجوا الموظفين المصريين منه . فالتوكيد الرسمي من لبنان في ان لقب الملك هو ملك « مصر والسودان » معاً ، كان اتجاهاً ، بل توجيهاً ، وطنياً له قدره واثره يومئذ . وكانت الامنية الوطنية العربية في ان تعود الادارة المصرية الى السودان ، وان عادت فهو الانتصار الوطني الاكبر .

اما اليوم فقد تقلب الزمان . واستقل القطر الشقيق والحمد لله

لوفاة عبد الحميد كرامي ، وقد اتفق ان ابنه كان يشغل منصب وزير العدل ، فترأس الحفلة رئيس الوزارة وتجاوز بعض الخطباء – على مسمع منه ومن رشيد كرامي وزير العدل – حدود اللياقة تجاه الرئاسة ، ونادى بعضهم بالوَحدة السورية، دون اية ردّة فعل من المسؤولين ! وإنه لسكوتٌ، او تغاضٍ، أقلّ ما يقال فيه انه مؤسف جداً !

ولم تكن علاقة رئيس الوزارة بالنواب على ما يرام . فأبدى لي رغبته بالقاء بيان عن اعمال حكومته في مجلس النواب ، ونصحت له بأن يصرف النظر عن إلقائه ما لم يقرنه بطرح الثقة فيضع المجلس امام مسؤولياته . ولم يعمل رئيس الوزارة بنصحي له ، وطلب إدراج البيان في جدول الاعمال على غير علم مني ، وألقاه دون ان يعلّق عليه بطلب الثقة !

وما ان عرفت بالامر حتى تدخّلت وطلبت من بعض النواب ، ولا سيما القادة فيهم ، ان لا يُحرجوا الحكومة ، فانصاع اكثرهم لتوجيهي الا القليل منهم . وقام نائبان يحرجان رئيس الوزارة بطلب طرح الثقة فلم يفعل ، وخرجت الحكومة ضعيفة من تلك الجلسة .

وجاءني عبدالله اليافي يعرض الموقف متبرّماً . فأظهرتُ له رغبتي بان يداوم على العمل حتى إنهاء الموازنة على الاقل .

وفي تلك الفترة عينها نشبت ازمة اللاجئين الفلسطينيين الذين اخذوا يشتغلون في لبنان بدون إجازة ، واتخذت شكلاً طائفياً ممقوتاً . وملخص الامر ان وزير الشؤون الاجتماعية ، عملاً بالقانون ومحافظة على اليد العاملة اللبنانية ، طلب من اللاجئين التوقف عن العمل حتى تسوية الامر . فقامت القيامة على طلبه الحق وحملت بعض الصحف عليه وعلى الحكومة كلها حملة عنيفة ، فاضطرب رئيس الوزارة ، فهدّأت من روعه وأشرت على وزير الشؤون بأن يُرجىء تنفيذ قرار منع اللاجئين من العمل ريثما يتمّ الاحصاء المطلوب لتحديد عدد العاملين بدون اجازة ، وكان . فقامت حملة صحفية معاكسة ترمي الى تنفيذ قرار المنع السابق ، واحتارت

الحكومة في امرها فأنقذها ان تلا وزير المال تقريره عن الموازنة وقابله المجلس بالتقدير .

قل في نفسك ان يداً اجنبية تلعب :

واستمرت الازمة الباردة ، بين المجلس والوزارة ، الى آخر السنة ، فرئيس الوزارة يريد ان يتخلّى عن الحكم دون ان يطرح الثقة ، والمجلس متربّص لا يمنحه الثقة فيما اذا طلبها منه ، ولا يحرجه بنزع الثقة تلقائياً . ووجدتُ الوضع في شبه هدنة فقلت ببقاء الوزارة الى ما بعد إقرار الموازنة .

ولم يحرمنا ذلك الجو المتلبد من اختتام العام بحفلتين رائعتين، الاولى في دار الافتاء في ذكرى المولد النبوي ، والثانية في كاتدرائية مار جرجس المارونية في عيد الميلاد . وزرت المقامين مهنئاً وجرى تبادل الخطب الودية ، ولم يطلق عيار ناري واحد فقد امتثل الفريقان لتعليمات الحكومة .

الازمة الوزارية كامنة كالنار تحت الرماد . وفي الجو روح غريب لا يمتّ الى روحنا اللبناني الوطني السابق ، ولا الى تضامننا ، بصلة . واني لاحسّ عملاً عميقاً يُدار من وراء الستار ولا يتبيّنه الناس ، يهدف الذين يحبكون خيوطه سراً الى زعزعة الاوضاع .

وعندما تداوي جرحاً فيسيل جرح ، وترتق خرقاً فيظهر خرق ، قلْ في نفسك إن وراء الستار يداً اجنبية تلعب ، وتوجيهات غريبة تسمّ الافكار .

حرس الله لبنان !

١٩٥٢

البطريرك عريضه يهنئني في بيروت :

جرى استقبال حافل في السراية بمناسبة عيد رأس السنة .

وشاء غبطة البطريرك انطون عريضه ان ينزل في ٥ من كانون الثاني الى بيروت لتهنئتي بالعيد فاستقبلته في مقر الرئاسة ودعوته الى الغداء مع رئيسي المجلس النيابي والوزارة ، والوزراء ، وكبار الموظفين والمرافقين . وألقى غبطته كلمة لطيفة معرباً عن تقديره للجهود التي نبذلها لخير الوطن .

ولم يغادر الدار الا بعد ان عاد قرينتي التي منعتها وعكة بسيطة من استقباله ، وقد شكرها غبطته على الاعمال الخيرية العديدة التي تصرف اليها عناية بالغة .

وفي ٧ من كانون الثاني رددت الزيارة لغبطته في بكركي ومعي اركان الحكومة ، وقد استوقفنا اهالي جونيه واحتفوا بنا ، واستقبلنا السيد البطريرك استقبالاً ولائياً جداً .

الملك طلال يمر بلبنان :

مرّ الملك طلال ببيروت في طريقه الى اوربة ، ووصل اثناء عاصفة

شديدة وأمطار غزيرة منعتنا من إقامة سُرادق خاص لاستقباله . وكنت طريح الفراش لالمٍ في ظهري فنهضت موجعاً ورحّبتُ به في قاعة الطابق العلوي ، وتعانقنا بحرارة وتحادثنا مطولاً ، ولحظت على ملامحه بعض الجمود ، ثم لاحظت انه يتوقف عن الحديث ، ويرجع فيلمّ شتات فكره . فلم استبشر خيراً بحالته الصحية .

ازمة داخلية يذر قرنها :

ساءت الحالة الداخلية في النصف الآخر من شهر كانون الثاني ولم ارَ عند اكثر المسؤولين من وزراء ومديرين وكبار موظفين عزماً على وقف الشغب ومجابهة المعارضين . والامور لا تعالج بتجاهل الواقع . وأضرب المحامون طالبين تعديل قانون الاحوال الشخصية ، وهو القانون الذي وُضع بناءً على مراجعات متعددة من الرؤساء الروحيين بدون استثناء .

وعقب اضراب المحامين امتناع المستهلكين عن دفع ثمن الكهرباء ، وقد اشتركت في هذا العمل أحياء يدعمها حزب الاتحاد اللبناني (الكتائب) من جهة ، وأحياء تدعمها الهيئة الوطنية من الجهة الاخرى .

وهكذا اشتد التسابق الى كسب الشعبية ! وصار المنطق في عجز عن مداواة الحالة ، ولم تنفع الارقام ولا الاحصاءات الفنية . بل إنها اصطدمت بعناد وسلبية . وقد جمع هذا الاضراب بين الهيئتين على صعيد سياسي فوحّدتا جهدهما لمعارضة لا تعرف هوادة . وزاد في الطين بِلّة جمود المفاوضات الاقتصادية مع حكومة دمشق بالرغم من اجتماع مشترك عقد في شتورة وتقرر فيه التبادل التجاري ، ولكنه لم يعط نتيجة محسوسة لانه كان مشروطاً بالمصلحة المتبادلة ، فحق التقدير فيه عائد لسورية بوصفها انها المستوردة ، وقد اطلق لبنان حرية انتقال الاشخاص الى جارته ، واما حكومة دمشق فقيدت تلك الحرية باعتبارات سياسية وعسكرية ، وهكذا عدنا الى نقطة الانطلاق .

احداث مصر المؤلمة :

كانت الازمة في مصر كامنة بين القصر ووزارة مصطفى النحاس زعيم الوفد المصري ، ولم تلبث ان تطوّرت تطوّراً خطيراً . ولاسباب لم تنجلِ حقيقتها نشبت الثورة في القاهرة [1] واكتسحتها تظاهراتٌ صاخبة اعتدى الرعاع خلالها على الآمنين وعلى المتاجر، واندلعت النيران وأحرقت منازل كثيرة ومحلات عمومية كبيرة منها فندق شبيردز . وبلغت الاضرار المادية رقماً جسيماً جداً . وعمَّ القلق الاحياء جميعاً ، ولا سيما احياء الموسرين والاجانب .

وزاد في الهول ان الجيش لم ينزل الى الشوارع والساحات الا متأخراً جداً . واعلنت الاحكام العرفية في جميع انحاء المملكة .

وانتهز الملك هذه الفرصة — وقيل انه كان ينتظرها — فأقال وزارة الوفد وعهد الى علي ماهر بتأليف وزارة مستقلة عن الاحزاب ، ففعل . واول ما فكرت به الحكومة الجديدة حل المجلس النيابي ولكنها رجعت عن الفكرة سريعاً وتقدمت الى المجلس ببيان نالت اثر تلاوته [2] ثقة إجماعية ، اقل ما يقال فيها انها ثقـة المجلس الخائف على حياته ، في الظرف العصيب ، لا ثقة المجلس العزيز ، ذي الشعور الوطني .

وأدرك مصطفى النحاس حرج مركزه الشخصي ، فظن انه يتفادى الخطر بزيارة قصر عابدين وتسجيل اسمه في سجل التشريفات الملكية مؤكـّداً ولاءه للعرش !

المراقبون السياسيون يقولون : إما ان تؤدّي هذه الحالة الى استئناف المفاوضات مع الانكليز ودول الغرب ، واما ان تنتهي الى ثورة داخلية لا يعرف مداها .

ليس لأية دولة عربية نفع في ان تستمر الفوضى في مصر .

(١) — في ٢٦ من ك ٢
(٢) في ٢٨ من ك ٢

وما بلغتني هذه الانباء المقلقة المؤسفة حتى دعوت وزير الولايات المتحدة ووزير انكلترة وأفضيتُ اليهما ، مخلصاً ، بما يخالج نفسي من ضرورة عمل حاسم فيه التساهل، لعل الوزارة المصرية الجديدة تستطيع استئناف المفاوضات مع دول الغرب . وقـد وعدني كلا الوزيرين بالابراق الى حكومتيهما بهذه النصيحة بعد ان أظهرا اقتناعهما بفوائدها .

عناد من كل جانب :

اشرنا على المسؤولين بتصفية الامور الداخلية المعلـّقة ، فكان ان انتهى درس الموازنة وأقرَّها المجلس في يوم اختتام الدورة التكميلية ، اي في ٣١ من كانون الثاني .

وفي اليوم عينه اجتمع مجلس الوزراء وفوّض الى رئيسه التوقيع على الاتفاق الاقتصادي اللبناني السوري ، على ان يعقد اجتماع بين الفريقين في شتورة في ٤ من شباط .

اما إضراب مستهلكي الكهرباء فلم نصل الى حله . وكانت وزارة المال قد فاوضت الشركة لتخفيض التسعيرة مقابل تعويض غير مباشر على المساهمين . وتقدمت المفاوضات ببطء ولكننا لم نلبث ان فوجئت الحكومة برفض باتٍّ من قبل مجلس ادارة الشركة لكل بحث ، وحجة المجلس المذكور ان القبول بمبدإ التخفيض سيحول دون توظيف الرساميل اللازمة لتعزيز القوة الكهربائية فتقع البلاد في عجز في الطاقة وقد تُمنى بكارثة ، وكان يقابل هذا الرفض تشبّث من الهيئات الوطنية لا دواء له !

ولم نرَ ، حتى الآن ، الدواء الناجع لإضراب المحامين .

استقالة عبدالله اليافي :

في هذا الجو العاصف بالازمات الداخلية والخارجية التفتُ الى الوزارة على أمل مجابهة الموقف بالاتفاق معها ، فاصطدمتُ بسلبية مؤسفة ولم تنجع حيلة في تليينها .

وفي ٩ من شباط قدّم لي عبدالله اليافي استقالة وزارته وأرفقها بكتاب أشار فيه الى غموض الموقف البرلماني والى العراقيل التي أثارها النواب بوجهه . وضمّن كتابه شكراً لمقام الرئاسة على مؤازرتها للحكومة . وكانت عبارته هذه تكذيباً قاطعاً لما زعمه بعض الصحف من ان رئيس الوزارة سيلقي بياناً في المجلس يعلن فيه انه صمّم على الاستقالة بسبب تشابك الصلاحيات الدستورية بين رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة . وقد يكون عبدالله افضى بمثل هذه الاسباب في مجالس خاصة ، ولكنه لم يذكرها في كتاب استقالته .

وشكرته على الخدمات التي أدّاها على اثر الانتخابات النيابية ، وودعته مع وزارته وابتدأتُ استشاراتي لتأليف وزارة جديدة .

سامي الصلح ايضاً وايضاً :

كان بودّي ان اكلّف صائب سلام تأليف الوزارة للافادة من جدارته ومواهبه التي خبرتها يوم شغل وزارة الداخلية سنة ١٩٤٦ ، ولكنني أيقنت في الاستشارات التي قمت بها[1] ان اكثر النواب يقترحون تكليف سامي الصلح، وأظنّ ان بعضهم تأثّروا نواب المعارضة تزلّفاً، او انسياقاً، فان هؤلاء المعارضين رأوا في سامي انه المرشح الاسرع الى الانقلاب والى الانضمام اليهم عند اللزوم . وقد انتدب نواب المعارضة كال جنبلاط وكميل شمعون لمقابلتي واعلامي أنهم يرشحون سامي . فدعوت صائباً واطلعته على الواقع فشكر لي عاطفتي نحوه، ولم يظهر اي امتعاض . ثم صدرت المراسيم بتأليف الوزارة من عشرة وزراء برئاسة سامي الصلح .

وألقت الوزارة بيانها في المجلس في الثاني عشر من شباط ونالت الثقة باكثرية ستة وخمسين صوتاً ، واقترع ضدها اعضاء الجبهة الاشتراكية

(١) في ٩ من شباط .

الوطنية السبعة، وانضمّ اليهم حميد فرنجيه الذي انحاز الى جانب المعارضة انحيازاً نهائياً .

وعقدتُ مع الوزارة جلسة خاصة عرضنا فيها جميع المشاريع الممكن تنفيذها، وعاد سامي الصلح الى المشاريع القديمة التي وضعوها له مقترحاً تحقيقها، فوعدته بدرس كل مشروع على حدة . ونصحت له بان يعالج اولاً مشاكل الاضرابات القائمة ومسألة الاتفاق الاقتصادي مع سورية . وكانت علامات البشر تطفح على وجهه شأنه كلما عاد الى الحكم ، املاً منه بانه لن يغادره ابداً ... اما ولاؤه للرئيس فيبقى ما بقي هو في الكرسي . واذا ارتجت تحته فيا للويل والثبور وعظائم الامور !

استقالة المطران مبارك :

اول حدث استرعى اهتمام الحكومة الجديدة هو استقالة المطران اغناطيوس مبارك من رئاسة اساقفة بيروت وتعيين سيادة المطران اغناطيوس زيادة خلفاً له ، وقد صدر التدبيران عن الكرسي الرسولي دون الرجوع الى المقام البطريركي !

بلغتني الاستقالة في ١٠ من شباط من السفير البابوي نفسه . وكان المطران مبارك قد كتمها عني ! وطلب السفير إليّ ان تؤمن الحكومة تسلّم المطران الجديد مهام الابرشية فيما اذا أُبديت ممانعة ما من بعض ابناء الابرشية . وكان تخوف السفير في محلّه، ذلك ان المطران مبارك ما ان اعتكف يومين في بكركي حتى أضرب تلامذة مدرسة الحكمة في وجه الراعي الجديد ساعة وصوله الى كرسيه، ومشت تظاهرة صاخبة في الشوارع وذهبت سيارات كثيرة الى بكركي فجاء المطران مبارك مع المتظاهرين الى بيروت وقصد توّاً الى القصر الجمهوري وطلب مقابلتي ، وقال لي ان الكرسي الرسولي ارجأ قبول استقالته ولذلك قد عاد الى مركز عمله تطميناً للخواطر .

وكان الواقع خلاف ذلك ... واضطر المطران مبارك لان يعود الى بكركي بامر جازم من الكرسي الرسولي .

وتسلّم المطران زياده مهام الابرشية واستمرّ إضراب التلامذة بضعة ايام ثم انتهى بسلام .

ولم تتدخل الحكومة، لحسن الحظ، في شؤون هذه الازمة المارونية . وكنت اراقب تطوّرها والالم يحزّ في نفسي ...

كانت حكومة اليافي قد اجرت اتصالات متكررة مع الوزارة السورية للتوقيع على مشروع الاتفاق الاقتصادي ولم توفّق . وبدا من حسن حظ سامي الصلح ان المفاوضات الاخيرة اسفرت عن نتائج نهائية ، فدعت حكومة دمشق رئيس الوزارة اللبنانية وفيليب تقلا وزير الخارجية وسليمان العلي وزير الاقتصاد الى حفلة رسمية واستقبلتهم بحفاوة كثيرة وجرى التوقيع على الاتفاق ، وتبودلت الوثائق ، والقيت الخطب الودية .

شؤون بعض البلدان العربية :

مصر : لم تستقر الحالة في مصر . ووزارة علي ماهر لم تعش كثيراً فخلفتها وزارة نجيب الهلالي، وهو وفدي قديم انشق على حزبه وعلى رئيسه مصطفى النحاس وصار عدواً لدوداً لهما . وقد يباشر اعمالاً عدوانية ضد هذا الحزب الذي لا يزال مسيطراً على الجماهير ، ويقابله الوفد بالمثل فيغتنم البريطانيون البلبلة الداخلية لتأخير مفاوضات المعاهدة والجلاء .

سورية : المحادثات التي عقبت التوقيع على الاتفاق الاقتصادي مع سورية فتحت باباً لزيارة الزعيم فوزي سلو والعقيد اديب الشيشكلي بيروت، فجاءا في ٢٥ من اذار يرافقهما لفيف من المديرين العامين الذين يقومون مقام الوزراء ووفد من اصحاب امهات الصحف الدمشقية . وقد استقبلتُ اركان الحكم السوري في فرن الشباك في موكب رسمي، وكان المقام الاول

للزعيم سلو ، ولكنّ الانوار سلـّطت في الواقع على اديب الشيشكلي صاحب الانقلاب الاخير وصاحب الامر والنهي فيه .

وعقدنا اجتماعاً في مكتبي عرضنا فيه الشؤون العربية وشؤون اللاجئين وعلائق الدول العربية مع الباكستان . ولفتنا ضيوفنا الى الغبن اللاحق بالتجار اللبنانيين بفعل القرار ١٥١ الذي يقضي عليهم بتصفية اشغالهم في سورية ، فوعدنا الزعيم سلو والعقيد الشيشكلي باعادة النظر فيه .

ثم تناول الضيوف الغداء على مائدة الرئاسة مع الرسميين اللبنانيين . وبعد استراحة قصيرة ذهب الوفد السوري الى فندق سان جورج حيث رددتُ له الزيارة ومعي رئيس الوزارة وبعض اركان الحكومة . وقد شكرَنا الوفد على الحفاوة البالغة التي استقبل بها في لبنان وكرّر الوعود .

ولكنّ شيئاً منها لم ينفّذ !

معارضة لا تعرف الانصاف

موجة اضرابات :

قبل ممثلو مستهلكي التيار الكهربائي بالتسعيرة الجديدة ، ورضي مجلس ادارة الشركة، بعد جهد جهيد ، بتخفيضها تخفيضاً محسوساً . وحسبنا ان المسألة انتهت ، واذا قادة حزب الاتحاد اللبناني (الكتائب) وقادة الهيئة الوطنية يرفضون هذا الحل الذي كانوا قد قبلوا به ، ولم يكتفوا بالرفض بل اعلنوا مداومة الاضراب !

وادركتُ ان هذا الموقف السلبي لهو اعمق مما يبدو ، وانه ليتجاوز تخفيض الاسعار ويهدف الى زعزعة الوضع الحكومي واشاعة عدم الاستقرار .

وما ان انتهى اضراب المحامين على اثر تعديل ادخلته لجنة الادارة والعدلية على مشروع قانون الاحوال الشخصية للمسيحيين حتى سعت عناصر شغب لإقفال الاسواق ، ولم يطل هذا الشغب الا يوماً واحداً . ولكن البادرة خطيرة بحد ذاتها . وعلى حكومة ساهرة بعيدة النظر ،

ان تحسب للامر حسابه وتحول دون إقفال المتاجر ، غير ان حكومة سامي الصلح لم تفعل .

واضرب ايضاً عمال التلفون ، ولما كانت ادارتهم حكومية فقد قمع الاضراب بالقوة وانتهى امره حالاً .

وبدأ عمال سكة الحديد باضراب جديد لا اهمية له بحد ذاته الا انه رمز لحالة نفسية سيئة ولتحريض خفي .

وسعى الساعون الى اقفال المدينة مجدداً فلم يوفقوا .

حملة صاخبة في المجلس :

قابلت الحكومة هجوماً عنيفاً في المجلس اشترك فيه المعارضون والموالون معاً . وقد حمل كل من الفريقين على فساد الاجهزة الادارية ولم تنبس الحكومة بكلمة، الا الوزير اميل لحود الذي ردَّ على الخطباء بلهجة أشدّ اعتدالاً من لهجتهم . وامتازت الجلسة بالشتائم ، ونالت الحكومة الثقة باكثرية ضئيلة .

وعلى اثر تلك الجلسة اشتدّ الخلاف بين المفروض فيهم موالاة العهد ، واعتُدي على صحفيَّين ينتمي كل منهما الى فريق ، فأثَّر هذا الاعتداء تأثيراً سيئاً في نفوس العقلاء، وأثيرت طبقات الشعب فازداد التوتر العام، واحرج موقف الحكومة فاخذ يتأرجح بين الشدة واللين ، واختلط الحابل بالنابل .

وسعيتُ شخصياً لتخفيف الحدة وأشرتُ بتدابير لينة تُرجع الى الحكم هيبته دون عنف ولا اكراه . ولكن الموازين اختلَّت ، حتى اتصل بعض النواب برئيس الوزارة نفسه لتأليب جميع القوى المعارضة على الرئاسة دون سواها.

ثم عاد الخلاف الى صفوف المعارضين بسبب المغالاة في المطالب التي تولّى تقديمها كمال جنبلاط وهي غاية في التطرف .

ازمة في الصحافة :

كأنّ كال جنبلاط اضاع ذاكرته فنسي الماضي القريب ، ونسي لائحتنا ولائحته وموقفنـــا وموقفه في انتخابات ١٩٤٣ ، وما تلاها من احداث وعبر ... فنشر في جريدة « الانباء » مقالاً عنوانه : « جاء بهم الاجنبي فليذهب بهم الشعب » ملأه مطاعن برئيس الجمهورية وتهماً باطلة ، وافتراءات جائرة ، لا تحمل ولا تطاق ، فاستعملت الحكومة حقها واوقفت الصحيفة عن الصدور ثلاثة ايام ، وأحالت مديرها المسؤول الى القضاء . ومُدّد التعطيل بقرار عدلي الى بعد المحاكمة .

وعقدت المحكمة جلستها في جو ملبّد وغاب المتّهمون ، الا ان المحامين ترافعوا بنقاط شكلية وخرج جنبلاط من قصر العدل في تظاهرة ، وأخذت الغوغاء تنضمّ الى المشاغبين في طول الطريق حتى ساحة الشهداء ، والى مقر حزبه في سوق النجارين . وتحاشت قوى الامن الاحتكاك بالمتظاهرين فاعتقد هؤلاء ان الحكومة عاجزة عن مقاومة الاقطاعية الاشتراكية وفسّروا تساهلها بالضعف . وتجرأ الصحافيون ونقل ثمانية منهم مقال جريدة « الانباء » الى صحفهم بحجة انه ادمج بحروفه في سؤال وجهته الجبهة الاشتراكية الى المجلس النيابي . كأن الحصانة النيابية تشملهم هم ايضاً ! ولكنهم لم يفلحوا بهذا النشر الخاطىء ، فالحصانة تتعلق بشخص النائب وحده ولا تتعدّاه . ولوحقوا الملاحقة القانونية وعُطّلت الصحف وفقاً للقانون .

وصدر الحكم غياباً بتعطيل « الانباء » ثمانية اشهر وحبس مديرها المسؤول اربعة عشر شهراً .

وعلى اثر الحكم سعى لدى الحكومة ، ثم لدى الرئاسة ، نوابُ بيروت للكفّ عن ملاحقة الصحف الثماني التي نشرت المقال . فأشرتُ بقبول الوساطة ، ولكن الصحفيين الملاحقين رفضوا التوقيع على طلب العفو ،

فلم تسفر المساعي عن حلّ ، وصدر حكم خفيف على تلك الصحف تضمّن جزاءً نقدياً زهيداً وتعطيلاً عن الصدور شهراً واحداً .

واراد المعارضون انتهاز الفرصة ودعوا الى إقفال المتاجر في بيروت فلم ينجحوا الا بوقوع إضراب جزئي .

وطلبتُ من الحكومة ان تُجري بعض اعمال جذرية لاصلاح الجهاز بقدر المستطاع ، حتى ولو اصابت التضحية بعض كبار الموظفين الموالين للرئاسة . وجرت مناقلات غير حزبية بين القائم مقامين ، ونظّمت مديرية قوى الامن الداخلي ، وبدل مدير الشرطة وقائد الدرك . وشهد المنصفون بترفع الرئاسة اذ رضيت باقصاء من قيل عنهم إنهم ينتمون اليها ، ولكن المعارضين ظلوا على مكابرتهم .

صادف هذا التنظيم استحساناً لدى المنصفين ، وقصدنا ان يرضى اصحاب الضمائر . واما اصحاب الغرض فبقوا وعيونهم عمياء يموّهون الحقائق . فوصلنا الى الغاية على ما يظهر ، وتوطيد الامن جارٍ على ما يرام .

واتصل بي بعض الوزراء المفوضين الاجانب يستوضحون عن شؤون عرفوها من المعارضة على غير حقيقتها فاوضحتها لهم ، وتظاهر بعضهم بانه فهمها . . . وآلمني ان يعمي الغرض افراداً لبنانيين ، من بيوتات لها ماضيها ومنزلتها ، او انهم برزوا في المجتمع وصار لهم شأن ، ان يزحفوا الى دور المفوضيات الاجنبية للدس على مقام الرئاسة وليشجّعوا الوزراء المفوضين على التدخل في شؤون لبنانية ... وزاد في ألمي ان بعض اولئك الدبلوماسيين عطفوا على المعارضة وشجّعوها في ضلالها غير محترمين امانة مهمتهم !

وصفوة القول : ان المعارضة لم تعفّ عن اية وسيلة لاستخدامها الى مطامعها ، حتى انها استعانت بمقالات كتبها ميشال شيحا اخو زوجتي في

جريدة « لوجور » لتجعل منها حجّة عليّ ... سامح الله هذا النسيب الحبيب الذي كان له من قوة البصيرة ما يمكّنه من معرفـــة اهداف المعارضة غير البريئة لهدم مقام الرئاسة ! وسامح الله سواه من الانسباء ، ومن الاصدقاء القدماء الذين اندفعوا مع التيار دون التريث الكافي لوضع الحقيقة في نصابها !

ادعو اللواء فؤاد شهاب لمقابلتي :

في تلك الفترة ، ولا استطيع تحديد التاريخ بالضبط ، وقد يكون بين ١٥ و ٢٠ من نوار ، دعوت اللواء فؤاد شهاب لمقابلتي ، وأفضيتُ اليه باشمئزازي من قلة الإنصاف وقلة الوفاء ، ومن الصغارات التي بدت لي منذ فترة ، إذ صار يحلو ، – بل صارت « موضة » – عند كل طمّاع او مستاء او معارض ، ان يحمّل الرئيس شخصياً وزر الآخرين ، في حين ان شؤوناً كثيرة كان يجريها بعضهم دون معرفتي او دون موافقتي ورضاي ... وهكذا صار كل سهم يصوَّب الى مقام الرئاسة . وهي لا تملك حق الدفاع عن النفس ، وليس بمقدورها ان تدخل في جدل مع المعارضين من رجال السياسة والصحافيين . واما الموالون فلاهون بشؤونهم ... والاقرباء والانسباء يتناحرون فيما بينهم ... والرئاسة تدفع الثمن ... وبعض تلك الحالة المخزية يسمّ الجوّ فكيف بها كلها ؟

وقلت ايضاً لزائري : ان لبنان اصبحت صورته قاتمة سوداء في عيون الاجانب . وعليه فانا الذي ارى الحكم واسطة لا غاية ، أؤثر الانسحاب عن المسرح السياسي ولا يزال لي من واسع السلطة ما يؤمن ايصال محدّثي الى الرئاسة .

وكان ردّ الفعل في نفس اللواء فؤاد شهاب تعجباً فائق الحد ، ثم رفضاً باتاً مقروناً بمزيد التقدير والاحترام لشخص الرئيس وعمله ، ورجاءً حاراً ان انبذ فكرة الاعتزال حتى أُتمّ رسالتي .

ثم افصح لي اللواء عن عزمه على اقناع المعارضة بخطأها ، وودّعني شاكراً ثقتي به .

تقدير من الخارج وتنكر من الداخل :

في ذلك الخضم من الهواجس والآلام النفسية التي صارت تمزّق صدر الرئيس ، وهو الصدر الذي فتحه صاحبه للجميع ، وردت على وزارة الخارجية رسالة من معتمدنا السياسي في اليونان تعبّر عن رغبة الملك بتبادل الاوسمة العالية بينه وبيني ، وقد جاء في الرسالة ما نصه :

« لقد دعاني المشير الاكبر للقصر الملكي وقال : « امرني جلالة الملك بان ارجو منكم ان ترفعوا الى صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية انه قرر ان يهديه ارفع وسام يوناني، وهو الوسام الذي يهدى الى رؤساء الدول الصديقة . وقد اهدى في الشهر الماضي مثله الى فخامة جلال بيار رئيس الجمهورية التركية .

وقد شاء جلالة الملك ان يعرب بهذه البادرة عن عميق تقديره واعجابه برئيس جمهوريتكم ، المشهور برفيع ثقافته وذكائه ، والمعروف بحنكته ودرايته في تصريف شؤون لبنان الخارجية ، ممـا جعل من بلادكم عنصراً اساسياً في سياسة الشرق الاوسط ، فضلا عن الدور الهام الذي لعبه فخامة رئيسكم في انتزاع الاستقلال والحرية ، ذلك الدور الذي جعل منه قائداً حكيماً لشعبكم ، محبوباً من امتكم . فهو لذلك جدير بتقدير اصدقاء لبنان ، خليق باحترام المسؤولين في الامم الحرة . »

في ذلك الوقت عينه (٦ من تموز) ، كانت لجنـــة تأبين المرحوم رياض الصلح تُعدّ حفلة تذكارية للفقيد الكريم بمناسبة مرور سنة على مصرعه في عمان ، ووضعت اللجنة في رأس برنامجها صبغ الحفلة بالطابع الشعبي لتحاشي وضعها تحت رعاية رئيس الجمهورية ، على ان يدعى الرئيس الى حضورها . وقابلني البعض من تلك اللجنة ، يتقدمهم سامي الصلح ، ودعوني الى حضور الحفلة فانتدبته ، هو سامي الصلح ، لينوب عني فيها ، فكان للجنة ما ارادت ، واعتاضت عني بمن قدّر رياضاً اكثر مني ! ! ! واقيمت الحفلة ومشت كلمة السر ان لا يؤتى على ذكري فيها . فتصدر وجلس على مقربة من الصدارة من ذاق رياض من حسدهم وشرهم الواناً، وغاب رفيق الجهاد والملمات واخو النجدات في اليوم العصيب !

وكانت تعزيتي ان كل ما قيل في الغائب الحاضر لم يصل الى بعض ما قلته في تأبيني اياه، وزاد في تعزيتي ايضاً ان جميع الباكين والمتباكين لم يشعروا بالخسارة كما شعرت بها وقد بالغ اكثر المتكلمين ، وسفّوا في الغمز واللمز غير محترمين جلال الذكرى ولا حرمة المقام ، وتطايرت كلماتهم شقشقة ثم هباء منثوراً .

مؤتمر الصحافيين :

عقد الصحافيون مؤتمراً في ٨ من تموز وكان ظاهره الدفاع عن الحرية التي لم يسء اليها الا اصحاب الهوس من الكتاب ، وقصد المعارضون من عقد المؤتمر التأثير في الصحفيين الحياديين لزجهم في صف المعارضة ، او لإبعادهم ، على الاقل ، عن سياسة الحياد . وقد قرر المؤتمرون تدابير تتعلق بحرية المهنة واستغل المعارضون نزاهة الحياديين واستقلالهم فموهوا الحقائق . والواقع ان النزاع القائم بينهم وبين السلطة ليس نزاعاً على الحريات وعلى احترامها ، بل هناك حملة قدح وذم تجاوزت كل حد ويريد اصحابها ان تظل دون ملاحقة قانونية ! وتلك قسمة ضئزى . واذا كان من لوم فهو على الحاكمين لانهم « جهلاً علينا وجُبناً من عدوهم » تركوا الحبل على الغارب فبلغت الحرية حد الاباحة والتحدي وتمادى الناقدون حتى سعوا الى اسقاط هيبة الحكم ، وتعرضوا غير مرة لمقام الرئاسة دون ان ينالوا جزاءً على عملهم الا احكاماً خفيفة ، صرف النظر عن تنفيذ اكثرها !

انقلاب عسكري في القاهرة

فوضى الحكم في مصر :

منذ اوائل شهر تموز وانباء مصر لا تحمل سوى القلق وعدم الاستقرار، فبعد ان خلف نجيب الهلالي في رئاسة الوزارة علي ماهر استقال الهلالي وخلفه حسين سري . ولم يمكث هذا في الحكم اكثر من عشرين يوماً واستقال وعاد نجيب الهلالي الى الحكم ثانية ، ولم يكد يتسلم منصبه حتى حدث [1] انقلاب عسكري بقيادة اللواء محمد نجيب واضطرت الوزارة الى الانسحاب وخلفتها وزارة من المستقلين برئاسة علي ماهر . واذعن الملك الى مطالب الجيش وثبّت الوظيفة التي اتخذها محمد نجيب لنفسه وهي « قيادة القوات المسلحة » . واعتقلت السلطة العسكرية كثيرين ممن لا ترتاح الى نشاطهم وسياستهم . ولم يمر على الانقلاب ثلاثة ايام حتى ارغم الملك على التنزل عن العرش لابنه الامير احمد فوآد البالغ من العمر ١٧ شهراً فنودي به ملكاً ، واقيمت عليه وصاية .

وغادر الملك مصر الى ايطالية على اليخت « محروسة » .

وتمت هذه الثورة ولم تهرق نقطة دم . والحمد لله !

(١) — يوم الاربعاء في ٢٣ من تموز .

يقول مثل عامي لبناني : « اذا وقعت مادنة بمصر ، خَافْ مـــن طراطيشها » . فراح بعضهم يقابلون بين حالة مصر وحالة لبنان على بعد الشقة بينهما ، فوجب السهر والحذر لان المقصود من تلك المقارنة استخدامها واحدة من مئات الوسائل التي كان يستغلها المشاغبون لاثارة حرب اعصاب ، ولتشويه سمعة لبنان .

واني لاول من يعلم بوجود الخلل في الحكم واجهزته ، وذلك سببه ظروف مختلفة تتطلب مداواتها الكثير من الصبر والحكمة والوقت . وقد سعيت ، واسعى ، الى تدارك الخلل على الرغم من فقدان بعض عناصر التفهم والتجرد عند كثيرين من المسؤولين ، ومن المعارضين ، ومن الموالين .

ان حالة الشرق الادنى في قلق . وعلينا ان نترقب تطور الوضع المصري لان الانقلاب الذي أدّى الى ترك الملك العرش لم يعطِ حتى الآن جميع نتائجه في الداخل ولا في الخارج . ولمصر دور وشأن هامان في سياسة العرب وقضايا الشرق .

نظرة الولايات المتحدة الى الانقلاب :

تلقينا من وزيرنا المفوض في واشنطن برقية عن اثر الانقلاب المصري في تلك العاصمة ، هذا نصها :

« صورة تمهيدية موضوعية لتقدير ازمة مصر هنا واثرها في الشرق الادنى :

١ ـ طالما الازمة داخلية والامن قائم فلن يحصل تدخل من الخارج . اما اذا سادت الفوضى فكل شيء ممكن .

٢ ـ هول ويهول بعض الخائبين في مصر بقصد دفع الغرب الى التدخل كي لا يفرقوا ، لكني لا اظن الغرب ، في الوضع الدقيق الحاضر ، سيؤخذ بدسائس انانية .

٣ ـ يرجح ان ماهر ونجيب كانا متفقين مسبقاً ، ولكن لا يظن ان ماهر يدوم طويلا في الحكم .

٤ ـ من اللحظة الاولى للانقلاب خشي على الملك فلم يباغت خلعه احدا .

٥ ـ كانت الصحافة هنا تهاجم فاروق دائماً ، ولم تكن بطانته محبوبة .

٦ ـ يعتقد الجميع ان فاروق اضاع فرصة تاريخية فريدة لقيادة شعبه والشرق الادنى ، وتلام حاشيته لذلك بقدر ما تلام اخلاقه . ولذلك ليس هنا من بأس (اسف) عليه .

٧ ـ يخشى ان يكون الانقلاب حلقة اولى لسلسلة انقلابات في مصر لا يعرف آخرها الآن .

٨ ـ اذا ادى الانقلاب حالاً الى استقرار والى اصلاح وتطهير حقيقيين اعتبر للخير ، ولاول وهلة ظن انه كذلك . ولكن يخشى ان يكون نجيب اداة ظاهرة لقوى مستترة ، وفي هذه المناسبة يذكر الاخوان المسلمون والشيوعيون .

٩ ـ الاعتقاد هنا ان النظام الملكي ضروري البقاء لمصر ، بصرف النظر عن شخص الملك .

١٠ ـ اذا رغب الجيش واستطاع ان يتعاون مع الغرب فاؤكد ان مجال تقويته مفتوح بالرغم مما قلته في النقطة الثامنة . فهمت انه توجد دلائل تشير الى احتمال وقوع ذلك .

١١ ـ المسؤولون هنا قلقون من رد فعل تيار الانقلابات في ايران ومصر على بقية بلاد الشرق الادنى .

١٢ – يثنى على لبنان لسيادة الاستقرار فيه ، وعلى فضل فخامة الرئيس بذلك . ومع ذلك يعتقد بضرورة القيام بكل ما يمكن لتثبيت هذا الاستقرار على اسس قويمة ، واستدراك تذمر مختلف طبقات الشعب .

١٣ ـ يلاحظ مع الانقلاب السوري تطور في موقف الغربيين تجاه الانقلابات غير السورية بالشرق الادنى بحيث يعطف عليها اذا ادت الى استقرار وتقدمية وصلاح وتعاون .

١٤ ـ الاميركيون في حيرة فيما يجب عمله الآن في مصر ، ويتقبلون النصح ، ويراقبون تطورات الحوادث باهتمام وجدية بالغين .

عدد ٥٠٩ ، في ٢٦ من تموز ١٩٥٢ ، الامضاء : شارل مالك » اه.

برنامج للاصلاح

ثناء في واشنطن وتشجيع هنا على الهدم :

نشطت المعارضة على انواعها بعد حوادث مصر : معارضة من النواب ضد سامي الصلح ، ومعارضة من داخل المجلس وخارجه لاحراج مركز الرئاسة واستثمار الموقف للنيل منها .

واخذ المعارضون على اختلاف نزعاتهم يتصلون بالسفارتين الاميركية والبريطانية لبثّها « شكواهم من الاوضاع ... » فلم يُقفل الباب دونهم ، بل رُحب بهم وقبل موظفو السفارتين دعواتهم وزياراتهم ، واتصلوا بهم ليلاً ونهاراً ، وعيّنوا لهم المواعيد داخل السفارات وخارجها ، وصاروا يشاركونهم التذمر ، حتى ان احد السفيرين اتصل بنسيب لنا له مقامه الاجتماعي وباحثه في شؤون الساعة لعله يتمكن من ان يقول لمحدثيه الآخرين : شهد على العهد شاهد من اهله !

وتضاءلت اتصالات الدولة بالسفارتين لانها لم تسفر الا عن ان هنالك من يموّه الحقائق وبعضهم ينكرها ، وينكر اشتراكه في تقوية المعارضة

وفي تشجيعها على الهدم ، وهو ثابت بمئة دليل ، وواضح كالشمس في رائعة النهار !

وكذلك ثبت اتصال حكومة اديب الشيشكلي ببعض الاوساط التجارية التي تؤثّر في اقفال المخازن عندما تدق الساعة .

والاعجب من ذلك كله ان رئيس المجلس النيابي ذهب الى دمشق لزيارة الاماكن المقدسة وعاد منها وصرح انه لن يقدم على ترشيح نفسه في دورة تشرين المقبلة ... وقد صرح بذلك دون ان يخسر كلمة باعلامي عن عزمه هذا قبل تصريحه ، وهو العارف بما تحمّلت في سبيل ايصاله الى منصبه الرفيـع في رئاسة المجلس على اثر الانتخابات العامة في حزيران ١٩٥١ .

وبفعل ساحر ، وارتباط خيوط مستترة ، مدّت الهيئة الوطنية الاسلامية يد الحب والهيام الى حزب الاتحاد اللبناني المسيحي ، وأخذت المؤسستان تطالبان بالاصلاح وتحددان المهل لتنفيذه !

وكانت ثالثة الاثافي ان النائب هنري فرعون قاد حملة ضد سامي الصلح في المجلس النيابي فخاف هذا على كرسيه وامانيه ، وخاف من ان تضطر الرئاسة الى مراعاة خصومه من النواب فتخفف من مساندتها اياه ، فراح يبيّت امره والمعارضين، على اختلاف نزعاتهم والوانهم ومراميهم ، متناسياً مـا تكايله هو وهم في الماضي القريب من « غزل » مضحك مُبكٍ ... بل نسي سامي الصلح انه كان الاطوع من البنان يوم كان يعتمد على الرئاسة لتدعيم مركزه والمحافظة على مصالحه ، فوثب الى الضفة الاخرى ، وفي نفسه آمال جديدة .

واكبر دليل على تواطؤ سامي الصلح مع المعارضين انه اجتمع باعضاء الهيئة الوطنية وحزب الاتحاد اللبناني ، وبدلاً من ان يثنيهم عن تقديم

« المذكرة الانذارية » شجّعهم عليها ... وبعد تقديمها طلب إليّ ان استقبل وفدهم الذي حملها إليّ فاستقبلتهم ، وحضر الحديث وقد انحصر طلبهم بان تستقيل الوزارة القائمة وتخلفها وزارة اخرى بالاتفاق معهم على ان يرئسها سامي بعينه ! وكان من الطبيعي ان اردّ هـذا الطلب المستكبر وان لا اقبل التنزل عن صلاحيات الرئاسة لأي كان من الناس .

وكان سامي الصلح يحضر مجلس الوزراء في عاليه ويخرج منه بعد انتهاء ابحاثه ليوافي النواب المعارضين وسواهم في دار نقولا بسترس، حيث كانوا يضعون خطط الهجوم على الرئاسة . وقد شاهد مراراً رجال الامن ، وسواهم كثيرون ، سامي الصلح رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية اللبنانية يتسلق جدار الحديقة ليصل الى المعارضين خشية أعين الرقباء ! وفي احد الاجتماعات (١) وافقهم رئيس الوزارة على الترخيص لهم باقامة مهرجان في دير القمر . وما ان تقدموا بطلبه حتى اجازه لهم ، وذهب الى بيت الدين يوم الاجتماع ليقف بنفسه على الترتيبات والتسهيلات اللازمة لنجاح المهرجان .

انعقد الاجتماع في السابع عشر من آب وحشدت له المعارضة، ومن كان يشجّع المعارضة ويغذّيها، جميع العمال والانصار وذوي الاختصاص في الشغب ، وحضره تطلعاً وحشريةً مئات من المواطنين من اصحاب النية الصافية ، فكان اجتماعاً حافلا ، القيت فيه الخطب العنيفة اللهجة ضد الرئاسة ، ووجّه الخطباء الانتقادات اليها دون سواها ، وفي تعبير اكثرهم قساوة غير مألوفة . ولما انتهى الاجتماع وعرف الوزراء بما قيـل فيه هاجوا غضباً وعقدوا اجتماعاً مع رئيس الوزارة لبحث ملاحقة الخطباء ، وشعر سامي الصلح بخطورة الموقف فساير زملاءه حتى اعلن انه مستعد لطلب رفع الحصانة عن النواب المتجاوزين وإحالتهم الى المحاكمة واحالة الخطباء الآخرين الى القضاء ايضاً . وتمّ الاتفاق على ذلك .

(١) — في ٩ من آب .

وحمل إليّ الوزراء، وفي مقدمتهم رئيسهم، هذا القرار وشفعوه بملخص اقوال الخطباء ، فقرأتها وغالبت صبري متألماً وغلب العقل العاطفة فقلت للوزراء : « لا ... لن اجاريكم في مقرراتكم !.. ان كان خطباء المهرجان من ذوي النيات الحسنة فاعلان برنامج اصلاحي من قِبـل الرئاسة والحكومة يفي بالمرام . واذا كانت النيات سيئة فالملاحقات القانونية لا تجدي فتيلاً . »

وقررت بالاتفاق مع رئيس الوزارة دعوة مجلس الوزراء الى اجتماع طارىء في ١٩ من آب لدرس الخطة الاصلاحية واذاعتها . وكنت قبل ان يعقد اجتماع دير القمر قد درست المطالب المهمة في الاصلاح وخصصت يومين اضافيين لاشباعها تمحيصاً .

وفي تلك الفترة قابلني اللواء فوآد شهاب وكنت قـد وافقته على الاتصال بالمعارضة لمعرفة مطلبها الاساسي الذي لم تبح به في اجتماعاتها ، فنقل إليّ ان المعارضة تريد الحكم وتريد ايصال اكبر عدد من اعضائها الى الوزارة ، وان تصير ذات اكثرية ساحقة في التشكيل الجديد ...

ومن الطبيعي ان ارفض هذا المطلب اللاديموقراطي من افراد يشكون من الطغيان ! !

وفي تلك الفترة ايضاً طلب عبدالله اليافي رئيس الوزارة السابق مقابلتي وقدّم لي مذكرة خطية يشكو فيها من تشابك الصلاحيات بين الرئاسة الاولى ورئاسة الوزارة ، ويطلب اليّ تقديم مشروع بتعديـل الدستور للحد من السلطات الاساسية التي يتمتع بها رئيس الجمهورية ! فتسلمت المذكرة منه وقلت له بمزيد من المؤانسة انه سبق له وصار رئيساً للوزارة فلمَ لم يتقدم بمثل هذا المشروع وهو في الحكم ، ولماذا انتظر هذا الوقت الحرج للبوح به ؟ ثم قلت للزائر : اني لم اكن يوماً على استعداد للتنزل عن السلطة التي خوّلنيها الدستور اللبناني .

وعـدت الى درس البرنامج الاصلاحي ، واتخذت كعادتي الطريق

الدستوري الى مداواة الحالة ، فطلبت من رئيس الحكومة إعداد مرسوم بفتح دورة استثنائية يحدد برنامج اعمالها بجميع مشاريع القوانين الموجودة في المجلس .

وفتحت الدورة بمرسوم تاريخه ٢١ من آب على ان تبدأ في ٢٨ من آب.

وكان بمقدوري ان لا اعلن البرنامج الاصلاحي قبل اجتماع المجلس ، اي ان انتظر نتيجة اللعبة البرلمانية ، فاذا سقطت حكومة سامي الصلح دفعت بالبرنامج الاصلاحي الى الحكومة الجديدة التي تخلفها فتضعه في بيانها الوزاري ويكون قوة لها ، ولكنني آثرت ان اعطي سامي الصلح حظه في تبني مشاريع الاصلاح ليتقدم بها الى المجلس ، لعلها تساعده بعض المساعدة حتى يخرج سالماً من الجلسة وهي المعدة لان يلقي فيها بياناً تفصيلياً عن اعمال حكومته في الماضي وعن نياتها في الاصلاح المنشود .

وفي ١٩ من آب اجتمع مجلس الوزراء وأقرّ برنامج الاصلاح ، وهو شامل معظم المطالب التي وردت في الآونة الاخيرة التي نشطت فيها المعارضة نشاطاً ملموساً . وهذه هي بنود الاصلاح في البرنامج :

في ادارة الدولة :

١ – تعديل قانون الانتخابات البلدية ثم اجراء هذه الانتخابات في موعدها بدون تأخير .

٢ – تعديل قانون الانتخابات النيابية على اساس الدائرة المصغرة في المناطق التي لم يجر تقسيمها بعد .

٣ – وضع الموازنة العادية للعام المقبل والموازنات الخاصة الملحقة بها على اسس سليمة ووفقاً لحاجات البلاد الحقيقية .

٤ – توسيع صلاحيات ديوان المحاسبة لجعله اكثر فاعلية ، وإقرار نظام المراقبة المالية الدائمة .

٥ – إصدار قانون الموظفين والملاكات على ان يتبع ذلك ، اولاً : الاستغناء عن الموظفين غير الاكفاء او الفائضين عن الحاجة . ثانياً : إحصاء الموظفين الموقتين والعمال وحصرهم بالعدد الضروري .

٦ – اعادة تنظيم مجلس القضاء الاعلى لتأمين مراقبة فعلية على حسن سير القضاء واقرار التفتيش القضائي الدائم .

٧ – تنظيم التفتيش الاداري وربطه بتشريع يؤمن رقابة فعلية وآلية على الادارة ، وتنظيم مجالس التأديب .

٨ – اعادة النظر في التنظيم الاداري بغية تحقيق اللامركزية .

٩ – تنظيم ملاكات البلديات ، ولا سيا الكبرى منها .

١٠ – تنظيم النشر والصحافة .

١١ – تنظيم الاحزاب السياسية .

١٢ – تصفية حسابات الخزينة والاعاشة وضبطها .

١٣ – تنظيم المواصلات ، وإصلاح السير ونظام الرسوم على السيارات والمحروقات .

١٤ – تنظيم ملاكات قوى الامن الداخلي .

في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية :

١ – انشاء مجلس الانماء الاقتصادي وتخويله الشخصية المعنوية والاستقلال المالي ، وتكليفه وضع تصميم عام لتوجيه الاقتصاد اللبناني .

٢ – وضع مشروع انشائي للمياه والكهرباء .

٣ – تحقيق مشروع الضمان الصحي باعتباره جزءاً من الضمان الاجتماعي.

٤ – بناء مخازن القمح ووضع قانون لزيادة انتاج القمح وتوزيعه .

٥ – بيع اراضي الدولة وتوزيع الاراضي الاميرية على الفلاحين .

لا شك بان معظم المطلعين على جوهر الامور والحسني النية سيرون في هذا البرنامج خطوة اولى صالحة للعمل ، ولكن هنالك افراداً تحركهم اهواء ظاهرة ، ومرامٍ مستورة ، ابوا ان يروا فيه اي عزم صادق للاصلاح ، وقد ماشت الصحف المسمومة اولئك المعارضين في سوء نيتهم فزعمت ان البرنامج انما هو تخدير للرأي العام .

ان نشاط المعارضة في ازدياد وكذلك تواكل الموالين ... وصفوة القول الذي اكرّره هنا : انك حين تداوي جرحاً فيسيل جرح آخر ، وحين تسدّ ثغرةً فتفتح اخرى ، تأكّد ان هناك يداً اجنبية، او اكثر من يد ، تحرّك الناس عليك من وراء الستار ، او بدون ستار .

استقالة ثلاثة وزراء :

لعبت ايدي المتدخلين في الوزارة وقدّم السيد احمد الحسيني استقالته بعد فتح الدورة ، وعلّلها باسباب صحية . والمعروف عن السيد انه من اكثر الوزراء انضباطاً وانه في رأس الموالين ، فالعجب كل العجب في ما اقدم عليه ، ورب « مخلص » جاءه ينصح له بان يسهم في زعزعة الوضع ... وما كاد السيد احمد يعلن كتاب استقالته موقعاً عليه منه حتى صدر في الصحف كتاب استقالة آخر محرف كل التحريف وفيه تعريض بمقام الرئاسة . ولم يكذبه السيد .

ولم اقبل الاستقالة .

واستاء مجيد ارسلان استياءً شديداً من تصرف سامي الصلح الاخير وشاركه الاستياء الوزير حسين العبدالله فاستقالا ليعجلا في استقالة رئيس الوزارة .

ولم اقبل الاستقالتين .

جلسة ٩ من ايلول :

تعينت الجلسة الاولى للدورة النيابية الاستثنائية في ٩ من ايلول ، وفي تلك الفترة قـُدّمت الاستقالات التي اشرت اليها ، ونشط المعارضون للشغب وإحداث اضراب عام قبل اجتماع المجلس ، ولكنهم فشلوا في مسعاهم . وعادوا الى المطالبة باقالة الحكومة ، وتأليف وزارة جديدة تكون لهم الاكثرية فيها ، وكان طلبهم هـذا غير منطبق على العرف الدستوري ، فأعرض عنه .

وزاد في الطين بِلّةً موقف سامي الصلح نفسه من المعارضة ، وإسهامه اسهاماً فعلياً في البلبلة ، فانقطع عني مدة من الزمن ووقّع على مرسوم بقبول استقالة الوزراء الثلاثة الذين ذكرتهم ، واقترح تعيين فضل الله تلحوق بدلاً من مجيد ارسلان ، وعلي البزّي بدلاً من حسين العبدالله ، وعبدالله الحاج بدلاً من احمد الحسيني !

ولم يعرف احد مدى الرصانة والتعقّل في هذا الاقتراح ! ولكن سامي الصلح اوعز الى رئيس ديوانه بان يطلب توقيعي على المرسوم المذكور فضحكت ، وشر البليّة ما يُضحك ، ورفضت طلبه .

وبدأ سامي الصلح يتململ من تعيين الجلسة النيابية ، وصار يستعمل مختلف طرق التهويل، وهو اعلم الناس بأنها لا تؤثّر في الرئيس، وأطلق العنان للتصريحات المريبة في الصحف وفي الاندية ، وراح يهدد بالشغب !

ومن غريب اطواره انه جاء بعد عمله هذا الى مجلس الوزراء الذي سبق جلسة النواب في التاسع من ايلول . وبدا امامي وامام زملائه الوزراء لين الملامس ، وديعاً هيناً ، كأن سعاياته ومقالبه « غير واردة » ... وكان قد التمس قبل ذلك من زميله الوزير اميل لحود ان يُعدّ له بياناً باسم الوزارة لالقائه في الجلسة المرتقبة ، فأعدّ اميل البيان وتلاه في جلسة

الوزراء ووافق الجميع عليه وفي مقدمتهم سامي الصلح . واتّفق على ان لا تطرح الحكومة الثقة في تلك الجلسة . وأكّد سامي الصلح امامي وامام الوزراء ان ليس لديه بيان آخر يُلقيه ، وان لا صحّة لما زعمته صحف المعارضين عن انه سيُلقي بياناً ضد العهد .

وعلى الرغم من ذلك التأكيد فان الوزراء — او اكثرهم الساحق — لم يصدقوه ، وقد فقدوا كل امل به ، واصبحوا حذرين منه بعد تصرفاته الاخيرة، ولا سيما بعدَ ان ماشى المعارضة علناً وعدّ نفسه كأنه ممثّلها في الحكم !

فاجتمع اكثر الوزراء وتحسّبوا مختلف الاحتمالات والطوارىء التي تنتظر من سامي الصلح في مثل هذه الحالة ، فوضعوا كتاب استقالة ووقّعوا عليه وسلّموه زميلهم فيليب تقلا احتياطاً لكل ما يجيء به الغد المبهم .

وفي موعد الجلسة وصل رئيس الوزارة والوزراء غير المستقيلين الى قاعة الجلسات ، وافتتح الرئيس احمد الاسعد العمل بتلاوة مرسوم الدورة الاستثنائية وبعض العرائض والاوراق الواردة على مكتب المجلس . ثم اجاز الكلمة للحكومة فتلا الوزير اميل لحود البيان الذي أقرّه مجلس للوزراء بالاجماع ، وفيه البرنامج الاصلاحي الآنف الذكر ، وختم الوزير كلامه بطلب حق التشريع للحكومة لمدة معينة ، وأعلن ان الوزارة تترك تقدير الامر وتقريره للمجلس ، دون ان تطرح الثقة .

وكان المفروض ان تجري المناقشة على اساس البيان ، ولكن سامي الصلح نكث وعده وتأكيده لمجلس الوزراء ان ليس عنده بيان آخر يتلوه فطلب الكلام ، وتناول من جيبه بياناً خطياً أعدّه له المعارضون، وأخذ يتعثّر ويتلعثم في قراءته ، وهو بيان حشاه واضعوه بكل نوع من انواع الافتراء على مقام الرئاسة ، بعد ان امدّت هذه الرئاسة سامي

الصلح بالقوة وبالتأييد فسلك طوع بنانها يوم وجد الحكم ممهّداً امامه وسهلاً لديه ، وانقلب عليها لما تعسّر الحكم بسوء تصرفه فأخذ يخبط فيه خبط عشواء .

وامام هذه المخالفة الدستورية لم يرفع رئيس المجلس الجلسة واكتفى بانه لفت المتكلم الى وجوب عدم التعرّض لمقام الرئاسة ، وأخذ الوزراء ينسحبون من مقاعد الحكومة الى مقاعد النواب .

وأنهى سامي الصلح كلمته بقوله : « ومن أجل ذلك لن اطرح الثقة لانني لا اريد الثقة منكم ، وانا ماضٍ لأقدّم استقالتي الى فخامة رئيس الجمهورية »(١) .

ونهض على الاثر هنري فرعون (وقد اصابته مما قرأه سامي الصلح سهام عديدة) وخاطبه قائـلاً : « الى اين ذاهب ؟ انتظر كي ارد على خطابك ... أنت نذل وجبان ان لم تستمع الى ردّي عليك ... »(٢) .

وانسحب سامي الصلح . ونهض على الاثر اميل لحود فتبرأ باسمه وباسم زملائه من خطاب رئيس الوزارة وقال انه لا ينطبق على الدستور، ولا على الواقع ، وهو محض افتراء .

ورفعت الجلسة . وكانت وقائعها تنقل إليّ وانا في عاليه .

لم يحضر رئيس الوزارة ليقدّم استقالته ، على ما اعلنه في المجلس ، بل مضى الى بيته ولحقه المعارضون ، وفيهم الذين أعدّوا له الخطاب ، واخذوا يُلحّون عليه بان يقوم باعمال شغب ، ولكنه فُتّ في يده اذ أصدرتُ فور انتهاء الجلسة مرسومين : احدهما ينصّ على قبول استقالة

(١) — محضر الجلسة : ص ٢٠٠٩
(٢) — المحضر عينه .

الوزراء جميعهم واعتبار سامي الصلح رئيس الوزراء مستقيلاً (١) ، والثاني يقضي بتأليف حكومة ثلاثية من كبار الموظفين لتصريف الاشغال الجارية ، قوامها ناظم العكاري رئيساً وباسيل طراد وموسى مبارك وزيرين ، وفقاً لاحكام البندين الـ ٥٣ والـ ٥٤ من الدستور .

وأعدّت قوى الامن جميع الاحتياطات لمنع الشغب وللمحافظة على السراية ، فكان للتدبير أثر عظيم في الناس ، ووصفه بعضهم ، وفيهم معارضون ، بانه « ضربة معلم » ، وارتاح له الرأي العام « الآدمي » .

وصدر بلاغ يبسط اسباب الاحتياطات التي اتخذت ، وان من شأنها تأمين سير الحكم ريثما يقوم الرئيس باستشارات واسعة لتأليف وزارة سياسية جديدة .

(١) — هذا تعبير ملطف للاقالة ، التي كانت الاولى من نوعها في عهد الاستقلال، وهي من حقوق الرئيس وقد نص عليها الدستور صراحة .

استقالتي

نحو وزارة سياسية كبيرة :

بدأت الازمة تنفرج جزئياً بعد تعيين وزارة الانتقال ، وأخذتُ بالاستشارات في صباح العاشر من ايلول ، واخترتُ صائب سلام لاسند اليه رئاسة الوزارة ، وهو السياسي السني الذي لم يتوّلها بعد .

وما ان درت الجبهة الاشتراكية الوطنية وعبدالله اليافي والحزب التقدمي الاشتراكي بنيتي هذه حتى ابلغني اكثر من رسول « ان اضراباً شاملاً سيعلن في بيروت اعتباراً من يوم الاثنين ١٥ من ايلول » ... وتحركت مع هذه الفئات الهيئة الوطنية برئاسة الدكتور محمد خالد وحزب الاتحاد اللبناني (الكتائب) برئاسة بيار الجميل .

وأجمع المعارضون على معاكسة رئاسة صائب سلام . ولكن اقتناعي كان بانه الرجل الذي تدعوه الظروف الى تسلّم الحكم .

ويوم الجمعة في ١٢ من ايلول كلفته بتأليف الوزارة وأطلقت يده باختيار زملائه الذين يثق بهم ويرى فيهم الخير والقدرة على العمل في هذه الظروف الدقيقة .

وأراد صائب سلام ان يأتي بوزارة « غير عادية » تلفت النظر ، وان يشرك فيها بعض النواب البارزين كفيليب تقلا واميل لحود وسواهما ، واختار شخصيتين من خارج المجلس هما الفرد نقاش وشارل مالك . وربط النقاش قبوله بقبول وزيرنا في واشنطن ، وتبودلت البرقيات بين صائب سلام وشارل مالك ففرض هـــذا على رئيس الوزارة المقبلة « شروط المسكوب » ، منها اسناد وزارة الخارجية اليه ، ومنها التعهد له باجراء اصلاح جذري ... واخذت هذه المراسلات البرقية والهاتفية مع واشنطن وقتاً طويلاً أخّر تأليف الوزارة بصورة غير معقولة في تلك الظروف الحرجة .

عواقب لم تكن بالحسبان :

وبلغنا يوم الاحد ١٤ من ايلول ولم يوفق صائب سلام الى تركيز وزارته . وكانت المعارضة قد دعت الى الاضراب في يومي ١٥ و١٦ من ايلول ، فرأيت خلافاً لرأي كثيرين من الوزراء القدامى ان اطلب من ناظم العكاري ان يستقيل من رئاسة الوزارة ففعل، وعيَّنت صائب سلام خلفاً له مع استبقاء الوزيرين الآخرين للدلالة على اننا اقمنا وزارة انتقال ثانية بدلاً من الاولى ، والفارق ان رئيسها نائب وسياسي .

وقد يكون في هذا الترتيب خطأ في تسليم دفة الحكم الى فرد لا شريك له فيه من سياسيين ونواب ذوي خبرة ، ومن شخصيات مستقلة تتدارس معه الامور ومبرراتها وعواقبها وتمدّه بالنصح . وقد وجد صائب سلام نفسه سيد الموقف من جهة ، ووحيداً في مجابهة الاحداث الجسام من جهة اخرى ، فكان تركيب وزارته الابتر والموقت ، موطناً للقوة وموضعاً للضعف ، وأدّى الى عواقب لم تكن بالحسبان .

اجتمع مجلس الوزراء يوم الاثنين صباحاً في ١٥ من ايلول وأصدر بلاغاً بان الوزارة على شكلها الحاضر موقتة ، وان الاسباب التي دعت

الى اتخاذ هذا التدبير هي المحافظة على الامن ، وان الحكومة تطلب من الاهلين الخلود الى السكينة وقت الاضراب .

ونُفذ الاضراب فعلاً، وأصبحنا والعاصمة مقفلة، وسيق اليه كثيرون من اصحاب المخازن والدكاكين، ومعظم الشركات والمصارف والمؤسسات ، من الذين لم يكن لهم هوى ولا غرض في الاضراب ، بل كان ينالهم الضرر منه ، ولكنهم أكرهوا على مسايرة المشاغبين خوفاً من تحطيم محلاتهم .

وقـــد سعت المعارضة لان تمتدّ هذه الحالة الشاذة فيشيع القلق والاضطراب ويتحرج الموقف .

اضاعة وقت ثمين :

وكان المطلوب من صائب سلام بادىء ذي بدء ، في هـــذه الفترة الانتقالية، المحافظة على الامن والسعي لوقف الاضراب ، وتأليف الوزارة السياسية بسرعة ، وبدلاً من ذلك كله أهمل صائب اكمال وزارته وراح يتصل بالمعارضين محافظة على « شعبيته » ، وصار يبرهن لي ان الاضراب لا يستهدفه شخصياً ، ثم اتخذ تدابير تخالف رأيي وطلب إليّ التوقيع على مراسيم تستهدف موظفي الرئاسة وكبار الموظفين المنتسبين اليها ، فلم ارفض التوقيع عليها دلالة مني على تجردي وحسن نيتي في نجاحه بالمهمة العسيرة التي دعوتـــه اليها ، وإلا فكان بوسعي وانا الرئيس الدستوري، والاكثرية الساحقة من نواب الامة في جانبي، ان ارفض طلبه . وثبت عندي ان رئيس الوزارة يرغب بكل قواه ان يفصل شخصه عن شخصي كأن له قضية خاصة مستقلة عن قضيتي . اما انا فسايرت على خطتي وبقيت متضامناً معه كما كنت منذ البدء : ذلك انه اتصل بي رسل من المعارضين غير مرة في يومَي الاضراب وطلبوا إليّ إبعاد صائب سلام عن الحكم فينتهي كل شيء ، وكان جوابي لهم : « قد عينته رئيساً للوزارة على الرغم من معارضتكم وسيظل رئيساً لها وفقاً للدستور ! »

اديب الشيشكلي يدعم المعارضين :

دام الاضراب يومي الاثنين والثلاثاء[1] ولم ينل المعارضون نتيجة حاسمة خلالها ، فاعلنت الجبهة الشعبية فكّه اعتباراً من يوم الاربعاء وخالفها العاملون باسم المؤتمر الوطني والهيئة الوطنية والكتلة الوطنية راغبين في المثابرة على الاضراب . وقد ثبت تدخل اديب الشيشكلي في بعض متاجر بيروت حيث بذل المال بدون حساب ، وذلك لزعزعة الوضع اللبناني ، مع ان علائقه بنا كانت حسنة جداً ...

وانفصل حزب الاتحاد اللبناني (الكتائب) عن تلك الهيئات في اللحظة الاخيرة وكان الضرر قد وقع فلم يبق لانفصاله تأثيره المعنوي ، ولو احجم هذا الحزب في بدء الحركة عن مماشاة ذوي المرامي الهدّامة لما سهل لهم ان يعملوا ما عملوه .

والحقيقة ان الاضراب قد فشل ليل ١٦ / ١٧ من ايلول فتفتّقت الحيلة لبعض اليائسين بان اشاعوا كذباً ، وإمعاناً في الهدم ، وخدمةً للمطامع اللالبنانية ، ان الحكومة خطفت يوسف دوغان نقيب بائعي الخضار ، فغضب بعض زملائه وتغاضب الآخرون ، وأعلنوا انهم لا يعودون عن اضرابهم ما لم يظهر رفيقهم الذي اخفاه اصحاب الاغراض لاحداث القلق وايقاظ الفتنة .

فاستمرّ الاضراب جزئياً يوم الاربعاء دون حوادث تعكّر الامن .

يد اجنبيّة في تطور جديد :

ولكن الموقف تطوّر تطوّراً سياسياً . واصبح الاضراب مسألة ثانوية طوال يوم الاربعاء وليل الخميس . وكان في هذا التطور اثر واضح للسياسة الاجنبية التي لعبت دوراً رئيسياً لا يسع بعض المفوضيات انكاره . وهذا هو تطور الحوادث :

---

(١) — في ١٥ و ١٦ من ايلول .

الساعة ١٠ : جاء صائب سلام الى مقر الرئاسة في عاليه وأكّد لي ان الاضراب سينتهي هذا اليوم ، وانه يؤلف وزارته على الفور بعد تلقيه جواب شارل مالك المنتظر هذا المساء .

الساعة ١١ : اتصل صائب سلام بالهيئة الوطنية لاقناعها بانهاء الاضراب فهوّلت عليه بان مصلحته الشخصية تقضي بان ينضم الى التيّار الغوغائي ، وكان بعض اصدقائه وزملائه يتمنون ان يعمل بهذا التوجيه لتزداد الحالة تأزّماً وتحرّجاً .

واخطأ رئيس الوزارة في تقديره الموقف ، وسلك مسلكاً يدل على انه ظن ان إحراج مركز رئيس الجمهورية قد يردُّ عن نفسه .

الساعة ١١ و ٣٠ : سعدي المنلا ورشيد كرامه ابلغا تلقائياً رئيس الوزارة ورئيس المجلس والصحف عدم استعدادهما للتعاون مع رئيس الجمهورية وقالا بوجوب انسحابه .

الساعة ١١ و ٤٥ : قدم اكثر نواب الجبهة الاشتراكية وبعض النواب المعارضين — وعدد الموقعين جميعاً تسعة — عريضة غير دستورية الى رئيس المجلس النيابي يطلبون اليه فيها إبلاغي وجوب الاعتزال . وبقيت العريضة طبعاً ، بدون تبليغ .

الساعة ١٢ : حضر النواب الموالون الى عاليه ووقعوا على عريضة باستنكار الاعمال غير الدستورية التي تقوم بها المعارضة واعلنوا تأييدهم الرئاسة . وقد ناهز عدد الموقعين على العريضة ستين نائباً . واخبرني بعضهم ان موقف صائب سلام يحيط به اللبس وانه صرّح انه سيطلب الى الرئيس ان يستقيل .

الساعة ١٣ : اتصلت بصائب سلام بشأن ماجريات الامور فلمست منه تردداً وتهرباً فافهمته ان ما يجول في فكره وفكر البعض الآخر ليس ذا موضوع لديّ .

من الساعة ١٣ الى ١٧ : توالت الاخبار عن تفاهم رئيس الوزارة مع المعارضين على ان يقود هو الحركة ضد الرئيس شخصياً .

الساعة ١٧ : وصل الى بيتنا في عاليه ميشال شيحا وهنري فرعون وأطلعاني على سوء استعداد صائب سلام تجاهي ، فقلت لهما ما كنتُ قد قلته للجميع ، بانني متمسك باحكام الدستور .

وصول صائب سلام والقائد العام الى عاليه :

الساعة ١٧ و ١٥ : وصل رئيس الوزارة الى عاليه يصحبه اللواء فوآد شهاب القائد العام للجيش ، والبيت يعج بالنواب ، فاستقبلتهما في القاعة الكبرى ثم تركت صائباً بين النواب الموالين وخلوت باللواء في قاعة مجاورة وعرضنا حالة الامن وتطوّر الموقف .

وشعرت عند القائد بعض التردد والارتباك ، ورأيته يتوقّع شغباً في الايام المقبلة بسبب العوامل التي تفعل فعلها ، ولكنه أعلن استعداده، في كل حال ، لتأمين الامن فيما اذا عجز الدرك .

وفي لحظة قصيرة جداً من الوقت تصوّر امامي « فيلم » دامٍ : يتدخل الدرك في حالة الشغب ، ثم يُغلب على امره لاسباب لا أجهلها ... ثم ينزل الجيش الى الشارع ليردّ الاعتداء فيسقط القتلى والجرحى ، ويتأزم الوضع السياسي ...

وفجأة ظهر لي الحل الذي اعتمدته ، فقلت للواء : « إني عالم تمام العلم ان صائب سلام آتٍ ليطلب إليّ التخلّي عن الرئاسة ، ولكني لن انزل عند طلبه ، وقد ينسحب دون ان ابلّغه اقالته من الوزارة . وعلى كل ، ورغبةً مني بالمحافظة على الدستور ، وبان لا تخلو الحكومة دقيقة واحدة من رئيس شرعي ، فقد صمّمتُ ان اقيل الآن صائباً من رئاسة الوزارة وان اعيّنك خلفاً له مع وزيرين هما ناظم عكاري وباسيل طراد .

وكتبتُ فوراً مرسومين بهذا المعنى ، وفقاً لصلاحياتي الدستورية ، ووقّعتُ عليهما ودفعتهما الى القائد العام . واتفقنا على ان يبقيهما في جيبه ولا يعلنهما حتى نرى تطوّر الحالة .

لم تدم تلك المقابلة الحاسمة اكثر من ربع ساعة . ورجع اللواء شهاب الى بيروت للاستقصاء، على ان يعود بعد الغروب فيطلعني على آخر الاحداث .

الساعة ١٧ و ٣٠ : دخلت القاعة الكبرى وكان رئيس الوزارة في جدل صارم مع النواب الموالين ، وهم اكثرية المجلس الساحقة ، فالتفتُّ اليه قائلاً : « اني اعلم ان في جيبك كتاباً تطلب فيه إليّ التخلّي عن الرئاسة ، فاعلم أني لست مستعداً للنزول عند طلبك . وليس بمقدورك ان تنفّذه ، ولذلك لا تتعب نفسك بتقديم هذا الكتاب بل أبقهِ في جيبك . ثم عليك ، وقد ضاقت امامك سبل الحكم بعد ساعات من تولّيه ، في حين انك رجل قوي ، ان تقدّم لي استقالتك تاركاً المسؤولية لسواك ، وانا اتدبَّر الامر .

فأجاب صائب بكل لباقة : ان استقالتي لا تأتي بالنتيجة المتوخاة ، وانا اطلب الى فخامة الرئيس ان يزيد على تضحياته الجلّى في سبيل لبنان تضحية جديدة . وهذا ما يحتويه كتابي الى فخامتك.

فقلت له : لن ارجع عن رأيي . انت الآن مجتمع بالاكثرية النيابية فابحث معها الحالة . وها اني صاعد الى مكتبي في الطابق العلوي انتظر استقالتك لاؤلف حكومة اخرى .

استقالة صائب سلام :

وتوالى حديثي هادئاً ولكنه لم يخلُ من بعض الالم .

وصعدت الى مكتبي وتركت رئيس الوزارة مع النواب الموالين، والساعة قد بلغت الثامنة تقريباً .

وصرت أبلـّغ ، وانا في مكتبي ، الاحاديث الجارية بين رئيس الوزارة ورئيس مجلس النواب والنواب . وقد حمل هؤلاء على صائب سلام حملة لا تعرف هوادة ، وهم الاكثرية الساحقة في المجلس كما قلت ، فوهن رئيس الوزارة امام تيارها الجارف ، ووافاني في الساعة ٢١ (التاسعة تماماً) الى مكتبي وقدّم لي كتاباً باستقالته مع الشكر المعتاد في مثل هذا الظرف ، فقبلتها فوراً ، واذا جرس التلفون يرنّ وشارل مالك على الخط في واشنطن يعلن قبوله وزارة الخارجية ، فاجابه رئيس الوزارة المستقيل ، وهو واقف بجانب مقعدي : « ان المسألة لم تعد ذات موضوع فقد استقالت الوزارة الانتقالية ولن أؤلف وزارة سواها ... »

وانصرف صائب سلام من عندي ولم يقدّم سوى كتاب واحد هو الاستقالة . اما الكتاب الذي نشر في الصحف ، وقد أعدّه ليطلب اعتزالي فلم اتسلمه ، لانه لم يُقدَّم لي .

عودة اللواء فؤاد شهاب من بيروت :

في الساعة الـ ٢١ والدقيقة الـ ٣٠ عاد اللواء فؤاد شهاب وقال لي انه اتصل تلقائياً بالمعارضة للتخفيف من حدّتها ، وفهم من اعضائها انهم لا يرغبون في الاشتراك بالحكم . واضاف ان حالة الامن هادئة . واشار بان استدعي شخصية سنية اعهد اليها بتأليف الوزارة .

وكنت استطيع في تلك الساعة ، وبعد زيارة القائد العام الحامل في جيبه مرسومَي الوزارة الجديدة التي ألفتها في الساعة الخامسة ان ارجىء استشاراتي الى اليوم الثاني ، ولكنني اردت ان اضع حداً نهائياً وسريعاً للامور ، فإما ان تؤلف على الفور وزارة دستورية تتولى الاحكام واما ان اعلن تأليف الوزارة برئاسة اللواء شهاب مع النتائج التي تستتبعها حكماً .

اعتذار الحاج حسين العويني :

ورأيت من الانسب ان ادعو الحاج حسين العويني من مصيفه في عاليه لاعرض عليه الوزارة .

وصل العويني الى مقر الرئاسة في الساعة العاشرة وكان اللواء قد استأذنني ليجتمع في عاليه باركان حربه ويجس نبضهم في حالة وجوب نزول الجيش الى الشارع .

وخلوت بالحاج حسين وألفيتُ فيه وفاء لشخصي ولكنه تردد في قبول الحكم بهذا الظرف ولحظت من كلامه ان بعض وجهاء الطائفة السنية عزموا فيما بينهم على عدم التعاون معي وذلك لإحراج الموقف . وشعرت ايضاً بانه يخشى – وان لم يشترك شخصياً بهذا القرار – التجاوز عليه لئلا يتولى الحكم ضعيفاً .

وبالرغم من علمي التام – ومعلوماتي بهذا الموضوع صحيحة جداً – ان اكثر من مرشح سني لرئاسة الوزارة وقف ينتظر اشارة مني ليقدم عليها بكل جرأة ورضى، ألححت على حسين العويني بقبول تكليفي فاستمهلني ريثما يعود اللواء من الاجتماع باركان حربه .

وبلغت الساعة الواحدة صباحاً واذا القائد العام يعود من اجتماعه فأخلو به ، ويفضي إلي بانه واركان حربه يخشون من عواقب نزول الجيش الى الشارع .

وطلب اللواء ان يجتمع بحضوري مع حسين العويني فدخل علينا وكررت عرض الوزارة عليه ، وأراد الحاج حسين ان يعرف من اللواء مدى مساعدة الجيش لحكومته ، فقال له اللواء : ان المساندة تصل الى حد قمع التظاهرات فيما اذا عجز الدرك .

وأحرج الحاج اللواءَ بالاسئلة فتردّد القائد في الاجوبة وزاد تخوف الرئيس المكلف .

وادركت في تلك الدقيقة ان الحاج حسين العويني غير راغب بالوزارة وان القائد العام غير مستعد لاستعمال القوة إلا الى حدّ . فأعفيت صديقي الحاج من هذه المهمة الشاقة وودعته شاكراً إخلاصه .

واستبقيت اللواء فوآد شهاب لديّ في مكتب الرئاسة .

أخلو الى نفسي :

وتركت القائد قليلاً وخلوت الى نفسي ، والى الله ، والتجأتُ الى الصلاة . ثم قابلت قرينتي ورفيقة حياتي واخي فؤاداً اللذين كانا في انتظاري على أحرّ من الجمر في غرفة منامتي ، وأفضيتُ اليهما بما وطّدتُ عزمي عليه ، فشكرا الله على اقتراب ساعة الخلاص .

وكان قراري الجازم التخلي عن الحكم، وهدر ما بقي من مدة رئاستي الدستورية خشية تهريق الدماء ، وتزعزع اركان الحكم ، وتهديد كيان الجيش ، ومحافظةً على كرامة الرئاسة وعلى صلاحياتي الدستورية كاملة غير منقوصة الى آخر دقيقة .

ولو لم يكن ايماني بالله تعالى حياً لما أقدمتُ على هذه التضحية .

ولو لم يكن يقيني تاماً بانـني اسلم رئاسة الوزارة اولاً ، ورئاسة الجمهورية ثانياً، لرجل مؤهّل لها في هذه الظروف عينها لما استقلت .

ولم أُعطَ علم الغيب لارى ما كانوا يحيكون في الخفاء لخلافتي .

ولو لم أكن مرتاح الضمير ، واميناً من ان ينصفني الغد لتمسّكتُ بالسلطة وأحجمت عن الاستقالة امام الهوة التي سيفتحها تحت قدمي

التخلي عن الحكم ، و ن المقرّبين ، وتنكّر البعيدين، والعقوق الشامل، وتهجّم المعارضين ، وافتراءات الصحف ، وبث الدعـاوات المغرضة ، وتلفيق الاخبار التي تنشر في الداخل وترسل الى الخارج، وشماتة الناس . . .

خرجت من خلوتي القصيرة فعرفت ان النواب الموالين قـد بدأوا يأخذون عدّتهم للصباح ، وانهم ارسلوا بدعوة انصارهم الى عاليه ثم الى بيروت للتظاهر ضد المعارضين . فطلبت منهم ان يصرفوا النظر عن هذه المنافسات ، فهي تزيد في الانشقاق . وأفهمتهم ان الرئاسة الشرعية لا تستعين الا بقوى الدولة وحدها . وان لديّ من التدابير ما يوّفر على البلاد مثل هذه الهزّات ، فأذعنوا .

ونظرت بعين الثقة والايمان الى المستقبل واتكلت على الله ، واخذتُ على نفسي ان اضحّي بها فدية عن الشعب اللبناني . فرجعت الى مكتبي حيث كان ينتظرني اللواء شهاب واخو زوجتي ميشال شيحا ، وقـد بلغت الساعة الثانية بعد نصف الليل .

وطلبت من القائد العام ان يعيد إليّ المرسومين اللذين تسلّمهما مني في الساعة الخامسة بعد الظهر فحذفتُ في الاول كلمة « اقيل » وكتبت : « قبلت استقالة دولة الرئيس صائب سلام والوزارة التي يرئسها » امـا المرسوم الثاني فبقي على حاله (اي تعيين اللواء شهاب رئيساً للوزارة يعاونه الوزيران ناظم عكاري وباسيل طراد) .

ودعوت ناظم عكاري وأمليتُ عليه الاستقالة كما كنت أملي عليه القرارات المهمة التي تتخذ في مجلس الوزراء . ووقّعت على الكتاب بهدوء تام .

وأدخلتُ رئيس المجلس النيابي والنواب الى مكتبي ، وقـد كانوا ينتظرون نهاية هذا الليل الطويل في القاعة الكبرى من الطابق الاول ،

فتلا عليهم ناظم عكاري كتاب الاستقالة ودفعته الى رئيس المجلس، فامتقعت الوجوه وبدا الالم على الجميع ، وصافحت النواب فرداً فرداً ودموعهم تنذرف .

وبعد ان انسحب الحاضرون قرّبت اللواء فوآد شهاب مني وسلمته الدستور اللبناني وقلتُ له : « احتفظ به وحافظ عليه ... » .

ثم دفعت اليه كتاب « مجموعة خطب » وقلت : قد تحتاج الى مراجعتها .

والتفت اللواء شهاب رئيس الوزارة الجديدة إليّ وهو بالغ التأثر، ولم يبقَ في الغرفة سوى ميشال شيحا، وقال لي القائد : « قد تعتقد فخامتك انني لم اقم بواجبي كاملاً في مثل هذه الظروف ، لكنني فضّلت الصراحة وانا شديد الاسف لهذه النتيجة . ان الناس اجمعين يعرفون ، وانا اعرف، ان افضل رجل لتولي رئاسة الجمهورية كان ولم يزل الشيخ بشاره الخوري » .

وصافحتُ اللواء وانسحب .

وتوجهت نحو غرفة النوم حيث قرينتي لا تزال تنتظرني مع اولادي واخي فوآد وبعض الاقرباء والاصدقاء فقبّلتهم جميعاً ، وقلت لهم : اشكر الله انني سلمت الامانة كاملة غير منقوصة ، ولم تهرق نقطة دم ، ولم يمسّ الدستور ، ولم ينتقص من قدر الرئاسة .

وبعملي هذا جعلت الانقلاب ابيض، و « دسترته » وتمنيت للبنان العز والمجد وكانت وصيتي ان يحافظ اللبنانيون على قدسية ميثاقهم الوطني الذي لا حياة لهم بدونه .

ونمت ما بقي من ذلك الليل ملء جفوني .

اما كتاب الاستقالة فهذا نصه :

« حضرة رئيس المجلس النيابي الافخم .

لما كنت قد صممت على اعتزال منصب رئاسة الجمهورية ، ارجو منكم التفضل بأخذ العلم بذلك ، شاكراً لمجلسكم الكريم وللشعب اللبناني النبيل ما لقيته اثناء مدة ولايتي من ولاء ومحبة . ولي ملء الامل ان يوفق مجلسكم بانتخاب خلف لي يحافظ على كيان هذا الوطن اللبناني ، وعلى استقلاله وسيادته ، وعلى الميثاق الوطني الذي هو دعامة هذا الاستقلال ، لانه يؤمن الحب والوئام بين جميع الطوائف التي يتألف منها هذا الوطن العزيز .

وتفضلوا بقبول جزيل الاحترام

في ١٨ ايلول سنة ١٩٥٢

بشاره خليل الخوري »

لا بد لحجر الزاوية — مهما
كان بياضه ناصعاً — من ان يغشاه
بعض سواد ، من طول ما
مرت عليه الايدي : ايدي
الموالين والمعارضين في آن معاً

الخاتمة

تسع وكأنها امسِ الذي عبر، دخلت التاريخ اللبناني، وهو صاحب الحكم لها او عليها .

لكنّ لي كلمة اقولها في ختام هذه المرحلة من حياتي وحياة البلاد .

كان العهد عهدي، ولم اعتد ان اتنكّر لعملي او ان اتهرب منه . وكانت الرئاسة لي، في شَهدها الشحيح وعلقمها السخي . تقمصتها ولبست جلبابها بعد جهاد عنيف اذاقني الامرين، وما ان بلغتها — والانتداب لا يزال قائماً والجيش المعسكر جيشان — حتى خُلعتُ عنها خلعاً، وأُنزلتُ سجيناً في قلعة يزلق عن مشارفها العقاب .

وفي تلك المحنة كان الله لي ملاذاً، وكان ايماني بوطني حرزاً حريزاً ودرعاً واقياً، فلم يغرّني وعد ولم يُثنني وعيد، وحولي في السجن وخارجه رعيل شاركني مرارة الاعتقال ونشوة الانطلاق .

خرجنا من القلعة وقد بلغ لبنان بعض امانيه بتحرير دستوره من شوائب الانتداب . وبقيت اهداف لا تقل خطورة عما وصلنا اليه :

تركيز الميثاق الوطني على اسس ثابتة، وإعداد ميثاق الجامعة العربية، ودخول مصاف الامم المتحدة، وتسلّم الجيش وصلاحيات الحكم، وجلاء الجيوش الاجنبية عن اراضي لبنان، ناهيك باقامة دولة وتشييد وطن .

احمد الله ان اعانني في الشؤون الجوهرية لبلوغ تلك الاهداف :

في اتباع سياسة عربية صافية، لا ضعف فيها ولا وَهَن، ولا انحياز لجهة دون جهة، والمحافظة على الوضع الراهن في الدول العربية حتى لا ترجح كفة على كفة فيضطرب الميزان .

في سلوك خطة رشيدة تجاه الدول الاجنبية جميعها دون تمييز .

لم استحِ يوماً من صداقة الغرب ولكني لم «استزلم» يوماً واحداً للغربيين . وحين عُرض الدفاع المشترك عن الشرق على بساط البحث وقف لبنان الموقف السلبي الذي تفرضه عليه مصلحته العليا الدائمة . وكنت مع اركان الحكومة ومعظم كبار السياسيين اللبنانيين ضد كل حِلْف من شأنه ان يربط البلاد بعجلة اية دولة، ويفرض بالتالي على وطننا التزاماتٍ وموجبات لا تنفعنا، بل تجلب لنا خصومات دول اخرى .

اما في الداخل فكانت السياسة المتبعة صريحة جداً .

في مقدمة المبادىء : ترسيخ الميثاق الوطني للتفاهم والوفاق والوئام بين ابناء الوطن الواحد، وتجنيب البلاد جميع الهزّات الطائفية البغيضة .

انتهاج سياسة اقتصادية ومالية مبنية على ضمان النقد وحرية التعامل وقد دفعت ثروتنا دفعاً الى الامام، وأشاعت البحبوحة التي رتع بها لبنان ولا يزال . وموازنات متوازنة في الواردات والنفقات . وتحقيق مشاريع إنشائية عمرانية غاية في الاهمية والمنفعة دون اسراف او تقتير، ودون اللجوء الى قروض خارجية او داخلية .

تمثيل دبلوماسي، لبلد صغير، يليق باعرق البلدان رُقياً وثقافة، دون ان يتضخّم بلقب السفارات .

ولقد اخذتُ على نفسي احترامَ الناس على اختلاف نزعاتهم ومشاربهم ونحلهم ومللهم . والمحافظة على كرامة الاسر اللبنانية التي كان لها في تاريخ وطنها دور ملموس . يستتبع ذلك احلال الزعامات المقام اللائق بها في نظر اتباعها ومريديها .

ولا شك بأن بعضهم اساء فهم تلك المجاملات والمسايرات، فأخذ منها الغنم متهرباً من الغرم، وأسكره الدلال فابتعد عن الجد في العمل، او رأى في ذلك كله حقاً مكتسباً يجيز له التدخل في ما لا يعنيه فزاد في بلبلة الاجهزة التي لم تكن في اي عهد قريبة من الكمال .

ولو تحمل كلٌّ من المسؤولين قسطه من المسؤولية وأنصف نفسه وسواه، ووقف عند حده، لاستقام الحال الى مدى بعيد .

بعد تسع سنوات بلغ فيها لبنان اوج عزّه وجدتُ نفسي امام هذا الوضع :

معارضة ضارية ظالمة، « لا تعرف التحليلا والتحريما »، يشجعها الاجنبي . وموالاة متواكلة نائمة على الثقة، وفي كثير من افرادها نهم ومطامع واحقاد .

وعصفت العاصفة، وتفاقم الانتقاد، واستُصنعت النقمة، فأخذ كل واحد يتملـّص بشتى الوسائل من التبعة التي عليه، ولم يبق في الميدان الا رئيس البلاد وهو مغلول اليد، بحكم مقامه، عن المماحكات والمشاحنات والمهاترات والمساجلات الصحفية، وكلٌّ ستر وجهه امام الحملات الطائشة، وأخذ من رئاسة الجمهورية متراساً ليستمر في نعمته فلا تصيبه شظية من شظايا النقمة !

ورضيتُ ان أُسأل عن كل شيء، وقبلتُ ان يُضحّى رجل عن رجال،

وان ُيكفـّر فرد عن جماعة، فيغيب عن الميدان لتظل الاوضاع سليمة ، والدستور مصوناً ، والجيش متراصاً ، ولا يراق دم !

لم اقل « اضاعوني » ، بل قلت : اياكم ان تضيعوا الميثاق، فلا حياة لنا بدونه .

انحجبتُ عن مسرح السياسة ونفسي راضية ، وقلبي مطمئن ، ونظرت الى الماضي فرأيت ان الله كان معي ومع عهدي ، وان النجاح قد حالفني في ميادين شتى .

وللنجاح مؤهلات عديدة يستلزم ، عدا ما ُينعت بالحظ، استعدادَين : احدهما قريباً بعمل دائم ، والآخر بعيداً ، باعداد النفس لتقبل الصدمات ولتحمل المسؤولية في كل حين . وبالرغم من ذلك كله فالنجاح لا يزال سراً من اسرار الحياة ، فكم من رجل كاد يلمسه بيده فارتدّ عنه وهو خائب ، وكم من رجل بَعُدَ عنه فجاءه على حين غرّة .

اتضح لي من اختباري الطويل في شؤون السياسة والحياة أن ما من شيء يقوم لتأمين اسباب النجاح مقام العمل المتواصل، والجهد الدائم، والدرس العميق الذي يتعدّى القشور الى اللباب وينفذ الى صميم المشاكل ... وأما الباقي فعلى الله موزّع الحظوظ ، وبيده النصر يؤتيه من يشاء .

اقول غير متبجّح ولا معتزّ : ان ما جعل للرئاسة الاولى في عهدي مقامها السامي ، وما اعطى رأيي في مجلس الوزراء وفي المحافل الوطنية والاجنبية قيمة التوجيه والترجيح ، هو سهري دون ملل على جميع الشؤون كبيرها وصغيرها ، ودرس القضايا درساً دقيقاً قبل عرضها على البحث ، واطـّلاعي على مشاريع القوانين والاتفاقات السياسية والمالية والاقتصادية اطـّلاعاً عميقاً قبل ان تقترن بالتصديق او بالتوقيع عليها . ولم آنف يوماً من الاستعانة بذوي الخبرة والاختصاص، والاستنارة بمعرفتهم

وفنهم ، والاخذ برأيهم حين اتبيّن فيه الصواب ، وإنِ ابتعدَ عن رأيي أو خالفه .

لم يعرف العناد لتفكيري سبيلاً . فالثبات العاقل شيء والتصلب المغرور شيء آخر .

احترمتُ معاونيَّ من رؤساء مجالس ورؤساء وزارات ومن وزراء وموظفين كبار، واحترمت الناس إطلاقاً . وقد اسعدني الحظ أن وجدت بين من عملت معهم اناساً عديدين ، تجانسوا معي في التفكير وانسجموا مع الوضع الجديد . وكنت أُوثر بينهم الصُلب على المائع ، وأقيم لرأيهم وزناً ، وأوليهم مقاماً لائقاً بهم ، وأجد لذة ما بعدها لذة في مساجلة اعلاهم كعباً ، واقواهم شكيمة ، فتُقرع الحجة بالحجة ويظفر المنطق . مَثَلي مَثَل هاوي الشطرنج : يفضل منازلة الماهرين فيه مع خشية الخسارة ولا يلاعب الضَعفى مع امل الربح .

يشهد الله انني لم ألِن في حق ، ولم أتصلّب في باطل ، ولم اكابر . ولقد تساهلت احياناً للمحافظة على عهدٍ طريّ العود دون ان ارضى بفساد عن قصد ، او بظلم احد عن عمد . قوّمت اكثر من اعوجاج، وأنصفت اكثر من مظلوم ، ومددتُ يد المعونة بدون حساب ...

استخصمني الكثيرون دون ان ابادر الى خصومة احد .

وبعـــد ان اقتطع كلٌّ ما اقتطع من نفوذ واسع وجاه عريض في مناطق عزّه ألحق بي بعضهم البلاد « مزرعة » ما كانت يوماً لي ملكاً ولا مورداً . وزعموا اني أثريت على حساب الخزانة ، واني تملّكت الاراضي الواسعة في كاليفورنية ، والارصدة الضخمة في مصارف اووربة واميركة . والله يعلم – وهم يعلمون – ما كان عليه شحيح دَخْلي ونضيض وَفْري !

ونُعتُّ بالطاغية مع ما عرفه الناس عني من دعة ووداعة، انا الذي اخشى الله واليوم الاخير .

ومهما يكن من الامر فانني لم اطعن صديقاً في ظهره ، ولا خصماً إلا في صدره ، لاردَّ كيده عن نحري الى نحره .

غير ان للادارة شُعُباً متشعبة وعروقاً عريقة ، تخفى حتى على من علا كعبه في السياسة ، وإن للفساد طرقاً غامضة وسراديب مخفية ، لا يُنفذ اليها الا بعد جهد . وبعد ان يكون وقع الضرر واصبح تلافيه صعباً .

ولو سئل كل ذي سلطة عن جميع اعوانه ، وعما لم يكن في مقدوره تجنّبه ومنعه ، لما سلم الاولياء من نقص ، ولا الطاهرون من دنس ، ولا كبار الرجال من لومة لائم .

كفى المرء ضُرّاً ان يحمل وِزْر عمله دون ان يقاضى عن عمل غيره ، والكمال لا يُدرك على الارض .

وصبر الناس قليل على من تولّى الاحكام ، وهم اقرب الى الانتقاص منهم الى التقدير ، والى الإلحاف منهم الى الانصاف .

وعلى العاقل ان يسعى الى الخير ، وان يقبل بالتضحية ، وان يستقبل نواقل الدهر بثبات عزم ، ورباطة جأش ، وسماحة قلب ، وصفاء ذهن . وان لا يلجأ في الليلة السوداء إلا الى معبدَين لا ثالث لهما : خالقه ، وضميره !

عاش لبنان !

الملاحق

تعديل الدستور (*)

المادة الـ ٢٤ : نصت المادة الـ ٢٤ الاصلية على شروط انتخاب النواب ، وكانوا قبلا ينتخبون بموجب القرار الـ ١٣٠٧ الصادر في ٧ من اذار ١٩٢٤ .

نص التعديل :

« يتألف مجلس النواب من نواب منتخَبين يكون عددهم وكيفية انتخابهم وفاقاً لقوانين الانتخاب المرعية الإجراء » .

المادة الـ ٢٥ : نصت المادة الـ ٢٥ الاصلية على كيفية حل مجلس النواب وعلى شمول قرار الحل وجوب دعوة المنتخبين لاجراء انتخابات جديدة .

نص التعديل :

« اذا حُلَّ مجلس النواب وجب ان يشتمل قرار الحل على دعوة لاجراء انتخابات جديدة، وهذه الانتخابات تجري وفقاً للمادة ٢٤ وتنتهي في مدة لا تتجاوز الثلاثة اشهر . »

(*) - راجع ص ٩ و ١٠ من هذا الجزء .

المادة الـ ٢٧ : حذفت من آخر المادة الـ ٢٧ الاصلية الكلمات التالية : « او من قبل السلطة التي تعينه » .

نص التعديل :

« عضو مجلس النواب يمثّل الامة جمعاء ، ولا يجوز ان تُربط وكالته بقيدٍ او شرط من قِبل منتخبيه » .

المادة الـ ٣٠ : نصت المادة الـ ٣٠ الاصلية على ان كلا من المجلسين مختص بالفصل في صحة نيابة اعضائه .

نص التعديل :

« للنواب وحدهم الحق بالفصل في صحة نيابتهم ، ولا يجوز إبطال انتخاب نائبٍ ما إلاّ بغالبية الثلثين من مجموع الاعضاء » .

المادة الـ ٤١ : ابدلت في المادة الـ ٤١ الاصلية كلمة « المجلسين » بكلمة « المجلس » .

نص التعديل :

« اذا خلا مقعد في المجلس يجب الشروع في انتخاب الخَلَف في خلال شهرين ، ولا تتجاوز نيابة العضو الجديد أجل نيابة العضو القديم الذي يحلّ محله .

اما اذا خلا المقعد في المجلس قبل انتهاء عهد نيابته بأقل من ستة اشهر فلا يُعمد الى انتخاب خَلَف » .

المادة الـ ٤٢ : ابدلت في المادة الـ ٤٢ الاصلية كلمة « المجلسين » بكلمة « المجلس » .

نص التعديل :

« تجري الانتخابات العامة لتجديد هيئة المجلس في خلال الستين يوماً السابقة لانتهاء مدة النيابة » .

المادة الـ ٤٤ : ابدلت في المادة الـ ٤٤ الاصلية كلمة « المجلسين » بكلمة « المجلس » .

نص التعديل :

« في كل مرة يجدد المجلس انتخابه ، وعند افتتاح عقد تشرين الاول، يجتمع المجلس برئاسة اكبر اعضائه سناً ويقوم العضوان الاصغر سناً بينهم بوظيفة امين ، ويُعمد الى تعيين الرئيس ونائب الرئيس والامينين، كلّ منهم على حدة، بالاقتراع السري وبالغالبية المطلقة من اصوات المقترعين . وتُبنى النتيجة في دورة اقتراعٍ ثالثة على الغالبية النسبية . واذا تساوت الاصوات فأكبر المرشحين سناً يُعدّ منتخَباً » .

المادة الـ ٤٩ : نصت المادة الـ ٤٩ الاصلية على : ١ – ان تكون غالبية الثلثين من مجموع اصوات الشيوخ والنواب ملتئمين . ٢ – ان تكون مدة الرئيس ثلاث سنوات .

نص التعديل :

« يُنتخب رئيس الجمهورية بالاقتراع السري بغالبية الثلثين من مجلس النواب في الدورة الاولى ، ويكتفى بالغالبية المطلقة في دورات الاقتراع التي تلي . وتدوم رئاسته ستّ سنواتٍ . ولا تجوز اعادة انتخابه الا بعد ست سنوات لانتهاء مدة ولايته . ولا يجوز انتخاب احد لرئاسة الجمهورية ما لم يكن حائزاً على الشروط التي تؤهّله للنيابة » .

المادة الـ ٥٣ : جاء في المادة الـ ٥٣ الاصلية ان الرئيس يعين عدداً من الشيوخ .

نص التعديل :

« رئيس الجمهورية يعيّن الوزراء ويسمّي منهم رئيساً ، ويقيلهم ، ويولي الموظفين مناصب الدولة ما خلا التي يحدّد القانون شكل التعيين لها على وجه آخر . ويرئس الحفلات الرسمية » .

المادة الـ ٦٠ : اضيف الى المادة الـ ٦٠ الاصلية الفقرة الثانية ، الواردة في ما يلي واولها : « اما التبعة في ما يختص بالجرائم العادية فهي خاضعة الخ ... »

نص التعديل :

« لا تبعة على رئيس الجمهورية حال قيامه بوظيفته إلا عنـد خرقه الدستور ، او في حال الخيانة العظمى .

اما التبعة في ما يختص بالجرائم العادية فهي خاضعة للقوانين العامة . ولا يمكن اتهامه بسبب هذه الجرائم ، او لعلّتَي خرق الدستور والخيانة العظمى ، إلا من قِبل مجلس النواب بموجب قرار يُصدره بغالبية ثلثي مجموع اعضائه . ويحاكَم امـام المجلس الاعلى المنصوص عليه في المادة الثمانين ، ويُعهد في وظيفة النيابة العامة لدى المجلس الاعلى الى قاضٍ تعيّنه المحكمة العليا المؤلفة من جميع غرفها » .

المادة الـ ٨١ : وردت في المادة الـ ٨١ الاصلية كلمة « لبنان الكبير » ، فصارت : الاراضي اللبنانية .

نص التعديل :

« تُفرض الضرائب العادية ، ولا يجوز إحداث ضريبة ما وجبايتها في الجمهورية اللبنانية الا بموجب قانون شامل تُطبَّق احكامه على جميع الاراضي اللبنانية دون استثناء » .

المادة الـ ٨٥ : نصت المادة الـ ٨٥ الاصلية على : « لا يجوز ان يفتـح اعتماد ، استثنائياً كان ام اضافياً، الا بقانون خاص . واذا اضطرت الحكومة لفتـح اعتمادات استثنائية او اضافية حال انفراط عقد المجلسين فعليها ان تدعوهما فوراً للالتئام » .

نص التعديل :

« لا يجوز ان يُفتح اعتماد استثنائي الا بقانون خاص . أما اذا دعت ظروف طارئة لنفقات مستعجلة فيمكن رئيس الجمهورية ان يتخذ مرسوماً بموافقة مجلس الوزراء، قاضياً بفتح اعتمادات استثنائية او اضافية ، وان ينقل اعتمادات في الموازنة، على ان لا تتجاوز هذه الاعتمادات الـ ١٥٠٠٠ ليرة

بالبند الواحد . ويجب ان تُعرض هذه التدابير على موافقة المجلس في اول عقد يلتئم فيه بعد ذلك » .

المادة الـ ٩٣ الغيت (كانت تنص على محاولة اتفاق مع الدولة المنتدبة على انشاء وكالة لبنانية في باريس !) .

المواد الـ ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ ألغيت جميعها .

الدكتور ايوب ثابت (*)

« ... هجر فنّه وطبّه ، ليهب لبنان عقله وقلبه . وعندما ضاقت ميادين الحركة الاصلاحية عليه وعلى صحبه فاضطُهدوا ، وطوردوا ، وُشرّدوا ، ولّى وجهه شطر المهاجر يُضرم ثورة فكرية بـــين الجوالي العربية، ويعمل في المحافل الكبرى خطيباً ، وفي الصحافة الدولية كاتباً، ليسمع العالم صوت بلاده ، صوتاً عالياً صريحاً مصدره صدر مقدود من رواسي هذا الجبل ، وروح ثائرة مؤمنة بمستقبل هذا الوطن ، حتى اذا لاح بارق في جوانب الشرق يؤذن بفجر التحرر والانعتاق ، عاد فقيدنا الى وطنه يضع في متناوله مـــا ادّخره من علم ومعرفة ، ومن تمرّس واختبار ، ومن صلابة مرّنتها التضحية وروّضها الحنين ، فاذا الدكتور ايوب ثابت هو ذلك الرجل ذو العقيدة الثابتة والكلمة الواحدة والعزة الشخصية والانفة الوطنية . مواهب تجمّعت في جسم نحيل تواجه التبعات والاعباء بقوة عجيبة وثقة بالنفس ، وهمة لا يعرف الوهن اليها سبيلاً . مواهب تجلّت في الفقيد نائباً من الطراز الاول ، ووزيراً قوي الارادة، ورئيساً يتفهّم قدسيّة الواجب والمسؤولية » .

(*) من تأبين الرئيس للمرحوم الدكتور ايوب ثابت في ١٥ من شباط ١٩٤٧ - « مجموعة خطب » : ص ١٥٠

الى الرئيس السوري (*)

« ... ان التاريخ الدولي يا فخامة الرئيس حافل بالاختبارات العديدة التي استنبطتها الشعوب ليشدّ بعضها ازر بعض ولتزيد في تضامنها ، فكان الاختبار يفشل بعد الاختبار . اما نحن فيطيب لنا ان نصرّح اليوم ان وحدة الاهداف بيننا من داخلية وخارجية ، والتعلق بالمبادىء الجمهورية الديموقراطية ، والاستمساك بالمُثل العليا من حب السلام العالمي، والسعي لنصرة الحق الدولي بالوسائل التي هي في مقدورنا ، وتفهّم مصالحنا المتبادلة ، والمحافظة على استقلال كلٍّ من البلدين كاملاً غير منقوص ، كل ذلك جعل من سورية ولبنان جبهة صامدة متراصة في حقلي السياسة والاقتصاد، منسجمة مع نصوص وروح ميثاق الجامعة العربية التي نحافظ عليه اشد المحافظه ، ومتفقة مع مبادىء رابطة الامم المتحدة التي تهدف الى إقرار السلام والطمأنينة بين الشعوب » .

(*) من كلمة الرئيس في استقبال فخامة شكري بك القوتلي يوم زيارته الرسمية للبنان في ٢٢ من شباط ١٩٤٧ — « مجموعة خطب » : ص ١٥٢

حل مجلس النواب

(كتاب رئيس الجمهورية الى المجلس . انظر ص ٢٩)

« حضرات النواب المحترمين

قضت مصلحة البلاد العليا بتقديم موعد الانتخابات لهذه الدورة ولما يليها من الدورات في المستقبل ، فاضطررتُ بموافقة مجلس الوزراء لاستعمال الحق الذي خوّلنيه الدستور للوصول الى هذه الغاية ، ليس إلا . ولذلك يجدر التصريح بصورة لا تقبل الجدل والتأويل بان ليس لاستعمال هذه الطريقة الدستورية اي سبب آخر .

كما انني ارى من اللازم ان اوجّه الى حضرات ممثلي الامة اللبنانية رسالتي هذه ، قبل تلاوة المرسوم الجمهوري ، لاعرب عن عظيم تقديري للخدمات الجليلة التي قام بها مجلسكم الكريم في مدة ولايته . فانكم على رغم المصاعب والعقبات وفيتم الامانة حق ايفاء ، بكل وطنية وإقدام وإخلاص ، وساهمتم مساهمة فعّالة في بنيان هذا العهد الاستقلالي المجيد وفي ترسيخه . ويكفي مجلسكم فخراً انه سار في جميع مواقفه بروح القومية الحقة ، واضعاً نصب عينيه المصلحة اللبنانية العليا .

وإذا جاز لنا ان نستبق حكم التاريخ على هذه الحقيقة ، القصيرة بقياس الزمن ، المليئة بقياس الاعمال في حقل السيادة والكرامة ، يحق لنا ان نسجّل منذ الآن صفحةً مجيدة لمجلسكم الكريم ، بعد ان سجّلنا مثلها للامة اللبنانية جمعاء ، في مناسبات عديدة .

واذا جاز الشكر على اداء الواجب والقيام باعباء الامانة المقدسة ، حقّ شكر مجلسكم الكريم على ما أسداه من خدماتٍ للبنان ، وبصورة خاصة اثناء الصعاب التي تعلمون .

اما الآن ، وقد افتتحت الدورة الانتخابية لولاية جديدة ، فجلّ مبتغاي ان يُتاح للناخبين اللبنانيين اداء حقّهم وواجبهم في آن واحد بملء الحرية . ولا شك انهم سيحسنون اختيار ممثليهم بهدوء وسكينة ، معطين البرهان القاطع على جدارة الشعب اللبناني في ممارسة حرياته العامة بصورة يضارع بها اعرق البلدان حضارة ورقياً .

عاش لبنان .

بيروت في ٨ نيسان ١٩٤٧

الامضاء : **بشاره خليل الخوري** » اه.[١]

(١) — الجريدة الرسمية ، (محاضر مجلس النواب) : جلسة الثلاثاء في ٨ من نيسان ١٩٤٧ ، ص ٦٠٥

صحة انتخابات ١٩٤٧

على اثر موافقة مجلس النواب على صحة انتخابات ٢٥ من نوار ١٩٤٧ ، عقد كميل شمعون وزير الداخلية يومها مؤتمراً صحفياً في ٧ من تموز ، وتلا فيه هذا البيان :

« ... فمما لا شك فيه ان الصحافة اللبنانية قد تمتعت خلال مرحلة الانتخابات النيابية ، وبعدها حتى اليوم، بحرية الفكر والكتابة الى اوسع معاني الحرية والى ابعد حدودها ، وهو حق لهـا ، فجاء ذلك بالدليل الاصح الاكمل على ان لبنان يمارس **في هذا الدور الجديد** وفي حياته السياسية العامة ، النظم الديموقراطية الحقة ، التي تتمشى عليها اعرق الامم تقدماً ورقياً ، واوسعها قولاً وعملاً بتلك النظم .

« ولقد قام المجلس النيابي الجديد . وكان لا مندوحة ايضاً من ان تكون مباحة جميع الحريات العامة التي ترافق العمليات الانتخابية وتتلوها، ريثما تطبق الاصول الدستورية القانونية ، بتأليف السلطة التشريعية ، عنيت بذلك المجلس النيابي .

« وفي الواقع ، فانه في خلال المرحلة التي أُعلنت فيها اسماء النواب ، وتولت فيها لجنة الطعون اعمال التحقيق ، تمهيداً لوضع قرارها واعلانه ، تعرض المجلس كما تعرضت الحكومة لحملات عنيفة . وكانت السلطات الرسمية هدفاً لمطاعن مهينة احياناً . وقـد استقبلت كلها بالرحابة التي تعلمون ، على اعتبار ان ظروف الانتخابات يرافقها توتر في الاعصاب ، وتطرف في الميول والاهواء ، وعلى اعتبار ان المجلس بوجه خاص لم يكن قد اقر تثبيت اعضائه ، وبتّ في مصيرهم .

اما اليوم ، وقد لفظ المجلس النيابي كلمته بصحة انتخاب الاكثرية الساحقة من اعضائه فلم يبقَ ثمة مجال لان يسيطر توتر الاعصاب على

الافكار والاقلام ، بل لم يبقَ مبرر لاستعمال اية عبارة من شأنها المساس بهيبة المجلس وكرامته ، لانه مظهر من هيبة الامة وكرامتها ، ولا اخال الصحافة اللبنانية الراشدة الواعية الا مدركة بعض الادراك هذا المبدأ القانوني ، وحريصة على العمل بوحي الوعي الصحفي الصحيح ، الذي يعلم الى اي مدى تمتد حدود المغريات ، ويعلم ان مبدأ احترام حرية الرأي لا يجب ان يبنى على اساس تهشيم الكرامات والعبث بالسلطات ، وخصوصاً تلك التي يعصمها القانون . فالنقد النزيه الرصين نرحب به نحن وانتم على السواء ، بل اننا ندعوكم اليه ، وعلينا ان نسترشد به عندما يكون صادقاً مفيداً ، وعندما تحتفظ به الصحافة بمستواها العالي في اداء رسالتها الى الخير والاصلاح[١] ... » .

(١) — جريدة « بيروت » ، العدد الـ ٢٧٩٧ الثلاثاء في ٨ من تموز ١٩٤٧

بعد مئة وسبع سنوات (*)

« يا صاحب الفخامة الرئيس المعظم

قال الكتاب المقدس في سفر الجامعة ، الفصل الاول : « جيل يمضي وجيل يأتي والارض قائمة مدى الدهر » .

في سنة ١٨٤٠ ، اي من ماية وسبع سنوات خلت ، وقف على عتبة هذا القصر المنيف المثلث الرحمات المطران عبدالله البستاني رئيس اساقفة صيدا ، صديق الامير الحميم ومستشاره المخلص الحكيم ، ومعه الطيب الاثر والعين الشيخ بشاره الخوري قاضي الامير وحارس عدله ، الفقيه النزيه الامين ، وقفا وحولهما الامراء والمشايخ والاعيان يودعون اميرهم بمرارة والم . وودعهم الامير الكبير وسار لدى السلطنة العلية في صيدا ، تجلله الهيبة والوقار ، ويواكبه عز الامارة ومجدها .

وما كاد يصل الى هذه المدينة حتى أُبلغ قرار الدول بابعاده عن لبنان فاختار جزيرة مالطة مقرّاً ، ثم انتقل الى الاستانة عاصمة السلطنة العثمانية حيث بقي عشر سنوات ...

... ومضت الايام وتوالت السنون ، والامير راقد هناك .

اما قصره ، هذا الفخم ، فما أن فارقه سيده حتى امتدّت اليه ايدي الانسان والزمان ، تقلبه كيف شاءت الاهواء والاقدار . وسطت عليه عوادي الاغفال والاهمال وسوء التدبير ، فبهت رونقه ورواؤه ، وزال زهوه وبهاؤه ، وتشوّه حسنه وجماله ، ودبّ اليه الخراب يتنقل في ردهاته واروقته ، في ابوابه ونوافذه ، في مقاصيره وشرفاته ، في سبله

(*) — من خطاب المطران اغوسطين البستاني في استقبال رفات الامير بشير الشهابي في بيت الدين — راجع ص ٦٥

واحواضه ، في ارضه وسقوفه، في وشيه ونقوشه ، في حدائقه واشجاره، حتى كاد يُخني عليه ما اخنى على الخورنق والسدير .

على انه لما استكمل لبناننا العزيز استقلاله ، وتمكن مـن سيادته وحريته ، وصار سيد نفسه الحر الطليق ، هبّ فخامة الشيخ بشاره الخوري رئيس لبنان وحامي ذماره ، وحارس مجده وفخاره ، الى تدارك الخطر الملم بهذا القصر ، الاثر اللبناني التاريخي الفريد ، فشمله برعايته الخاصة ، وجدّ وعمل لترميم واصلاح ما افسد فيه الدهر ...

... وها ان الرئيس يقف للاستقبال حيث وقف جدّه للوداع ، وقف وحوله الوزراء والامراء والاعيان ومطران صيدا خلف المطران عبدالله البستاني ، وقف يرحّب بالامير اللبناني الكبير ...

وها هوذا الغريب قد صار في وطنه ، والاسد في عرينه ، والامير في قصره ، حيث سيستريح في ظلاله الى الابد ...

... فاسلم يا صاحب الفخامة الجليل الى عمر طويل سعيد .

وليباركك الله ، وليبارك لبنان . وليعضدك بنعمته وقدرته في كل اعمالك ومساعيك الخطيرة الصالحة ، الآئلة لخـير لبنان وسعادته ، آمين ! » اهـ.

من الرئيس الى مجلس جامعة الدول العربية المنعقد في لبنان (١)

« ارحب بكم اجمل ترحيب واشكر لكم تلبيتكم دعوة لبنان للاجتماع في ارضه اخواناً يضمون جهودهم الاخيرة الى جهود ابناء هذا البلد الذي يفاخر بأنه عامل في الصف الاول لنصرة الحق في البلاد العربية لخير شعوبها وخير الانسانية ... ستعالجون في هذه الجلسات التاريخية قضيتين من اهم ما عرض لنا من قضايا اعني بهما قضيتي فلسطين ومصر .

ان القضية الفلسطينية التي ستفتتحون بها اعمالكم قد تطورت تطوراً خطيراً ينذر بشر مستطير، ويضع مستقبل العرب رهن جهادهم وتضحياتهم . اما قضية مصر فهي قضية كلٍّ منا، وهي من قلب كل عربي في الصميم . وختاماً ادعو لكم بالتوفيق في اعمالكم » .

من مجلس جامعة الدول العربية الى الرئيس

١ - من الامين العام :

« بيروت في ١٥ تشرين الاول سنة ١٩٤٧

حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية المعظم

اتشرف بان ارفع الى فخامتكم نص الرسالة التي قرر مجلس جامعة الدول العربية رفعها لفخامتكم في جلسته السابعة المنعقدة بتاريخ ١٥ تشرين الاول سنة ١٩٤٧ بقصر وزارة الخارجية اللبنانية .

واني اذ ارفع هذا لفخامتكم ارجو من الله العلي القدير ان يحقق على

(١) - راجع ص ٥٦

ايدي فخامتكم ما يصبو اليه لبنان العزيز وكافة الاقطار العربية من عز ومجد ورفعة .

وتفضلوا يا صاحب الفخامة بقبول فائق الاحترام .

الامين العام

عبد الرحمن عزام »

٢ - من مجلس الجامعة :

« حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية المعظم

ان مجلس جامعة الدول العربية الذي شملتموه بعطفكم الكريم واحطتموه بعنايتكم السامية يرفع الى فخامتكم آيات الشكر على التحية الكريمة التي وجهتموها اليه، وما لقيه من فخامتكم من تشجيع وتوجيه ومن حكومتكم الرشيدة وشعبكم الكريم من معاونة صادقة وحفاوة اخوية وكرم جدير بلبنان الاشم .

ومجلس جامعة الدول العربية اذ يؤجل جلساته في دورته الحالية في لبنان العزيز يحيي في شخص فخامتكم الشعب اللبناني النبيل ذلك الشعب الذي حقق استقلاله التام باتحاده وتضحيته، ويسجل ما شهده اعضاء المجلس باعينهم من نعم الاستقلال في لبنان وكيف تأصل هذا الاستقلال برعاية فخامتكم وبسهركم عليه .

ويسرّ المجلس ان يعود اعضاؤه الى اوطانهم وقد امتلأت نفوسهم غبطة بما رأوا من تقدم وعمران وأمن وتعاون في فترة الاستقلال القصيرة ذلك الاستقلال الذي أيدته الاقطار العربية كلها بقلوبها وتدعمه اليوم بجامعتها مبتهلة الى الله ان يرعى هذا الوطن العزيز باجمل رعايته وان يحفظكم للبنان والاقطار العربية بكامل عنايته » . اه.

٣ - من مجلس الجامعة ايضاً :

« فخامة الرئيس

لي الشرف بأن اعرض على فخامتكم ان رسالتكم الكريمة لمجلس الجامعة قد تليت على المجلس في جلسة افتتاح هذه الدورة وقد كلفني المجلس ان ارفع لفخامتكم عظيم الشكر على هذه الرسالة الجليلة كما ارفع بهذه المناسبة شكراً في شخصكم للحكومة والشعب اللبناني الذي ضرب مثلاً عالياً منذ تأسيس هذه الجامعة في الاخلاص والتضحية والاعتدال مما ساعد على نجاح الجامعة وتقدمها نحو اهدافها .

وانه يأمل بوجود مثلكم في رياسة دول العرب بما اوتيتم من سعة صدر وشعور أبوي نحو شعبكم الكريم ان تسير امور الجامعة وامور الشعب اللبناني في الطريق الذي يرضي البلاد العربية كلها والله نسأل ان يوفقكم ويرعاكم بعنايته .

بيروت في ٢١ مارس سنة ١٩٤٨

الامين العام

عبد الرحمن عزام »

اقتراح مشروع قانون دستوري

بتعديل المادة الـ ٤٩ من الدستور اللبناني :

« تنص المادة التاسعة والاربعون من الدستور على ما يأتي : « ينتخب رئيس الجمهورية بالاقتراع السري بغالبية الثلثين من مجلس النواب في الدورة الاولى، ويكتفى بالغالبية المطلقة في دورات الاقتراع التي تلي، وتدوم رئاسته ست سنوات . ولا تجوز اعادة انتخابه الا بعد ست سنوات لانتهاء مدة ولايته، ولا يجوز انتخاب احد لرئاسة الجمهورية ما لم يكن حائزاً على الشروط التي تؤهله للنيابة » .

هذا هو نص المادة كما عدلت بموجب القانون الدستوري الصادر في ٨ ايار سنة ١٩٢٩ . وكانت قبل تعديلها تجيز انتخاب الرئيس مرة ثانية وتمنع انتخابه مرة ثالثة الا بعد انقضاء فترة توازي مدة ولايته .

وقد اقر هذا التعديل مبدأ عدم تجديد انتخاب الرئاسة مرة ثانية .

ولكن اذا عدنا الى دساتير الدول الجمهورية والديموقراطية، نرى انها ، بالعكس ، تجيز مبدأ التجديد .

فدستور الولايات المتحدة الاميركية لا ينص على اي قيد . ولذلك رأينا الشعب الاميركي يعيد انتخاب احد رؤسائه ثلاث مرات متوالية .

وكذلك دستور الجمهورية الثالثة في فرنسا ، الصادر في سنة ١٨٧٥ ، والذي ظل معمولاً به حتى سنة ١٩٤٦ ، فانه كان يجيز التجديد دون قيد ولا شرط .

اما الدستور الصادر في سنة ١٩٤٦ ، فبالرغم من اجماع الاحزاب الفرنسية على الحيلولة دون قيام الدكتاتورية مبيتة ، فانه اجاز اعادة انتخاب الرئيس مرة ثانية ومنعه للمرة الثالثة .

وها سوريا ، الشقيقة ، قد اقدمت على تعديل دستورها واجازت اعادة انتخاب الرئيس للمرة الثانية .

لهذا نرى ان اعرق الامم ديموقراطية تسلم بمبدأ التجديد لمدة محدودة، لانها تنشد الاستقرار طيلة هذه المدة وترى افساح المجال امام من يتولى الرياسة للاستمرار في خدمة بلاده .

ولبنان، البلد الناشىء احوج من اي بلد آخر الى الاستقرار في اوضاعه الدستورية المهيمنة على المبادىء الاساسية التي اعتنقها وسار عليها ، والتي اصبحت عقيدة عامة تدين بها الدولة، وعقيدة خاصة يدين بها كل لبناني .

فتمشياً مع القواعد التي سلمت بها الامم الديموقراطية العريقة كان من الممكن ومن المعقول ان نقترح تعديل المادة التاسعة والاربعين، واقرار مبدأ عام بجواز اعادة انتخاب رئيس الجمهورية للمرة الثانية .

ولكن نرى ان لا يمس هذا المبدأ العام الذي يتفق مع الاوضاع اللبنانية الخاصة، وبالوقت نفسه نرى ان لبنان في الظروف الحاضرة بحاجة ماسة الى الاستقرار في اوضاعه الدستورية .

واننا لنؤمن بان هذا الاستقرار لن يتم الا باعادة انتخاب الرئيس الحالي فخامة الشيخ بشاره الخوري .

لقد قُدّر للبنان في مطلع هذا العهد ان يكون على رأسه الشيخ بشاره الخوري . فهو الذي اعلن في يوم انتخابه المبادىء الاساسية القومية للوطن اللبناني ، وهو الذي قاد معركة الاستقلال وتمكن بفضل الله عز وجل ان يوصل البلاد الى ما كانت تصبو اليه من عزة وكرامة ، وهو الذي جمع بين اللبنانيين وجعل منهم كتلة قومية متآخية . وفي عهده تمتع لبنان باستقلاله التام وبسيادته الكاملة ، واحتل مكانه بين مجموعة دول العالم ، وافتتح عهداً جديداً من التعاون والتآخي

- ٣ -

مع جميع البلاد العربية ، حتى اصبح رئيس الجمهورية الحالي رمزا للاستقلال وعنوانا لكرامة البلاد .

فمصلحة لبنان المقدسة تحتم أن يستمر فخامته في رئاسة الجمهورية لمدة ثانية ، فتستقر بذلك هذه المبادئ وتقوى وتشتد وتنتفع البلاد بالمركز السامي الذي يحتله وبالميزات والصفات التي يتحلى بها .

لذلـــك ، نقتـــرح تعديل المادة التاسعة والاربعين من الدستور باضافة الفقرة الجديدة التالية :

" وبصورة استثنائية يجوز اعادة انتخاب رئيس الجمهورية الحالي مرة ثانيـــة " .

تقرير لجنة الادارة والعدلية

بشأن مشروع القانون الدستوري الموقت المختص باعادة انتخاب رئيس الجمهورية

« في الساعة الحادية عشرة من يوم الجمعة الواقع في ٢١ ايار سنة ١٩٤٨ اجتمعت لجنة الادارة والعدلية برئاسة دولة سامي بك الصلح وبحضور جميع اعضائها ودرست مشروع القانون الدستوري الموقت المحـال الى المجلس النيابي بموجب المرسوم رقم ١١٨٠٩ المؤرخ في ١٩ ايار سنة ١٩٤٨ .

اطلعت اللجنة على العريضة المؤرخة في ٩ نيسان سنة ١٩٤٨ المقدمة من اكثر من ثلثي المجلس والمتضمنة اقتراح تعديل المادة ٤٩ من الدستور اللبناني بحيث يمكن بصورة استثنائية اعادة انتخاب فخامة الرئيس الحالي مرة ثانية .

واطلعت اللجنة ايضاً على مشروع القانون الدستوري الموقت الذي حقق رغبة المجلس .

فاللجنة التي تقدر لفخامة الرئيس ما عمله في سبيل لبنان، اذ انه هو الذي في مطلع هذا العهد وفي يوم انتخابه اعلن المبادىء الاساسية القومية للوطن اللبناني، وقاد معركة الاستقلال ، فنفي وشرّد في سبيل عقيدته، وهو الذي تمكن ان يوصل البلاد الى ما كانت تصبو اليه من عزّة وكرامة ، وجمع بين اللبنانيين فجعل منهم كتله قومية متآخية فتمتعت البلاد بعهده باستقلالها التام وبسيادتها الكاملة، واحتلت مكانتها بين مجموعة دول العالم، كما انه بفضله ومسعاه افتتح عهداً جديداً من التعاون والتآخي مع جميع البلاد العربية حتى اصبح رمزاً للاستقلال وعنواناً لكرامة الامة .

وفضلاً عن ذلك رأت اللجنة ان دساتير الدول الجمهورية تجيز باجمعها مبدأ تجديد الرئاسة فدستور الولايات المتحدة لا ينص على اي قيـد فالشعب الاميركي اعاد انتخاب احد رؤسائه ثلاث مرات متوالية .

وكذلك الدستور الفرنسي للجمهورية الثالثة كان يجيز التجديد بلا قيد ولا شرط، كما وان الدستور الفرنسي الحديث الصادر في سنة ١٩٤٦ اجاز اعادة انتخاب الرئيس للمرة الثانية . وسورية الشقيقة اقدمت على تعديل دستورها واجازت اعادة انتخاب رئيسها الذي قاد معركة الاستقلال في سورية كما قادها رئيسنا في لبنان .

ولكن هذه الامور كانت تجري ليس اقراراً بالفضل وتقديراً للجهود فحسب، بل قصد الاستقرار وافساح المجال للاستمرار في خدمة البلاد .

كما ان اللجنة رأت اننا نحن في لبنان، هذا البلد الفتي الناشىء، احوج من سوانا الى الاستقرار في اوضاعنا الدستورية المهيمنة على المبادىء الاساسية التي اعتنقناها وسرنا عليها فاصبحت عقيدة عامة تدين بها الامة . فتمشياً على القواعد التي سلمت بها الامم الديمقراطية العريقة اجمع الرأي على ان لا يصار الى تعديل المادة ٤٩ من الدستور وان لا يمس هذا المبدأ الذي يتفق مع الاوضاع اللبنانية الاّ لان لبنان في ظروفه الخاصة بحاجة الى الاستقرار في اوضاعه الدستورية .

ولكن اللجنة تؤمن بان الاستقرار المنشود لن يتمّ الا باعادة انتخاب الرئيس الحالي فخامة الشيخ بشاره الخوري وترى في الوقت نفسه وجوب حل هـذه القضية باسرع ما يمكن، اذ ان البلاد تجابه من الحوادث والطوارىء في الآونة الحاضرة ما يستدعي منذ الآن اعادة انتخاب الرئيس الحالي فور صدور هذا القانون .

فمصلحة لبنان العليا تحتم ان يستمر فخامة الرئيس في منصة الرئاسة .

واللجنة التي أقرّت بالاجماع مشروع القانون كما ورد من الحكومة تتمنى على مجلسكم الكريم ان يوافق عليه .

بيروت في ٢١ ايار سنة ١٩٤٨

مقرر لجنة الادارة والعدلية

ابرهيم عازار » اه.

اسماء النواب الذين اقروا تجديد رئاسة الجمهورية (*)

وعددهم ستة واربعون :

عبدالله اليافي . حبيب ابو شهلا . سامي الصلح . حسين العويني . رئيف ابي اللمع . موسيس دركالوسيان . ملكون هيرابديان . احمد الحسيني . مجيد ارسلان . جبرائيل المر . احمـد البرجاوي . خليل ابو جوده . فيليب تقـلا . وديع نعيم . شهيد الخوري . جورج زوين . يوسف حتي . بهيج تقي الدين . امين نخله . فريد الخازن . الياس الخوري . رياض الصلح . يوسف السكاف . يوسف الزين . احمد الاسعد . محمد صفي الدين . محمد الفضل . عادل عسيران . نصار غلميه . ابرهيم عازار . محمد الغطيمي . مايز المقدم . حميد فرنجيه . يوسف فضول . ندره عيسى الخوري . محمد العبود . يوسف ضو . ميشال مفرج . عدنان الجسر . جبران النحاس . شبلي العريان . ابرهيم حيدر . صبري حماده . يوسف شمعون . رفعت قزعون . اديب الفرزلي .

غائبان موافقان :

رشيد بيضون . سليم خليل الخوري .

غائبون معارضون .

موسى فريج . هنري فرعون . سليمان العلي . نصوح الفاضل . يوسف كرم . كمال جنبلاط . كميل نمر شمعون .

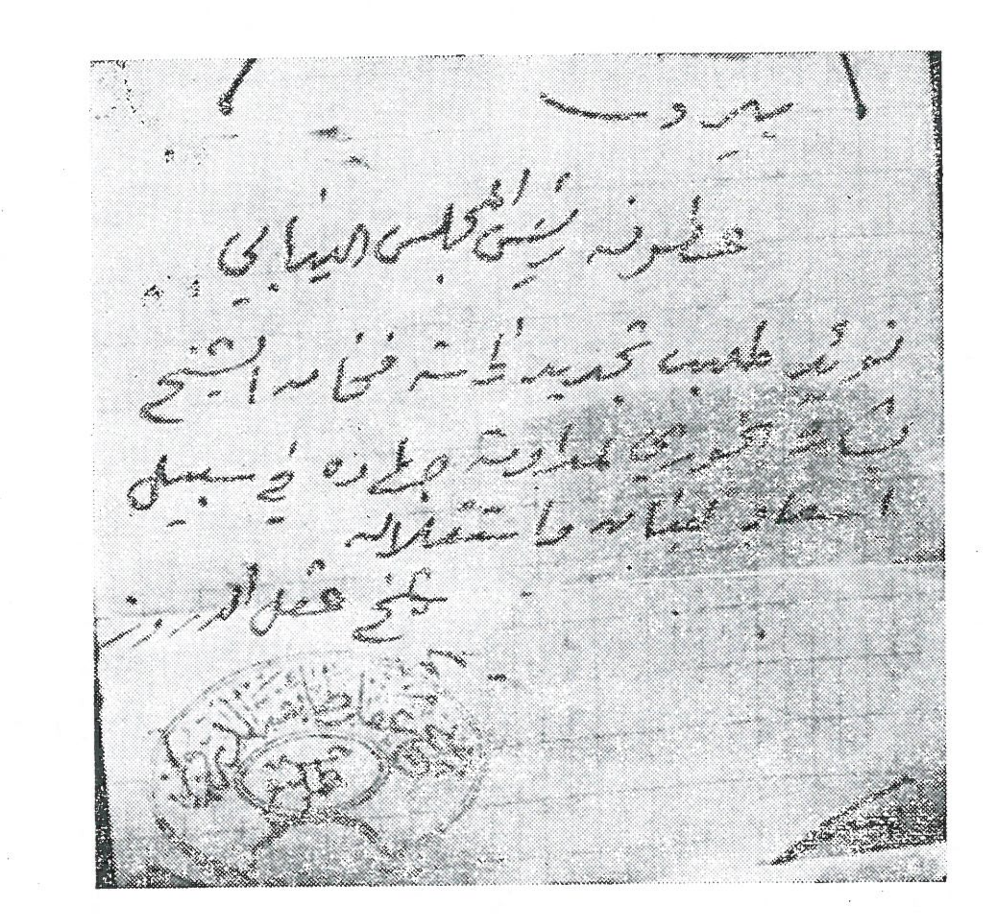
(*) - راجع ص ١٢٢ و ١٢٣

بطريركية انطاكية وسائر المشرق المارونية
لبنان

السدة الرسولية تشمل حضرة ولدنا الأعز الشيخ بشاره الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية الأكرم

بلغنا ما سرنا جداً وهو خبر اتفاق النواب الا النذر القليل منهم على تجديد مدة رئاستكم عند
تبلغ النهاية وجئنا نتوق وننتظر تحقيق هذا الخبر القريب العاجل ونسأل الله تعالى ان يحسن
توفيقكم ويفيض بركاته عليكم وليطيل كريم بقائكم باليمن والاقبال
عن بكركي في ١٤ نيسان ١٩٤٨

الحقير انطون عريضة
بطريرك انطاكية
وسائر المشرق



بيروت

حضرة رئيس المجلس النيابي

نؤيد طلب تجديد ولاية فخامة الشيخ
بشارة الخوري لمتابعة جهاده في سبيل
إسعاد لبنان واستقلاله

شيخ عقل الدروز

من رياض الصلح في باريس الى الرئيس في لبنان

سيدي الرئيس المعظم

لا اعرف والله كيف احييكم واحيي هذه الوطنية، وهذه الحكمة والاتزان
في الموقف الصعب، بل هذا السداد في الرأي. كل هذا اجتمع في
شخصكم، واحمده تعالى على انه منح لبنان شخصاً عظيماً كفخامتكم. [illegible]
في اجلالكم جميع اخواني هنا ادامكم الله [illegible] وابقاكم
ليحفظ بر قيادتكم لدى [illegible] من اعظم اثار رجولتكم التي تجلت
في هذه الاوقات الحرجة.
طلبت لكم الموقف كما هو ولم يعد لي من خيار استجليه وعزمت بعد
الاتكال على الله على العودة معاً. الا اذا رأيتم انتم [illegible] تطلعون الي
[illegible] رغبتي / [illegible] لهذا انتظر برقيتكم [illegible] الذي تعدونه
واجب ايضاً الاسراع بالمبلغ المطلوب لحاجة الوفد وهي لا تكفي من هذه

العودة.

لي حديث طويل عن لبنان والاطمئنان الى كيانه وحدوده الجغرافية
وتحديد منطقة الاماكن المقدسة حتى الناصرة وما بعدها فيما اذا
وقعت الواقعة لا سمح الله.
ولي حديث آخر عن نفسي وما اعتزم ان اكرس نفسي له في قابل ايامي
اذا وقعت هذه الواقعة ايضاً. اتركها لفرصة قريبة جداً.
وصلت الي انباء الوطن وجمود اهله المعنوي وهذا ايضاً
اثر من آثار قيادتكم الحكيمة. مولاي

رياض الصلح

اوافق كل الموافقة على اختيار اعضاء وفدنا للاونيسكو انما ارجو
ان يضاف اليه رجل سني آخر يتقن الانكليزية. اقول هذا للعلم
وللمصلحة فقط مع ذلك انا اوافق على ما ترتأون واتبعه

ملخص حديث رئيس الجمهورية مع الكونت برنادوت

« يوم الاحد الواقع في ٢٥ تموز (١) الساعة الثانية عشرة استقبل فخامة رئيس الجمهورية بعاليه المسيو برنادوت يرافقه المسيو پونش مندوب الامين العام لهيئة الامم المتحدة . وقد دامت المقابلة ما يقرب من الساعة .

ابتدأ الكونت برنادوت حديثه بشكر الرئيس على الدعوة التي وجهها اليه والتي مكنته من مقابلة بعض رجال الدولة من العرب . وامتدح ضيافة لبنان وجمال مصايفه واعتذر عن قصر الاقامة لان عليه مهمة اولى هي تركيز مراقبة الهدنة .

ولما وصل الى هذه النقطة بدأ الرئيس الكلام وقال للكونت برنادوت : ان رؤساء الدول العربية لم يقبلوا هذه الهدنة الا بمزيد المرارة والالم ، وما ذلك إلا ليعطوا مثلاً صالحاً كأعضاء للمنظمة التى جارت عليهم بتأثير معنوي لم يسبق له مثيل . وقبولهم للهدنة وان اصبح نافذاً حالاً لم يكن بدون قيد ولا شرط ، بل قيدته اللجنة السياسية بشروط ثلاثة ، اولها واهمها بنظرنا هي مسألة وقف الهجرة ...

ومهما يكن من الامر فالهدنة ليست الا ترتيباً موقتاً . والعرب ينتظرون بملء الوجوم الحلول التي سوف تعرض لاساس القضية .

قال الوسيط لفخامة الرئيس ان هذه المسائل المشروطة من العرب خارجة عن صلاحيته، لان الهدنة قد اقترحها مجلس الامن . فاجابه الرئيس بان على الزائر ، وهو وسيط ومنفذ للهدنة ، ان يطلب اجتماع هذا المجلس لحل المسائل التي اثارها العرب في جوابهم الى مجلس الامن .

---

(١) — ١٩٤٨

وتعدى الحديث الى اساس الوساطة فصرح الرئيس للكونت برنادوت بان وساطته ظاهرية اكثر مما هي حقيقية، باعتبار ان المطلوب منه اقناع العرب بالحالة الراهنة من حيث وجود دولة صهيون فعلا والتقسيم الواقع، في حين ان الوساطة الحقيقية هي ايجاد حل يرضى عنه الفريقان . وقد قطع طريق الرضى على العرب لان هؤلاء لا يمكنهم مفاوضته على اساس وجود دولة صهيون وتقسيم فلسطين .

وكان من واجب هيئة الامم المتحدة ان تراعي هذا الامر فتعترف بوجود دولة عربية لجميع الاراضي الفلسطينية، مع ايجاد مقاطعة او اكثر للصهيونيين المحدد عددهم بالواقع القانوني، مع بعض امتيازات بلدية او استقلال ذاتي . وفي مثل هذه الحالة يمكن مفاوضة الدول العربية لتعيين حدود لهذه المقاطعات ونوع الاستقلال الذاتي الذي يمكنها ان تتمتع به .

فاجاب الكونت برنادوت ان هذه المسألة قد فرغ منها باعتبار ان الهيئة العمومية قد رفضت هذا الحل الذي اقترحه في آخر ساعة مندوب لبنان في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ . وانه لا يمكن البحث الا على اساس التقسيم الذي قررته هيئة الامم المتحدة وعلى اساس وجود دولة صهيون المقرر من هذه الهيئة .

فصرح له الرئيس بان هذا القول لا يستند الى اساس قانوني دولي . باعتبار ان الهيئة العمومية لا تملك حق القرار بل تملك حق التوصية لمجلس الامن . وهذا لم يقر التقسيم ولم يعمد لتنفيذه بالقوة . وبينما كانت اميركا تتراجع في اقتراح التقسيم وقع حدث جديد هو وضع انكلترة حداً لانتدابها في ١٥ من نوار سنة ١٩٤٨ . وفي ذلك الحين خلق الصهيونيين دولة اسرائيل . فهذه الدولة ليست من صنع هيئة الامم بل من صنع الصهيونيين انفسهم . واذا اعترفت بها بعض دول المنظمة فهذا اعتراف فردي لا يقيد هيئة الامم ولا يعني انه اعتراف منها .

وقد ظهر للرئيس ان هذه الملاحظة قد استرعت نظر الوسيط ورفيقه .

فاضطرا لان يعترفا بصحتها ، مع تأكيد حضرة الكونت ان مرحلة المقاطعة اليهودية قد دخلت في حكم الماضي . فأجابه الرئيس : اذا كان الحل على هذا المنوال فلا تنتظروا من العرب قبولاً بالرضى . ولا يمكن ان تفكروا بارغامهم على الاذعان . فانا اعتبر كما يعتبر العرب ان هذا الحل غير انساني . وهو خطأ سياسي قد لا تظهر سيئاته في الوقت الحاضر غير انها ستظهر في المستقبل . فتكون هيئة الامم قد اجلت المشكلة طالما لم تجد حلا عادلاً يرضى عنه العرب . لان هؤلاء وعددهم غير قليل وهم ينشدون التنظيم لا يدعون دولة اسرائيل الموهومة ترتاح يوماً واحداً وسيفتكون بها عندما يتيسر لهم الامر . فتبقى النار تحت الرماد في عالم مضطرب ينقصه شرارة صغيرة لاشعال حرب طاحنة .

وزاد الرئيس : ان مشكلة فلسطين ليست مسألة اسلامية بل مسألة عربية من الوجهة الدولية ومسألة انسانية من جهة العدل المفروض ان تتوخاه هيئة الامم المتحدة . فالرئيس مسيحي مؤمن ويمارس واجبات دينه وهو متشدد بقضية فلسطين للاسباب التي بيَّنها .

وقد استرعى ايضاً هذا الكلام انتباه الوسيط ورفيقه .

وقد سأل الكونت برنادوت فخامة الرئيس رأيه في المقترحات التي سبق له ان قدمها . فاجابه الرئيس بكل صراحة انها نتيجة جهد قد يشكر عليه لولا انها تتضمن الاعتراف بدولة اسرائيل وبالتقسيم . ومن وجهة عملية فالرئيس كلبناني يحتج على مسألة الجليل بصورة خاصة للخطر الذي يؤلفه جوار صهيون للبنان . خصوصاً وان الرجل البعيد النظر قد يرى في ذلك افكاراً مبطنة هي ايجاد دولة صهيونية على الشاطيء تتصل بدولة مسيحية ودولة علوية ، وان مجرد التفكير بذلك يزيد الطين بلة ويسيء الى المسلمين ، ويسيء الى نصارى لبنان الذين يعتبرون الوئام والاتفاق مع اخوانهم المسلمين ضرورة لازمة لايجاد الطمأنينة في الشرق العربي .

وزاد الرئيس انه غيور وحريص على العهد الجديد الذي اوجده في لبنان منذ سنة ١٩٤٣ مع نخبة من اللبنانيين المنتمين الى مختلف الطوائف، وان هـــذا العهد سيكون مهدداً بمثل هذا الجوار . ولذلك فالرئيس مستعد ان يحافظ بكل قواه على سلامة لبنان المستقل . وواجب هيئة الامم ان تساعد لبنان في هذه التجربة التي توطّد السلام في هذه البقعة من الارض .

وقد انتهى الحديث عند هذه النقطة .

والذي لحظه فخامة الرئيس ان الكونت برنادوت مقيد بالاعتبارات التي ذكرها ولولا ذلك لكان اكثر تقبلاً لمطالب العرب الحقة . »

اتفاق النقد مع الحكومة الفرنسية

عقد هذا الاتفاق في ٢٤ من كانون الثاني سنة ١٩٤٨ وأقرّه المجلس النيابي في جلسة ٢٨ من آب سنة ١٩٤٨ (راجع ص ٩٧ من هذا الجزء) وهذه فقرات من تقرير اللجنة المالية عنه بتوقيع مقرّرها الاستاذ بهيج تقي الدين[١]:

« في الاسباب التي حملت اكثرية اللجنة على تصديق الاتفاق :

ا) لا تنكر اكثرية اللجنة ان الحكومة الافرنسية في نقضها للتعهدات الصريحة التي انطوى عليها كتاب الجنرال كاترو لم تكن محقة البتة، لان الضمانة التي حدّدها الكتاب المذكور غير مقيّدة بشرط ولا بوقت، ولكن الحكومة اللبنانية تجاه تشبّث الافرنسيين بنقض الاتفاق المشار اليه كانت ملزمة اذا هي لم تقبل بمبدأ المفاوضات ان تلجأ الى محكمة العدل الدولية، وفي هذه الحالة تنحصر مهمة المحكمة الموما اليها بالنظر فيما اذا كانت الالتزامات المشار اليها لا تزال قائمة ام لا . ولو افترضنا احسن الحالات وجاء قرار المحكمة مؤيداً لنظرية لبنان فان هذا القرار سيعيدنا الى الحالة التي كنا عليها قبل المباشرة بالمفاوضة . فضلاً عن ان القرار نفسه كان سيقضي حتماً بتكليف الفريقين لإجراء التصفية نفسها التي نصت عليها الاتفاقيات موضع البحث . فما الفائدة من الانتظار بضع سنوات للرجوع الى الحالة نفسها وتعريض النقد اللبناني للتدهور ومـــا ينشأ عنه من الاضرار المالية والاقتصادية والاجتماعية .

ب) من الرجوع الى نصوص الاتفاق الذي نحن بصدده يتبين انها

---

(١) - عن الجريدة الرسمية - مجلس النواب - جلسة ٢٨ من آب ١٩٤٨، ص ٩٧٣ وما يليها .

خالية من اي قيد يمكن ان ينشأ عنه مساس بالسيادة الوطنية، او تمكين الفريق الآخر من المداخلة في سياسة البلاد الاقتصادية والماليـة . ولقد اقتنعت اللجنة بما جاء في تقرير الخبير ڤان زيلند من ان هذا الاتفاق ليس إلا تصفية فنية لحقوق الفريقين المالية ، الواحد تجاه الآخر .

ج) ان مدة الاتفاق ليست طويلة بالنسبة للوقت الذي تقتضيه عملية تنظيم نقدنا وسحب الـ ١٦ مليار فرنك الباقية لنا ، وهي ذات شقين : حساب (ا) البالغة قيمته تسعة ملايين فرنك ، وحساب (ب) الذي ستبلغ قيمته سبعة ملايين فرنك بعد التصديق على هذا الاتفاق . وبكل حال ، فانه من الرجوع الى المادة الثانية من البروتوكول التفسيري الذي عُلـّق امضاؤه على تصديق الاتفاقية يتبين ان بوسع الحكومة اللبنانية ان تقصّر المدة المتفق عليها بالتصفية حتى مدة الخمس سنوات المنصوص عليها في المادة ٩ من الاتفاقية . وبهذه الحالة يكون تقصير المدة امراً منوطاً بارادة الحكومة اللبنانية وحدها .

د) ان الحصول على النقد الاجنبي النادر ، كالدولار مثلاً ، لا يمكن ان يتمّ للبنان إلا بالتصدير للخارج ، او بأموال المهاجرين ، او بواسطة عملة دولية لم يتيسّر للبنان منها إلا الفرنك . ولا شيء يمنع لبنان اذا رأى ضرورة لذلك ان يضع قيوداً على تسرّب الاموال من لبنان الى منطقة الفرنك .

هـ) اما فيما يتعلق بالضمانة الجزئيـة لموجودات مؤسّسة الاصدار اللبنانية فقد كان من مصلحة لبنان طبعاً ان تشمل هذه الضمانة كامل الموجودات ، ولكن عدم تمكّننا من بلوغ هذه النتيجة يجب ان لا يمنعنا من الحصول على ضمانة للقسم الاوفى من موجوداتنا، وبالتالي فخير للبنان ان يضمن جلّ موجوداته من ان يترك كله بلا ضمانة .

و) ان تخمين الاملاك جرى بمعرفة خبراء لبنانيين اختصاصيين قدروا

قيمتها بمبلغ ٤٩ مليون ليرة ونصف تقريباً ، ومـع ذلك فقد تمكّن المفاوض اللبناني من ان يُنزل هذه القيمة الى ١٨ مليوناً .

ز) غير صحيح ان الاتفاقية تسمح للافرنسيين بالمداخلة في مراقبة القطع ، لان هذا الحق معطى للبنان وحده كما نصّت على ذلك الاتفاقية، وصرحت به المادة السابعة من البروتوكول المشار اليه آنفاً .

ح) اما فيما يتعلق بفائدة التغطية فمن المستغرب ان يقال ان المفاوض اهمل المطالبة بها اذ ان الاتفاقية قد اوجبت ترتّبها بذمة الفرنسيين . وبيان ذلك : ان الموجودات بالفرنك موزعة الى قسمين في الحساب رقم (ا)، القسم الاول المعرّف عنه بقسم (آ) هو عبارة عن موجودات عينية وسندات في البنك تنتج حتماً فائدة قانونية ، فلم يكن هنالك حاجة لنص يوجب ترتّب هـذه الفائدة طالما ان من طبيعة هذه الموجودات ان تعطي فائدة ، وقسم معروف بحرف (ب) نص الاتفاق على انه يعطي فائدة واحد بالمئة ، فكيف يقال والحالة هذه ان الاتفاقية حرمت لبنان من الفائدة المنوّه عنها .

ط) ان الجواب على الاعتراض (ط) قد أعطي في ما سبق بيانه .

ي) اما القول بان في طبيعة الاتفاقية التي نحن بصددها إزالة الوحدة الجمركية بيننا وبين سورية فمردود بان هنالك وحدات جمركية قائمة بين بلدان يختلف نقدها ، وقد اشار الخبير ڤان زيلند الى ذلك صراحة في تقريره وضرب تأييداً لنظريته في هذا الموضوع امثلة يمكن الرجوع اليها على سبيل الاستئناس .

* * *

ولا يسع اللجنة الا ان تلفت نظر المجلس الكريم الى حقيقة يسلّم بها الجميع ، حتى اشدّ الناس معارضة لهذا الاتفاق ، وهذه الحقيقة هي

ان عدم التصديق على الاتفاق يلحق بالبلد اللبناني ضرراً فاحشاً اذ لا يمكن لدولة مستقلة ان تحافظ على ميزانها الاقتصادي اذا لم يكن لديها نقد سليم بمأمنٍ من الهزّات التي تنتاب الاسواق حيناً بعد حين .

ولا يعني ذلك ان المساوىء التي قيل بوجودها في الاتفاقية المنوّه عنها غير موجودة فعلاً ، بل يجب القول ان هذه المساوىء ليست شيئاً يُذكر اذا هي قيست بالضرر المحتّم الذي ينزل بالبلد اللبناني اذا لم يعمل المجلس الى تصديق هذا الاتفاق . وابرز هذه الاضرار : تدهور النقد ، وارتفاع مستوى المعيشة ، واختلال ميزانية الدولة ، وفقدان الثقة بالنقد اللبناني . وهذا ما يحمل اللجنة على اقتراح تصديق الاتفاقية المشار اليها .

بيروت في ٢٦ آب ١٩٤٨

مقرر اللجنة

التوقيع : **بهيج تقي الدين** » اه.

كيف قرر عقد مؤتمر الاونيسكو في بيروت (*)

« ... وكانت حكومة النروج قد دعت المؤتمر لينعقد في بلادها عام ١٩٤٨ ، ودعته مصر لسنة ١٩٤٩ ، ودعته الصين لسنة ١٩٥٠ ، وكانت الرغبة بأن يعقد عام ١٩٤٨ في مقره في باريس اقتصاداً بالوقت والنفقات ورغبة في عدم تجزئة العمل في بدئه من جديد، وتمشياً مع قاعدة اقرها المجلس التنفيذي تقضي بأن يجتمع المؤتمر في باريس كل سنتين مرة . وعلى رغم من هذه العوامل كلها فقد تقدم الوفد اللبناني بالدعوة ، وأثرتُ الامر لاول مرة في مكتب المؤتمر بجلسة كنت أرئسها فاحالنا المكتب الى المجلس التنفيذي طالباً منه سماعي رغم انعقاد جلساته بصورة سرية . وهكذا كان . ولدى التصويت اقترع امامه على قبول دعوة لبنان مندوبو فرنسا والمكسيك والبرازيل والاكوادور فقط واقترع الباقون بجانب الاجتماع في باريس .

على ان الوفد اللبناني عاد فأثار المسألة في جلسة الهيئة العامة مساء ٢٦ ت ٢ سنة ١٩٤٧ بعد ان وزّع على الوفد بيانات عن امكانات لبنان لتسهيل العمل ، وعن اسعار الحياة فيه وبدل الانتقال اليه . ووسط جلسة صاخبة واجهنا فيها مقاومة اشد الوفود نفوذاً واقواها مراساً ، وفي مقدّمتها الوفود الاميريكية والانكليزية والكندية، وبعد اكثر من تدخل من على منبر الهيئة ، كانت نتيجة الاقتراع ان نالت دعوة لبنان ١٣ صوتاً ضد ١٣ واستنكف ثلاثة عن الاقتراع .

وفي جلسة اليوم التالي اعيد الاقتراع وفقاً للقانون الداخلي ، وقـد

(*) — من تقرير جوزيف ابي خاطر وزير لبنان المفوض في المكسيك (٣ من ت ٢ ، ١٩٤٨) وكان رئيس الوفد اللبناني الى مؤتمر الاونيسكو المنعقد في مكسيكو سنة ١٩٤٧ .

سبقته اتصالات حثيثة قام بها الوفد اللبناني طوال الليل حتى امّن اكثرية كبرى ، فنـــال لبنان ٢٠ صوتاً ضد ١٠ وامتنع اثنان — بولونية وتشكوسلوفاكية — . اما الدول التي اقترعت نهائياً الى جانب لبنان فهي : فرنسة ، البرازيل ، بوليفية ، الصين ، كولومبية ، كوبا ، مصر ، الاكوادور ، سلفادور ، الفيليبين ، اليونان ، هايتي ، الهند ، المكسيك ، البيرو ، الجمهورية الدومينيكية ، اتحاد افريقية الجنوبية ، فنزويلا ، تركية ، واخيراً لبنان ... والدول التي اقترعت ضده هي الولايات المتحدة وانكلترة واوسترالية وبلجيكة وكندا والدانمارك والنروج وزيلاندة الجديدة وهولندة واورغواي .

وعند اعلان النتيجة تكلم مندوبو الدول الاخيرة مؤيدين ومعربين عن رغبتهم ان يعتبر القرار صادراً بالاجماع، وجاؤوا الينا مهنئين، وقال المستر بنتون رئيس الوفد الاميركي : « ان لبنان يثير في نفسه تذكارات عذبة فوالده من مؤسسي الجامعة الاميركية » .

... اما الوفود التي كانت متحمسة للدعوة اللبنانية كل التحمس فمن الانصاف ان نذكر في مقدمتها الوفد المكسيكي الذي ترك رئيسه السنيور « كوال فيدال » وهو رئيس المؤتمر العام ادارة الجلسة كي يتمكن من الخطابة مؤيداً، وظل على المنبر اكثر من ٢٠ دقيقة يناصرنا . ومن الانصاف ايضاً ان نذكر الوفد الفرنسي ورئيسه الفيلسوف المفكر جاك ماريتان سفير فرنسا اذ ذاك لدى الفاتيكان فقد ايّدنا تأييداً كاملاً مطلقاً رغم ان الفئة المعارضة كانت تود انتقاء باريس . واذا كنت قد ذكرت معارضة الوفود البريطانية والاميركية والكندية للاسباب المبدئية التي بينت فمن الانصاف ايضاً ان اذكر انهم اظهروا نحو لبنان اطيب شعور وان مندوب بريطانيا في المجلس التنفيذي السر « جون مود » هو الذي اقترح انتخاب لبنان لنيابة رئاسة المؤتمر . اما الوفد البولوني فقد كان ايضاً من مناصري ابنان ولكنه استنكف عن الاقتراع اذ لا علائق سياسية بين حكومة فرسوفية وبيننا . الخ .. »

من حسني الزعيم (*)

الجمهورية السورية
رئاسة مجلس الوزراء
الرئيس

حضرة صاحب الفخامة الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية المعظم .

احتراما وتعظيما .

وبعد فيطيب لي ان اكتب اليكم محييا متمنيا لكم اطيب التمنيات ثم آسف اذ اخبركم ان الموقف الذي وقفه رئيس وزارتكم دولة السيد رياض الصلح من حركتنا التحريرية هو موقف جد شاذ ، وقد بلغنا الشيء الكثير من المساعي التي يقوم بها دولته والتي من شانها ان تعكر الجو بين بلدينا الشقيقين اللذين ارتبطا برباط وثيق ومصالح مشتركة منذ عهد بعيد ، واخشى ان يكون لعمله هذا نتائج غير مرضية .

يا صاحب الفخامة .

ان سورية قد خطت خطوة مباركة ولن تتراجع عنها قيد انملة ، والشعب السوري باجمعه يؤيدها لا مطلب له الا ان يعيش عيش الاحرار الذين يتطلعون الى المستقبل بآمال واسعة وليس لسورية من مطلب من شقيقها لبنان العزيز الا الكف من هذه السياسة التي تؤدي الى لسوء العواقب فنرجو من فخامة الرئيس المعظم ان ينظر الى هذا الامر بعنايته ويتفضل فيعمل على اعادة المياه الى مجاريها بين الجارتين .

واني اذ انتهز هذه الفرصة السعيدة اعرب لفخامتكم عن صادق احترامي واكباري .

دمشق في ٣/ ٤ / ١٩٤٩

المخلص
القائد العام والحاكم العسكري
[توقيع]

(*) — راجع ص ٢٠٨

من الملك عبد العزيز آل سعود (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

الرياض في ١٠ شوال ١٣٧١

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى حضرة صاحب الفخامة الشيخ بشارة الخوري المعظم

صديقي العظيم :—

أبعث لفخامتكم بأجمل التحيات الودية مشفوعة بأطيب الأماني راجين من المولى عز وجل ان يكون عونا للجميع وان يسبغ علينا وعليكم نعمة الصحة والهناء وراحة الطمأنينة والرضاء بعونه وفضله .

وصل الينا ولدنا السيد حسين العويني محل ثقتكم وثقتنا وقد سرنا ما أفادنا به عن اخباركم وأيد لنا صميم ودكم ووفاءكم الذى نبادلكم اياه ونرغب دوامه واستمراره .

لقد يسرني جدا ان اعرب لفخامتكم ارتياحي الطيب عن آرآء فخامتكم ونظرتكم البعيدة في معالجة الشؤون العربية التي تخص بلادكم بصورة خاصة والبلاد العربية بصورة عامة ، وانه وايم الحق أن من حسن حظ لبنان ان يحظى برئيس حصيف مثل فخامتكم الذى يقوده بيد من صلاح وقلب من حنان ، ثم انه لقد يسرني كذلك ان تتلاقى دوماً نقاط نظرنا في الأمور الدولية العامة ، وتطورات الحوادث في بلادنا العربية وانـي لأرجو من صميم الفؤآد كل الخير والهناء لهذا العالم المضطرب بالأوجاع والآلام وان ينال كل اسباب الراحة والأستقرار لهناء البشر وسعادة الأنسانية .

هذا وانتهز هذه الفرصة الطيبة لأجل تأييد روابط الود والصداقة وان تعتمدوا على صداقتنا وودنا الخالص لكم ولبلادكم العزيزة ، كما نعتمد عليكم في ذلك ، ولقد يكون من اسباب المصلحة العامة ان نتبادل وجهات النظر فيما يجدّ من الأحداث حتى تكون سياستنا منسجمة مع بعضها البعض ومصالح بلادينا مؤمنة . ولقد يكون من دواعي اغتباطي ان اسمع عنكم وعن شعبكم كل خير وان يهيئ لفخامتكم السعادة والرفاه ، وللبنان النعمة والأزدهار والسلام ،،،

(*) — راجع ص ٤٠٠

البيان الثلاثي (١)

« ان حكومات المملكة المتحدة وفرنسة والولايات المتحدة، التي أتيح لها اثناء الاجتماعات الاخيرة لوزراء الخارجية في لوندرة ، استعراض بعض مسائل تتعلق بالسلام وباستقرار الدول العربية واسرائيل ، وعلى الاخص ارسال الاسلحة والمواد الحربية لهذه الدول ، قرّرت إصدار البيان الآتي :

اولاً : تعترف الحكومات الثلاث بان الدول العربية واسرائيل تحتاج جميعها الى المحافظة على مستوى معيّن من القوى المسلحة لتأمين سلامتها الداخلية والدفاع الشرعي عن النفس ، ولتسمح لها بقيامها بالدور اللازم في الدفاع عن المنطقة جمعاء . فكل شحنة من الاسلحة او المواد الحربية الى هذه البلدان سيُنظر فيها على ضوء هذه المبادىء . وكذلك ترغب الحكومات الثلاث ان تذكر في هـذا الصدد ، وتؤكد مرة اخرى ، نصوص البيانات التي اذاعها كل من ممثليها في مجلس الامن في ٤ من آب سنة ١٩٤٩ ، وقد اعلنوا فيها معارضتهم التطور الى سباق في التسلّح بين الدول العربية واسرائيل .

ثانياً : تعلن الحكومات الثلاث انها قد تسلمت تأكيدات من جميع الدول المذكورة التي سمحت لها باستيراد الاسلحة من بلادها ان الدول المشترية لا تنوي القيام بأي عمل عدائي ضد اية دولة اخرى . وستطلب تأكيدات مثلها من اية دولة اخرى في تلك المنطقة يُسمح لها باستيراد اسلحة في المستقبل .

ثالثاً : تنتهز الحكومات الثلاث هذه الفرصة لتعلن اهتمامها البالغ بهذه المسألة ورغبتها في توطيد السلم والاستقرار ، وبصيانتها في المنطقة .

(١) — ترجمناه عن الاصل الفرنسي . وقد صدر البيان في ٢٦ من نوار ١٩٥٠

وكذلك (تعلن) معارضتها الوطيدة لاستعمال القوة ، او التهديد بالقوة ، بين اية دولة وأخرى في هذه المنطقة .

واذا تبيّن للحكومات الثلاث ان دولة من هذه الدول تستعد لخرق الحدود ، او خطوط الهدنة ، فان الحكومات الثلاث المذكورة لا تتأخر، ضمن موجباتها كاعضاء في الامم المتحدة ، عن اتخاذ إجراء فوري، سواءً أفي نطاق هيئة الامم ام في خارجها ، لمنع هذا الخرق » اهـ .

الرد على البيان الثلاثي (*)

« عنيت حكومات الدول العربية منفردة ومجتمعة بدراسة التصريح المشترك الذي اصدرته المملكة المتحدة وفرنسة والولايات المتحدة في ٢٥ مايو (نوّار) سنة ١٩٥٠ وكان تبادل الرأي في هذا التصريح من اهم الاسباب التي رأت الدول العربية من اجلها التعجيل باجتماع مجلس الجامعة العربية في ١٢ يونيه (حزيران) سنة ١٩٥٠ ومن اهم الموضوعات التي اشتمل عليها برنامج العمل في الاجتماع المذكور .

وقد اتفقت الدول العربية على إصدار البيان الآتي :

١ – ليس احرص من الدول العربية على استتباب السلام والاستقرار في الشرق الاوسط، فهي بطبيعتها في طليعة الدول المحبة للسلام، وقد أثبتت الحوادث المتوالية مبلغ احترامها لميثاق هيئة الامم المتحدة .

٢ – اذا كانت الدول العربية قد اهتمت وتهتم دائماً باستكمال تسليحها فانما يرجع ذلك الى شعورها العميق بمسؤوليتها عن حفظ الامن الداخلي في بلادها، والدفاع الشرعي عن حياضها، والقيام بواجب حفظ الامن

(*) – راجع ص ٣١٠

الدولي في هذه المنطقة، ذلك الواجب الذي يقع اولاً وبالذات عليها، وعلى جامعة الدول العربية باعتبارها منظمة اقليمية ينطبق عليها حكم المادة الثانية والخمسين من ميثاق الامم المتحدة .

٣ – سبق ان كررت الحكومات العربية من بادىء امرها، وقبل تفكير الدول الثلاث في اصدار تصريحها، الاعراب عن نيات العرب السلمية وتكذيب ما دأبت اسرائيل على اشاعته من ان الدول العربية تطلب السلاح لاغراض عدوانية . وهي لا تجد بأساً من ان تعرب من جديد عن نياتها السلمية وتؤكد ان السلاح الذي طلبته او تطلبه من الدول الثلاث او من غيرها انما يستعمل للاغراض الدفاعية .

٤ – من البديهي ان مستوى القوات المسلحة التي تحتفظ بها كل دولة لاغراض الدفاع ، والقيام بنصيبها في حفظ الامن الدولي ، هو امر يرجع تقديره الى هذه الدولة نفسها ، ويخضع لعوامل كثيرة اهمها عدد السكان ومساحة البلاد وترامي حدودها وتنوّعها .

٥ – يهم الدول العربية ان تسجل التأكيدات التي تلقتها بان الدول الثلاث لم تقصد من تصريحها محاباة اسرائيل، او الضغط على الدول العربية لتدخل في مفاوضات مع اسرائيل، او المساس بالتسوية النهائية للقضية الفلسطينية، او المحافظة على الوضع الراهن، بل قصدت اظهار معارضتها الالتجاء الى القوة او الاعتداء على خطوط الهدنة .

٦ – تعلن الدول العربية ان افضل الطرق واضمنها لصيانة السلام والاستقرار في الشرق الاوسط حل قضاياه على اساس الحق والعدالة ، وإعادة حالة الوفاق والتجانس التي كانت سائدة فيه، والمبادرة الى تنفيذ قرار هيئة الامم المتحدة الخاص بعودة اللاجئين من فلسطين الى ديارهم وتعويضهم عن املاكهم واموالهم .

٧ – كذلك يهمّ الدول العربية ان تسجل التأكيدات التي تلقتها

بان تصريح الدول الثلاث وطريقة تقديمه ، وما نص عليه بشأن تلقي التعهدات من الدول المشترية للاسلحة ، لا تعني مطلقاً تقسيم هذه المنطقة الى مناطق نفوذ ، او الاعتداء باية صورة من الصور على استقلال الدول العربية وسيادتها .

٨ – من الواضح ان الشكوك التي اريد تبديدها بالتأكيدات المشار اليها في البند السابق قد اعان على اثارتها نص البند الثالث من تصريح الدول الثلاث ، وما جاء فيه من انها اذا علمت ان احدى دول المنطقة تستعد للاعتداء على الحدود ، او على خطوط الهدنة لدولة اخرى ، فانها ستبادر الى العمل على منع هذا الاعتداء سواء في نطاق هيئة الامم المتحدة او خارجه .

وما من شك في ان العمل وحده هو الكفيل بتبديد هذه الشكوك اذا اثبت ان الدول الثلاث تحرص حقاً على استتباب السلام في الشرق الاوسط في غير تحيز او ميل، وعلى اساس الحق والعدل واحترام سيادة الدول لا بسط السيطرة او النفوذ عليها .

٩ – ولا يسع الدول العربية في الختام الا ان تؤكد مرة اخرى انها مع بالغ حرصها على السلام لا يمكن ان تقرّ اي عمل من شأنه المساس بسيادتها واستقلالها » . اه .

١٢ من حزيران ١٩٥٠

نواب مجلس ١٩٤٧ – ١٩٥١

(انتخبوا في ٢٥ من نوار ١٩٤٧)

عن بيروت : عبدالله اليافي ، حبيب ابو شهلا ، سامي الصلح ، رشيد بيضون، حسين العويني، موسيس دركالوسيان، الدكتور ملكون هيربديان، الدكتور رئيف ابي اللمع ، موسى دي فريج .

عن جبل لبنان : جبرائيل المر ، كمال جنبلاط، كميل شمعون، الدكتور الياس الخوري ، السيد احمد الحسيني ، مجيد ارسلان ، احمد البرجاوي ، سليم الخوري ، خليل ابو جوده ، فيليب تقلا ، وديع نعيم ، الدكتور شهيد الخوري ، جورج زوين ، الدكتور يوسف حتي ، بهيج تقي الدين ، فريد الخازن ، امين نخله .

عن لبنان الجنوبي : رياض الصلح ، يوسف السكاف ، يوسف الزين ، احمد الاسعد ، محمد صفي الدين ، محمد الفضل ، عادل عسيران ، محمد علي الغطيمي ، نصار غلميّه ، ابرهيم عازار .

عن لبنان الشمالي : مايز المقدم ، حميد فرنجيه ، سليمان العلي ، يوسف كرم ، الدكتور يوسف فضول ، ندره عيسى الخوري ، محمد العبود ، يوسف ضو ، نصوح الفاضل ، ميشال مفرج ، عدنان الجسر ، جبران النحاس .

عن البقاع : شبلي العريان ، ابرهيم حيدر ، صبري حماده ، هنري فرعون ، يوسف الياس شمعون ، رفعت قزعون ، اديب الفرزلي .

نواب مجلس ١٩٥١

(انتخبوا في ١٥ من نيسان ١٩٥١)

دائرة محافظة بيروت : سامي الصلح ، هنري فرعون ، صائب سلام ، حبيب ابي شهلا ، موسى دي فريج ، امين بيهم ، رامز سركيس ، عبدالله اليافي ، جوزيف شادر ، رشيد بيضون ، موسيس دركالوسيان ، شارل حلو ، الدكتور ملكون هيربديان .

دائرة قضاء كسروان : جورج زوين ، سليم الخازن ، جورج بشاره كرم ، روفائيل وديع لحود ، السيد احمد الحسيني .

دائرة قضاء بعبدا : عبدالله الحاج ، بشير الاعور ، الدكتور الياس الخوري ، ايليا ابو جوده ، دكران توسباط ، فوآد جرجس الخوري ، ميشال ضوميط ، اميل لحود .

دائرة قضاءَي الشوف - عاليه : سليم خليل الخوري ، كمال جنبلاط ، مجيد ارسلان ، كميل نمر شمعون ، غسان جبران تويني ، اميل مرشد البستاني ، بهيج تقي الدين ، انور احمد الخطيب ، فيليب تقلا .

دائرة قضاء طرابلس : رشيد كرامي ، نصوح الفاضل ، سعدي المنلا ، قبولي ذوق ، هاشم الحسيني ، فوآد البرط .

دائرة قضاء عكار : سليمان العلي ، بشير العثمان ، البر الحاج ، الدكتور يعقوب الصراف .

دائرة اقضية زغزتا - البترون - الكورة : حميد فرنجيه ، قبلان شبل عيسى الخوري رحمه ، كميل عقل ، انطوان اسطفان ، يوسف كرم ، فيليب بولس .

دائرة محافظة لبنان الجنوبي : رياض الصلح ، محمد الغطيمي ، نقولا سالم ، حسين العبدالله ، الياس طرابلسي ، احمد الإسعد ، علي البزي ، سهيل خالد شهاب ، سليمان عرب ، رشاد عازار ، محمد الفضل ، الدكتور علي بدر الدين ، محمد صفي الدين ، مارون كنعان .

دائرة محافظة البقاع : صبري سعدون حماده ، يوسف الهراوي ، سليم نسيب الداوود ، شفيق حنا الضاهر ، ابرهيم حيدر ، جان خليل السكاف ، ناظم عبد القادر قادري ، حبيب مطران ، رفعت حسين قزعون ، اسكندر جرجي سرسق ، فضل الله حماده .[1]

---

(١) - كان من الواجب ان يشار في الصفحة الـ ٣٢٢ من الجزء الاول ، وفيها اسماء نواب سنة ١٩٢٢ ، الى ان الرئيس حبيب السعد نائب جبل لبنان عين رئيساً لمجلس شورى الدولة فخلفه في النيابة وديع عقل صاحب جريدة « الوطن » - فليصحح .

وزارات الاستقلال (*)

الوزارة الثامنة من ٧ من حزيران ١٩٤٧ الى ٢٦ من تموز ١٩٤٨

رياض الصلح رئيس الوزارة . جبرائيل المرّ نائب رئيس الوزارة ووزير الاشغال العامة . السيد احمد الحسيني وزير العدل . مجيد ارسلان وزير الدفاع الوطني والبرق والبريد . كميل شمعون وزير الداخلية والصحة والاسعاف العام . حميد فرنجية وزير الخارجية والمغتربين والتربية الوطنية . محمد العبود وزير المال . سليمان نوفل وزير الاقتصاد الوطني والزراعة .

الوزارة التاسعة من ٢٦ من تموز ١٩٤٨ الى اول تشرين الاول ١٩٤٩

رياض الصلح رئيس الوزارة ووزير العدل . جبرائيل المرّ نائب رئيس الوزارة ووزير الداخلية (١) مجيد ارسلان وزير الدفاع الوطني والزراعة . حميد فرنجية وزير الخارجية والمغتربين والتربية الوطنية . احمد الاسعد وزير الاشغال العامة . فيليب تقلا وزير الاقتصاد الوطني والبرق والبريد . الدكتور الياس الخوري وزير الصحة والاسعاف العام . الحاج حسين العويني وزير المال .

الوزارة العاشرة من اول تشرين الاول ١٩٤٩ الى ١٤ من شباط ١٩٥١

رياض الصلح رئيس مجلس الوزراء ووزير التربية الوطنية . جبران

(*) — يراجع ج ٢ ، ص ٣٢٥ .
وفي ج ١ ، ص ٣٣١ ، سقط في الطبع اسم شكري قرداحي وزير العدل في الوزارة الثانية — فليذكر في محله .

(١) — استقال وقبلت استقالته في ٢٠ من تموز ١٩٤٩ وعين رياض الصلح وزيرا للداخلية . وفي ٢٤ من تموز المذكور استقال رياض الصلح من وزارة العدل وعين في اليوم عينه جبران نحاس نائباً لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للعدل .

نحاس نائب رئاسة مجلس الوزراء ووزير للعدل . مجيد ارسلان وزير للدفاع الوطني . فيليب تقلا وزير للخارجية والمغتربين والاقتصاد الوطني . الدكتور الياس الخوري وزير للداخلية . حسين العويني وزير للمال وللبريد والبرق . الدكتور رئيف ابي اللمع وزير للصحة والاسعاف العام . بهيج تقي الدين وزير للزراعة .

الوزارة الحادية عشرة : وفي ٦ من تشرين الاول ١٩٤٩ عُدّل تشكيل الوزارة السابقة على الوجه الآتي :

رياض الصلح للرئاسة والداخلية . جبران نحاس لنيابة رئاسة الوزارة وللاقتصاد الوطني والبريد والبرق . مجيد ارسلان للدفاع الوطني . احمد الاسعد للاشغال العامة . فيليب تقلا للخارجية والمغتربين . الدكتور الياس الخوري للصحة والاسعاف العام . حسين العويني للمال . الدكتور رئيف ابي اللمع للتربية الوطنية . بهيج تقي الدين للزراعة . شارل حلو للعدل والانباء (١) .

الوزارة الثانية عشرة : وفي ٢٥ من اذار ١٩٥٠ عُدّل تشكيل الوزارة الصلحية تعديلاً جديداً على الوجه الآتي :

رياض الصلح للرئاسة والداخلية . جبران نحاس لنيابة الرئاسة والعدل . مجيد ارسلان للدفاع الوطني . احمد الاسعد للاشغال العامة . فيليب تقلا للخارجية والمغتربين . الدكتور الياس الخوري للصحة والاسعاف العام . حسين العويني للمال . الدكتور رئيف ابي اللمع للتربية الوطنية . بهيج تقي الدين للزراعة . خليل ابي جوده للبرق والبريد وللانباء .

(١) — في ٦ من ت ١ (يوم تعديل الوزارة المذكورة) انشئت وزارة الانباء بموجب مرسوم رقمه ١٠ واسندت الى شارل حلو . وقد استقال شارل حلو من الحكومة في كانون الاول ١٩٤٩ .

الوزارة الثالثة عشرة من ١٤ من شباط ١٩٥١ الى ٧ من حزيران ١٩٥١

حسين العويني رئيس الوزارة ووزير للداخلية ، والخارجية والمغتربين ، والدفاع الوطني ، والمال . بولس فياض وزير للعدل ، والاقتصاد الوطني ، والصحة والاسعاف العام ، والزراعة . ادوار نون وزير للاشغال العامة ، والتربية الوطنية ، والبرق والبريد ، والانباء .

الوزارة الرابعة عشرة من ٧ من حزيران ١٩٥١ الى ١١ من شباط ١٩٥٢

عبدالله اليافي رئيس مجلس الوزراء ووزير للداخلية . فيليب نجيب بولس نائب رئيس الوزارة ووزير للاشغال العامة . اميل لحود وزير للتربية الوطنية . فيليب تقلا وزير للمال وللاقتصاد الوطني . يوسف الهراوي وزير للزراعة . بهيج تقي الدين وزير للصحة والاسعاف العام والشؤون الاجتماعية . شارل حلو وزير للخارجية والمغتربين . رشيد بيضون وزير للدفاع الوطني . محمد صفي الدين وزير للبرق والبريد والانباء . رشيد كرامي وزير للعدل .

تعديل الوزارة الرابعة عشرة : في يوم تأليف الوزارة استقال منها بهيج تقي الدين فخلفه بشير الاعور في ٨ من حزيران وأسندت اليه وزارة الصحة والاسعاف العام . اما وزارة الشؤون الاجتماعية فاسندت الى اميل لحود وزير التربية الوطنية .

الوزارة الخامسة عشرة من ١١ من شباط ١٩٥٢ الى ٩ من ايلول ١٩٥٢ .

سامي الصلح رئيس مجلس الوزراء ووزير للداخلية . فوآد الخوري وزير للعدل ونائب رئيس مجلس الوزراء . السيد احمد الحسيني وزير

للاشغال العامة . مجيد ارسلان وزير للدفاع الوطني والصحة والاسعاف العام . اميل لحود وزير للمال . فيليب تقلا وزير للخارجية والمغتربين . سليمان العلي وزير للزراعة والاقتصاد الوطني . ميشال ضومط وزير للشؤون الاجتماعية . انطوان اسطفان وزير للتربية الوطنية . حسين العبدالله وزير للبرق والبريد والانباء .

الوزارة السادسة عشرة من ٩ من ايلول ١٩٥٢ الى ١٤ منه

ناظم عكاري رئيس للوزارة ووزير للداخلية ، وللخارجية ، وللانباء ، وللزراعة ، وللدفاع الوطني . باسيل طراد نائب رئيس الوزراء ووزير للاقتصاد الوطني ، والاشغال العامة ، والتربية الوطنية ، والصحة والاسعاف العام . موسى مبارك وزير للعدل ، والمال ، والبريد والبرق ، والشؤون الاجتماعية .

الوزارة السابعة عشرة من ١٤ من ايلول ١٩٥٢ الى ١٨ منه

صائب سلام رئيس مجلس الوزراء ووزير للداخلية ، والخارجية والمغتربين ، والدفاع الوطني، والانباء، والزراعة . باسيل طراد نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير للاشغال العامة ، والاقتصاد الوطني ، والتربية الوطنية ، والصحة والاسعاف العام . موسى مبارك وزير للمال ، والعدل، والبرق والبريد ، والشؤون الاجتماعية .

الوزارة الثامنة عشرة : من ١٨ من ايلول ١٩٥٢

اللواء فوآد شهاب رئيس للوزارة ووزير للداخلية ، والدفاع الوطني . ناظم عكاري نائب لرئيس مجلس الوزراء ووزير للخارجية ، والاشغال العامة ، والتربية الوطنية ، والبريد والبرق ، والصحة والاسعاف العام ، والزراعة ، والانباء . باسيل طراد وزير للاقتصاد الوطني ، والشؤون الاجتماعية ، والعدل ، والمال .

فهرس

صفحة

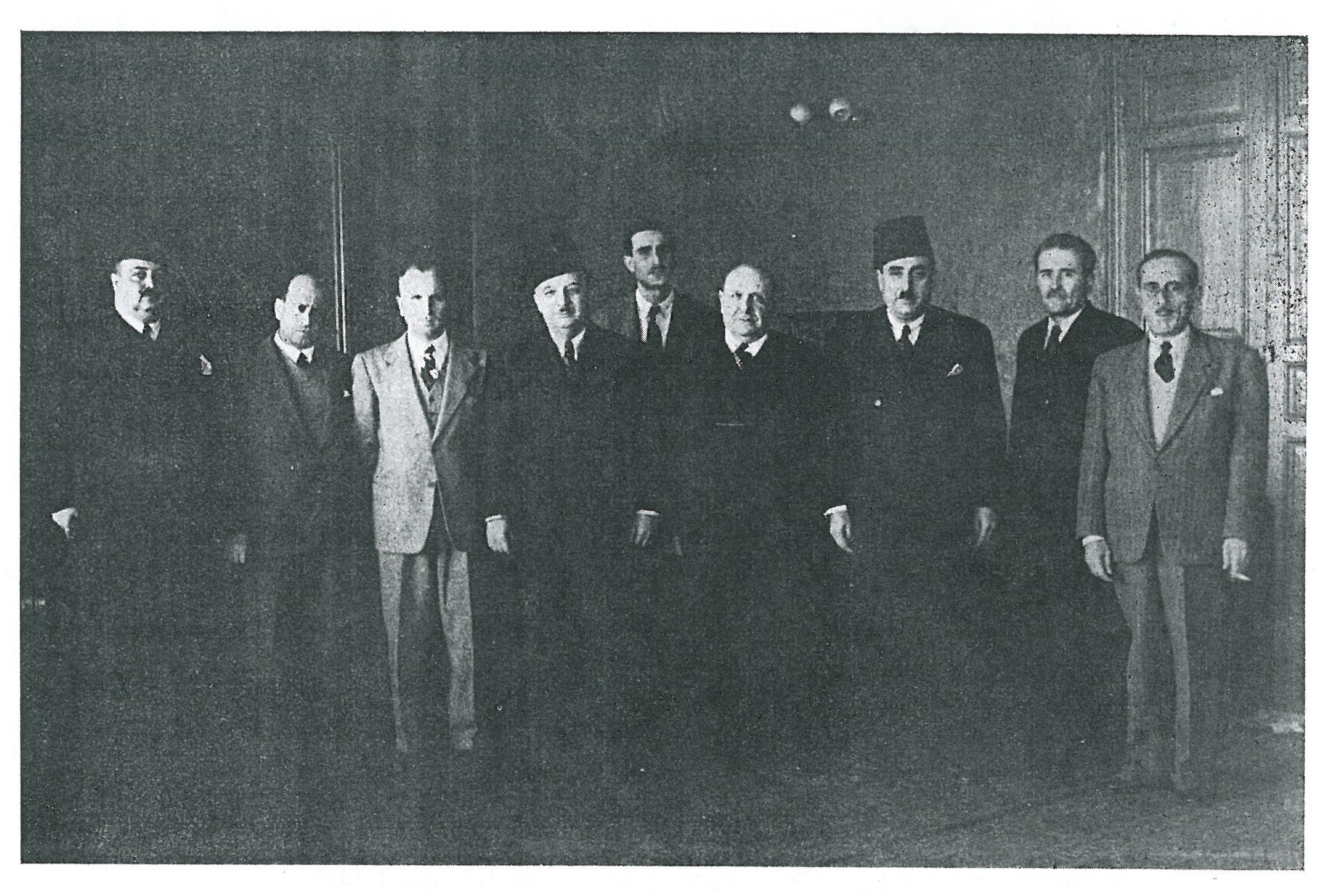
صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة



وزارة الانتخابات سنة ١٩٤٧



زيارة الرئيس شكري القوتلي لبنان – وقفة امام صخرة الجلاء



موكب نقل رفات الامير بشير يجتاز شوارع العاصمة . في الزاوية : الرئيس يلقي خطابه في بيت الدين



الرئيس يفتتح المؤتمر الثقافي العربي الاول في بيت مري



في زيارة بغداد : الوصي يستقبل الرئيس



القاصد الرسولي والكهنة في بغداد يستقبلون الرئيس في طريقه الى سماع القداس



في المعرض الزراعي في شتوره



في معرض الكتاب في شهر الاونيسكو



حفلة افتتاح الاونسكو – فوق : الرئيس يلقي خطابه .
في الوسط : قسم من الحضور .
تحت : مندوبو الدول يقفون تحية للرئيس



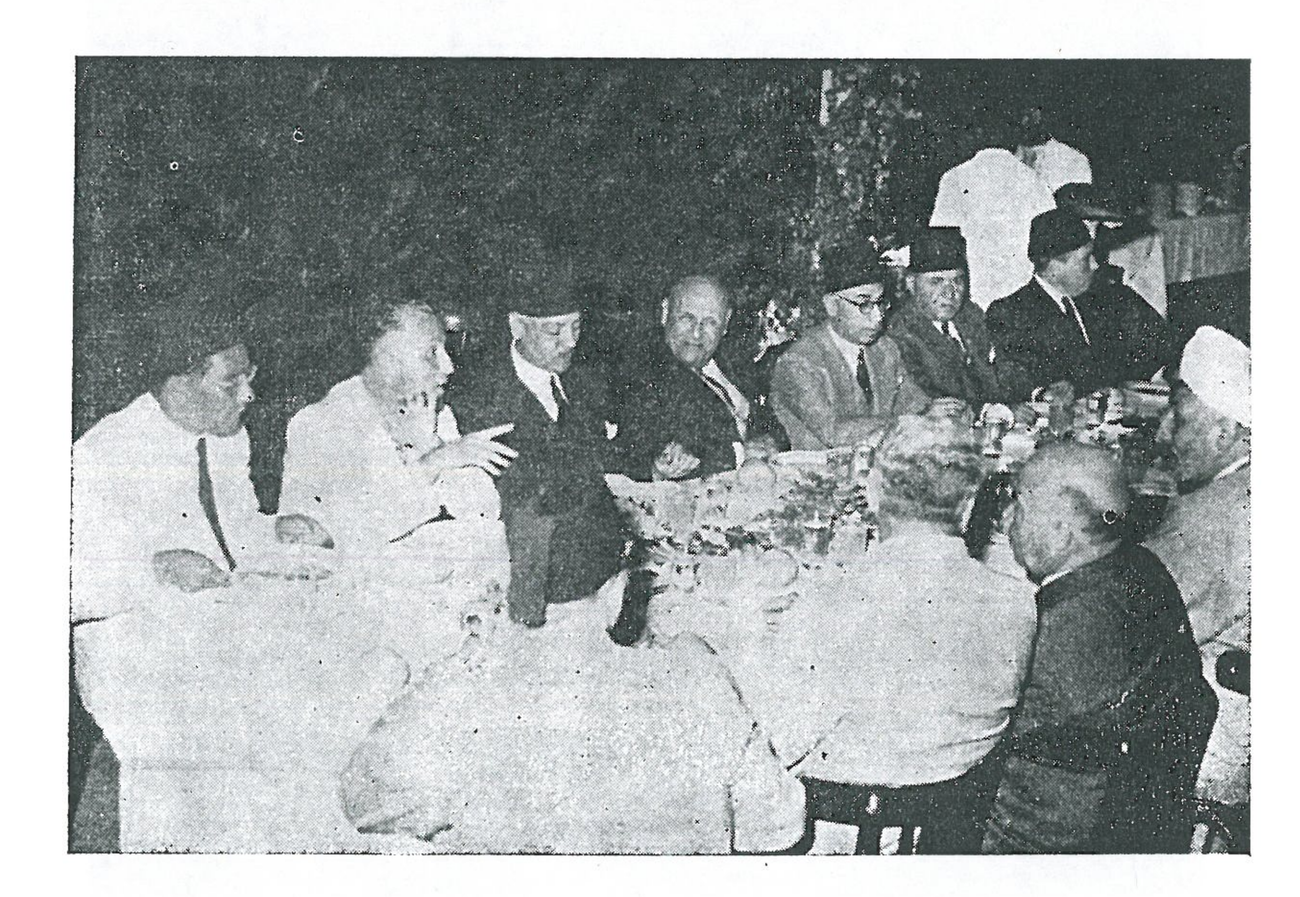
في زيارة جيش الانقاذ



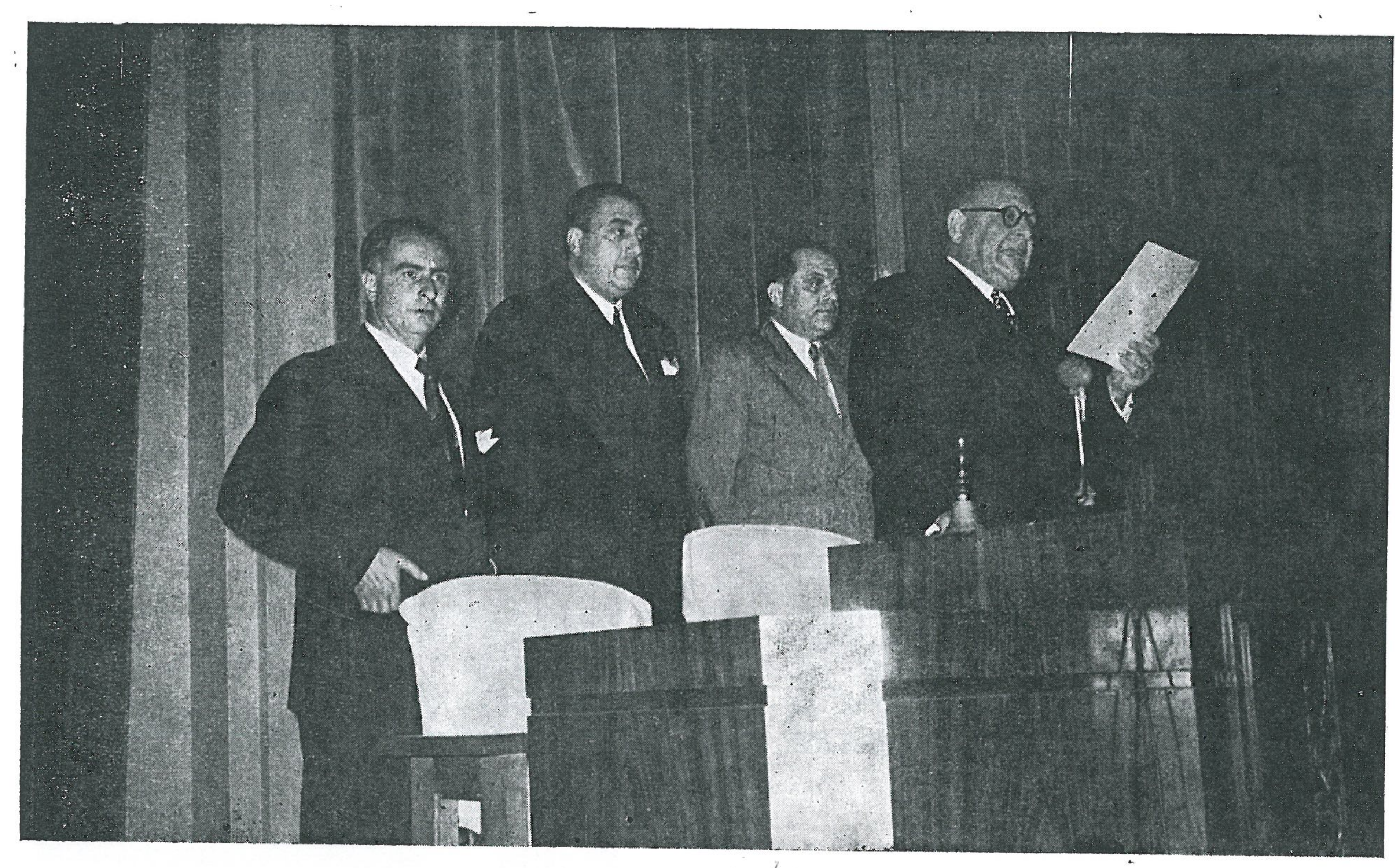
اجتماع درعا : من اليمين : الامير عبد الاله فالرئيس السوري فالرئيس اللبناني
فالملك عبدالله



زيارة كلية المقاصد الخيرية الاسلامية



إفطار في عاليه



بدء الولاية الثانية : الرئيس يلقي خطابه في المجلس النيابي



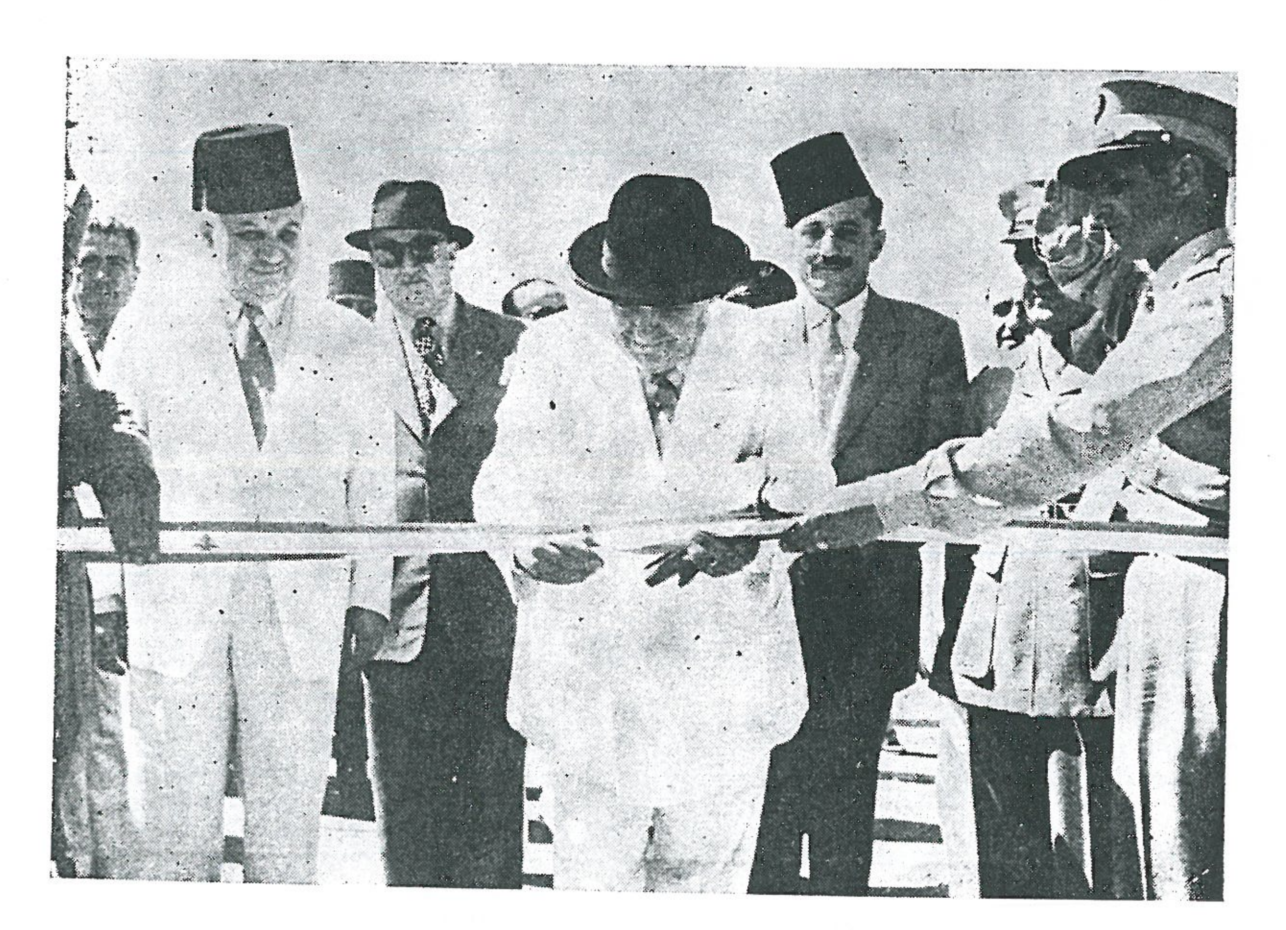
البطريرك عريضة يعانق الرئيس مهنئاً بنتيجة الانتخابات المثالية



الكردينال اغاجنيان في زيارة الرئيس للتهنئة عينها



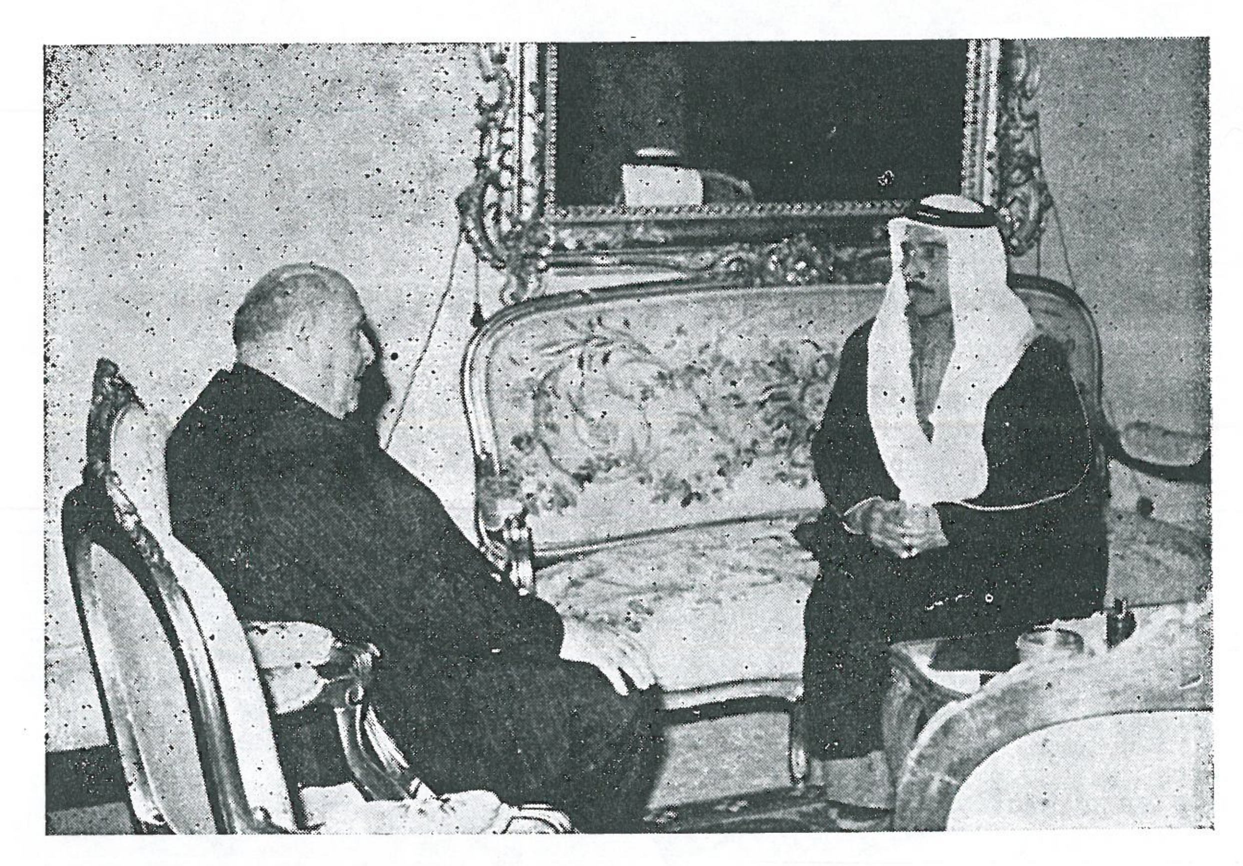
تفقد اشغال مطار خلده



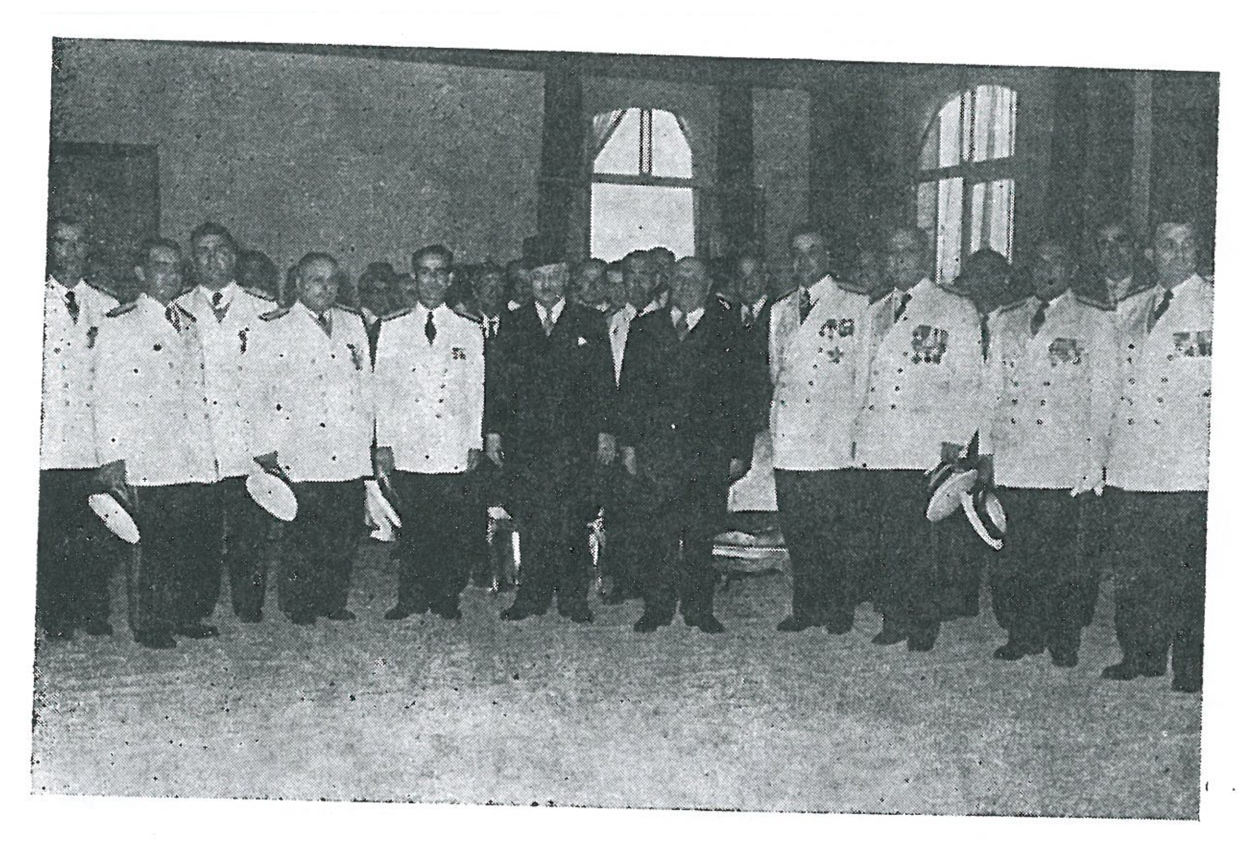
تدشين مطار خلده



الملك عبدالله في بيروت (ووراءه الامير عبد الاله فالحاج حسين العويني)



الملك طلال بن عبدالله في قصر الرئاسة



مع اركان الجيش



الرئيسة تسلّم معهد الدرك العَلَم اللبناني



تفقد الاعمال لشق شارع الشيخ بشاره الخوري في بيروت



تدشين مدرسة مار منصور دي پول في بيروت



مع اللجنة السياسية العربية في بيت الدين



زيارة جبيل



الرئيسة المحسنة : في معهد راهبات المحبة . مع جمعية راس النبع النسائية . في دار رعاية الطفل بالاشرفية



مأتم والدة الرئيس



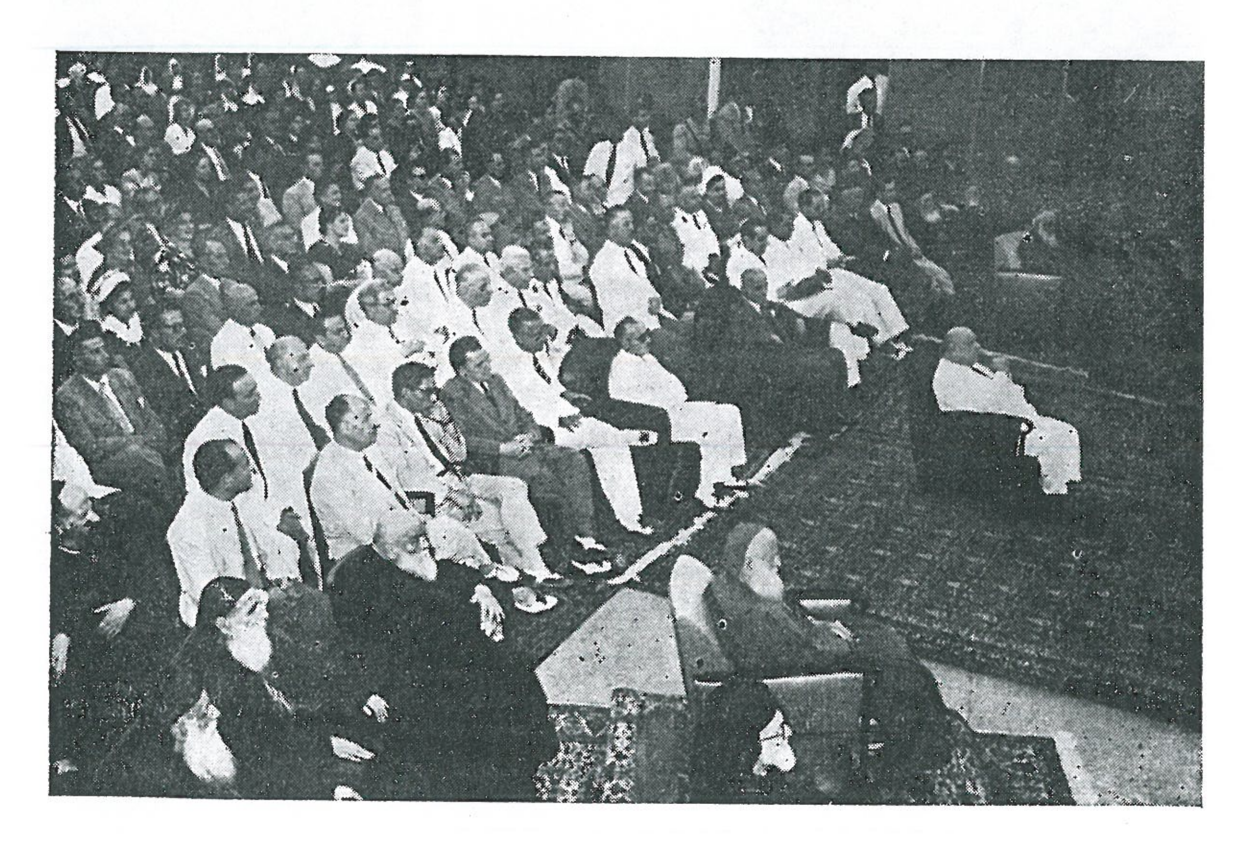
في زيارة قرى الشوف



قداس في رشميا



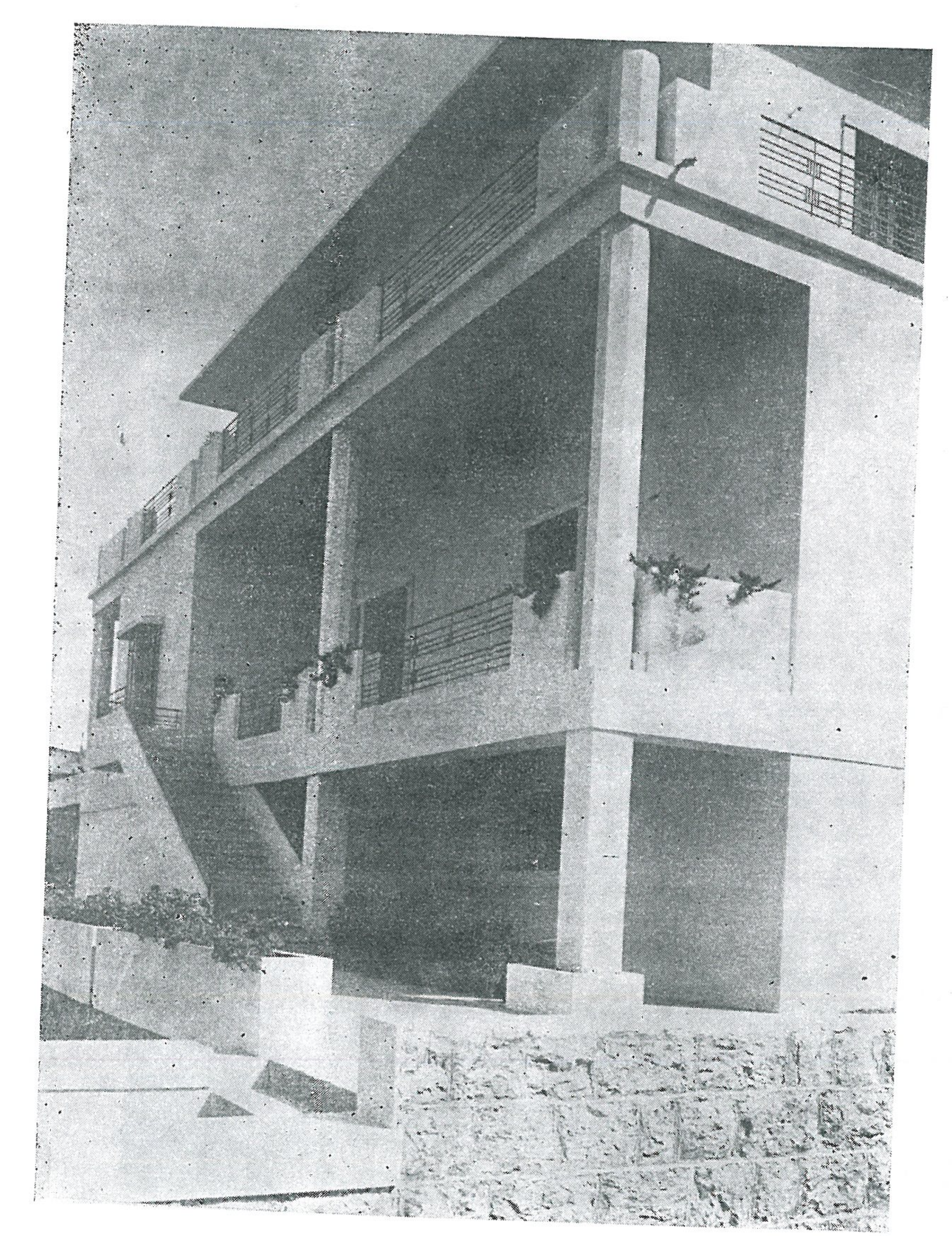
في القداس الرسمي الارثوذوكسي



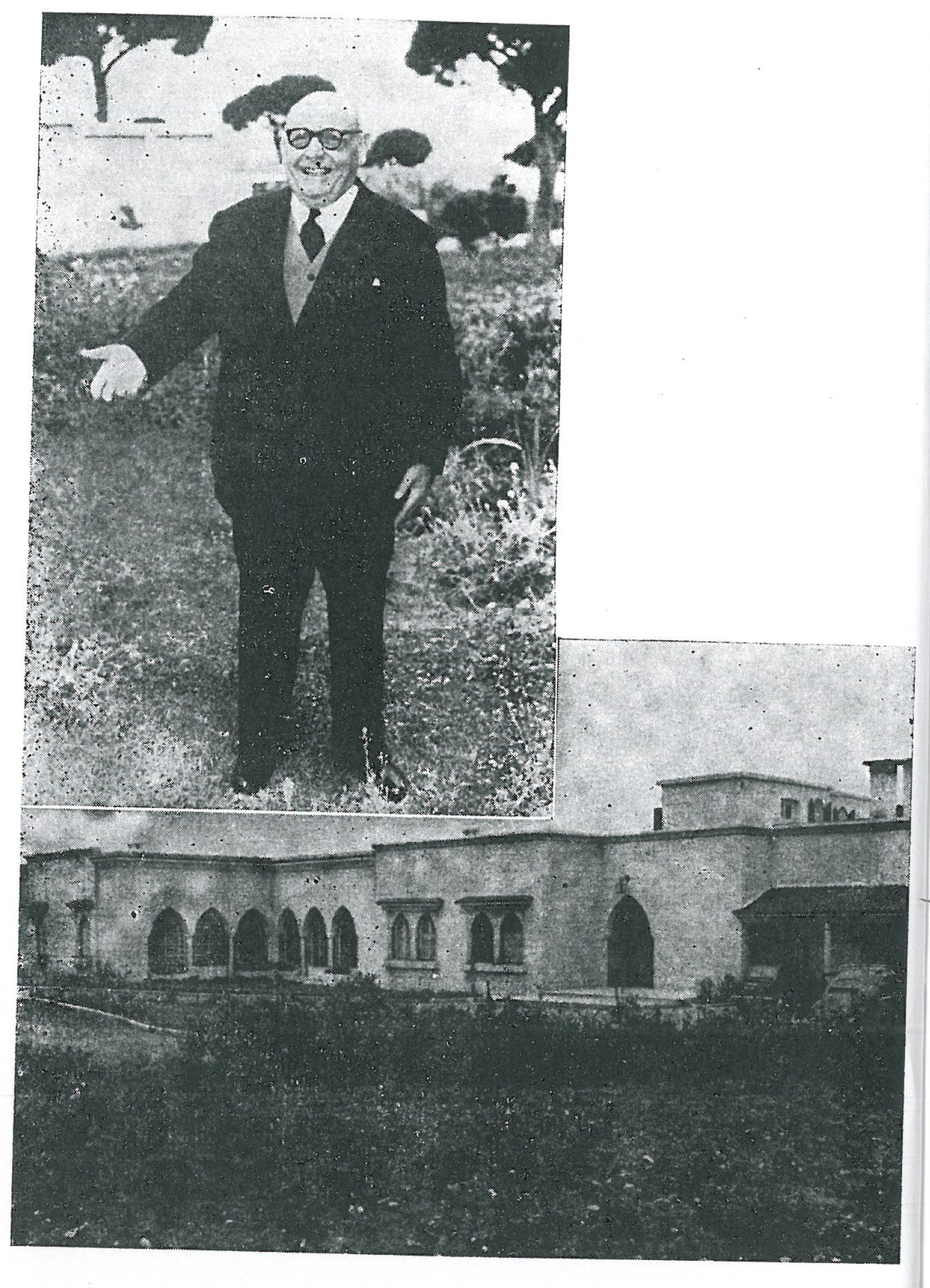
تدشين معهد الايتام في الحازمية



تسليم بدون تسلّم



القصر الجمهوري في عاليه حيث وضع الرئيس استقالته



في « الجون الهادىء » : اعتكاف وابتسامة